

کتابخانه اصفیه سید کار عالی حمید اردکانی
۲۰۰۳۵

صف ۱۰

۲۱۹۲۷

کتابخانه

تفسیر الجواهر لفظی و معنی * جلد سابع
فصل کتاب
نمبر کتاب در فن مذکور

۶۹۹

١٧١

4482
SIA

الجزء السابع

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المتشتمل على عجائب بدائع الكونيات وغرائب

الآيات الباهرات

(تأليف)

الاستاذ الحكيم للشيخ طنطاوى جوهرى

للمدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بطبعة

مطبعة السباني الحكيمى وأولاده بمصر

(حقوق الطبع محفوظة)

ربيع ثانى سنة ١٣٤٦ - هـ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة يوسف هي مكية بالاجماع وهي مائة واحدى عشرة آية ﴾

وقبل الشروع في تفسيرها أقول

إني أجد الله عز وجل أن حقق رجائي وأبقاني في هذه الدنيا - حتى وصلت الى هذه السورة فلقد كتبت في سورة البقرة عند قوله تعالى - ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم للجهل من بعده وأتم ظنلون - ما نصه . اعلم أي كنت كتبت هذا التفسير كما قدمت في أول الكتاب وأنا مدرس بدار العلوم في نحو سنة ١٩١١ م . ومن عجيب صنع الله عز وجل أي في تلك السنوات كتبت في مجلة (الملاحى العباسية) التي كانت تنشر هذا التفسير مقالا مطولا في اجمال تفسير سورة يوسف قلت فيها أن القرائنة كانوا أغزر علما من المصريين الخاليين وحكامهم ومن علماء أوروبا الذين يحكم رجالهم بلادنا فشرحت من رؤيا الملك مسألة سبع البقرات السمان وسبع السبلات واهتمامه بالزراعة . وعطفت على مسألة الطيور ونهت الحكومة والأمة فصر الأمر عقبها سنة ١٩١٢ ميلادية بمنع صيد الطيور النافعة ومن أهمها (أبو قردان) وهانذا أكتب تمام التفسير الآن سنة ١٩٢٢ للطبع وقد رأيت بعيني رأسي أن الحكومة قد ربت (أبو قردان) وانتشر في البلاد المصرية انتشارا كما كان سابقا فأجد الله عز وجل على هذه العمة وعلى حفظ الطيور ببركة الآيات القرآنية وآثارها في النفوس وحرل على من عنده نصيحة أن يحسبها جينا عن الجهور فانها لابد نافعة عاجلا أو آجلا وان شاء الله اذا طال الأجل ووصلت الى سورة يوسف أثبت تلك المقالات اه

أقول وهانذا الآن في يوم الاثنين الثالث عشر من شهر اكتوبر سنة ١٩٢٤ وأجد الله إذ وصلت الى هذه السورة وان خير سعادة لي في هذه الحياة أمام هذا التفسير فانذا تم على المتوال التي أريده كان هذا خيرا ما أعناه في هذه الحياة . والآن ابتدئ بذكر ذلك للملخص لتطلع عليه . ثم أتبعه بما كتبت الحكومة المصرية لمنع الفلاحين من صيد (أبو قردان) ثم اتبعه بتفسير السورة تفسيراً تفصيلياً بعد الاجال في هذا المقال

(كيف نخدم مصرا إذا فهمت هذه السورة)

هذا الوجود أسباب ومسببات ونتائج ومقدمات سواء في ذلك العناصر والمركبات والعالم والديانات ومنها القرآن فلقد أنزل للاعتبار وقرىء للذكاء وأكثر المسلمين لا يقرؤنه إلا وهم غافلون ولا يسمعونه إلا وهم لاهون لا يسمعون إلا ظاهرا من الأمر والهي والودع والوعيد والعقبة والمثل وهم عن عجائب القصص معروضون . في القرآن قصص تسرد وقائع الأنبياء وفضائل الأولياء وعجائب أعمالهم وغرائب أحوالهم لتقيس المشاهد المظور على الغائب المستور والحاضر الظاهر على الغائب الغائب

غفل الناس عن ذلك كله أيما غفلة وناموا على وساد الراحة وبهاد الغفلة حتى أصبح المسلمون في أنحاء المعمورة يمتازون بأنهم مسبقون في المدنية والعمران . جاهلون بالنافع المادية والفضوية . خاضعون للظالمين مقلدون . والمقلد جاهل والجاهل غافل والعافلون هم المالكون

ماعذب المسلمين ولا أأزاحهم عن مكانهم السامى الذى خوله الله لهم من الشرف العيم والفضل العظيم إلا القصاصون المخرقون وأدعياء العلم وما أكثرهم وهم ضالون مضلون بما يفترونه على الله عز وجل باسم الدين والدين يرى عما يقولون . فعلى قادة الأئمة الاسلامية أن يدخلوا البيت من بابه ويدعوا المسلمين للعلم بطريق الدين كما أخرجوا منه بطريق الدين فبالدين (ادعاء) أخرجوا وبالدين (تحقيقا) يدخلون ولما كان القصص مهجور المعاني عند الناس وكان أحسنها قصة سيدنا يوسف عليه السلام أردت أن أذكر نبذة صالحة هنا فوق ما أوجعته في كتاب (النظام والاسلام) وما أودعته فيه من عجائب التنزيل وبدائع القرآن فأقول . إن هذه السورة لازمة خاصة بالصريين فلذلك يقرؤنها في مآتهم وفرحهم ولن تجلس مجلس قرآن إلا وتسمع القارئ يترجم بآياتها ويترجم بكلماتها والذس له سامعون وبصوته طربون إن كان من المحسنين . ألا انما يطرب الانسان لما يهواه ويفرح بما يوافق هواه . فيا عجب كيف يفرحون بها ويطربون لها ألكلماتها البديعة أم لمعانها العجيبة . إن فيها لحكما وعبرا وعلوما لو كشف عنها الغطا وأدرك للصربون سرها لكانوا أرق العالمين في الدنيا والدين . إن فيها السياسة للتلز ورياسة الشخص وسياسة المدينة . سياسات (ثلاث) انتظمها سورة يوسف . ففيها نصف علم الحكمة وهى الحكمة العملية الداعية لسعادة الأشخاص وسعادة المنازل وسعادة المدن فهل لهذا طرب السامعون . كلا وإنما يطربون لجواهر الألفاظ ولبصيص من المعاني العالية . ولو أنهم أدركوا ماسنوهه من العجائب اليوسفية ما أغمضوا الجفن ولتأت جنوهم عن مضاجع الكسل ولربوا بأنفسهم أن ترحى مع العمل وما استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير . سوف يعلمون المعنى فيما نقول ولينظرون الله ماذا يفعلون

ألا انما شهم اليوم في ترغيمها واقبالهم عليها وغرامهم بها كمثل أولئك الذين يدعون أنهم يعلمون العيب بانط في الرمل وما لهم بالقيب من علم وانما هى الفطرة الانسانية والحكمة الربانية أكتهم عليه وإن كانوا لا يشعرون كأن الحكمة الالهية تقول لأولئك الجاهلين . يا أيها الناس إن في الرمل لعلوما ستدركونها وأسرارا ستعلمونها ثم صنع منه المنظار العظيم والقرب فكشف أدق الدقائق في الحيوان والنبات وظهرت للعين بعض النجوم الثوابت وسائر السيارات . فهكذا في سورة يوسف الاشارة لعلم الأخلاق ولنظام المدن فأغرم الناس بها وأكثرهم لا يعلمون من مقاصدها إلا ما يعلم السجالون من عجائب الرمل ومثل الناس أيضا في غرامهم بها كمثل ذلك الذى يدعى أنه يعلم علم جابر ويستخرج الذهب والفضة والكيمياء وماه بذلك من علم إن يتبع إلا الظن ولكن الله أودع ذلك في قلوب طائفة من عباده توارثوه أجيالا حتى أتاه الله للناس من فهم الزمن وقام بالأمر وشرحوا علم الكيمياء وتقاوه من الظلمة الى النور ورفع المدنية ورفق الزراعة والصناعة والتجارة ودخل في سائر أبواب الحياة فأصبحت الأرض كلها تبت ما هو أقمع من الذهب وسائر

المعادن • كل هذا بالكيمياء • فهكذا فلتكن هذه القصة الشريفة التي يسميها الناس وأكثرهم لا يعلمون إلا حديث الحب والود فأشبهوا ذلك الرمال ومدعى الكيمياء وهما لا يعلمان كما انهما لغيرهما مقدمتان لملك قول ما لنا نراك تقرب الأمثال بالكيميائي والرمال والمغربى الجبال فاشرع الآن في المعنى المقصود وأرنا ذلك السر المصون حتى نقف على تلك الحجاب ونفهم سر تلك الغراب • أقول خذ مني أقول سؤالا وجوابا على ما ألقته فيها أسمعناك واضح لما أقول سمعا • سألني سائل يقول

(س) ما بالكَ تعاود التذكير بسورة يوسف وقد سبق القول والتفسير منك لها في كتاب (النظام والاسلام) وما هذا التكرار والصور في نفس اللدار

(ج) لكل مقام مقال فهناك تعميم وهنا تخصيص وذلك مبادئ وهذه نهايات وتلك اشارات وهذه عبارات وتلك مقدمات وهذه نتائج ولاخيري في علم بلا تأنج ولا في شجر بلا نمر ولا في قراءة بلا فكرة ولا في فكرة بلا عبرة ولا في عبرة بلا عمل ولا في عمل بلا خلاص

(س) ما أنواع العبرة في هذه السورة وما علاقتها بالصيغة الوطنية المصرية وما فائدتها للمجتمع الاسلامي عموما والمصري خصوصا

(ج) في هذه السورة خمس عبر (١) رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام (٢) وأذى اخوته (٣) قصته في بيت العزيز (٤) وقصته في السجن (٥) وتنظيمه للخزان المصرية

(١) (الرؤيا)

إذا كان الحب والنوى ينتجان نجما وشجرا فالنتيجة حبة ونوى وما كان فكرا أولا فهو عمل آخر • هكذا كان أول حياته عليه السلام أن رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين وعليها أقمت حياته وتنوعت أطوارها وبالسجود له والاعظام ختم تاريخ حياته - وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا - فأول الفكر آخر العمل • إن نفوس الانسانية خصائص تبدو علاماتها لتسوى الفراستويختلج فيها من إبان الصبا ما خصص له استعدادها ويبرز في أفعالها وأقوالها وتمثلها وتقليدها وأحلامها وإن امتاز عليه السلام بالنبوة والرسالة والفضيلة وصورت له الأجسام الأرضية بصورة الأجرام السماوية والمركبات العنصرية للظلمة خواتم الأنفس الشريفة بالكواكب المضيئة صورا بدئية وآيات عجيبة إلا أن لكل رؤيا تناسبه وأحلاما توافقه وطالما دلت الرؤيا ذوى الفراسة على أخلاق الرايين وأفادت السامعين أنباء عقول القائلين فلكل امرئ مناهج يسلكها ومطالب يرصدها وقاصد يؤمها لذلك رأى النبي النجوم وجالها والسجود والخضوع ورأى الملك المصري سبع بقرات سمان تأكلهن سبع بقرات مہزولات وضعيفات وسبع سنبلات خضرا التفث عليهن سبع سنبلات يابسات فامتصت ماءهن وتركتهن يابسات ولم يبد على المقرات الأسلاك سمات السمن ولا على السنبلات اليابسات آيات النضرة ومظاهر الحياة • رؤيا النبي جمال النجوم وسجود الساجدين • ورؤيا الملك سبع سنبلات وبقرات • ذلك عجب عجيب • بعث الأنبياء للعبادة والتفكير في الجمال وخلق الملوك لنظام الممالك وحفظ البلاد والعباد من الخراب والعمار • فالسجود من جنس العبادة وإن لم يكن في هذا من عبادة ولكنه تكريم والنجوم جمال والجمال السماوي والهاء الكوني مصدر التفكير والتعلم إلا أن في اشراق الكواكب والشمس والقمر في نفس سيدنا الصديق في صباه لعجا عجيبا ودلالة على صفته عند الحرمات وتعلما لطبقات المصريين وحفظ المال أن يضيع والناس أن يموتوا • كل ذلك مقتضى النفوس الجلية التي ذرأها الله سبحانه مطرا وشمسا تضيء وقرنا ذا سناء

ألا إن الشمس لتشرق والناس لا يشكرونها • والقمر ليطلع وإن كفر به الناس • والله خالق ورازق وإن كفر نعمته العالون • هكذا الصديق النبي تعجب للناس وتعجب له تلك الصور الجلية فبرز بعد ذلك منه

للناس آثار واضحة من العفة والصبر والعطف على المصريين وتعليمهم وتنظيم ثروتهم وغرات نيلهم ولأهل
وعشيرته صفح جليل وبر وصلة وعطف وان كانوا له حاسدين . فكان الاحسان لنفسه سجيعة والجليل بقلبه طريقة
فأحسن للسبئين من أهل والمصريين فكلهما آذاه وكلاهما نال الخير منه بعد آذاه فهذا أوله وهذا منتهاه
فاما الملوك فما أحرأهم أن يكفوا على نظام الجمهور وحفظ الثغور والسهل على المصالح العامة . وأهم

المطالب الاجتماعية في الأمم للتمدية (أربع) الامارة . والزراعة . والتجارة . والصناعة
ولما كانت الزراعة من أهمها وضعا وأعمالها تنمعا وأشرفها صنعا لاسيما عند المصريين الذين هم بها مغمرون
وعلى ترتيبها ونظامها يحرمون روع قلب الملك المصرى يابس سبلاتها وعجاف بقراتها مما دل على اهتمام
الملك بالرعية وحبه للامة المصرية . وليست تصور النفس في اللانم إلا ما اهتمت به في الغالب أجل اهتمام

(تصور الحقول المصرية وتأمل وتجب)

يظن الفلاح أنه زرع وحيد ولا يعلم أن هناك له شركاء في الزرع هي أجل منه تنمعا واحسن صنعا

(س) مشركاه الانسان في زرع الأرض المصرية

(ج) شركاؤه الطيور الليلية والطيور النهارية كالبوم والغراب وأبى قردان وبعض الصافير والخطاطيف
يزرع الانسان الأرض ويحمرها بالأنعام من البقر والجاموس ويعينه غيرها من الماشية ويدبرها لاذى عن
الحب والفاكهة الطيور من الغراب والبوم وأبى قردان وغيرها

الانسان والذواب زارعان والطيور دافعات للآذى طارذات للأعداء آكلات السود مييدات اقربان .
الانسان والأنعام تعاون على الحرث والسقي وتبذر وتسمد الأرض بأبوالها وأرواثها وغائطها وأجسامها فهي
مصانع السماد حارثات للحقول آكلات الحشائش والحبوب . والطيور مييدات للهلكات قاتلات الحشرات
بجل الله . جل الله خلق فسوى وقتر فهدى نظم الحقول كما نظم الممالك وأزل الانسان والأنعام للزرع
منزلة علماء الطبيعيات والرياضيات في الأمم العالية وأزل الطيور من أبى قردان والغراب والبوم منزلة الشرطة
في المدن والقرى والقضاة الدارين للحوادث الداخلية وأعوانهم المحامين ورجال الحرب الدافعين عن البلاد
والضاريين بالقنا والسيف والمدفع والبارود

لاريب أن القضاة والشرطة وقواد الجنود مدافعون وعلماء الطبيعيات والرياضيات وغيرها الخبير جالبون
وما للدافع إلا لحفظ المنافع فاللصوص على الحقيقة هم العلماء الجالبون للنافع وماعدهم فأنما هم حصون لهم
اليها يلجئون وفي أكنافها يرحون . فثبت أن الأنعام والانسان أهم للزرع من البوم والغراب وأبى قردان
وان كان الفلاح لا يفلح بغير ما يصف أو يهدف بالجنح ولا فلاح لأتته بلاجنود وقواد ولا حياها إلا بالعلوم
الطبيعية كما لاخل في البلاد المصرية إلا بالطيور السورية وغير السورية والقلاع الزارع والذواب الحارثة الساقية
ومن العجبان ترى الأتمة المصرية اليوم تجهل فوائد الطيور وتعقل متفقه القضاء والحمامة مع انها مصنون
وأخوان ينساقان وخلان لايفترقان . ترك المصرى العلوم الطبيعية وعقلها الفلاح وهو يعمل بما ورث
عن أبويه . جهل المصرى فوائد الطير وهو للدافع عن الزارع وعقل الحمامة والقضاء

جهل عظيم وموت تام وطاعة كبرى جهل المصرى العصى عظيم . عقل التحلية في الزارع وجهل
تحليتها وأدرك التحلية في نظام المدينة وجهل التحلية

(ماذا فعل قسما المصريين . بماذا أفادوا البلاد في هذا المقام)

أوصى علماءهم الفضلاحين أن لعبوا الجبول ولا تهنوها فأنما هي حارثة لأرضكم ذات تقع عظيم ثم
أمرهم أن لعبوا الحرة وفتسوا أبى قردان ولم يذكروا لهم الأسباب وإنما قالوا هذا سر من رب الأرباب
لأن الجاهل لا يعقل مايعبره للتعلمون وما يعقلها إلا العالمون . هذا منشأ عبادة البقر وبعض الطيور حيلة

دبرها الرؤساء ولكن أكثر الناس ما كانوا يعلمون . لذلك كثّر ذكر الجول في قصص بني اسرائيل فترى السامري - أخرج لم يجلب جسدا له خوار - وترى بني اسرائيل لما أرادوا اظهار القتل أمروا بذبح بقرة . وما هنا أيضا كون الأرض على قرن الثور إلا لتعجب من هذا كيف كانت رؤيا للملك في سبع بقرات وكيف كانت رؤياه تجمع المقصود وهو الزرع وجلب النفع وأهمه البقر ولم يرد في الرؤيا الطيور فانهن كالحمامين والقضاء . والأمر اذا خلت من الأخلاق الشاذة والنفوس الناقصة لم يحتاج الى القضاء كما أن الحقل اذا خلا فرضا من الحشرات لم يحتاج الى الطير الصافات ولاغير الصافات

الانسان والأنعام والطيور جهورية منظمة على كل قسمة من العمل ولكل حظه من غرات الأرض ومنافع الحرث . لقد فقدت الأمة المصرية أول قائد لجندوها وأكبر عامل لنصرها وركنا من أساطين حروبها ذلك هو (أبو قردان) فلقد اتصل نسله منذ آلاف من السنين وهو يحكى التمار ويقود الجند المسلحة الموالية فيهجم على الهوام والبود فيبيدها فيسلم الحرث والنسل . عرف المصري القديم جبله فأواه وأيده بل عبده وجعل المصري الجديد فضله فقتله وأباه . هل هذا ثمرة التعليم والمدنية . هل هذا هو الذي اليه وصلنا من الحكمة . أيجمل في شرع للدنية وناموس العمران أن يبعش (أبو قردان) أكثر من عشرة آلاف سنة ثم لا يبيد إلا في أوائل القرن المئتم عشرين . لتندب معمر حظها . لتيك علومها . ولأبك على بلادي . هل تقبى حكومة البلاد وبحث عن سبب ضياع هذه الثمرة وزوال هذه الجنود المجتدة . أيجن يا أبناء البسادل أن يجمل موارد رزقنا وعناصر حياتنا . تبأ للجعل وبدا لنا اذا عشنا غافلين . ويألتى شرى أنا في بقعة أم في منام ولعل ما أقول اليوم أضغاث أحلام وربما أجبت بقولهم وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين

﴿ حكاية وأمنية ﴾

انطلقت الى شاطئ النيل الغربى لأتفرج على الأشجار والأزهار فصادفت مسجدا يسمى ﴿ مسجد الجزيرة ﴾ شمال قنطرة قصر النيل فدخلت الصلاة ورأيت النمل تغزو وتروح فوق الحصيرات المنسوجات وهي طالعات هابطات فوق الأعواد وبينهن لايشين لتعز ولايتجن من غدر وكأنها أرجل الصليين فوق الأعواد جبال وكأن الأعواد تلال والقنوجات المتخللات أغوار ووهاد بالنسبة للنباتات فأطلت النظر اليها والتأملت في حركتها وسكنتها ولتعجب من شجاعتها واقدامها حتى ان راحة يدي والشرع والأنامل الاثني تخيل لها جبالا شامخات وشعابا واسعات لم تنطق عزيمتها ولم تكسر من همتها ولم تهلع لها قلوبها . ولو أنا تصورنا جبلا يمشى على الأرض وكاد يصادم الانسان ليطحنه لملع اذا رآه ومات قبل أن يراه فشاهدنى إذ ذاك فلاح معمم بعمامة سوداء فكنت موضع تعجبه واستغرابه وكان النمل موضع نظرى ومسرح فكرى فكان النمل لى عجبا وكنت عند الفلاح لما ولما فرفت طرفى اليه وقلت يا أيها الانسان أأندى لم نظرت في الغلات . قال لا . قلت إنهن لأشجع من أكثر الناس قلبا لايشين الرهيبات عن مطالب الرغبات ولاتهوون الحوادث المزججات والكوارث ادمجات إسن لأربط منك بأشأ وأشجع من الفلاح والشيخ والباشا لاتنتهى عن الرغبات ولا تنتهى إلا الى الغايات ولسان حالها يقول ﴿ اما هلك واما ملك ﴾ . قال الفلاح قد قلت حقا ونظمت صدقا فما أبقظنى إلا لسع نملة في جيبى فهى التى أقامتى للصلاة الآن فكان ذلك الاتفاق من عجائب الزمان كيف كنت منها في عجب والفلاح منها في حرب . فقلت انها رأيتك غاصبا لمكانها حالا في دارها فلم تمن لضعفها وقوتك ولم تضعف لعلوها وسطوتك قالت لأسعنه أو يفارق الديار وموتى في الجهاد خير من الحياة في اللذة ولطوان فشاركنى الفلاح في تفكيرى وعلت أنه من جهة (فم البحر) وتناول بنا الحديث الى (أبى قردان) قد ل قد قدناه في هذه السنوات وذلك قلعة تقروانا بضعف إيماننا . نحن عن

الصلاة معرضون وما نحن للزكاة فاعلون وأسكننا التراث أكلنا وأحيينا للمال حبا جفا وفسدت منا القلوب
 نقلت الجيوب . قتل ما للصلاة ولأبي قردان ولكن الفلاح الجهول صاد (أبا قردان) لجهله بمنافه وبعدة
 عن العلم الصحيح والعمل الشريف . فقال لم يصده أحد من الناس وإنما صاده الأورويون وطلما رأيت
 يحلق ويرفرف بجناحيه حول الماء وينفذ منقاره في الطين ليلبحث عن اللود والحشرات الكسنة فيمفيلتقطها
 ويزددها . لقد كنت إذا نزلت الماء على الأرض جلل هو وجهها ولقد طلبناه في هذه الأيام فما وجدناه
 وكان فقده في هذه السنين وذلك منذ عشرة سنين . قتل هذا الخبر يحتمل الشك وبت تلك الليلة مشغول
 القواد حزين القلب يائس النفس كئيبا لما حلّ بالبلاد من الخراب والسمار وذهاب الثروة وضياع المال وقلة
 العلم وكثرة الجهل . فلما أن تمت خيل لي في نومي أن صبيانا يركبون على شجيرات نابتات على ضفاف نهر
 أبي الأخضر بالشرقية وكأنهم ينفرون الطيور من أعشاشها ولا يقرّونها في وكناتها فهمت بهم كي يتركوها
 ونعت بهم كي يقروها فربحوا مهرولين وولوا هارين . فلما أن استيقظت وتذكرت ما رأيت قارنت رؤياي
 برؤيا ملك مصر في الأزمان الغابرة والأيام الخالية إذ رأى البقرات السنان والسبلات الخضراء واليابسات .
 ورأيت الطيور مذعورة وصيوان الأمة لجهلهم بعمهون لقد صدقت رؤيا الملك وصدقت رؤياي

(مقابلة الاستاذ الشيخ محمد عسكر الكبير)

ذلك أني إذ طلع النهار اتفق أن أرسل إلى الشيخ محمد أبو عسكر ذلك الشيخ الوقور وكنت له مشتاقا
 فلما استقرت بنا الجلوس وتناجت فيما بيننا النفوس أريته ما قد كتبت وقصصت عليه ما رأيت وقلت لقد تبرا
 القلاحون من صيد (أبي قردان) واتهموا بذلك الأورويين وقالوا إنا والله براء مما يقولون . فقال الشيخ
 طالما وردت لي الأخبار أن الأورويين هم القاتلون لأبي قردان . قتل له أليس من العار والجهل والشار
 أن يعيش أبو قردان قرونا وقرونا وبحمية قدام المصريين من القراعة وماوك الرعاة ويعيش مع ماوك
 اليونانيين والبطالسة والقارسين ويعبده الأثوبيون والرومانيون ونحو في أزمان العرب المسلمين ولا ينقص
 عدده في أيام الأمويين ولا يؤذيه العباسيون ويعصى من العلوان أيام الاخشيديين ويعفظ حياته القاطميون
 ولا يسه بسوء الأيوبيون ويزداد عدده ونحو كثرة أيام للمالِك البرية والبحرية ولا يبيده الترك ولا يعضو
 عليه العرايون ولا ينقص عدده أزمان أسرة محمد على باشا بل ظلّ جمّ العدد كثير الممدد إلى الثورة العرابية
 ثم أخذ في التناقص وأخذ اللود بنحو الزايد حتى فني عن آخره

عار والله وأبي عار . أهذه هي المدينة والعلوم المصرية . أهكذا يكون تمدن الأمم . أفهكذا أتتنا
 للمدينة . أقتل هذا الطائر شريك الفلاح صديق المصري والناس غافلون . أفهكذا ارتقت مصر . ربّ
 اليك المشتكى . يارب رجال الأمتوى اعلمها وعظماءها وياوزراءها أهكذا يكون العمران . أبو قردان أخو
 الفلاح كان معبودا عبده قدام المصريين . لماذا . لأن كبراءهم أو صومهم به خيرا للفلاح للزراع بإياديه السود
 والحشرات فاستوصوا به خيرا وتعمدوا في ذلك ازديادا حتى عبسوه . هكذا كان للملوك السابقون والعلماء
 القابرون فورئنا أرضهم وجهلنا عليهم ما أعظم قدام المصريين وما أجهلنا نحن الحاليين جهل عظيم وموت
 عريق وطلقة كبرى ودمار وأبي دمار

أخبرني الشيخ محمد أبو عسكر قال لقد قرأت في بعض الأسفار أن قدام المصريين شكوا إلى فرعونهم
 يقولون (لقد طغت علينا الحيات واغتالت الأبناء والبنات) وأكرم ما يكون إذا أقبل النيل وعمّ البلاد
 وساق جنودها أملها واكتسحها من البور إلى العمران فأوعز الملك إلى العلماء والحكام أن يداؤوا هذا
 الهاء ويلتسموا له السواء فلما أن جاءهم أمره ساحوا في الأرض يبتقون طيرا يلتقط الحيات ليربوه في البلاد
 ففلم عليهم وأراهم اختبارهم ووقفهم بمخيمهم إلى (القلق) فربوه تربية حسنة فبأبعدة وكثروا له وصارت

أفراخه آلافا مؤلفة فتجى الناس من شر الحيات وفرحوا بما عندهم من العلم والحكمة والهمة والدين
فصلى قادة الأئمة وأولياء أمورهم أن يصنعوا ما صنع الصمداء ويحببوا (أبا قردان) ويربوه حتى يكثر
عدده ويهزم جيشه جيوش اللبيدان والاحت كفة العذاب على المصريين

عاريار جال مصر • عاريا أمراء البلاد • عاريا عظماؤنا • هذا الطائر نصير الفلاح • قاتل السود
مبيد الخشرات • منى الغلات • كنت أراه يبنى بجلل الأرض وينطى ويهبها إذا أنزل الفلاح عليها الماء
حتى قتله الجهة الأغنياء من أوباش الناس ليزينوا به (التقبات) للسيدات وأباه أولئك الطفلة فبادت البلاد
وهلك الزرع وقلّ الضرع وأصبحت البلاد في شقاء عظيم • أبطل هذا تهاون الأمم وتلبس الحرم • هذا
والله جهد البلاد وعصال الماء ونهاية الشقاء • ولقد أذرت وحذرت ونصحت • ولا ينفعكم نصحي إن
أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون -

(الفصل الثاني • لإدناه أخوة يوسف)

لا أحد من المصريين أبناء بلادي يجهل ما فعله أخوة يوسف من كيد وما دبوا من حيلة وكيف نصبوا
له الحيات - وجاؤا على قيصه بلم كذب - وسوّلت لهم أنفسهم أمرا وصبر يعقوب صبرا جبلا ودلوه في
العرثم باعوه - نحن نجس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين - • أجمعوا أمرهم بينهم وأسروا
السجوى وأوثقوه في هاوية فما كان عاقبته إلا أن نرى في مصر وترعرع وبلغ أشده وكان لهم من المحسنين
هذه كانت قصة يوسف عليه السلام وذلك خبر أخوته فكان منهم الاساءة ومنه الاحسان ومنهم الشر
ومنه الخير وأول أمره شقاء وآخره هناء وميدوه ذل ونهايته عز وسعاد • ذلك عبرة للمسلمين وتذكرة
للمصريين ونعمة على العاملين • تنبئك قصة يوسف بما يلاقه المصلحون فيها من الجاهلين • ما في الأرض
من مصلح إلا وكان أول أمره مطاردة منبذًا قنابه الأعداء ويسطو عليه الأقرباء ويحط من قدره الأصدقاء
ويبينه الأولياء استغرابا لقوله استبعادا لعمله وحط من شأنه وحسدا على ما آتاه الله من فضله وإحباطا
لعمله وتثنيًا عليه فان صبر قز وان جزع وعجل هلك وباد • فتعجب كيف كانت عاقبة النبي يوسف
الصديق أن بيع للمصريين وترعرع في بيت العزيز وحاقق به الفتنة وصبر على الظلم والسجن ولم يضر أخوته
إزاهدون ولا حاشية العزيز وهم له ساجنون ولا من كانوا معه مسجونين أن السعد سيؤمهم وأن العز سيرقبه
وأنه سيقبض على ناصية البلاد ويدبى له الهرمان ويساعده الزمان وينسج على ما قاساه عناكب النسيان
ذلك مثل الصادقين القائمين بالأعمال الشريفة والفضائل العالية للنفقة • فليشر أولئك الذين صدقت
نياتهم وحسنت أعمالهم وأخلصوا لأمتهم وأرلدوا أهاز البلاد من الجهل والفساد فسوف يتبدل شغلهم
راحة وذلم عز وسعادة وتغنى الأغصان عند هبات الرياح بمدحهم ويبقى الجوب بأريج ذكركم وعاطرتائهم
وهذا نادموس الوجود لم يشك منه نبي مرسل ولا عالم مصلح وكانت العاقبة للمتقين ولم يضر من رجال الإصلاح من
أحد حتى أخذ حظيه من النصب والراحة وسار على خطته وحلب الله شرطيه • ولقد كان لنا في رسول
الله ﷺ أسوة حسنة فلقد أودى كما أودى الصديق يوسف عليه السلام ما آذاه إلا أقر بأذى الأذنون وتألّت
عليه قرابته ثم نصره الله كما نصر يوسف وآوى إليه من كان يؤذيه كآبى سفيان وهند زوجته وغيرها من عليّة
القوم وسرايتهم وعظماؤهم فأنصبحوه له محبين كما خرّ أخوة يوسف - له سجله وقال يا أبت هذا تاديل رؤياى
من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أسنن بى - رب لى أيقنت بملوسك العالى وكتابتك الكريم

يا أيها الناس • يا أبناء البلاد لا يجرمكم شأن قوم من بلادكم أن يصوتكم عن إصلاحها فعلى مقدار
فضل الرجل يكون أعداؤه • وكما يكون النصب تكون الثمرات • فاعملوا لبلادكم كما عمل الصديق ونجاوزوا
عن خطوات الشياطين • مع اخوانكم المبغضين للشيطان الحاسدين - وقل أعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله

﴿ الفصل الثالث . قضية النبي الصديق في بيت العزيز ﴾

تتولى التكتبات اثر التكتبات على المصلحين المجاهدين والأنبياء المرسلين . سافت القوة الضدية اخوة الصديق فهجره بل نينوه وابعوه وسلطت الشهوة البهيمية امرأة العزيز فرودته يوسف باق على كاله صابر على عفته مع جماله اثنان فقالت له لتسجن وتكون من الصاقرين فقال انما اله غار لمن لاعة لهواشرف وقس المرء أوسع من السموات والأرض

إذا لم تسعك النفس فالكون كله * وآفاقه لره أضيق من قبر

وفي الفكر ثيران وفي الفكر جنة * وما أكثر الآفات إلا من الفكر

فإذا خنت سيدى ودنت عرضى كنت من الجاهلين . أو يجعل في دين للروء أن يحسن الى وأسىه ويصدق وأكون من الكاذبين . إن العزيز سيدى أحسن الى وعطف بالبر والاحسان على فهل جزاء الاحسان إلا الاحسان والقيم يجزى الحسن بالكفران . ألا بعدا للجاهلين . أنا من بيت النبوة بيت ابراهيم واسرائيل ولن يلبق بي أن أكون شرّ خلف غير سلف حتى يقال في - خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

أنا أنزلشرف عظيم ومجد كبير ومن لم يحفظ النفس في إيان حياتها قتلت به همته عند كبرها . ومن أراد الإصلاح فليبدأ بإصلاح نفسه وليكرمها فانها بالاكرم أولى ومن لم يحكم أمر البداية حرم الفضل في النهاية

﴿ عبرة ﴾

فعل من يريد الإصلاح أن يني بالعهد ولا يتعش للثائق ولا يخون اخوانه في العرض ولا في المال ولا يفتى لهم سرا . ذلك هو مبدأ الشرف الأسى والحبر الأعم والفضل الأدنى وقد قال الله لنبيه - فهداهم اقتده - فنحن أولى بالاعتداء وأحقّ بالاتباع . وإذا اقتدى للمصومون فغيرهم أولى بالاتباع وأحقّ بالاعتبار

﴿ الفصل الرابع . سجن النبي يوسف الصديق عليه السلام ﴾

ما أشبه قصة النبي يوسف عليه السلام بعلم تهذيب الأخلاق إذ يقسمونه ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ سياسة النفس بالعفة والسياسة كما كان الصديق في بيت العزيز وسياسة أمر للنزل أشبه بما اتفق له في السجن وإصلاح أمر المدينة كما حصل له إذ قال له لذلك - إتوني به أستخلصه لنفسي فلما كمل قال إنك اليوم لدينا مكين أمين - حلقات ﴿ ثلاث ﴾ لا يصلح أنزلها إلا بإصلاح أولها . عفة في أول منازلها ففتنى ظلم الحاشية على حسن سيرته واتهموه وهو برى وسجنوه وهو محسن فكان السجن ثاني المنازل فنصح للمسجونين وقال لهم - يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم لله الواحد القهار - درس لهم التوحيد بالبرهان ثم ذكر شرف قومه وأهله فقال - وأنبئت ملة آتاني ابراهيم الخ - نصح النبي الصديق للمصريين وهو غريب حفظا للجميل وقياما بحق الإنسانية والنبوة . ذلك إرشاد من الله وقلم أن كونوا أيها المصلحون شموسا نفى سناها على العالمين واتباعوا أيها العلماء الفلاحين للمصريين غافلين بل أيقظوهم وعمموا التعليم . إن المصري لشكور على النعماء مجاز لرحمة الرجاء . فلعمرك ما دلّ الملك على الصديق إلا ذلك الخادم الساقى على بساط الملك لما سمع منه الحكم القوال والبرر الفخمة فانمر عنده الاحسان وقال لك أرساين الى يوسف ليؤتلك الرؤيا فعلاوا . لقد نصح النبي في السجن ولم يهتبه ضيقة السجن ولا زور القول عن أن يقنع سحب الضلال ويصل قلوب العامة بصقال العلم ويجلبها بجلاء الحكمة فكان من المحسنين . فايقيم المصري باتشال أمته من هدة الجهل ويرفعها الى سماء الفضيلة وليعمم العلم بين أفراد أمته المصريين

(الفصل الخامس)

أما ثلثة الأنافي وثلاثة الفصول الخمسة فذلك أن نبوأ عرش مصر ودبر الخواثن ونظم أمر البلاد فأحسن للأمة المصرية وقد أسأوه فسجنوه . أكرم أبويه الشفيقين وعفا عن اخوته بعد أن طرحوه ونسبوه وباعوه ودبر الحيلة لأخيه بنيامين بعد أن جعل بضاعتهم في رحلهم فصرفوها . أكرم الصديق أبويه وأحسن الى عشيرته الأقرين وقال - لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - وقد قالها بلفظها رسول الله ﷺ لأبي سفيان يوم فتح مكة فقال - لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - وعده الله الرسل بالنجاة والعوز والسعادة ولن يخلف الله وعده

يقول الله - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سلسا وإن الله مع المحسنين - يعنوا الأولوا نحو الأوائل ويتبع الآخرون سبل الأولين سلام على المرسلين وسلام على الصالحين وسلام على الخاصين يقول الله - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى - سورة يوسف أحسن القصص لقد خلت مما يتحصى عنه أولوالعزم من المرسلين كالحيلة التي ابتلى بها ذوالنون إذ قال الله لنبيه ﷺ - ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم - يأمر بالصبر والثبات والتؤدة حتى يأتي أمر الله وقد كان وصديق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . ولم يجمع قصة موسى وفرعون وعاد ونموذ وقوم لوط وأصحاب مدين وأهل الكهف وأصحاب السبت من المواعظ والعجائب والمقدمات والتناجيات ضمنه قصة يوسف لذلك كانت أحسن القصص وسار عليها ﷺ حتى نال أعلى الغايات والنهايات . انتهى هذا هو الذي كتبت في مجلة (الملاجئ العباسية) في ذلك التاريخ . فهناك ما جاء في المجلة المذكورة في العدد التالي لذلك وهذا نصه

(باب الزراعة . حياية الطيور النافعة)

ما كاد يظهر العدنان الأول والثاني من هذه السنة وفيهما تفسير سورة يوسف عليه السلام للاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى وإضافته في التكلم على الطيور النافعة للزراعة بالتقاط الحشرات الضارة بها وتنبيه ولاية الامور الى المحافظة عليها وحمايتها من القاصين والصادين حتى أسرعت مصلحة الزراعة بإصدار هذا المنشور لحماية الطير المسى بأبى قردان الشهير بكونه صديقا للفلاح ولهو للمشور بنصه

(حياية الطير المسى (أبوقردان) صديق الفلاح)

معروف من قديم الزمان أنه يوجد نوع من الطيور تنفذ كية من الحشرات المضرة بالزراعة وأن هذه الطيور اذا تركت بدون ازعاج في الحالات التي نشأت فيها كانت سبا في نجاة الفيطان القرية منها من اصابة الحشرات . وقد كانوا ينظرون سابقا الى (أبى قردان) كصديق للفلاح المصرى وكان يراه الانسان في كل غيط وهو يلتقط البود الذى يخرج من باطن الأرض وقت تقايبها بالحراث

أما في السنين الحديثة فقد أباحوا اصطياد هذا الطير الذى هو في الحقيقة مساعد نافع للزراع بدرجة عظيمة حتى انه لم يبق سوى بعض جهات قليلة في الوجه البحرى يمكن أن يعيش فيها بأمان

فالعرض من هذا المشور الآن هو تكليف جميع عمد البلاد باخطار مدرياتهم عما اذا كانوا يعلمون بوجود طوائف من الطير المذكور ببلادهم وكى عدد كل طائفة منه والتوصية بتركه بدون اذى حتى يأخذ عدده في الازدياد . هذا والحكومة تأتالو جهدا في تقديم أية مساعدة ممكنة لحماية جميع الطيور النافعة للفلاح والمعروفة بأنها من أعداء دودة القطن وماشا كلها من الحشرات اه

هذا هو الذى نشرته الحكومة المصرية في ذلك التاريخ . ثم ان طير (أبى قردان) الآن قد ملاأ الأقطار المصرية بما فعلته الحكومة من تربيته وحفظه والفضل في ذلك راجع لمحمد باشا سعيد لأنه كان هو

السبب في نشر التفسير في تلك المجلة والحكومة هي التي تصرف عليها من خزنتها وهو إذ ذاك رئيس الوزارة أيام (اللورد كينشر) الانجليزي فقد نشرت الحكومة بعد ذلك بنحو ست سنين منشورا للامة أبانت فيه أن الأمر الصادر من قبل لحفظ الطيور قد أثر تأثيرا حسنا في (أبي قردان) الذي أصبح يرى في كثير من أنحاء الوجه البحري بعد أن كان عدده حين صدور القانون قد نقص حتى لم يبق منه هناك إلا سرب واحد في مديرية البحلية . أما بقية الطيور التي سيأتي ذكرها فاتها لم تكثر الكثرة المطلوبة لعدم العناية بتنفيذ القانون وحاشا فيه ما يفيد أن في الطبيعة من المحافظة على الزرع بحلق الله هذه الطيور الآكلة للدمود مالا نظير له في الوسائل التي ينخذها الناس . انتهى المقصود منه وإلى أجد الله عز وجل إذ أراي في حياتي أن طير (أبي قردان) قد كثر حتى ملأ اللاد وهم يطاردونه ولكن لا يقدرودن على قتله من الحكومة وقد عملت الحكومة بما كتبته في المقالة من ترينه وهامى ذه تحمى الطيور الأخرى الآتية ولكن فاتها ذكر الغراب ولعلها تركته لأنه غير مرغوب فيه

ولقد أتت بعض رجال الحكومة المصرية بوزارة الزراعة كتابا في وصف أنواع الطيور المهرم صيدها محلى بصورها فلنذكر ملخصه هنا لنم القائمة فلقد جاء فيه بيان أشهر أنواع الطيور التي يحميها القانون في مصر وهو يشمل أسماها بالعربية والانجليزية والرسمية واللاتينية مع وصف أحوالها المحلية وجمعها التقرين وألوانها لتمييزها وذلك بقلم الماحور (س . فلور) مدير مصلحة وقاية الحيوانات والمستر (م . ج نيكول) مساعد مدير مصلحة وقاية الحيوانات . وهذا بيان أشهر الطيور التي يحميها القانون وسنرمس هنا بعض صور الطيور الدالة على باقيها



(عصفور سقيكولا شكل ١)

يكثر منه جوع كثيرة بمصر في كلتا الرحلتين - طوله ٦ بوصات تقريبا أى ١٥٢ ملليمتر . ذكره في الربيع رمائى الأعلى . أبيض طفلى الأسفل . أجنحته سوداء وكذا ريش أذنه وخط عرضى على طرف ذيله . أما بالى الذيل فأبيض وذكره في الخريف أسمر الأعلى لارمادى وكذا أثناء وفراخه في كل وقت

(سقيكولا أبوذيل أبيض)

يكثر فيها بين أغسطس وأبريل - طوله ٦ بوصات

(شكل ١)

تقريبا أى ١٥٢ ملليمتر . أجزاءه العليا رملية

طفلية خفيفة اللون والسفلى سمراء طفلية وخوائى الأجنحة بيضاء وكذا قاعدة الذيل والذكر والأشئ سواء

(عصفور أبوذيل أحر)

يكثر أثناء الرحلتين ولاسيما في الربيع - طوله ٥ بوصات تقريبا أى ١٢٧ ملليمتر . الذكور جهته بيضاء وأجزاءه العليا رمادية لردوارة وريش ذيله أحر كله ماعدا الريشتين الوسطيتين فانهما أشد سمرة وذقنه وزوره وأعلى صدره أسود . ولون بقية الأجزاء السفلى كستنى محمر . والأشئ أبهت لونا ولكنها مقودة السواد في الزود

(عصفور أبورقة زرقاء)

يكثر في الشتاء وفي أوائل الربيع - طوله ٥ بوصات تقريبا أى ١٢٧ ملليمتر . الذكر أجزاءه العليا

سمراء وذيله أحر القاعدة مقمع بسمرة وذقنه وزوره وأعلى صدره ذات زرقه معدنية بحافتها من أدنى أشربة
حراء وبيضاء وسوداء وفي وسط الزور بقعة حراء كستنية أو بيضاء والبطن أبيض طفلي . والأشبي كالكرك
ولكنها مقفودة الألوان الزاهية التي تكسو الزور

(عصفور أبو صدر أحر)

يكثر في الشتاء - طوله ٥ بوصات ونصف تقريبا أي ١٤٠ ملليمتر . الذكر أجزاؤه العليا سمراء وذقنه
وزوره وصدره حراء برتقانية وبطنه أبيض والأشبي كالكرك ولكنهما أبهت لونا وأقل أجارا على الصدر

(اللغني الأسمر)

كثير جدا أثناء رحلة الربيع ولكنه في الخريف أقل عددا - طوله ٦ بوصات ونصف تقريبا أي ١٦٥
ملليمتر . الذكر والأشبي متشابهان . أجزاؤه العليا وذيله سمراء محمرة وأجزاؤه السفلى بيضاء مشربة رمادي
في الصدر وبطن طفلي في البطن

(عصفور أبو رقبة بيضاء)

يكثر في كلتا الرحلتين - طوله ٦ بوصات تقريبا أي ١٥٢ ملليمتر . وذكره ناج رأس ضارب إلى
اللون الرمادي وظهره أسمر وأجزاؤه السفلى بيضاء تحاطبها طفلية وأثناء أكل لونا

(عصفور أبو رقبة بيضاء الصغير)

يكثر في الربيع والخريف ويبقى منه قليل في مصرا أثناء الشتاء - طوله ٥ بوصات تقريبا أي ١٢٧
ملليمتر . الذكر والأشبي متشابهان . أجزاؤه العليا سمراء رمادية ويمتد بالعرض . في عينه خط قائم
وأجزاؤه السفلى بيضاء تقريبا

(اللغني الأخضر)

كثير جدا من نوفمبر إلى مارس - طوله ٤ بوصات تقريبا أي ١٠٢ ملليمتر . الذكر والأشبي متشابهان
وأجزاؤه العليا سمراء مخضرة وأجزاؤه السفلى بيضاء مخضرة

(عصفور الصفاف للغني شكل ٢)

يكثر أثناء رحلة الخريف - طوله ٤ بوصات
ونصف تقريبا أي ١١٥ ملليمتر . الذكر والأشبي
متشابهان وأجزاؤه العليا سمراء تحاطبها خضرة أجزاؤه
السفلى بيضاء مصفرة

(اللغني الأصفر)

يكثر في رحلة الربيع - طوله ٤ بوصات ونصف
تقريبا أي ١١٥ ملليمتر . الذكر والأشبي

(شكل ٢)

متشابهان أجزاؤه العليا خضراء ولون زوره وصدره أصفر ليوني وبطنه أبيض حجري

(اللغني الأحمر)

يكثر من إبريل إلى سبتمبر - طوله ٦ بوصات ونصف تقريبا أي ١٦٥ ملليمتر . الذكر والأشبي
متشابهان . أجزاؤه سمراء محمرة وذيله بين الحمرية وكل ريشة منه مقمعة بسواد وبياض ماعدا الريشتين
الوسطيتين فشكل منهما حراء برتقاني والأجزاء السفلى بيضاء طفلية

(عصفور صوف للغني)

يكثر جدا من مارس إلى أكتوبر - طوله ٤ بوصات ونصف تقريبا أي ١١٥ ملليمتر . والذكر

والأشئ متشابهان • عاليه أسمر ترابي باهت وسفليه أبيض طفلي

(عصفور البوص المني)

يكثر في كلتا الرحلتين • ويبقى منه قليل في القطر المصري أثناء الشتاء - طوله ٥ بوصات وربع
تقريبا أي ١٣٣ ملليمترًا والذكر والأشئ متشابهان • أجزاؤه العليا سمراء والسفلى طفلية كبريتية وطفلية محمرة

(عصفور البرسيم المني)

يكثر في مصر ويعيش في المزروعات - طوله ٣ بوصات تقريباً أي ٣٦ ملليمترًا • ذكره وأثناه
متشابهان • أجزاؤه العليا سمراء ضاربة الى الصفرة ومخططة بسواد • وأجزاؤه السفلى طفلية وذيله مقمع
بسواد وبياض

(المني أبوذيل طويل)

يكثر في مصر ويعيش في المزروعات - طوله ٤ بوصات ونصف تقريباً أي ١١٥ ملليمترًا • والذكر
والأشئ متشابهان • أجزاؤه العليا سمراء مخططة بسواد وأطراف ريش الذيل مخططة بخطوط عرضية سوداء
وبيضاء والسفلى يضاء تقريباً

(أبوصادة شكل ٣)



(شكل ٣)

يكثر جدًا في مصر فيما بين أكتوبر ومارس وبقى بعضه الى إبريل - طوله ٦ بوصات ونصف تقريباً
أي ١٦٥ ملليمترًا • والذكر والأشئ متشابهان تقريباً • جبهته بيضاء • تاج رأسه أسود والأجزاء العليا
رمادية والسفلى يضاء بهارقة سوداء على الزور

(أبوصادة الأصغر)

يكثر جدًا في الربيع والخريف ويبقى بعضه في القطر طول السنة - طوله ٦ بوصات تقريباً أي ١٥٢
ملليمترًا • الذكر قمة رأسه زرقاء رمادية والأجزاء العليا سمراء مخضرة والأجزاء السفلى جميعها صفراء زاهية
والأشئ أجزاؤها العليا سمراء والسفلى يضاء تخالطها على البطن صفرة

﴿ صفور اليبب أبو زور أحر شكل ٤ ﴾



يكثر جدًا من أكتوبر إلى إبريل - طوله ٥ بوصات
وصف تقريباً أي ١٤٠ ملليمتراً . الذكر أجزاءه العليا
سمره مخططة بخطوط سوداء وطفلة . لون زوره وأعلى صدره
أحمر وباقي الأجزاء السفلى بيضاء مخططة وسقمة بسواده والأشئ
شبيهة بالذكر سوى أن زورها فقط هو الأحمر وفراخ هذا الصفور
ليس بها حرة أصالة

﴿ صفور الببب ﴾

يكثر جدًا في الربيع والخريف طوله ٦ بوصات ونصف
تقريباً أي ١٦٥ ملليمتراً . الذكر والأشئ متشابهان . أجزاءه العليا سمره رمليه والسفلى طفليصفراء

﴿ صفور بببب الماء ﴾

يكثر أثناء أشهر الشتاء ويبقى بضه إلى إبريل - طوله ٦ بوصات تقريباً أي ١٥٢ ملليمتراً والذكر
والأشئ متشابهان . أسمر الأعلى . أبيض كلب من الأسفل . معلم على الصدر بخطوط سمره والأجزاء
السفلى في الربيع مشربة بلون طفلي محمر زاه

﴿ الصغير ﴾

نمر بالقطر منه جوع كثيرة أثناء الرحلتين - طوله ١٠ بوصات تقريباً أي ٢٥٤ ملليمتراً . الذكر
أصفر ذهبي إلا الريش أذنيه وأجنحته ومعظم الذيل فانها سوداء جميعاً . والأشئ وفراخه خضراء الأجزاء
العليا بيضاء رمادية الأجزاء السفلى مخططة بخطوط سوداء كابية

﴿ صفور آكل التباب شكل ٥ ﴾



يكثر أثناء الرحلتين - طوله ٦ بوصات
تقريباً أي ١٥٢ ملليمتراً . والذكر والأشئ
متشابهان . الأجزاء العليا رمادية سوداء تاج
رأسه مخطط بخطوط سمره والأجزاء السفلى
بيضاء مخططة بسمرة على الصدر

﴿ صفور آكل التباب أبوطوق أبيض ﴾

يكثر أثناء رحلات الربيع - طوله ٥ بوصات
تقريباً أي ١٢٧ ملليمتراً . الذكر جبهة وطوقه
أبيضان وبقية أجزائه العليا سوداء والأجنحة
مسودة تقطعها خطوط بيضاء . والأجزاء السفلى
بيضاء . والأشئ كالبكر سوى أن السواد في الذكر
يقابله سمره في الأنثى

(شكل ٥)

﴿ القنبرة الافرنجية شكل ٦ ﴾



(شكل ٦)

تكثر باقطنر أثناء أشهر الشتاء -
طولها ٧ بوصات ونصف تقريبا أى
١٩١ ملليمتر. والدكر والأُنثى متشابهان
• الأجزاء العليا سمراء رمادية مبقعة
بسمرة فاتحة • وأجزاءها السفلى مبيضة
• زورها ورقبتها مخططان بسمرة والنيل
أسمر وأبيض

﴿ القنبرة أم الشوشة ﴾

كثيرة مستوطنة - طولها ٩ بوصات
ونصف تقريبا أى ١٦٥ ملليمتر •
والذكر والأُنثى متشابهان الأجزاء العليا

سمراء ومبقعة بسواد والسفلى بيضاء كابية مخططة بسواد وتختلف شدة اللون تبعاً للأماكن التي تعيشها هذه
القنبرة فأغقمها يوجد في أراضي الدلتا القنية وأتحتها يوجد في الأرض الرملية مثل جهات وادى النطرون

﴿ القنبرة الصفيرة ﴾

كثيرة كثرة هائلة أثناء الرحلتين و ترى أحيانا في الشتاء ويبقى قليل منها يتوالد في مصر أثناء أشهر الصيف
طولها ٥ بوصات تقريبا أى ١٢٧ ملليمتر • والذكر والأُنثى متشابهان • الأجزاء العليا سمراء رمالية
مبقعة بسواد • تاج رأسها أشد حرة • والأجزاء السفلى بيضاء تقريبا • وتوجد رقعة سوداء صغيرة على
جانبي الرقبة • والنيل أسمر وأبيض

﴿ الوروار الافرنجى شكل ٧ ﴾



(شكل ٧)

نمر بمصر منه جموع كثيرة أثناء الرحلتين - طوله ١١ بوصة ونصف تقريبا أى ٢٩١ ملليمترًا والذكر والأُنثى متشابهان والأجزاء العليا صفراء مسمرة ولذقن أصفر • بحافته السفلى شريط أسود وباقي الأجزاء السفلى خضراء مزرققة والريشتان الوسطيان من الذيل أطول قليلا

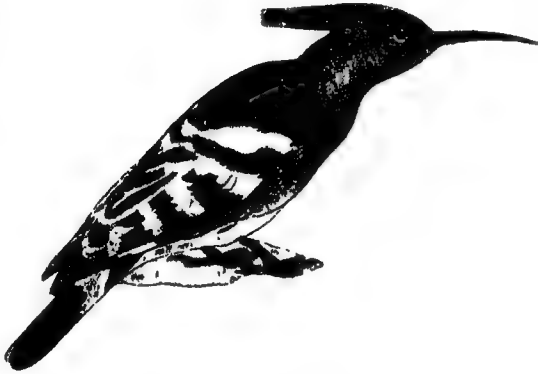
(الوروار المصرى)

يكثر فى مصر من النصف الثانى من مارس الى سبتمبر - طوله ١١ بوصة ونصف تقريبا أى ٢٩١ ملليمترًا • والذكر والأُنثى متشابهان وريشه جميعا أخضر زرقى مانعًا زوره فانه أصفر محجوبه خط أسود قاطع عرض العين وتوجد على جانبي وجهه رقعة بيضاء وزرقاء والريشتان الوسطيان من الذيل أطول قليلا

(الوروار الصغير)

كثير مستوطن فى القاهرة ومايلها جنوبا - طوله ٩ بوصات ونصف تقريبا أى ٢٤٢ ملليمترًا • والذكر والأُنثى متشابهان وريشه جميعا أخضر زرقى مانعًا خط أسود قاطع عرض العين وتوجد رقعة حمراء كابية فى الجناح عدد نشره والريش الأوسط لديه أطول كثيرا

(المهدد الأفرنجى شكل ٨)



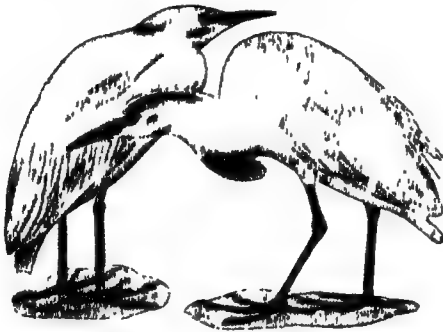
(شكل ٨)

كثير جدا أثناء رحلتى الربيع والخريف - طوله ١٢ بوصة تقريبا أى ٣٠٥ ملليمترات • والذكر والأُنثى متشابهان إلا أن الذكر أكبر منقارا • الرأس والرقبة كايا الاحمر • والعرف كبير معتدل أحر مقع إسود وبياض • والزور والصدر أحمران قرنفليان • والبطن مبيض • والظهر أسمر • والذيل والجناحان سود مخملية بخطوط عرضية عريضة بيضاء وطفلية

(المهدد للمصرى)

كثير ومستوطن - طوله ١٢ بوصة تقريبا أى ٣٠٥ ملليمترات • يخالف المهدد الأفرنجى الرحالة فى كون منقاره أطول وأكثر نخانة ولونه أ كبي قليلا

(أبو قردان شكل ٩)



(شكل ٩)

مستوطن في مصر . كان فيما مضى كثير جدًا - طوله ٢٠ بوصة تقريباً أي ٥٠.٨ ملليمترات .
الذكر والأنثى متشابهان . الريش كله أبيض إلا في موسم الرقاد حيث يرى أنفة الرأس والقفا وأصل الرقبة
تكون محلاة بريش طفلي اللون شعري القولم

(العنز)

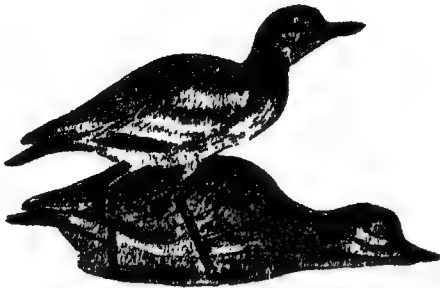
في أثناء رحلة الربيع يمر عدد عظيم بالقطر للمصري ويبقى عدد قليل منه طول الصيف غير أن هذه
الفصيلة لا يعرف عنها أنها ترقد في هذا القطر . أما العودة أثناء الخريف فإنها أقل وضوحاً من رحلة القدوم
في الربيع . الطول نحو ٤٢ بوصة أي ١٠٦.٧ ملليمترًا . الذكر والأنثى متشابهان . الريش كله
أبيض إلا ريش الجناح فإنه أسود مرمع بلون رمادي . للتقار والرجلان حر

(الكروان الجبلى (شكل نمرة ١)

كثير مستوطن يعيش في الصحراء - طوله ١٧ بوصة تقريباً أي ٤٣.٢ ملليمترًا . الذكر والأنثى
متشابهان . الأجزاء العليا سماء رملية مخططة بسواد . ويرى في الجناح في حالة اتباضه خط عرضي ضيق
مبيض . الزهر أبيض وكذلك خط تحت العين . الصدر طفلي مخطط بسواد . البطن مبيض والعين
واسعة صفراء

(الكروان البيئى (شكل نمرة ٢)

كثير مستوطن يعيش غالباً في المدن ويعيش عادة على أعلى المباني - الطول ١٢ بوصة تقريباً أي
٤٣.٢ ملليمترًا . الذكر والأنثى متشابهان يخالف الجبلى في كون لونه أبيض وأشد رمادية وفي كون جناحه
يكون خالياً في حالة اتباضه من الخط العرضي الأبيض الواضح



(شكل ١٠)

﴿ الزقراق المطوق ﴾

يكثر في البقاع الرطبة والأراضي المغمورة بالماء طول الحريف والنساء ويبقى قليل منه في القطر ويش
ويخرج في أماكن مناسبة - طوله ٦ بوصات ونصف تقريبا أي ١٦٥ ملليمتر . الذكر والأنثى متشابهان
أجزاء العليا سمراء باعثة وجهته - وداء في وسطها غرة بيضاء وریش أذنه أسود وله طوق أسود وعلى قفاه
شریط أبيض وأجزاء السفلى بيضاء

﴿ الزقراق الشامي ﴾

يكثر في أشهر الشتاء - طوله ١٢ بوصة ونصف تقريبا أي ٣١٨ ملليمتر . الذكر والأنثى متشابهان
تاج الرأس والعرف أسودان مخضران والأجزاء الدنيا خضراء معدنية ذات انعكاسات أرجوانية ومعلنة قليلا
بلون طفلي . والذيل أبيض به شریط أسود عريض . والبطن أبيض وخوالب الذنب كسبية باهتة

(الزقواق البلى (شكل ١١))



(شكل ١١)

كثير مستوطن في الأماكن الماسه له في معظم مدريات القطر - دوله ١٢ بومته قريبا أي ٣٠٥
مليمترات • الذكر والأُنثى متشابهان • لون قبة الرأس والقفا والزرور والصدر أسود • ولون جانبي الرأس
والرقبة والبطن أبيض والأجزاء العليا سمره وريش الأجنحة معلم بسواد و بياض واصحين والذنب أسود
ذوقاعده بيضاء وحدة العين قرمزيه أنهى الاجال فهناك تفصيل التفسير لهذه السورة

{ أقسام هذه السورة ست }

(القسم الأول) رؤيا النى يوسف عليه السلام من أول السورة الى قوله - آيات للسائلين -
(القسم الثانى) أنى اخونه من قوله - إذ قالوا ليوسف وأخوه - الى قوله - وكانوا فيه من الزاهدين -
(القسم الثالث) قصه في بيت العزيز من قوله - وقال للذى اشتراه من مصر - الى قوله - وليكونن
من الصاغرين -

(القسم الرابع) قضيت في السجن من قوله - قال رب السجن أحب اليّ - الى قوله تعالى - إن
ربى غفور رحيم -

(القسم الخامس) تنظيمه للخزائن للمصرية من قوله - وقال الملك اتوني به - الى قوله - ادخلوا
مصر إن شاء الله آمين -

(القسم السادس) خاتمة السورة وحكمها وعجائبها من قوله - ورفع أبويه على العرش - الى آخر السورة

﴿ الفِئْمُ الْأَوَّلُ ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الرَّ • تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ لِلَّذِينَ • إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ •
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ الْغَافِلِينَ • إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ • قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ
الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ • وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
وَيُؤْتِيكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِائَةَ أَلْفًا مِائَةً عَلَى أَيْمَانٍ لَا يَمْنُونُ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ • لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ •

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الر) تقدم الكلام عليه في أول آل عمران • يقول الله (تلك) أي الآيات التي أنزلت عليك في هذه
السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إيجاز العرب وفي إجابة السائلين منهم بإرشاد اليهود قائلين لم اشقل آل
يعقوب من الشام إلى مصر ومائة يوسف (إنا أنزلناه) هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام حال
كونه (قرأنا عربيا) وبعض القرآن يسمى قرآنا لأنه اسم جلس وقع على البعض وعلى الكل - ولو كان
أعجميا قالوا أولا فصلت آياته - أعجمي وعربي (لعلكم تعقلون) أي تفهمون أيها العرب وقدرت بلفظكم
(نحن نقصص عليك أحسن القصص) والقصص إما مصدر بمعنى الاقتصاص وإما بمعنى للمفعول فإرادته المقصود
كالسلب بمعنى المسلوب فيقال نيين لك أحسن البيان لأنه جاء على أبلغ الأساليب أو أحسن الذي يقصص لما
فيه من العجائب والحكم والآيات والعوائد الباقعة في الدنيا والدين كبير الملوك والممالك وحسن السياسة
وقدير للملك وإقامة العدل ونظام الدولة ومكر النساء والاصطراع على الأذى والفضو والنجاوز عن هفوات الأقارب
واشتقاقه من قص أثره إذا بعد فان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يتبع القاص الأثر شيئا
فشيئا وقوله (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بإحساننا إليك هذه السورة (وان كنت من قبله لمن الغافلين)
أي انه أي الشأن والأحدث كنت من قبل إحساننا إليك من الجاهلين به لأن هذه القصة لم تترجع سمعك ولم
تخطر بالبال وان عتقت من النقية واللام فقرة (إذ قال) بدل اشغال من أحسن القصص إذا كان مفعولا به
وهو بمعنى للقصص فأما إذا كان بمعنى الاقتصاص وهو المصدر فيكون إذ منصوبا بضمها إذ ذكر • يقول
الله قال (يوسف) بثلاث السين (لأبيه) يعقوب بن إسماعيل (يا أبت) بذيئ التاء فاقسم
لأجرائها بحرف الأسماء للثبوت بالتاء وفتحها لأنها أصلها - يا أبتا - وكسرهما لأنها عوض عن حرف يناسب
الكسرة (إني رأيت) في المنام فهو من الرؤيا لا من الرؤية (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) نزل من
أماكنهن وسجدن لي سجدة التحية والنجوم في التأويل أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما
يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه وإحليل وقوله (رأيتهم لي ساجدين) استئناف لبيان الحال التي

رآه^ن عليها وأجريت مجرى العقلاء لوصفها بالسجود وهو من صفاتهم . ولقد كان يعقوب شديد الحب
 ليوسف لأن الجلال والذكاء مما يضاف للحب في البنين والبنات كما يحب الناس جمال زهر الورد ويقول
 الثقاتهم زهر السنط والصفاف . ولقد قال علماء الحكمة ﴿ إن جمال الظاهر بانتظام العين والأف
 والغم والخد . وحسن اتسافها دال على جمال الباطن بالغة والحكمة والشجاعة والعدالة ﴾ فالإنسان
 شغوف بالجمال في أبنائه لأن قوس الناس تشع^ر بجمال بواطن من حسنت ظواهرهم ولذلك حسده اخوته
 وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها أن اخوته وأبويه يخضعون له (قال يعقوب
 يا بني) تصير ابن لشفقة ولصغر السن وكان ابن اثنتي عشرة سنة (لاقص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
 لك كيدا) فيحتالوا لاهلاكك حياة والام في لك صلة كما قول نصحتك وضحت لك غاف عليه حسهم
 وبغيسهم والرؤيا في المنام كالرؤية بالبصر وسيأتي إيضاح الكلام عليها قريبا (إن الشيطان للإنسان عدو
 مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء . وفي صحيح البخاري قال ^{عليه السلام} ﴿ إذا رأى أحدكم الرؤيا ينهاها
 فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعد
 بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها لأحد فانها لن تضره ﴾ ومعنى انها من الشيطان أنه يحضرها أو
 أنها تسره فهي من الله خلقا ولكن تنسب للشيطان مجازا لأن كلام من عند الله . ويقال الرؤيا اسم
 لل محبوب والحلم اسم للكره . وقد أخذ العلماء من مجموع الأحاديث أن الإنسان لا يحدث بالحلم وليتعود بالله
 من الشيطان الرجيم من شرها ويتفل ثلاثا وليتحول الى جنبه الآخر فانها لا تضره وهذه تكون سببا لعدم
 ضرره كما جعلت الصدقة لوقاية الدار وغيره من البلاء (وكنك بك يجتبيك ربك) يقول الله تعالى وكأرفع الله
 منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يسقطك ربك ويخلصك بفيض إلهي فتكون نبيا وملكا
 وتكون لك أنواع الكرامات بلاسي منك وتلهم الخير إلها . ثم ابتداء كلاما خارجا عن التشبيه السابق
 فقال تعالى (ويملك من تأويل الأحاديث) أي تأويل الرؤيا فإن كانت من أحاديث الملك كانت صادقة أو
 من أحاديث النفس أو الشيطان كانت كاذبة كما سأوضحه قريبا وتأويل كتب الله تعالى وسائر الأنبياء وكلام
 الحكماء . والأحاديث اسم جمع للحديث وهو ليس بجمع لأحدوة . وسمى تفسير الرؤيا تأويلا لأنه يؤول أمره
 الى ما رأى في منامه وكان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتفسير الرؤيا وقوله (ويتم نصعته عليك) أي بالنبوة
 (وعلى آل يعقوب) وذلك بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة فهم أنبياء في الدنيا وملوك في الآخرة في
 أعلى درجات الجنة وآل معناه أهل ولكن الأول يستعمل فيمن له خطر كالأنبي فلا يقال آل الجاعل وآل
 العصاة وإنما يقال أهل وآل يعقوب سائر بنيهم ولقد دل على شرفهم بضم الكواكب (كما أتمها على أوليك
 من قبل ابراهيم واسحق) فجعلهما نبين (إن ربك عليم) بمن هو أهل للاجتماع (حكيم) يمنع الأشياء
 مواضعها (لقد كان في يوسف واخوته) أي في قصتهم وحديثهم (آيات) دلائل على قدرة الله وحكمته وعلى
 نبوتك (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم واخوة يوسف هم أولاده العشرة ﴿ يهوذا . روبيل . شعون .
 لاوي . زبالون . يشجر ﴾ وأتمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين أربعة
 أولاد وهم ﴿ دان . نفتالي . جاد . آش ﴾ ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف
 وبنيامين فهؤلاء هم الأسباط بنو يعقوب وعددهم اثنا عشر فسمت من ليا وأربعة من سريتين اسم احداهما
 زلفة والأخرى بلهة واسان من راحيل أخت ليا بنت ليان بعد موت أختها وكانت معها على رأى ولقد دهش
 اليهود الذين قالوا للعرب ساه عن سبب انتقال وليد يعقوب من أرض كنعان وعجوا كيف يذكر هذا القصص
 الموافقة لما في التوراة ولا علم له بالكتب ولم يجالس الأخبار ولا العلماء . وأيضا في هذا عبرة وعظة في عجائب
 هذه القصة من صبر وحلم وحزن وعفة وسجن وملك وصفح . فكل هذه آيات للسائلين ودلائل لاكرين

وفي هذا المقام لطائف

(الطيفة الأولى) في قوله تعالى - نحن قصص عليك أحسن القصص الخ -

(الطيفة الثانية) في استطلاع البشر إلى معرفة الغيب وغرلهم به وأن منه العرافة ومنه الرؤيا وأن فيها

الصادق والكاذب

(الطيفة الثالثة) في الحسد وأسبابه

(الطيفة الأولى في قوله تعالى - نحن قصص عليك أحسن القصص -)

اعلم أن الله عز وجل لما ذكر في سورة هود عجائب صنعه وبدايع حكمته في خلقه وجعل مناط التفكير فيها النظر في السوابق وسعة علم الله ثم إن ملكه ثابت على مقتضى العلم والحكمة وإذا كان ملك الله ودولاه إنما كان ثباته على العلم هكذا لا دول ملك الأمم إلا بالعلم الذي ينالونه . وكل ملك لم يؤسس على العلم أبيل للزوال السريع . ولما كان علم الله لا نهاية له كان ملكه لا نهاية له معروفة وعلم الناس محدود . ولذلك كان ملكهم محدودا . هذا بعض ما يؤخذ من سورة هود وقد فتنني أن أذكر هذا هناك ثم أقول في سورة هود مدار الأمر فيها على النظام في الحيوان وعلى سعة علم الله وحكمته وقدرته ورجته وأنه أخذ بنصيب كل دابة . فأما في هذه السورة فقد فتح باب الفكر الانساني والعقل الآدي كأنه يقول أيها الناس اقرؤا علوم الطبيعة والفلكيات وكل ما في الأرض والسموات ولا يشغلكم ذلك عن القصص والعلات (وبعبارة أخرى) ليقرأ الناس علوم الطبيعة وعلوم الأدب

اعلم أيها الذكر أن هذا المقام يحتاج لشرح وإيضاح . فقد جاء في كتاب أميل القرن التاسع عشر ما يفيد أن التعليم في الأئمة الفرنسية التي منها مؤلف الكتاب المذكور ناقص لأنها قصرت في تعليم الدش الروايات والخرافات والاحاديث المستمدة من الفرية . وعلى ذلك بأن الأطفال ومن يحاكيهم لا يقبلون إلا على ما يوسع الخيال ويفتح باب التصور وسعة القوة الخيالية ولن يكون ذلك إلا بالروايات المدهشة الموسعة للخيالة الخالقة للحقائق المعروفة . وأيد ذلك بما يصنع الانجليز في بلادهم وأن الأطفال والشيوخ الذين لم يتعلموا يحضرون مجالس خاصة في محال قتش لهم وفيها تكون تلك الخرافات وضرب أمثالا لتلك مثل القنات التي طلب أبوها أن يتزوجها واقترحت عليه ثوبا يكون الشمس وثوبا يكون القمر وفي آخر الامر اقترحت عليه أن يذبح حماره ففعل كل ذلك . ولبست جلد الحمار فصار هذا الجلد يخفيها عن الأنظار والذي أرشدنا لهذا الاقتراح جنية . وأمال في ذلك بأمثال لاجل تذكرها هنا . وإنما أقول إن هذه الخرافات قد وضعت بين عامة الجهال من البشر لحكمة من الله دبرها . يقول وأن هذه الخيالات الكاذبة توسع القوة الخيالية حتى إذا مارع ع الشباب اقتحت بغيره العلوم الطبيعية والفلكية فتصل ذهنه فتذهب تلك الخرافات من عقله ويتم له الكمال . هذا رأيه

ولقد اطلعت على خرافات متقولة عن اليابان وقد ذكروا مع كل واحدة منها للأطفال أن هذه خرافة أما هذا الفرنسي فانه يقول يجب أن لا ننقص على العربي بأن هذه لاحقيقة لها ولندعه يفرح بها حتى إذا كبر العربي عرف الحقيقة

هذا ما وصل اليانا من علم الأمم حولنا في هذا المقام . فلنرجع الى ما نحن فيه ولننظر في القصص وأحسن القصص . يقول الله - نحن قصص عليك أحسن القصص - وهذا يفيد أن القصص فيه حسن وأحسن وأنه قصص الأحسن . ولا جرم أن الناس يحرصون الحسن والرياء وهذا فتح باب للحكايات والروايات والقصص ما بين مادية وخيالية . ولقد كانت أمم بني اسرائيل مغرمة بالقصص والحكايات ومنها ما هو ضرب أمثال . وكان يروي بحديث أمهاته عامة الليل . ومن ذلك حديث أم زرع الطويل الذي اعتنى كبار العلماء

والمحدثين بشرح معناه وألفاظه اللغوية الأنيقة وكان **يحيى** يقول حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ولعل القصد أن يكون الحديث خاصا بما يفيد علما وحكمة وماعدا ذلك فهو لغو والحديث • ولقد وجدنا أثنتا الإسلامية قد خلفت لنا آثارا من الروايات كألف ليلة وليلة وكتاب (كشافة ودمنة) وروايات كثيرة فيها ما هو عاقل ومنها ما هو بالغة العربية • ولقد نجد قصة عنتره وغير عنتره وكل ذلك شهادة بأن أثنتنا نهضت نهضة واسعة النطاق • ولقد نجد في كتاب (كشافة ودمنة) من المحاورات الجارية على لسان البهايم ما يعلمك الحكمة والسياسة والأخلاق والمواعظ والعبر وكل ما فيه جيل على لسان ما لا يقل

فأما كتاب ألف ليلة وليلة فانه جار على ألسنة الناس وفيه للبلافات وحديث العفاريت والجن والشياطين وما أشبه ذلك من الخرافات ومع ذلك نجد فيه ما يوسع الخيال كما ترى في قصة السندباد البحري وحديثه مع السندباد البري وكيف يقص عليه من أبناء سياحاته السبع وكيف كان في كل سفرة منها يلاق من الأهوال والمصاعب ما لا يطيقه إلا الأبطال • وكيف يقص عليه نأ تلك البليغة التي هي كقصة كبيرة جدًا وقد جاء أرخ وجنم عليها وكيف ربط نفسه في رجله وهو لا يحس به كأنه يرغوث على جسم انسان وهكذا كيف رمته المقادير فوق الجبال وفي الأودية وكيف ربط نفسه في قطعة اللحم التي التصق بها الاناس فرفعه الطير إلى أعلى الجبل وكيف وصل إلى أشجار السندل فالتخذ منها سفينة وجرت به في البحر وتحت الجبل في الماء وكيف كانت هذه السفينة تجارة وهو لا يدري وهكذا من شياطين يطرون به وما أشبه ذلك مما دونه أسلافنا في كتبهم وتركوه إلى خلفهم ليطلعوا عليه وينفثوه ويفكروا فيه • فاما الأئمة الإسلامية فانها على مذاهب شتى

فأما الفقهاء وأهل الدين فاتهم كانوا منذ قرون كما هو مشاهد الآن يعنون التلميذ أن يقرأ إلا كتب الدين ويعلم النحو والصرف وما أشبهها والطالب يحقر كل ماعدا ذلك لأن أستاذة حقره • فأما تلك الكتب فقد بقيت عند العامة والجهلاء • ثم إن علماء أوروبا قد اعتنوا بها وبحوثها وفكروا فيها ووجدوا أن كتاب (ألف ليلة وليلة) نافع لهم فتدبروه وقد اطلعت عليه بالغة الانجليزية وألقوا كتباً أخرى يسمونها (الليالي العربية والليالي العربية الجديدة) وقال بعض كتابهم الذين نبغوا في قومهم اننا لم فصل لهذه القوة إلا من قراءة كتاب (ألف ليلة وليلة) ومعنى هذا أنه قرأه في صفه وقرأ العلوم الطبيعية في كبره

فأما الاقتصاد على أعمال هذه الكتب فانه يجعل المرء كثير الخرافات مصدقا بالقرائن • هذا وعلى ذلك جاءت هذه السورة عقب سورة هود التي أعلنت شأن علوم الطبيعة ليعين الله أن القصص شأنها عظيم ولعمري لادين ولائمة تقوم لما فاتها إلا بضرب الأمثال والروايات والحكايات المنصتة للنفس للرفقات الخيال

(كيف كانت قصة يوسف أحسن القصص)

واما كانت قصة يوسف أحسن القصص لأنها جمعت بين ما يوسع الخيال من المناهج الجميلة وما يوضح الحقيقة (وبعبارة أخرى) ان العلماء أباحوا الخرافات لترقية الأمم بل جملوها من الامور اللازمة وذلك لتوسيع الخيال • فهذه القصة مع ما فيها من توسيع الخيال جاءت مطابقة للحقيقة لأنها تذكر أمورا جرت فليس يعقوب ويوسف وأخوانه ووجودهم في مصر أمرا خياليا بل هو حقيقة تاريخية معروفة • وليس ككشافة ودمنة التي هو حسن حقا ولكنه ليس أحسن لأنه يأتي بمحاولات الحيوان مما لا ينطبق إلا على الانسان كحكاية السمكات الثلاث اللاتي اختلفن في الرأي لما حيل بينهن وبين ماء النهر فأما الأخرم فيهن فانها فرت بسرعة من مكانها إلى النهر وأما الحازمة فانها لما أحاط بها الخطر تملأ وتغامت على وجه الماء كالتيه فرماها الصيادون وأما الغبية فانها لم تفكر حتى أخذها الصيادون فان هذه الحكاية وأمثالها قد استحسناها العقلاء ودرسها جميع الأمم • ولكن قصة يوسف أحسن لأن أشخاصها حقيقيون ووقائعها صحيحة وفيها الحكم والمواعظ التي لا يراها الانسان في قصة أخرى حتى ان قصة يوسف في الثوراة ليس فيها من الطلاوة والأخذ بالألأباب

والصفات والحض على مكارم الاخلاق مثل ما في القرآن . فهذا معنى كون هذا أحسن القصص

(كيف تربي أوروباً أبناء الشرق)

لقد علمت أيها النكي آراء علماء أوروباً في الروايات وعرفت أن للتأخرين من أممنا الاسلامية سنوا الباب في وجوه الطلبة فوقفت العقول وسنت الطرق . فلما دخل الانجليز بلادنا زادوا الطين بلة فقالوا لا تقرأوا الروايات فانها خرافات وقد علمت أن هذه تليق للأطفال ولصغار العقول ثم هم قتلوا علوم الطبيعة بحيث لا يعرف الطالب ما جاء في سورة هود من النظر في الحيوان وأنواعه ولا في عجائب صنع الله تعالى . فهذا الباب أقل إلا قليلا وذلك على الكبار وهكذا الاطفال منعهم مما يرقى الخيال ثم جاؤا بروايات (شكسبير) ليقرأها الكبار بدل الصغار وكذلك بعض روايات عربية مترجمة الى لغتهم من ألف ليلة وليلة وجعلوها للكبار لينشغلهم بما يجب أن يكون للأطفال وذلك لضعاف العقول وموت النفوس . هذا ما أردت ذكره في هذا المقام ليقف عليه العلماء بعدنا فيبحثوا فيما يصلح للأمة وما لا يصلح فينظروا التعليم على ما ينفع العباد واني قبل أن أغادر هذا المقام أذكر أن أحد الفضلاء أخبرني أنه كان يخاف من خياله فلما قرأ قصة عنتر أصبح شجاعا وصار لا يخشى من أعظم الاشياء وأهولها . ولما حضر الى مصر الاستاذ (ادوارد براون) الانجليزى وسمع قصة عنتر تأسف وقال ان العوام عندكم خير منهم عندنا فهم يسمعون مكارم الاخلاق والشجاعة في هذه القصة وهم يفهمونها فترقى أخلاقهم وعقولهم ثم أخذ قصيدة منها بالقانونوغراف وأسعنى صوته فكان عجبيا جدا وهي التي فيها البيت

يايك والقهشاه لا تنطق بها • ما دمت في هزل الكلام وجده

هذا ما أردت ذكره في هذا المقام

(العليقة الثانية)

اعلم أن الناس مفلطرون على الاستطلاع والتشوق لمستقبل أمورهم وقد يعرفون بعض المستقبل برؤيا يرونها أو يعرفونهم أو يزعمون أو يقال أو ضرب الحصى أو بالنظر في الاكتاف أو في الماء أو التويم المتعاطسي أو بتحصير الارواح

(تحقيق هذا المقام)

اعلم أن الله عز وجل أهمل أبواب معرفة الغيب عن البشر ولم يرد ذلك إلا راحة بهم واسعادهم . ولعلم الناس الغيب لتزولوا الى الحضيض ولكانوا أخس المخلوقين . ذلك أن للمرء لو اطلع على الغيب وانه بعد عشرين سنة سيكون وزيرا أو غنيا أو غلاما كبيرا لم يفكر يوما ما في علم السيادة ولا في جلب المال ولا في قراءة العلم ولا في تصحيح الحكمة وتذهب الحياة سدى ويجهل الناس بالمستقبل هو الذي تكفل باسعادهم لانهم يجتهدون وهم وجاهلون وذلك داع حيث الى اتقان العمل ولا نتيجة إلا بجملة والمقدمة لا وجود لها مع العلم بالمستقبل فطم الناس للغيب أكبر ضرر عليهم وهم لا يشعرون . ناهيك بما يكون من اطلاع الناس بعضهم على ما في قلوب بعض من الحسد والبغض والكراهة فكيف يعيش الناس في صفاء وهم مطلعون على ذلك الجفاء والعداء والاستياء . لهذا منع الله الغيب . ولكن لما كان اقبال باب الغيب حرة واحدة يوجب اليأس من عالم أرقى من هذا العالم ويوقع في النفوس أنه لا روح ولا حياة بعد هذه الحياة أغاث الناس ببعض الرؤيا الصادقة وخصص أناسا بالاطلاع على بعض الحقائق واضحة كالأنبياء وغير واضحة كعجوة بلأبائيل كالعراقين والرامالين والناظرين في الكفة وفي الحصى والحاسنين في علم الزائرجة . فهو لا كما يحققنا بأنون بحقائق وأكاذيب وهكذا الرؤيا فيها الكاذب وهو الأكثر ومنها الصادق وهو أندر من الدور كما في رؤيا يوسف عليه السلام

﴿ هل تصدق الأرواح في اختيارها عند استحضارها ﴾

هذه القاعدة لا يشذ عنها شيء فاعلم أن الأرواح التي يحضرها الناس في الشرق وفي الغرب تأتي بالصادق والكاذب . وبيانه أن الذي يستحضر الروح لأجله إذا كان طالبا مالا أو جاها أو عرضا دنيويا أضرمت عنه الأرواح العالية وانقربت منه الأرواح النافسة لما كلفها لطباعه فذكرت له ما يناسب ذوقه وبشرته بمستقبل سعيد وعمر مديد ومنزل جليل وبالأبناء والعبيد . وإن كان الطالب مريدا للحكمة والعلم والحقائق ولم يكن يحكموا عليه بالحرمان لذهب أصدبه أقبلت عليه الأرواح العالية وعلمته تعلما يناسبه . ولعمري لا فرق بين عالم الأرواح وعالم الدنيا . فالعالم يشرق بعلمه على من لا يعقله والناس أشكال فكل شكل يحسن إلى شكله ويألف قرينه ويهوى أمثاله . هذا ولأفضل الكلام إلى ﴿ مقامين ﴾ المرافين في الثورة وحقيقة الرؤيا

﴿ المرافون في الثورة ﴾

لقد كان بنو إسرائيل مغرمين بالعراقة موصوفين بمعادنة الأرواح ألا وإن أهل أمريكا وأوروبا الآن يشبهون اليهود قديما في غرامهم بمعادنة الأرواح وما كان ليخطر ببال أن بني إسرائيل هكذا لولا ما رأيته في الإصلاح الثاني والعشرين من الملوك الأول من الثورة

ذلك أن (يهوشافاط) ملك يهوذا نزل عند ملك إسرائيل . فقال الثاني لصيده ألا تعلمون أن (أرض راموت جلداد) هي أرضنا ونحن عنها ساهون لاهون فلنحارب لفرجها لنا ثانيا ونأخذها من ملك (أرام) ثم التفت إلى (يهوشافاط) قائلا أذهب معي للحرب فقال (يهوشافاط) شعي كشعبك وخيلي نيكلك فقاتل أنامك ثم قال ملك إسرائيل أسأل اليوم عن كلام الرب فجمع ملك إسرائيل الأنبياء (الرافين) بنحور بعبانة رجل واستشارهم فأشاروا عليه جميعا بالتوجه للحرب لاسيا (صدقا بن كمنة) فإنه صنع لنفسه قرنين من حديد وقال هكذا قال الرب بهذه تنطح الأرميين حتى يضفوا فقال (يهوشافاط) أما بقي من هؤلاء الكهنة أحد بعد فقال ملك إسرائيل لم يبق إلا واحد وهو وحده لا ينبتأ لي بخير وهو (ميخا بن يله) فأمر بالحضاره فسأوه فقال رأيت كل بني إسرائيل مشتتين على الجبال يخرفون لارأى لها فقال الرب ليس هؤلاء أصحاب فليرجعوا كل واحد إلى بيته وسلم وقد رأيت الرب جالسا على كرسيه وكل جند السماء وقوف لبيه عن يمينه وعن يساره فقال الرب من يغوي (أنا ب) فيصعد ويسقط في راموت فخرج الروح ووقف هكذا أمام الرب وقال أنا أغويه فالله الرب بماذا قال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه (كمنته) فقال إنك تغويه وتقتصر فخرج وأفضل هكذا . والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر فعارضه (صدقا) للثقتم ذكره فقال له (ميخا) سترى في ذلك اليوم الذي تدخل فيه من مخدع إلى مخدع تخفى اه

فحينئذ جيسوه وضيقوا عليه وصعد ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا إلى راموت جلداد فاتفق أن يرعلا نزع في قومه غير متعمد وضرب ملك إسرائيل بين أوصل للفرع فقال للمدير مركبة رد يلك وأخرجني من الجيش لأنني قد جرحت واشتد القتال وأوقف الملك في مركبة مقابل (أرام) ومات عند المساء وجري دم الجرح إلى حوض المركبة ودفنوا الملك في السامرة اه

هذه هي القصة التي لحقتها من الملوك الأول ومنها تعلم أيها التكي أن بني إسرائيل قد شاع عندهم علم الكهانة والعراقة وكذلك تعبير الرؤيا

﴿ حكمة وتبيان لجعل سورة يوسف بعد يونس وهود في الترتيب ﴾

اعلم أن العالم الروحي والعالم الجسدي كل منهما فيه عوالم لا تنتهي بحسب نظرنا فبينما الإنسان الواحد منا نراه واحدا مفردا نجد أن له مالا يحصى من الكرات السماوية البيضاء والجرأ لا تحدر بمئات ملايين الملايين

وهكذا أعضائه وعجائبها ثم اننا نرى النبات والحيوان لا تملأ عجائبيهما ولا يحصى وكلها خادمة للإنسان • فلنتنظر نظرة في العالم الروحي فان آراءنا وأفكارنا متصلة بعوالم أكثر من العوالم للمشاهدة ولعل أرواحنا تصل بعوالم تناسبها ومن تلك العوالم ما نراه في المنام ومنها ما جاء على ألسنة الأنبياء ومنها ما يجي على ألسنة العرافين والكهنة وغيرهم وهؤلاء الثمين ذكرناهم بعد الأنبياء يصدقون ويكذبون كما أنا نرى العوالم المحسوسة منها الضار ومنه النافع ونحن بين هذه العوالم نرى ونختبر ونميز ونرتقي في تلك التجارب

وياحبنا لقصة يوسف التي أنزلها الله لفتح هذه الأبواب العلمية ولتبين لنا كيف تكون البشارة للؤمن في هذه الحياة الدنيا فيما مر في سورة يوسف إذ قال تعالى - لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة - وورد في الحديث ﴿ ان البشرى في الحياة الدنيا هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو يرى له ﴾ فهذه السورة أرتنا أن من الناس من يفتح لهم باب السعادة بحسب استعدادهم ويلهمون ذلك أو يروته في المنام وهذه الرؤيا تكون بشرى كما بشر يوسف بما هو مصيرهم فقال لآلئاه • وكل من الرؤيا وكلام الكهنة فيه الصادق والكاذب ولقد ترى في كلام (مينا) للتقدم ما يوهم خلاف جلال الله وجلاله فاعلم أن هذا ليس أمرا مقبسا وإنما ذكرناه لنعلم على كل حال أن القوم كان لهم اللام بالكهانة وإن لم يكن هذا الكلام موزونا بميزان الشرع في التعبير

﴿ الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة وتحقيق الكلام في هذا المقام ﴾

اعلم أن الرؤى على أقسام (القسم الأول) ما نشأ من غلبة السم الناتج من الاكثار من الأغذية السموية الحارة الرطبة كالطباخ السم والحواء فتنبج الطبيعة فتنبج في السماغ بخارا حارا رطبا فيكون الصداق العظيم وفترة الحواس وقد يزداد تحجر العين ويكون وجع الحلق وذات الجنب وورم الكبد والطحال والامعاء والاثني عشرى في منامه الرغاف والاحتجام والهم والاعاين والراقصين (القسم الثاني) ما نشأ من غلبة الصفراء الناجمة من الاكثار من الأغذية اليابسة كالصل ولحم الكباش الحولى ونحو ذلك فتحترق الطبيعة من الجوف إلى السماغ يخار صفرولى غير معتدل فيكون صداع في الرأس وشقيقة وقلة نوم وسوارة اللس وقد يصفر اللون والعين ويكون الفم مرا ويرى في منامه النيران والشمس المحرقة والصواعق والحروب ولا يزال مغتا مهتا (القسم الثالث) الرؤيا الناشئة من البلم الناتج من الاكثار من الأغذية الباردة الرطبة للوثة بخارا رطبا يوقع فترة في الجسم ورنانة في المفاصل وكثرة الرقي ولزوجيته وبرد الجسم وقلة شهوة الطعام أول النهار وقلة العطش وضعف للمعدة ويبيض البول وكثرة النوم والكسل والنسيان وأن يرى صاحبه في نومه الأمطار واللياء والأودية والاعتسالات والسبات (القسم الرابع) الرؤى الناجمة من غلبة السوداء الناشئة من الاكثار من الأغذية السودلوية كالطمس والسخن ولحم البقر والباذنجان فيبتدى للرض السودلوى بفترة في البدن وهدنة عطش وقلة نوم وقد يفتى للرض اذا لم يتدارك فيكون الجذام والجرب والحكة والقالج والسكة وخفة الرأس والرغاف والتأليل والبثور والصرع والبالخوليا والقوبا والبهقة والسعال اليابس الخ ويرى في منامه الأحوال والخوف والغمالات والظلمة والأشياء السوداء المحرقة ويهرب من كل أحد ويرى الأموات ونحو ذلك وأكثر ما يقع ذلك من أكل للواحة والجوزة والقول والطمس (القسم الخامس) أن تكون القوة الخفية في السماغ مشغولة بسور واردة عليها من الحواس مخزونة فيها • ومن خصائص هذه القوة العجيبة أنها تحلل تلك الصور وتركيبها كأن تتخيل

أعلام بأقوت نشر • ن على رماح من زبرجد

وكان تصور اناسنا مقطوع الرأس وهو لا يزال حيا (القسم السادس) أن تحاكي القوة المتخيلة للمذكورة ما غلب على النفس من آثارها الشهوية الطبيعية كشهوة الطعام وشهوة الزلوج والتناسل فان تلك القوة تتخرج

الآعاجيب في المنام فتقتم للنائم الطعام والشراب والأنس والأصحاب والأواني والفادات مضاهاة ومحاكاة لما يحصل في اليان (القسم السابع) أن محاكي تلك القوة ماغلب على النفس قبل من القوة الغضبية والحيية والعسية فتخترع له تلك القوة آلات القتال ودروع الخاضل وسيفاً وحارباً ملاقاته الأبطال ومدافع لكفاح الأعداء فنجسما كان في النهار قوة كلمنة في النفس ظاهراً في النوم عند تلك القوة فتتك بأقرانه وتجنبد أعداءه وهو منصور في المنام (القسم الثامن) أن يكون البدن هادئاً ساكناً لم تطلب عليه الصفراء ولا السوداء ولا السم ولا البلم ولا الشهوة البهيمية ولا القوة الغضبية ولم تزدحم معدته بالطعام فإن هذا ربما يرى في منامه وأرادات من عالم العقل فتترسم تلك المعاني العالية الواردة عليه وتصور صوراً لمخسوسات وقد تكون بديعة جذابة للمنظر وقد تكون تلك الواردة عليه أقوالاً لطيفة ورموزاً لها معانٍ لجلالية تحير باصر في الحال أو الاستقبال . فهذه هي الأقسام الثمانية التي لا يخلو منها أو من بعضها أصحاب الرؤى من الناس

واعلم أيها الذي أن هذا القول ملخص ما ذكره الفارابي في علم النفس وملخص ما جاء في علم الطب في هذا المقام . فهذا المقام أصوله في فلسفة الفارابي وفي علم الطب قد فصلته لك تفصيلاً ومنجزه منجزاً جميلاً وأبنته أيما تبيان . وعلى ذلك تكون الأقسام السبعة وهي حال الصفراء والسم والبلم والسوداء والصورة الواردة من الحواس وغلبة القوة الغضبية والقوة الشهوية الرؤى فيها أضغاث أحلام لاتأويل لها وإنما هي نتيجة ماغام بالجسم من الأمزجة والأحوال . فأما القسم الثامن فإن له ضرباً شتى وأحوالاً مختلفة . فنها ما يكون واضحاً للذلة . ومنها ما يحتاج إلى تأويل . وهذا هو الذي تكون منه الرؤيا الصادقة وهي نادرة في النوع الانساني فأما أكثر الرؤى فأنها أضغاث أحلام وهي تلك السبع ولغة يعلم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وهذا خبر ما اطلمت عليه مما ذكره أهل العلم في الرؤى والأحلام والجملدة التي هداها لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . هذا ما جاء في الحكمة للموروثة

(الأحلام في العلم الحديث)

واعلم أن أهل العلم في البلاد الشرقية كأبناء العرب بمصر وما جاورها قد نسوا علوم آبائهم وضرب بينهم وبين الماضي بسور لا بواب له ولذلك تراهم يتبعون الأوروبيين اثباتاً وقياساً فقلبك تحب أن تقف على ما وصلوا إليه . أقول لك قد جاء في بعض المجلات العلمية بمصر أثناء طبع هذا الكتاب هذه النبهة التي سأذكرها وأنا موقن أنك ستعجب من أن ما نقلوه عن الأوروبيين هو نفسه ما قاله الفارابي وعلماء الاسلام الذين علوه بقدر امكانهم أما هؤلاء فانهم ينتظرون سبباً للرؤى من كلام الأوروبيين ولم يصلوا أنهم قالوا في كتب كثيرة مثل قول الفارابي وقته في خلقه شؤون . وقد آن أن أسبغك هذه النبهة وهي

(هل من علاقة بين الأحلام والحوادث)

نشرت إحدى المجلات العلمية فصلاً حازلت أن تشرح به مسألة الاحلام وأن تثبت أن بينها وبين الحوادث التي تقع حولنا علاقة لا يمكن انكارها وقد رأينا أن نورد فيما يلي خلاصة كلامها . قالت
يبدل العلماء منتهى الجهد للوقوف على كنه الاحلام وحل ألغازها . ومع أن جهودهم في هذا السبيل ترجع الى أقدم الأزمنة إلا أنهم لم يكتفوا للأمر أكثرنا جدياً إلا منذ عهد قريب . وفي الواقع أن علماء نصف القرن الماضي لم يكونوا يعتقدون أن الاحلام جديرة بالبحث ولكن علماء هذا العصر ينظرون الى المسألة نظرة أخرى ويجمعون الحقائق التي تعينهم على استجلاء هذا السر الغامض . وهناك أمور ثابتة لا سبيل الى انكارها وفي مقدمتها أن حوادث كثيرة أشير الى وقوعها أو تأني بها بواسطة الأحلام . وهناك أيضاً ما يجب أن بعض الأحلام أوجبت في أصحابها قوة النبوة واستجلاد المستقبل مما لا سبيل معه الى اجمال تلك الأحلام وعدم الاهتمام بها . فن أمثلة ذلك ما رواه الدكتور (دى سمرين) وهو أنه حلم ذات ليلة أن

ولم الذي كان يحبه حبة فاققة وقع في تلر ملتهبة ولاحرق وكان الحلم واضحا جدا حتى ازعج الدكتور فنهض من نومه مذعورا وذهب الى اميحت كان ولده مستغرقا في سبات هنيء . وفي اليوم التالي ظن تأثير الحلم عاتقا به حتى انه اخذ يراقب ولده كمن يحاول أن يرد عنه الشر ثم يخصص جسمه بكل دقة فوجده مهيض البنية لايشكو علة ولكن الولد أصيب في اليوم الذي بعده بالتهاب الرئة الحاد وتوفي بعد بضعة أيام فهل كان حلم

الدكتور (دى سريمين) من قبيل الاتفاق أم كان بينه وبين وفاة الولد علاقة ما

ومن هذا القبيل ماوقع لسيدة عجوز من أهالي مدينة (فيلادلفيا) بأمريكا منذ سبع سنوات فانها حلت ذات يوم بأن ابنها (وهو رجل كهل) سقط بين عجلات الترامواي وقتل فنهضت السيدة من نومها مذعورة ولما علمت أن مارأته لم يكن سوى حلم عادت فنامت ثانية ولكنها حلت مرة أخرى بأن الترامواي قد قتل ابنها وكان الحلم جليا جدا حتى انها ركبت القطار في صباح اليوم التالي وذهبت الى (نيويورك) حيث كان ابنها يسكن وما كادت تخرج من محطة (نيويورك) ومجتزأ أحد الشوارع حتى أبصرت جمهورا من الناس مجتمعين حول رجل ميت قد دمه الترامواي وكان ذلك الرجل هو ابنها وهو المستر (وليم كوبر) من كبار أغنياء الأمريكيين وقد شهد الكثيرون بصحة مارونه السيدة أنه إذ أطلقت الكثيرين على حلها قبل أن تسافر من (فيلادلفيا) الى (نيويورك) ومن جهة التين شهدوا بذلك العلامة (كاميل فلامريون)

وهناك أيضا أحلام نبيء بوقوع حوادث تافهة . فمن ذلك أن فتاة ارندية حلت ذات ليلة بأنها واقفة في إحدى مركبات السكة الحديدية وحوها أسدقاؤها وما كاد القطار يقوم حتى شعرت بأن يدا قد قلفت اليها برزمة ففتحتها وإذا بها قطعة من الصابون وأخرى من البسكوت وأردت أن ترى ماى بقية البرزمة ولكن القطار دخل في تلك المحطة ففقا مظلا ثم استيقظت . قصت الفتاة هذا الحلم على أمها وجمهور من صديقاتها كن مجتمعات حوها وبعد ثلاثة أشهر كانت مسافرة بأحد القطارات الاسكتلندية فوقع لها مارأته في الحلم تماما ودوى (شوبهار) للفيلسوف الألماني العظيم أنه قلب ذات يوم دولة الخبر في مكتبه ففتح الجرس واستدعى خادمتة لكي تنظف المكان . فلما حضرت قالت له انها كانت قد حلت بذلك الحادث تماما في الليلة الماضية فلم يصدقها الفيلسوف بل ظن أنها تهزأ به فاستدعت الخادمة خادمة أخرى كانت قد قصت عليها حلها واستشهدت بها على صدق كلامها فصدقها (شوبهار)

تري مامعنى هذه الأحلام وكيف نعال وقوعها وهل هي من قبيل الاتفاق أو بينها وبين الحوادث التي تقع حولنا علاقة ما . إن الكثيرين من العلماء يعتقدون اليوم أن في الامكان الانباء بالمستقبل بواسطة الأحلام . يروى عن (ادوين ريد) العالم الطبيعي الشهير أنه حلم ذات يوم أنه كان سائرا في أحد الشوارع فأبصر صليبا من الصليبان التي يضعها المسيحيون على قبورهم وينقشون عليها تاريخ أمواتهم ورأى على ذلك الصليب اسمه منقوشا كما يلى (ادوين ريد توفي في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠)

وقد روى هذا العالم حلمه لجمهور من أصدقائه وهو مضحك وفي ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠ توفي فهل كان من قبيل الاتفاق وهل ثمة شك في أنه كان من قبيل الانباء أو التحذير . ثم ان من الاحلام ما هو بمنزلة تحذير من مصيبة مقبلة . ومن هذا القبيل أن ضابطا أميركيا يدعى الكابتن (مكجون) قد عزم ذات يوم أن يذهب هو وولده الى مسرح (بروكلين) بـنيويورك فطلب من ادارة المسرح أن تحجز له ثلاثة أماكن وفي الليلة السابقة لذهابه الى المسرح حلم أن نارا عظيمة قد شبت والتهمت للمسرح فهلك ثلثاثة نفس وكان الحلم جليا جدا حتى ان الرجل هب من نومه مذعورا وفراشه ترتعد وفي صباح اليوم التالي أخبر ادارة المسرح بأنه قد عدل عن الذهاب هو وولده وفي تلك الليلة عيها شبت نارا هائلة اتهمت للمسرح كله وهلك بالنار ثلثاثة نفس بين رجال ونساء . وقد خص كثيرون من العلماء حكاية هذا الحلم فشهدوا بصحته وفي مقدمتهم

الاستاذ (السرولم بارات) العالم الانجليزى الشهير

ومن الناس من قد استفاد من الأحلام فرج حوائزها فاصيباً والرهن على الجياد الفائزة في ميادين السباق والحوادث التى من هذا القليل كثيرة متعقدة ولكن لا يصعب لرجاع مظلماً الى مبدا الاتفاق الذى تسميه العلاقة المصادقة إلا اذا سلم المرء أن الرقم القلائى من أرقام أوراق البانصيب ريج الجائزة الكبرى وفى الواقع ريج ذلك الرقم الجائزة فان الريج في هذه الحالة لا يمكن لرجلعه الى ناموس الاتفاق بل يجب تعطيله على وجه آخر . إن العلماء يواصلون البحث لمعرفة أسرار الأحلام والوصول الى تعطيلها تعطيلاً علمياً صحيحاً ولا بد أن يتنهدوا الى حل بحسن السكوت عليه فيثبتوا أن الأحلام ليست مجرد مشاهد تعرض للنائم بلاناسب منطق بل ان بينها وبين الحوادث علاقة لاسبيل الى انكارها اه

هذا هو الذى ينقله المتعلمون في بلادنا وهم أنفسهم يسمعون في منازلهم ومن أصحابهم بمصر وغيرها أمثال هذا كثيراً ولا يصبرونه التفاتاً ولا بحثاً حتى اذا سمعوه من أهل أوروبا كتبوه . هذا هو الجهل واستقار النفس وسيأتى يوم يعرف فيه الشرق أن له أحلاماً وأن له عقلاً وأنه يفكر ويفهم ما في نفسه وما حوله اه

(اللطيفة الثالثة في الحسد وأسبابه)

اعلم أن الحسد لا يكون إلا بين للشاركين في حل كالبجار والسرور والقريب والمشارك لك في صناعة وتجارة أو زراعة أو إمارة أو علم أو سبق أو لقيم معك في مدرسة أو منزل أو شارع . وكلما ارتفع صيت الانسان حسده من يشاركه في ذلك الصيت وترى العالم لا يود أن يشاركه في ذلك المجد أحم . ويزداد الحسد كلما ازداد الصيت وحسن الذكر . وهذه الخصلة إنما أوجدت في الانسان لطلب المجد والرفعة وعلق الشآن وليساقى الانسان غيره في الفخر والتضائل والمجد فتربو الأحوال ويكثر العمل ويزداد العمران . وما من خصلة تخلف في الناس إلا ولها فوائد لمنافعه ومنفعة هذه الغريزة ما ذكرناه فيجارى الرجل غيره ويريد مسابقتها وهذه تسمى (الغبطة) وهى محمودة فلما أن الانسان يسعى لازالة الفضل عن المحود فهذا هو للمنموم . ويظهر أن هذه الأرض من الموالم للمنحطة لأن الذين يسكنونها لا يتناولون الفضائل إلا مقرونة بما يؤذى ويؤلم وهل في العوالم من هو أصنى وأنى وأرقى . ولعل أهل الأرض يوماً ما يصلون الى هذا المقام . ولذا كنا نرى الأغنية فيما تقدم لها أثر في أحوال الرقى والصور التى تتخيلها في منامنا وهكذا يقول علماء الحيوان أن الحيات السامة لا تكون إلا حيث يكون العشب فاسداً وللسنقعات عفة . فلما الحيات التى لاسم لها فاتها أكثر من التى لها سم وتبلغ ثلثمائة نوع وهى ثلاثة أضاعاف الى لها سم وما السم إلا من آثار الغذاء السيئ والأعشاب النابتة في المواضع المستوحدة فالسم إذن نتيجة الأغذية فهكذا تقول إن أرضنا طبعها هو الذى نحن عليه أى ان طبيعتها ومناخها لا يحوى إلا أناساً هذه حالهم تخلف فيهم المضائل تكتنفها الرذائل كما يكتنف المرض الأغذية فتحدث فينا حمى يتلوها مرض فحوت . هذا طبع أرضنا فالحسد فينا وغيره من طبائع هذا العالم العلم بلطه ويهذه فلابد من الفلسفة وجدا في الأرض ليطبق من طباع الناس كما لطفت حرارة الشمس كل ماعلى الأرض وأثرت فيه ونما كل حيوان ونبات فتنسب العلوم والميانات الى غرائزنا كتنسب ضوء الكواكب الى الخبوقات الأرضية هذا هو المقصود من ذكر حسد بنى يعقوب ليوسف عليه السلام في هذه السورة . انتهى الكلام على القسم الأول ولطافته

(القسم الثانى)

إِذْ قَالُوا لْيُؤَسِّفْ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ امْكُرُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ • قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ • قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ • أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ • قَالَ إِنِّي لَخَشِئْتُ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ • قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا خَاسِرُونَ • فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ • وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ • قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ • وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِيهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ • وَجَلَّتْ سَيَّارَةٌ فَأَنْزَلُوا وَارِدُهَا فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ • وَشَرُّوهُ بِشَيْنٍ نَجَسٍ ذَرَاهِمَ مَمْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ •

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (إذ قالوا ليوسف وأخوه) واللام لام القسم أي والله ليوسف وأخوه بنيامين وهما من أم واحدة وهي راحيل (أحب إلى أبنائنا) إنما واحد أفضل لأنه إذا لم يكن فيه آل ولم يكن مضافاً لا يفرق فيه بين الواحد وغيره ولا بين الذكر والمؤن والخال اثنا (عصبة) جماعة أقرباء فمن أحق بالحببة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والصبابة العشرة فصاعداً وسما بذلك لأن الأمور تصب بهم (لأن أبانا لي ضالالين) غلط بين في تدبير أمر الدنيا • وكيف يؤثر حب يوسف علينا مع صغره وعدم تقعه ونحن عصبة نقوم بحصله من أمر دنياه وإصلاح مواشيه • وكيف يترك حبة من هم أكبر سناً وأكثر علماً وأشد بأساً وقوة ومنفعة وفائهم ما قاله بعض فصحاء العرب لكسرى لما سأله أي بك بك أحب إليك قال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يورث والمرضى حتى يبرأ • ويوسف كان صغيراً وفوق ذلك كانت تظهر عليه مخالب النجابة والذكاء وقوى ذلك الرؤيا الجميلة الملهمة على مستقبل باهر • ثم إن أفضل أخوة يوسف كانت قبل أن يوحى إليهم فيكونوا أنبياء والعصمة للأنبيا بعد النبوة وثبوتها والأفضل من الكبار وخطاب الأب بقل ما تقدم حقوق وكل ذلك قبل النبوة التي ثبت لهم فيها بعد (أقتلوا يوسف) هذا من جهة ما قالوه كأنهم اتفقوا على ذلك إلا من قال - لا تقتلوا يوسف - (أو امكروه أرضاً) منكورة مهجورة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وقلبك نسبت كالظروف للهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم أقبالاً واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والرد بالوجه الثالث فلا يشغل عنكم شاغل في محبة وقوله - يخل - جواب الأمر وعطف عليه قوله (وتكونوا من بعده) من بعد يوسف والفراغ من أمره أو قبله أو طرحه (قوما صالحين) مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تهمدونه أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينظم لكم بخلا وجه أبيكم (قال قاتل منهم) وهو يهودا كما قيل وهو أحسنهم رأياً (لاقتلوا يوسف) فما أعظم أمر القتل (والقوة في غيبة الجب) أي قهره

سمى به لغيرته من العيون • والجبة البئر الكبيرة التي لم تطو وسمى بذلك لأنه جبة أى قطع ولم يملأ
وفي موضع هذا البئر خلاف لأقامة في ذكره (بالتقط بعض السيرة) رفعه بعض الذين يسعون في الأرض
(إن كنتم فاعلين) به شيئاً أو فاعلين بشئوني (قالوا) وقد عرفوا أن أباهم أحسن منهم بما أوجب ألا يأمنهم
عليه (يا أبانا مالك لاتأمننا على يوسف) أى لم نخافنا عليه ونحن زبد له الخير ونشفق عليه وهذا قوله (وانا
له لناصمون) يريدون بذلك استزاله عن رأيه في حفظه منهم ثم رغبوه بما ضلوه بقولهم (أرسله معنا غدا
يرتفع) يتسع في أكل القواكه ونحوها من الرتبة وهي الحب والسعة (ويلعب) بالاستباق والانتقال والصيد
والركض (وانا له لحاظون) من أن يناله أذى (قال لى ليحزنى أن تذهبوا به) أى ذهابكم به لشدة
مفارقة وقلة صبرى عنه (وأخاف أن يأكله الذئب وأتم عنه غافلون) لأنه رأى في المنام أن الذئب قد عد على
يوسف والأرض كانت منلبة (قالوا) والله (لئن أكله الذئب) والحال اننا عصبه فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع
(إنا لئن لخاسرون) ضعفاء وكيف نحفظ مواشينا من الذئب إذا أكل أماناً وأى خسارة أكبر من هذوهمنا الجلة
جواب القسم أجزأت عن جواب الشرط ثم انه أرسله معهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجملوه في غيابة الجب)
أى عزموا على القائه في أسفل الجبة • وهذه البئر كانت على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما تخوف
تقديره أقسموا على فعلهم وقد ائتمت رواية أكثر المفسرين أنهم لما برزوا للبرية أظهروا له الصداوة
وضربوه وكادوا يقتلونه ففهم يهوذا فلما أرادوا إلقاءه في الجبة تعلق بشلبهم فزعرها من يده فتعلق بحائط
البئر فربطوا يديه وزعروا قيصه ليطغوه بالسم فيحتالوا به على أيهم وأدوه في البئر وكان فيها ماء فسقط فيه
ثم أرى الى صخرة فقام عليها وهوى بكى • وكان يهوذا يأتيه بالطعام والشراب • وقد أطال بعضهم وبعضهم
اختصر • ونحن لانسق إلا ما جاء به القرآن أثبت بالسنة الصحيحة فان ثبت بها فلا • ثم انه
لما آوى الى الصخرة في غيابة الجبة بكى فجاءه جبريل عليه السلام بلوحى كما قال تعالى (وأوحينا إليه) أى
الهداية كما في قوله تعالى - وأوحينا الى أم موسى - (لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) فألم الله يوسف
لتخبرن اخوتك بسنهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف لتلق شأنك • والقصد من
هذا الاطمان تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هوفيه من الحنة ويصير مستولياً عليهم
ويصبرون تحت أمره وقهره • واعلم أنه لولا ما يخلص به عظماء الرجال في قنوسهم من عزيمة صادقة وأمال
قوية وأحادية نفسية توقع الأمل في قلوبهم مابلغوا مقاصدهم ولا نالوا ما ربههم • ومستحيل أن يقوم عظيم
بأمر عظيم إلا بأمال نصب عينيته يرى اليها وهو اجس قوم بنفسه تسليه على مصائبه وتشدد عزائمهم وتقوى
رغائبه والا فلا أعمال ولا عظماء وليس ذلك لهم وحياً وانما هو خواطر تسليم القلب مهبط التجلى الالهى
- والله من وراءهم محيط - ثم قال تعالى (وجاؤا أباهم عشاء يكونون) يقول الله جلاؤا أباهم آخر النهار بعدما
طرسوا يوسف في الجبة مجترئين على الاعتذار الكاذب • وكان ذلك البكاء حين قربوا من منزل يعقوب
وهم يصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما راهم قال بالله سألتكم يا بنى هل أصابكم شئ
في غنمكم قالوا لا قال فما أصابكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أى نتسابق في الصدور أوفى
الربى (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) وقوله - بمؤمن - أى مصدق لنا
(ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط عجبك ليوسف وقوله (بسم كذب) وصف بالصدر مبالغة كأنه
نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته • روى أنهم ذهبوا سحلا وطمخوا
القميص بدنها وغاب عنهم أن يشقوه فقتل يعقوب كيف أكله الذئب ولم يشق قيصه فاتهمهم بذلك (قال)
يعقوب (بل سؤلت) زينت أو سهلت (لكم أنتمكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (فصبر جيل) أى فأمرى
صبر جيل أو صبر جيل أجل وهو مالا شكوى فيه الى الخالق (واهة للمستعان) أستعينه (على) احتمال

(ما تصفون) من هلاك يوسف (وجاءت سيارة) رفته يسرون من مدين الى مصر فزلوا قريبا من الحبس بعد ثلاثة ايام من القائه فيه (فأرسلوا واردهم) التي يتسلم الرقعة الى الماء فيبيئ الارشية والذلاء * يقال أدليت اللؤلؤ اذا أرسلتها في البئر ودلوها اذا أخرجتها فتعلق يوسف عليه السلام بلحبال وكان أحسن ما يكون من الضمان * وروى أنه أعطى شطر الحسن وهذا قوله (فأدلى دلوها قال يا بشرى هذا غلام) نادى البشرى أى هذا أوتاك فاحسرى كأنه يقول لأصحابه أبشروا * وفي قراءة - يا بشرى - (هذا غلام) صلح بذلك لما دنا من أصحابه يبشرهم به (وأسروه) أى أخفى الولد وأصحابه أمر يوسف عن بقية الرقعة وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه بل يختص به الوارد وأصحابه دون بقية السيارة * وقيل ان يهوذا كان يأبى يوسف بالطعام كل يوم فأناه يومئذ فلم يجده فاعبر اخوته فأثروا الرقعة وقالوا هذا غلامنا أبى منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه وقوله (بضاعة) حال اى أخوه حال كونه متاعا للتجارة . والبضاعة ما بضع أى قطع من الدل للتجارة (والله عليم بما يعملون) أى لم يخف عليه أسرار السيارة أو صنع اخوة يوسف بأيهم فيجعل ذلك سببا لتحقيق رؤياه حتى يسبره بعد في مصر (وشروه) يطلق شرى على البيع والشراء وكلاهما يصح هنا فيقال باع يوسف اخوته (فمن يحس) مبخوس ناقص عن القيمة قصاصا (درهم) بدل من ثمن (معدودة) قليلة تمتد عددا ولا توزن وزنا لأنهم كانوا يعثون مادون الأربعين ويزنون لأربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف . هذا اذا جئنا شرى بمعنى باع ويصح أن يقال وشروه أى اشتراه الرقعة من اخوته وكانوا غير راغبين فيه لأنهم اعتقدوا أنه أبى . انتهى القسم الثاني من السورة

(القسم الثالث)

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَخْرَاجِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَانًا لِّيُوسَفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنَعْلَمَنَّ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي يَدَيْهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِنَّ وَلَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَأَسْبَقَ الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَةَ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَقِيَ الْبَابَ قَالَتْ مَا جَزَاكَ مِنْ أَرْدَا بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَأَوْدَتِي مِنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَيْصَةُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِن كَانَ قَيْصَةُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَىٰ قَيْصَةُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِن كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ *

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ • قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا كُرِهْتُ لَيُسْجَنَ وَلَيُكُونَا مِنَ الصَّاغِيرِينَ •

(التفسير النفلي)

قال أصحاب الأخبار إن الذي اشترى يوسف من اخوته بعد أن أخرجه من الحب هو مالك بن خنصر وأصحابه الذين أخفوا أمره عن بقية السيرة ولما اختروه انطلقوا به إلى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوتقوا منه لا ياتي منكم فذهبوا به حتى قلعوا مصر فعرضه مالك على البيع فاشترله قبطير وهو صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز • ويقال إن يوسف كان ابن ثلاث عشرة سنة أو (١٧) سنة ويقول أهل الأخبار إن الملك كان يسمى (الريان بن العماليق) وليث يوسف في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين على الرأي الثاني • وأعطى العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن (١٢٠) سنة • وأما من قبل الله بيع بوزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريراً وقيل لا بل هو عشرون ديناراً وزوجاً فعل وثوبان أيضاً وهذه أمور لا دليل عليها البتة • قال تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لاسمائه السمة زليخا أو راعيل (أكرى مثواه) اجعل مقامه عندنا كما أي حسناً أي أحسن تعمله (عسى أن ينفعنا) في ضياعنا وأموالنا ونستظهره في مصالحنا (أوتخذناه ولداً) تبناه وكان عقبا وقد قرئ فيه الرشد • يقول العلماء (أفرس الناس ثلاثة • عزيز مصر • وابنة شعب التي قالت يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر) • يقول الله وكما مكنا بحيته في قلب العزيز مكناه في اللزقة بعد أن أنجينا من الهلاك بكيد اخوته (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أي أرض مصر وجعلناه ملكاً ليتصرف فيها بالعدل (ولعلمه من تأويل الأحاديث) فهذا التمكن لتبجيتين (١) أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس (٢) وأن يعلم معاني كتب الله وأحكامه وتفسير اللغات المسببة على الحوادث السكائنة ليستعد لها ويشتمل بتدبيرها قبل أن تحمل كما فعلت بصلوات مصر في السنين السبع الآتي ذكرها وذلك بتأويل الرؤيا واستطلاع الأمور قبل حلولها والاستعداد التام (ولله غالب على أمره) لا يردّه شيء في أمر يوسف وغيره وقد أراد أخوة يوسف أمراً ودير الله غيره فظلمهم ومكروا مكراً ومكروا مكراً وهم لا يشعرون (ولكن أكرم الناس لا يعلمون) لطاف منه وخفايا لطفه وأن الشر الظاهر قد يكمن فيه الخير الكثير كما حصل ليوسف في الحب وأن الخبر والنصر الظاهري قد يكون وريده التلمذة والخسرة كما نصر أخوة يوسف عليه السلام ورموه في الحب ثم انتهى الأمر بأن صار سيدهم وأن مافعلوه به كان من أسباب ارتقائه (ولما بلغ أشده) منتهى استعداد قوته وهو سن الوقوف مابين الثلاثين والأربعين سنة أو إحدى وعشرون أقوالاً لا طائل في تحقيقها فلندعها (آتيناه حكماً) حكمة وهو العلم مع العمل أوحكاماً بين الناس (وعلمنا) أي علم تأويل الأحاديث (وكذلك نجزي المحسنين) أي وكما جزينا يوسف على إحسانه في عمله وقواه في عفوان شبابه نجزي المحسنين فتم لهم أمورهم ونؤتيهم ما يستحقون من الكمال • ثم أخذ يذكر صف الأحسان الذي نشأ عنه أنه جوزى بأنه أوتي حكماً وعلماً فقال (ورأودته التي هوى في بيتها عن نفسه) طلبت منه أن يفعل للمصيبة معها من راد يروذ إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد والمرادة مفاعلة وفي ذكر الاسم للوصول

وتبين أن يوسف في بيتها ثم تعلق الأبواب واستعدادها له لعلاؤه لشان يوسف ومقام عظيم في البلاغة في هذه الآية لأن ذكر الاسم فضيحة وكروه في بيتها أدعى إلى موافقتها وتعلق الأبواب كل ذلك دأب إلى الموافقة فان للستر لاسيا مع من يملك أمره يفعل ما يظن له الذي استبان فعله وظهر أمره وانكشف حاله وقدر اوده من لا يملك له أمرا ولا يملك له قضا ولا ضرا . فالعفة مع هذه الأحوال أرقى ما وصل إليه الأخيار وهذا هو قوله تعالى (وغلقت الأبواب) السبعة على ما قبل والتشديد مبالغة في الاستيثاق (وقالت هيت لك) أى أقبل وبادر أوتيتأت وهي اسم فعل مبنى على الفتح أو على الكسر أو على الضم قرأت واللام في - لك - للتبيين كقولك سقياك ومنهم من قرأها - هيت - بالفتح وكسر الهاء وهت لك كجئت من هاء بهيئة إذا تهايا ومعنى اسم الفعل المنتقم لا يضرها ضم ولا فتح ولا كسر لأن هذه فتحات البناء فلفظي اما تيتأت واما بادر في جميع تلك اللغات (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذنا (إله) أى الشأن (رى أحسن مثواى) سيدى قطير أحسن تعهدى إذ قال لك - أكرمى مثوله - فما جزؤه أن أخوه في أهله ويصح أن يكون الضمير لله أى انه خالتي وأحسن منزلي بأن عطف على قلب العزيز فلا أعصيه تعالى والأول أقرب (إله لا يضلح الظالمون) المجزون الحسن بالسيء (ولقد همت به) قصت عظامته ولهم بالكى قصده والعزم عليه (وهم) بها لولا أن رأى برهان ربه * حتى أوحاهم عن أى عبيدة أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أى ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لم يهم بها . أقول وهذا المعنى هو الموافق لمساق الآية . ألا ترى أنه - قال معاذ الله إله رى أحسن مثواى - وهذا نفسه هو البرهان من ربه وفى التعبير بلفظ الرب نكتة لطيفة وأى برهان أعظم من هذه القضية وهي أن الانسان يجب أن يحفظ نعمة الربى والسيد سواء أكان خالقا أم مخلوقا فهذا هو البرهان وهذه صورته هذا رى أحسن مثواى ركل من أحسن إلى انسان وجب عليه تكثيره فتكون النتيجة هكذا . هذا العز يزجى شكر نعمته ولا شكر لمن ثان سيده . فهذا برهان منطقي ديني حسن . فالبرهان في الآية مذكور فكيف كثوفيه الاختلاف ولا حاجة إلى الاطالة في هذا المقام كأن يقال إله رأى صورة يعقوب إنها أوانه رأى معها بلاعضد وعليه مكتوب ما يفيد تحريم الزنا أو أن البرهان هو التوبة قد علمت أنه لا حاجة اليه بعد وضوح الآيات . وتجب كيف عبر بلفظ - ربه - في الأول ثم قال - برهان ربه - وللعرة لذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فالرب الأول سيده والرب الثانى هو عينه كأنه يقول - لولا أن رأى برهان سيده وحفظ حقوقه لم يهم بها وهذا التفسير يعضد ما سبق ذكره وما سياتى . وذلك أن كل من له تعلق بهذه الواقعة شهد ليوسف بالبراءة للمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن أيديهن وذلك الحكيم فريها الذى شهد على القميص والله أيضا شهد ببراءته من اللدب ويوسف برأ نفسه . أما للمرأة فلها قالت - ولقد راودته عن نفسه فاستعصم - وقالت - الآن حصص الحق - لى قوله - وانه لمن الصادقين - . وأما زوجها فقال - إله من كيدكن إن كيدكن عظيم - لى قوله - إنك كنت من الخاطئين - . وأما الشاهد فهو ما قال الله - وشهد شاهد من أهلها - . وأما الله فقد قال - كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إله من عبادنا المخلصين - وأى اخلاص لمن هم بالمرأة . وأما هو نفسه فانه قال - هى راودتني عن هسى - انتهى

ثم قال الله تعالى مثل ذلك التثيت ثبتناه (لنصرف عنه السوء) الحياة (والفحشاء) الزنا (إله من عبادنا المخلصين) الذين أخلصناهم لطاعتنا (واستبقا إلى الباب) أى تسابقا إلى الباب لحذف الجار أرضمن الفعل معنى الابتسار أى ابتدرا الباب . فأما يوسف فقد فر منها لينخرج . وأما هى فأسرعت وراءه لثمة الخروج ولجذبه من وراءه فأخذت قميصه . والقد الشق طولا . والقط الشق عرضا وهذا قوله تعالى (وقدت قميصه من دبر) وقوله (وألميا سيدها) أى وصادف زوجها (لى الباب) قالت ماجزاه من أراد بأهلك سوا إلا أن

يسجن أو عذاب أليم) فهي بذلك ضربت طيرين بحجر واحد فهي من جهة تبرئ نفسها ومن جهة تخيف يوسف حتى يطاوعها فلا تقترى عليه بعد ذلك وما نافية أو استهلامية أي أي شيء جزاؤه إلا السجن (قال هي راودتني عن نفسي) طالبتني بالمؤاناة (وشهد شاهد من أهلها) وهو قريب لها كان حكما عاقلا والشهادة على لسان حكيم من أهلها ألزم • والمعنى وحكم ما حكم من أهلها قتال (إن كان فيه قتل من قبل) أي من قتلهم (فصدقت وهو من الكاذبين) لأنه يدل على أنها قتلت نفسه من قدام بالدفع عن نفسها (ولأن كان في نفسه قتل من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لأنه يدل على أنها تبخه فاجتذبت ثوبه فقتله (فلما رأى قطيرا من الشاهد (في نفسه قتل من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال إنه من كيدكن) أي من قولك - ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلخ - وكذلك الاحتيال على الرجل (إن كيدكن) معاش النساء (عظيم) لأنهن أطف حيلة وأعظم كيدا فيظن الرجال • قال بعض العلماء (إني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى قال - إن كيدكن عظيم - وقال - إن كيد الشيطان كان ضعيفا -) • وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد إن هذا الشاهد لم يكن صبيا بل كان رجلا حكما • وحكي أيضا أنه ابن عم للمرأة وهذا الرأي وجهه فهو أولى من ذكر أنه صبي (يوسف أعرض عن هذا) أي يابوسف أترك هذا الحديث ولا تذكره فلا يشقويين الناس أولئك كثرت بهذا الأمر ثم التفت إلى المرأة وقال (واستغفري لذنبك) ياراعيل (إنك كنت من الخاطئين) من القوم اللذين من خطيئ إذا أذنب متعمدا وفيه تغليب المذكر على المؤنث وخلوها بخيانة زوجها ومريم يوسف بالثمة وهو برىء • وفي هذا دليل على أن العزيز حكيم قليل الغيرة إذ لم يزد على ذلك مع امرأته ولذلك كثرت الإشاعة حتى اتهمها نساء المدينة بأنها راودته عن نفسه (وقال نسوة) اسم لجمع امرأة ولم يؤث فيه لأنه بهذا الاعتبار أثبت غير حقيق أي أشاع جماعة من النساء وكثر خسا من أشرف مصر في مدينة (عين شمس) التي كانت عاصمة لبلاد (امرأة العزيز) زليخا (راود فتاحا عن نفسه) أي عبدا الكنعاني والفتى معناه الشاب حديث السن (قد شغفها) أي شق شغاف قلبها وهو حجابها حتى وصل إلى فؤادها أو شغفها من شق البعير بالقطران فأحرقه (إنا نراها في ضلال مبين) في خطأ بين ظاهر (فلما سمعت بمكرهن) وسعى مكرها لأنها أفتت اليهن أمرها واستكنتهن سرها فأفتيتهن عليها (أرسلت اليهن) تدعوهن وقيل كانوا نحو أربعين (وأعنت لهن متكأ) وهيات لهن ما يتكئن عليه من غمارق ومساند ويطلق المتكأ على نفس الطعام فإن كل من دعوته ليطلع عندك قد أعدت له ومساند يجلس ويتكأ عليها فيكون الطعام متكأ على سبيل المجاز • وسواء أكان المتكأ هو ما يتكأ عليه عند الطعام أو الشراب أو نفس الطعام فإن للمسك واحد وأن امرأة العزيز أعنت لهن الطعام وفيه اللحم طبا والفاكهة (وأتت كل واحدة منهن سكيناً) كما هي العادة المتبعة الآن في الطبقة العليا في مصر وفي المدارس تقليد للأوروبيين وانتظاما في سلك للتدنيين الناقلين لها عن قدمائنا المصريين فإن الموائل اليوم عند هؤلاء لا بد فيها من سكين لقطع اللحم وأخرى لقطع الفاكهة • فلما أخذن يأكلن وأمست كل واحدة يسكنها انتهزت تلك الفرصة (وقالت أخرج عليهن) يابوسف وهو لا يصح لها أمرا بعد أن زبته وخبانه في مكان آخر (فلما رأيته) أي رأى النسوة يوسف (أكبرته) أعظمته ودهشن عند رؤيته وحين ذلك الحسن الرائي والجمال الفائق وقد أعطى يوسف شطر الحسن • ويقال معنى - أكبرته - حسن يقال أكرت المرأة حاضن والماء للسكر لا مفعول لأن الفضل لازم وإذا صح هذا المعنى يكون ذلك تفرغهن وما حالهن من أمر يوسف • وهذا المعنى هو الذي قاله أبو الطيب

خف لله واسر ذا الجلال يبرقع • فإن لحث لحضت في الخلدور العواقر

واعلم أن أعظم النساء ليوسف وإجلاله لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيا الرسالة وآثار الخضر والاختبار

وشاهدن فيه مهابة وهبة ملكية وعدم التفات الى الشهوات من النساء والطعام . فإذا كن الجبال مقرونا
بتلك الصفات حتى لمن أن يهينه (وقطعن أيديهن) وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي مهنن وهنن
يظن أنهن يقطعن الأثرج ولم يحسن بالألم فترط دهنهن فما أحسن إلا بالهم (وقلن) أي النسوة
(حاش لله ما هذا بشرا) أي معاذ الله أن يكون هذا بشرا وكيف يكون بشرا والجبال القاني التي فضل
كفضل القبرلية البدر على نجوم السماء يسجبه عفة ومكرم أخلاق وحفظ شرف وحسن معاشره ومقابلة
الحسنة بتلها وهذه صفات الملائكة للذين هم من شهبوات أهل الأرض (إن هذا إلا ملك كريم) ويحتشد
وصلت زليخا الى ما كانت تصده من دعوتهن للطعام فلما رأت ذلك (قالت فذلكن التي لتثنى فيه) أي
هذا هو البعد الكنعاني الذي صورن في أنشكن ثم لتثنى فيه فلما رأين عرفن (وقدر راودنه عن نفسه
فلتسغم) أي امتنع فقال النسوة له أطع مولاتك قتالت زليخا (ولكن لم يفعل ما أمره ليسجبن وليكونن
من الصاغرين) أي ما أمره به ويسجبن بحسن وقوله - من الصاغرين - أي السراق والسفاك والافاق
كما سرق قلبى وسفك دى بالفراق وأبقى منى فلايتها ليوسف طعام ولاشراب كما معنى كل ذلك * يقال صفر
كفجر صفرا وصفرا ذل - فأما صفر كظم فهو ضد كبر انتهى . وهنا لطيفتان

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - فلما رأته أكبرته وقطعن أيديهن الخ)

اعلم أن هذه القصة لم تذكر تعرف جمال يوسف أولئهم أن نساء مصر قطعن أيديهن لحب كلاً وانما
هذه الآيات ترى لمان أعلى ومراق أبهى وكالات أتم وعظمت أرق ترى الى الاعتبار والاتعاظ أخلاقا
وعلماء . إن الجبال محبوب والناس متى غفلوا عن الجبال كانوا جهالا . إن جمال الوجوه وحسن الفتيات
وبهجة الفتيان يعرفها العلم والخاص وجمال الرجل والنساء معروف مشهور . إن الناس لا يفقهون من
الجبال إلا ما ذكرهنا وأضرابه وهو شائع بين العامة وسائر الخاصة . ولكن هناك جمال أجل وحسن أعلى
وبهجة أرق قد شرحناها فيما مضى في هذا الكتاب وهو جمال هذه الدنيا وبهجتها بل جمال الله الذي تجلى
في وجوه السموات والأرضين ذلك الجبال الذي حجب عن الجهال وتفتح به لكبر الحكماء والخواص وترغوا
به ذلك الجبال البديع في بهجة هذه الدنيا . وإذا كان النساء قد غابت عقولهن وقطعن أيديهن لرؤية يوسف
وهو مخلوق في العالم فما بالك بمن يعاين رموز هذا العالم ويقفون على بعض أسرارها وبهائبه ويرون ما تقطع
دونه الأعناق وتقف حيرى دونه الأبواب . أفليسوا على حق إذا هم قطعوا أعمالهم في مجابهة وضيموا
ثروتهم في التمتع به ويدلوا راحتهم في سبيل درسه أولئك هم المانعون حقا . أولئك هم المخلصون صدقا .
أولئك هم الذين نظروا الجبال . أولئك هم الذين فازوا بالوصال . أولئك هم الرجال . هم الذين يقطعون
قلوبهم ويمزقون أجسامهم بكثرة الفكر والعمل فلا يكتفون بتقطيع الأيدي لأن هذا الحب الأذنى وأين
الأذنى من الأعلى . وهل أنتك بما رأيت البلية في المنام حين وصلت الى هذا المقام أذكره هنا تذكرة
للعقلاء وتبصرة للفضلاء وترويحاً من العناء ومسامرة للأجلاء

تذكرت هذه البلية ما اتفق لي منذ نحو ١٢ سنة إذ زرت صديقالى بحلوان وهو عالم بعلم النبات مجتهد
في تحصيله داب على جمع كتبه بمرسه للتلاميذ وبعده لأبناء النيل فأخذنى الى حجرة خاصة فيها آلة لينظر
بها أدق الأشياء وأصغر الذرات بطريق التكثير وهي آلة زجاجية على هيئة خاصة بطريق علم المناظر قبل
وجها بلقاء بلا ووضعا وضعا خاصا فطرت بركة كبيرة فيها ماء غزير عمادة حشائش وحيوانات مختلفة
عجيبة الشكل وبعضها يتناول طعامه ببجلة يديرها دورات سريعة وفي خلال دوراتها تلتقط له بعض القوت
فيقتل به وهناك أشجار عظيمة لها فروع عجبة . كل ذلك في رطوبة على وجه الزجاج . هذا ما أحضره
لتحليل البلية في منامى وهذه ليست رؤيا وانما هي من الصور التي تحضرها الخيلة من الخيرون فيها كما تقدم في

أقسام الرؤيا في أول السورة • ولعل القليلة لما أضرت هذه الصورة التي شاهدتها في حلوان مع ذلك الصديق العالم النباني كانت مفكرة في الجبال وكأنها أضرت كما تكون درسا لا كتبه في هذا المقام من دروس الجبال الطيبى في هذا العالم الذى خبأ الله عن الجاهلين وأبرزه اليوم في هذا الكتاب وفى غيره للسلمين ليحفظوا به • وإياك أيها القطن أن تقول ان هذا تمحل في القول فانك ترى من نوع الانسان من يرمون بعلومهم الى درجة الجنون • ومنهم من يموتون من جوعهم في علمهم • لافرق في ذلك بين العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية والدينية وغيرها ومستحيل أن يكون ذلك إلا بالعتق والفرار فهذا غرام وغرام وهيام وأى هيام فليكن غرام السلمين بالعلوم اليوم وليعلموا أن هذه السورة انما جاءت لأمثال هذه المعاني التي أعتت لقوم يعلمون وان لم يكن العلم عن حبة فليس يعلم

(رأى أفلاطون في العلم)

قال أفلاطون إن رئيس الجمهورية يجب عليه أن يفتح لطبقة الأمراء ورؤساء الأجناد باب اللغة العقلية ولا يدعهم قاصرين على اللغة الشوية والنضية فهاتان اللتان دأبتان مع الانسان فهو بطبعه ميال للطعام والشراب والاختلاط الجنسي ولقلب الأعداء ولكنه لا يفتح له باب حب العلم والفرام إلا اذا زينت له طرقه واطلع على جماله وعرف بهجته فذلك هو السواء الوحيد لئلا الرشوة • فأما الاختصار على عينك الشهيدين فانه يوجب أن يكون الأمراء مغرمين بمشاركة الأتمة في أموالها وأعراضها • فأما لذا فتح باب العلم فانهم يجحدون لغة جديدة يكتبون بها عن ازدياد لغة الواقع والطعام

(اللطيفة الثانية جمال يوسف في علم الحديث وفي علم الموسيقى والجبال)

قال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم • وروى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (رأيت ليلة أسرى في الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر) ذكره البغوي بغير سند • وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر تلا لا وجهه على الجنان • هذا ما عرفت عليه من الحديث في حسن يوسف • أقول تفكر أيها التلميذ في حسن يوسف ولم ذكر في هذه السورة • إن القرآن لم ينزل مجرد قراءتها • كلا • ولا لاعتراها ولا لحرقة القصة لحسب وانما جاء للاعتاظ بها • وقد قدمتنا في أول تفسيرها بعض ما تشبه اليه من للعاني • فأما الحسن فهذا وقته فلنشره بعض الإشارة لتكتفي بالقليل عن الكثير فاقول

أنظر كيف ذكر القرآن جمال يوسف وجهه ﷺ كالقمر ليلة البدر وحسن يوسف ما هو إلا بعض ما في هذا العالم من الجبال التي يجب النظر فيه والبحث عنه والتفكر فيه • وإذا كان قصص يوسف أحسن القصص وجماله أحسن الجمال قصصة الجمال العام والحسن التام في نظام السموات والأرض أجمل قصصا وأحسن أملا وخير نورا وأعظم بهجة • فالنظر في الجبال الجزئي يدعو للنظر في الجبال الكلية

إن هذا العالم الذى نعيش فيه عند علماء الملك والموسيقى والطبيعة كله جمال في جمال وليس هذا المقام يتسع لتلك فانك اذا تدبر جمال العالم فانك تحتاج الى العلوم الرياضية كلها والطبيعية • ولكن لأذكر لك ما يثلج صدرك فأقول • إن جمال الوجه في تناسب أربعة أشياء وهى النعم والأفت والعيان والحنان • فهذه ان تناسبت كان الجمال وان تنافرت لم يكن جمال والتناسب والتنافر بحساب دقيق • اعلم أن الشبر هو مقياس جميع أعضاء الانسان • فقالوا إن طول عينه ثمن شبره وطول آذنه ربع شبره • وكذلك شقفه وشفتيه كل منهما ربع شبره فان زاد أو قص لم يكن جمال وكان القبح على نسبة التفات • ويقولون انه اذا فتح بطنه كالطائر كان ما بين أصابع يده الى مرفقه يساوى مقدار ما بين مرفقه الى رقبته يساوى مقدار ما بين رقبته الى مرفقه اليسرى يساوى ما بين مرفقه اليسرى وأطراف

أصابعها فكل واحد منها شبران • وإنما ذكرت لك ذلك لتعرف أن الشبر هو المقياس سواء أكان بأجزائه كما في النجم والآف أو بمضاعفاته كما هنا ولأقتصر لك على ذلك في هذا المثال قد كفك وأفادك واعلم أن الجبال التي رأيت في الأجسام جسم يوسف التي نحن بصدده التابع للحساب هو بعينه الذي يكون في الكلام فإن الشعر والوسيقى مبنيان على التحركات والسواكن • ولولا أنك نظرت بحر الطويل لوجدت اللذة في سماعه راجعة إلى حسن النسبة بين متحركاته وسواكنه • وأنت تعلم أن قولن مفاعيلن أربع مرات ٤٨ حرفا إذا كان غير مزحف ٢٨ منها متحركة وعشرون حرفا ساكنة وهي منقسمة (أربعة أقسام)

(١) فتقول ٢ : ٥ : ١٤ : ١٠ : ١٤ : ١٠ : ٢٨ : ٢٠

(٢) فهذه نسبة هندسية نسبتنا متحركات ريع البيت إلى سواكنه فكانت كقسمة متحركات نصف البيت إلى سواكنه وهذه منسوبة إلى متحركات وسواكن البيت كله وهذا ظاهر للأذكياء العالين بالشعر وبالحساب • فهذا جلال تشهده الأذان لأنها تزن الحركات والسكنات فتفر من غير التناسب وتستلذ بالتناسب كما ضلت العين في الجبال سواء بسواء لافرق بين جبال يوسف ونعمات الأوتار فكما تعرف أعيننا بمقاييس الأعضاء المتقدمة ونحكم ولاعلم لنا بأسباب الحكم هكذا تحكم آذاننا في نعمات الأوتار وجهائنا (٣) ومثل ذلك نظر العقل التي لا يحصى به الإلهام الفلك الذين يشكرون في دورات النجوم والشموس والأقمار ويرون أن النسب محفوفة بحيث إنك لو راقبت السنين القمرية ولا حظت البسيطة والسكينة لوجدتها في كل ثلاثين سنة (١٩) سنة بسيطة و ١٩ سنة كبيسة والور عندهم ثلاثون في جميع العصور والعصور والنور الكبير (٢١٠) أي ٧ في ٣٠ ويمكننا أن نقول هنا ما فعلناه في بيت الشعر سواء بسواء فبرى هناك انتظام تلم وأدول متالية تقاس كما تقاس النعمات وكما يقاس النجم والآف والعين بالشبر

(٤) وهكذا نعمات الطير جارية على حساب الحركات • فإذا سمعت الفاختة وهي تترنم ككوكه كوكه ككوكوكو علمت أن هذه أوزان بحر الطويل فعولن مفاعيلن • فإذا سمعت أربع مرات فقد أنت ببحر الطويل وقد عرفت وزنه وبناء عليه أصبح جمال يوسف وعزة وليي يشارك نعمات الأوتار ونظم الأشعار وغناء الأليار في أن كلامي على نسب وأن الجبال راجع للنسب فلا فرق بين الشموس في مداراتها والطيور في أشجارها والنهار في أشعارها وجماعة المقتنين في أخطائها والوجوه في أبهج أنوارها إن الجهلاء يسمعون قصة يوسف فيفرحون وهم عن الجبال معرضون وما قصا لفته إلا للاعتبار بما فيها ومن أهمه النظر في الجبال في الكواكب والطبائع والأشعار والأشجار ولأقتصر لك على هذا ثلاثا ينفع بنا للمقال في ذكر الجبال في الزايع وكيف كانت نسب أوراقها وأزهارها بمقياس كما كان تركيب عناصرها بميزان وهو نفس الجبال فالجبال في جميع العالم علويه وسفليه وليس يدركه إلا العللون الذين للرياضيات والطبيعات والحكمة دارسون • فإن كنت جاهلا فلا تتمد يوسف وما أعطى من جبال وإن كنت حكما فأدر نظرك في العالم كله بالتفصيل تارة وتارة بالاجمال • هنالك تعلم ماهو الجبال • إن العالم كله جبال ولكن أكثر الناس لا يدركون ذلك الجبال

﴿ رمز النبوة بحسن يوسف لجبال العالم وإيماؤها إلى ماقررتاه ﴾

لا يعزب عليك أن الأنبياء يريدون العلم والحكمة وشوق الناس إلى الجبال العلم التي مثلنا له بما قدمناه لترقى أمهم وتسد حاجهم • فإذا سمعت أن يوسف أعطى شطر الحسن فيأيت شعري أين متناه • أما متناه فتجده في أمثال ما قدمناه • فالعالم الأرضي ليس له من الحسن إلا بمقدار • ولعلك تقول فأين نولي وجهنا حتى نعرف ذلك الجبال • أقول اقرأ الحديث فانظر كيف ذكر الأسراء والسبا والقمروضله

على النجوم . وكأن هذا التشبيه يرمز به إلى للنحي الذي ينحوه الناس في قصد الجبال أفلا تعجب كيف
 اتقل من حسن الأجسام الزائلة إلى المحاسن العالية لترتقي في الأسباب ولتدخل البيت من بابه . وما إذا قد
 فتحت لك الباب فلم فيه . وذلك لا يكون إلا بالعلوم الطبيعية والفلكية . فإذا ذكرت النجوم والقمر في
 باب التشبيه في حسن يوسف فذلك ليتأمل الناس ذلك الجبال . ومعلوم أن المشبه أقل من المشبه به فكأن
 النبوة توحى إلى أنه يجب البحث في الجبال الأكل وهو المشبه به . وهو ما أدخلتك في بابه فإن كنت من
 أهله فيها ونعمت والاقبل للسعدن اقرؤا العلوم فهي الجبال التي يرمز له خاتم الأنبياء . وإذا أعطى يوسف
 شطر الحسن في العالم الجبال الأكل والحسن الأوفر والبهجة العليا والجلد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين
 وحسبنا الله ونعم الوكيل . انتهى القسم الثالث

(القِسمُ الرَّابِعُ وَالْخامِسُ)

قِصَّةُ السَّجْنِ

قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَعْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْنِ
 وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .
 ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَدْمَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ . وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنُ فَيَا قَالِ
 أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُجْلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ
 مِنْهُ نَبْتُهَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمْ
 بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ
 بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ
 بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَحَلَّى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ .
 يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَيْتَ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَلَّاهُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا
 أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَعَرَ أَلَّا
 تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَا
 أَحَدُكُمْ يَفْسُقُ رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي
 فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ
 رَبِّهِ فَلَمَّ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ . وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُنَّ سَبْعَ
 عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا
 تَعْبُرُونَ . قَالُوا أَصْنَأَتْ أَخْلَامَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالِمِينَ . وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا

وَأَذْكُرُ بَعْدَ أَمْرِهِ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ • يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَهْلَكَ فِي بَيْعِ
بَقَرَاتِ مِصْرَ يَا كَلْبُومَ سَبِّحْ بِحَبَافٍ وَسَبِّحْ سُبُلَاتِ خُضِرٍ وَآخِرُ يَابِسَاتِ لَتَلِي أَرْجِعُ إِلَى
النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ • قَالَ تَزْرَعُونَ سَبِّحْ سَيِّدِنِ دَا بَا قَا حَصَدْتُمْ فَذُرَّوهُ فِي سُبُلِهِ إِلَّا
فَكِيلًا يَمَّا تَأْكُلُونَ • ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبِّحْ شِدَادُ يَا كَلْبُومَ مَا قَدَّمْتُمْ لَنَا إِلَّا قَلِيلًا
يَمَّا تُمْضُونَ • ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَصْعَقُونَ • وَقَالَ الْمَلِكُ
أَتُورِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْتَلْهُ مَا بَالُ النُّسُوءِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ
إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِمْ عَلِيمٌ • قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْكَ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ
لَمِنَ الصَّادِقِينَ • ذَلِكَ لَيْسَ أَتَى لَمْ أَخْنُ بِالنِّيبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَالِبِينَ • وَمَا
أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَفْرَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَقَالَ الْمَلِكُ
أَتُورِي بِهِ أَسْتَعْصِمُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أُمِينٌ • قَالَ اجْعَلْنِي
عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ • وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا
حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْحَسِنِينَ • وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • وَجَاءَ إِخْوَتُهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَمَرَقَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ •
وَلَمَّا جَزَمَ بِجَهَارِهِمْ قَالَ أَتُورِي بِالْخُرُوجِ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْأَتْرُونَ أَتَى لُؤِي الْكَيْلِ وَأَنَا
خَيْرُ الْمُتَزَلِّينَ • فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ حِينَئِذٍ وَلَا تَقْرَبُونِ • قَالُوا سَرَّادُودُ
عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ • وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا
أَقْبَلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ
فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ • قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِشْكُمُ
عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ • وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا
بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْئِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَبْعِدُ أَهْلَنَا وَنَحْفِظُ
أَخَانَا وَتَرَدَّدَا كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ • قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْثِرُوا مَوْتًا مِنْ

اللَّهُ لَنَا تَنبِيْهُ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا تَقُولُ وَكِيلٌ • وَقَالَ
 يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ • وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ
 حَيْثُ أَمَرْتُمْ أُولَئِكَ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَلِجَةٌ فِي نَفْسٍ يَنْقُوبُ قَضَاهَا
 وَإِنَّهُ لَلْوَغِيلُ يُجَالِسُهَا عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى
 إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • فَلَمَّا جَهَزْتُمْ بِجَهَازِهِمْ جَلَّ
 السَّكَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْنَا الْقَيْرَ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ • قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ
 مَاذَا تَفْعَدُونَ • قَالُوا تَفْعَدُ سَوَاحِجَ الْمَلِكِ وَلَنْ جَاءَ بِرَجُلٍ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ • قَالُوا تَاللَّهِ
 لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِتُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ • قَالُوا فَآجِزْ أَوْهَ إِنْ كُنْتُمْ
 كَاذِبِينَ • قَالُوا جِزْ أَوْهَ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جِزْ أَوْهَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ • فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ
 قَبْلَ وَهْلِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَهْلِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي
 دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ • قَالُوا إِنْ
 يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَلْزَمَ الْيُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُنْذِرْهُمْ قَالَتْ أُنثَى سَرَقَ
 مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ • قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ
 إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْحَقِّينَ • قَالَ مِمَّا أَدَّبَ اللَّهُ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا
 لظَّالِمُونَ • فَلَمَّا أَسْتَأْذِنُوا مِنْهُ خَلَعُوا نَحِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ
 عَلَيْكُمْ مَوَاقِفَ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي
 أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ • إِزْجُوا إِلَى أَيْكُمُ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ
 سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلنَّيْبِ حَافِظِينَ • وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا
 وَالْبَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ • قَالَ بَلَى سَوَلَّتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَتَرَأَى قَصَبًا جَبِيلٌ
 عَلَى اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى
 يُوسُفَ وَأَيْبَسَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ هُوَ كَاطِمٌ • قَالُوا تَاللَّهِ هَتَفْتُمُوهُ تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى

نسبته للمؤلف لجميع المسلمين (أ) أن تعلم الرجال والنساء جميعاً (ب) و (ج) أن النبي ﷺ شوق الناس للشمس والقمر والشجر الخ في (١٣) سنة ثم إن المتخصصين في العلوم يكفهم على ما يظن المؤلف (٢٣) سنة كعدة الرسالة

٢٢٤ (د) يدرس القرآن بطريق مشوق وسيرة النبي ﷺ الخ

(هـ) يخرج في بلاد الاسلام من الشيعة والسنية رجال متبحرون

(و) ينتخب من كل قطر جماعة من هؤلاء وهم المذكورون في الآية فهم الآمرون الناهون الخ

(ز) بهذا نكون - خيراثة أخرجت للناس -

(ح) ان المتعلم على هذه الشريعة لا يتعصب للمذهب بل للاسلام والعلم

(ط) بقول المؤلف إني نصحت لأمتي وبذلك جهدي وما أنا من المتكئين الخ

{ تم }

من التلم التي يذكرنا الله بها ومن البحر للذكور البحر الميت وهذا سر جديد ظهر للقرآن في (الر) وإيضاح العناصر التي في البحر الميت

٢١٢ مات البحر لموت عقول المتأخرين في الاسلام كما ظن العامة المحمول على النقص ميتا وقال الطيب هو حي . وكان ظن جبرائيل بن مخبينشوع أن ابراهيم بن صالح ابن عم هرون الرشيد سيموت وقت صلاة العتمة فقال صالح بن بهله الهندي انه لن يموت ثم ظهر الحق بانه كان غير ميت وأنشئه بنفخ الكنتس في أخيه فأرض الله ومنها البحر الميت عند المسلمين أشبه ابراهيم بن صالح عند ابن مخبينشوع ولكنها عند العلماء في أوروبا أشبه ابراهيم بن صالح المذكور عند صالح بن بهله الهندي تبيان وجه التشبه بين حال هذه الحوادث وحال المسلمين الذين يجهلون هذه العلوم (الجوهرة الثانية) في قوله تعالى - واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام -

٢١٤ ذكر أن أكثر الناس على الأرض يفضل معهم شيوعهم فصل النجوم (بالكسر) . وذكر الخطاب المرفوع إلى أنبا خان القدي يدعى الالوية . والشكوى تنحصر في أنه يأخذ مال الرعية في الهند يفل الفقراء ويقاسم الناس أموالهم فيأخذ نصفها وأتباعه لا يصومون ولا يحجون ومن رفع الشكوى منهم قتل الخ وأن هؤلاء من فرقة حسن بن الصباح وهم الباطنية

٢١٦ (جوهرة في أديان القسما) وذكر أن الله عند المنود غير مكشوف وكان دينهم الوحدانية في أول أمره ثم جاء التثليث وانطد الشعب بالأعمال الصبيانية والطقوس والخرافات ثم جلسوا سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد فظهر الدين . ثم اختل الأمر ثانيا فجاء (بوذا) بعد نحو أربعة آلاف سنة فرجع إلى التوحيد أو تهذيب الدين ثم جاءت الخرافات كذلك ثم جاء دين النصرانية فشوهته الخرافات ثم جاء دين الاسلام فقال بالوحدانية

٢١٩ أم الاسلام المتأخرة اعترافهم ما اعترى الأمم قبلهم . أنظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني والفرق بين الفرق (مختصر الفاء الأولى وكسر الثانية) والكلاد على اضلال الأصنام وإقامة الصلاة وكون الجرمين مقرنين في الأصناف

٢٢٠ بيان أن ظهور النور في شجرة العليق لموسى بعد أن فرق شعبا لتعليم السلم أن الفتوح له يأتي بعد أخذ علم شيخه كما جاء لموسى بعد ترك شعيب وعلم الأسلاف كالين الأم والفتوح الالهي ككسب المعاش وأن الانسان في أموره الدنيوية بطالع جلال ربه في شجره وحجره فيتصل بالدين كما كان موسى يريد النور لينق زوجته ويعرف ربه فحصل الأمران . وهذا هو سر قوله تعالى - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - . ذكر أن للتكبريين يحشرون على صور الآدمر وأن جسم الانسان كتاب مفتوح فله عقل في الرأس وقلب في الصدر و بطن و فرج في القسم الأسفل ولكل من هذه الثلاث ردائل وفضائل الخ

٢٢٢ (الجوهرة الثالثة أيضا في قوله تعالى - واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام الخ -)

دعوة المؤلف الامامية والزيدية والشيعة والسنية يطلب منهم أن يكونوا جماعة يأمرهم بالمعروف الخ ٢٢٣ حكاية مع العلامة (دوارد براون) الانجليزى إذ ذكر المؤلف أنه سمع طالبا في بلاد ايران أيام السلطان عبد الحميد يقول إلى حاربت مع الروس بسيفي هذا ضد أهل السنة الذين هم مكروهون عندنا . وأن ذلك العالم الانجليزى عجب من جهل هؤلاء القوم إذ تمثل الروس في بلادهم ورجعوا إلى حوادث مضى عليها ١٣٠٠ سنة وهم غافلون

تَكُونُ حَرَمًا أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ • قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَّتِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ
 مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَخَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْبَسُوا مِنْ رَوْحِ
 اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْبَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ • فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ
 مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
 الْمُتَصَدِّقِينَ • قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ • قَالُوا إِنَّكَ
 لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ • قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَيْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَالِطِينَ • قَالَ لَا
 تُنْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ • أَذْهَبُوا بِشَيْعِي هَذَا
 فَأَلْقَوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنْزِلُوا بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ • وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ
 إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ • قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ • فَلَمَّا أَنْ
 جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَهْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ •
 قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ • قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَاهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ آمِينَ •

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (قال رب السجن بالرفع والنصب على المصدر في الثاني) (أحب إلى مما يدعونني إليه) أثر عندى
 من موافقتها بالنسبة العاقبة والافهنا أعز مشيئات النفس • ويقال إن من المؤثرات في دخوله السجن باطنا
 هذا القول وملك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل الصبر وأمره أن يسأل الله العافية • واعلم أن هذا
 القول من علماتنا قد قرره علماء هذا العصر فانهم جزموا بأن تصورات النفس والأقوال التي ينطق بها المرء
 في سر موهمه لها آثار في عواقبه، ويقولون إن حصول الصور في العقل من حسنة وسيئة لها أثر في الأفعال
 والأحوال الظاهرة وضرروا لذلك مشلا بأن اعتقاد الإنسان بأنه من الملوك أو التجار أو العلماء أو الأشراف
 تدعوه إلى أن يتربى بزيهم وبسير بسيرتهم ويتجمل بلباسهم • فهكذا الأحوال العارضة عليه من الخارج
 ومن القضاء والقدر تكون مناسبة لما في عقله موافقة لما ينطق به من الآراء والأحوال والأعمال • وهذا
 القول وإن كان خطايا لا يجنبنا مناسب لهذا المقام • ثم قال (ولا تصرف عني كيدهن) في تحسين ذلك
 (أصب البهن) أمل إلى اجتنابهن • ويصح أن يقال أصب أي أشتاق من الصباغة وهو الشوق (وأكن من
 الجاهلين) من السفهاء يارتكب ما يهينني إليه فان الحكيم لا يفعل القبيح (فاستجاب له ربه) أي فأجلب
 الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عني كيدهن) إنه هو السميع) لتداء يوسف وغيره (العليم) بأحوالهم وما

يصلحهم (ثم بدا لهم) للعزير وأصحابه في الرأي (من بعد ما رأوا الآيات) الدلائل القاطعة على برأيه كقصد القمصين وظهور برأيه وشهادة شاهد من أهلها وفاعل هذا مفسر بقوله (ليسجنته حتى حين) وذلك أن المرأة قالت لزوجها إن ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم أنني قد راودته عن نفسه فلما أن نادى لي فأخرج وأعتد إلى الناس ولما أن تحبسه فرأى حبسه لي أن تنقطع مقالة الناس وبعضهم قال إنها سبع سنين وبعضهم قال خمس ولا حاجة إلى تحقيق ذلك (ودخل معه السجن فتيان) عبدان لذلك خبازه وشرايه بنهمة السم فأدخلوا السجن سبعة لدخول يوسف (قال أحدهما) أي شرايه (إني أراي) أي في المنام (أعصر خرا) أي عضا سعى العنب بما يؤول إليه والخمر اسم للعنب بلقة عمان فلا حاجة إذن للجواز (وقال الآخر) أي خبازه (إني أراي أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) تنهش منه (نبعا بتأويله إنا نراك من الحسنين) من الذين يحسنون تاويل الرؤيا ويحسنون إلى أهل السجن فأحسن اليينا بتأويل ما رأينا (قال لا يأتينا طعام نرزقه إلا بتأينا كما بتأويله قبل أن يأتينا) فأين لكما نوعه وكيفيته (ذلكا) أي التأويل (عما علمني ربي) بالالهام والوحى وليس بطريق الكهانة والعرافة والتنجيم وغيرها وعمل ذلك فقال (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) ثم أبان أصل هدايته وعمل أي دين هو فقال (وابتعت ملة أبائي إبراهيم واسحق ويعقوب) فأنا من بيت النبوة فاستعنا إلى • وقد قال العلماء (يعجز لحامل العلم أن يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه) ثم قال (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) أي شيء كان (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) وعلى سائر الناس يبتنا لأرصادهم (واكن أكثر الناس) للبعوث إليهم (لا يشكرون) هذا الفضل فيشركون بالله ولا يمتنون وإنما قال هذه الجمل لاستانتهما للدين الصحيح ثم أخذ يشرح ما قصد من هذه المقدمات الدينية فقال (يا صاحبي السجن) يا صاحبي أيا صاحبي فيه (أأرباب متفرقون) شتى متعددة يستعبدك هذا ويستعبدك هذا (خير) لكما أم يكون لكما رب واحد لا يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا قوله (أم الله الواحد القهار) والأرباب المتفرقون هي الأصنام والأوثان ثم خاطبهما ومن كان على دينهما من المصريين لأنهم كانوا يقصدون أصناما كثيرة وتماثيل بعد أن كانوا قديما يعبدون إلها واحدا (ما عبدون) يا أهل مصر (من دون الله) من دون الله (إلا أسماء سميتموها أتم وأبواكم) أي سميتم ما لا يستحق الألوهية آلهة ثم أخذتم تعبدونها فكأنكم لاتعبدون إلا أسماء لاسميات لها وقوله - سميتموها - سميتم بها قول سميته زيدا وسميته يزيد (ما أنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) حجة (إن الحكم) في أمر العباد والدين (إلا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر) على لسان أنبيائه (ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي قامت عليه البراهين (واكن أكثر الناس لا يعلمون) فيخطبون في جهالاتهم وهذه المقالة تدرج فيها أولا من رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة من طريق الخطابة ثم برهن على أن الآلهة عبوديتهم أسماء لاسميات لها ثم بين الدين الحق • ولما فرغ من اللهم هو الدعوة إلى الدين الحق التي هو مقصوده شرع يعبر الرؤيا التي هي مقصودتها بالثبات وهو عدتها وسيلة للدين كما رأيت فقال (يا صاحبي السجن أما أحدكما) يريد الشراي (فبقي ربه) سيده (خرا) أي يعود إلى عمله (وأما الآخر) أي الخباز (فصلب فتأكل الطير من رأسه) وقد كانت رؤيا الشراي أنه قال إني رأيت كأني في بستان فاذا بأصل شجرة عنب عليها ثلاثة عناقيد قطعتها وعصرتها في كأس لملك وسقيته • وقال الخباز رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها • فقال للأول ما رأيت من الكرمه وحسنها هو لملك وحسن حاله عنده • وأما الصائيد الثلاثة فانه ثلاثة أيام قضى في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه • وقال للثاني ما رأيت من السلال فهي ثلاثة أيام ثم تخرج فتصلب • ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيئا فقال يوسف (قضى

الأمر الذي فيه تستفتيان) أي قطع وتم ما تستفتيان فيه وهو مال أمركا وهو هلاك أحدهما ونجاة الآخر (وقال) يوسف (الذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك) لذكر حاله عند الملك كي يخلصني (فأناشاه الشيطان ذكر ربه) أي فأناشى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك فإن صرف الوسوسة إلى ذلك الرجل الساقى حتى نسي ذكر يوسف أولى من صرفها إلى يوسف (فلبث في السجن بضع سنين) البضع ما بين الثلاث إلى التسع وهي هنا سبع سنين نضم إلى الحبس الأولى فتكون اثنتي عشرة سنة * قال كعب قال جبريل ليوسف عليه السلام (يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك إلى أيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك سوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بأدى منك) قالوا فلما انقضت سبع السنين رأى ملك مصر الأكبر رؤيا هالكة فانه رأى سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقبن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع الجفاف السمان ودخلن في بطونهن ولم يرمنهن شيء ولم يبين على الجفاف منها شيء ورأى سبع سبلات خضرة انضدت حبا وسبع سبلات أخرى يابسات قد استحصلت فالتوت اليابسات على الخضرة حتى ملأهن عليهن ولم يبق من نضرتها شيء فجمع السحرة والسكينة وللعبرين وقصة عليهم رؤيا التي رآها فهذا قوله تعالى (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) بقرات هالكات من الهزال (وسبع سبلات خضرة وأخويات) وذلك خطاب للأشراف والأعيان من العلماء والحكام * ثم أخذ يستفتيهم فقال (يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي) يا أيها الأشراف أخبروني بتأويل رؤياي (إن كنتم للرؤيا تعبرون) أي إن كنتم تحسنون عبارة الرؤيا فتنبأونها من الصور التي صورها الخيال إلى المعاني الحقيقية التي هي مثالا * يقال عبرت الرؤيا عبارة كما يقال عبرتها تعبيرا ومعبر الرؤيا يقتل من ظاهرها إلى باطنها ليستخرج معناها (قالوا) أي للملأ وهم السحرة والسكينة والمعبودون عجيبين للملك (أضفأت أحلام) أي أخلطت مشبهة ولحدها ضفت والضفت في الأصل الحزمة الحاوية أنواع الخيش فاستعبر للرؤيا الكاذبة وإنما كان الجوع لأجل المبالغة كما قول العرب فلان يركب الخيل (وما نحن بتأويل الأحلام بعلمين) أي للعلماء الباطلة فإنها ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للأنامات الصحيحة (وقال الذي نجا منهما) وهو الشراقي (وذكر بعد أمته) وتذكر يوسف بعد جاعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة * وفي قراءة - بعد أمه - كنعنة وزنا ومعنى أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة (أنا أنبئك بتأويله) أنا أخبركم به عن عند علمه (فارسلون) أي فاجشون إلى يوسف لأسأله فأرسلوه إليه فأتاه فقال (يوسف) أي يا يوسف (الصدقي) أيها البليغ في الصدق مما جرت في تأويل رؤياي ورؤيا صاحبي (أفتنا في سبع بقرات) إلى قوله (لعل أرجع إلى الناس) أي إلى الملك وأتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكاتك فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (قال تزرعون سبع سنين دأبا) على عادتك للمسترة أي دائبين منصوب على الحال أو تدأبون دأبا والجله حال أيضا وهو بوزن سبب ونسرى قال دأب في العمل دأبا (فما حصدتم فغروه في سبله) ثلثا يأكله السوس (إلا قليلا مما تأكلون) في تلك السنين أي ادسوا قليلا من الحنطة لأكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظه لأكثر لوقت الحاجة وهو وقت السنين الجيدة (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السنين الخمسة (سبع شداد) سبع سنين مجلبة مجلبة شديدة على الناس (يأكلن) يفنين (ما اقتسم هن) أي يأكل أهلهن ما لا تحرم لأجلهن (إلا قليلا مما تحصنون) تحززون لبخور الزراعة (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفات الناس) يعطرون من الفيت أو يفاتون من القحط وهو من الفوت (وفيه يعصرون) أي يعصر الكلب فيكون الخمر والزيتون فيكون الزيت والسمن فيكون اللبن يراد بذلك كثرة النعم وعموم الخصب في الزرع والثمار (وقال الملك اتوني به) بعد ما جاءه الرسول بالتعبير (فلما جاءه الرسول) ليخرجه (قال لرجل إلى ربك)

أى الملك (فأسأله ما بال النسوة) أى حال النسوة (اللاتى قطعن أيديهن) فقد ثبت يوسف وثائقه فى إجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر برأته حتى لا يرميه الحاسدون بما يضر سمعته عند الملك ويستدلون بكنهه فى السجن سنين طويلة • وهذا يفيد أن الإنسان يجب عليه اتقاء اتهم ونفيها • وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ لقد عجبت من يوسف وكرمه ومبره ولله يفر له حين سئل عن البقرات الجفاف والسهان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني وقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال - ارجع لى ربك - ولو كنت مكانه ولبت فى السجن ما لبثت لأسرع الإجابة ولأدرك الباب ولما ابتغيت العذر إنه كان حليماً ذا أناة ﴾

ومن حسن أدبه أنه لم يذكر سيده مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب ولم يذكر إلا - اللاتى قطعن أيديهن - وقال فيهن لأقبا - إن كيدهن عظيم - لا يعلمه إلا الله وهو يجازيهن عليه فرجع الرسول إلى الملك برسالة فدعا الملك النسوة للقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قال لمن) (ماخطبكين) ما شأكنكن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا يكنن (قلن حاش لله) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب (فالت امرأة العزيز الآن حصص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين) فى قوله - هى راودتنى عن نفسى - ثم رجع الرسول إلى يوسف وأخبره بكلام النسوة وأقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذلك) أى امتناعى من الخروج والتثبت لظهور البراءة (ليسلم) العزيز (أتى لم أخنه باليبس) يظهر التيب فى حوته وهو حال من الهاء أى لم أخنه وهو غائب عنى أولي علم الملك أتى لم أخن العزيز الخ (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) أى وليعلم أن الله الخ تعريض لبراءته فى حياتها أمانة زوجها ويجوز أن يكون هذا من كلام امرأة العزيز أيضا إذ قالت - الآن حصص الحق - ثم شرعت قول - ذلك ليسلم أتى لم أخنه باليبس - أى ليعلم يوسف أتى لم أخنه فى حال غيبته وهو فى السجن ولم أكذب عليه فلم أقفل فى غيبته ما فعلت فى حضوره وقوله - وأن الله لا يهدي كيد الخائنين - على هذا بمعنى اتى لما أقفلت على هذا الكيد والمكر قد افترضت لأن الله لا ينفذه ولا يستد • ثم أخذ يتواضع ويهضم نفسه ثلاثا يكون لها من مزايا وليبين أن هذه الأمانة إنما هى من الله فقال (وما أبرئ نفسى) من الزلل ولست أشهد لها بالبراءة الثالثة ولا أزيكها فى جميع الأحوال (إن النفس لأشارة بالسوء) أراد به جنس السوء لما فيها من الشهوات (إلا ما رحم ربي) أى إلا البض الذى رحمه ربي بالصحة ويصح أن يكون هذا من كلام المرأة وهو أظهر كأنها قالت ذلك ليعلم أتى لم أخنه ولم أكذب عليه فى حال الغيبة ومثت بالصدق عند السؤال - وما أبرئ نفسى - مع ذلك من الخيانة فأتى خنته كما هو معروف ثم اعتذرت بأن كل نفس أثمارة بالسوء إلا نقسارحها الله بالصحة كنفس يوسف (إن ربي غفور رحيم) استغفرت ربه واسترجته مما ارتكبت لأن الله غفور لذنوب عباده ورحيم بهم • هذه الأخلاق من عفة وصبر وأمانة وعلم غزير وإتانة حلت للملك أن يستخلصه لنفسه أى يجعله خالصا له لا يشاركه فيه سواء وهذا قوله تعالى (وقال للملك اتنوبى به أستخلصه لنفسى) فلما جاء الرسول إلى يوسف وقال له أجب الملك أجاه وتنظف ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك ودخل عليه وتحدث معه (فلما كلف) وشاهد منه الرشاد والهداه (قال إنك اليوم لدينا مكين) ذومكانة ومتمزلة (أمين) مؤتمن على كل شئ • ويقال إنه كان يحسن العربية والعبرية فكلما بهما فضلا عن لغات أخرى وقال له العربية لسان عمى إسرائيل والعبرية لسان آباءى وطلب منه الملك أن يسمعه رؤياه فاسمعها له وذكر له البقرات والسفابل وأما كنهها على ما رآها فأجابه على السرير وقوض الأمر وتوفى قطيع فولاد مكانه وزوجه زليخا فوجدتها عذراء وولد له منها افراتيم وميشا (قال ليحطنى على خزائن الأرض) ولنى أمر أرض مصر (إلى حفظ) لها عن لا يستحقها (علم) بوجوه التصرف فيها وهذا دليل على أن من قهر على المنفعة العامة فليتولها وليستظهر بنى الجاه

ولو كان كافرا لأن الخلق عباد الله وأقربهم إليه أنفعهم له والنافعون للناس أحب بللائكة التائبين بأمره في تدير خلقه (وكذلك) ومثل ذلك التحكيك الظاهر بأن أعينناه من الحب ونخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك (مكننا ليوسف في الأرض) أرض مصر (بقبأ منها حيث يشاء) أي كل مكان أراد لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه (نصيب برحمتنا من نشاء) في الدنيا (ولافضح أجر المحسنين) الذين يحسنون أعمالهم وأخلاقهم ويحسنون إلى الناس فنجعل للناس يودتهم ويحبونهم ويعلمونهم وزفهم على الجميع في الدنيا كما في أمر يوسف وهذا كقوله تعالى - وأتيناه أجره في الدنيا - وكقوله تعالى - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا - أي يلقى المحبة لهم في القلوب فيوسف لم يجعله الملك على خزائن الأرض إلا لعلمه وحكمته وكل من لم يكن أهلا للأعمال العظيمة في الدنيا يحرم منها ولذلك نرى للمسلمين قد غص كثير منهم الطرف عن احسان أعمالهم وصناعاتهم وعلاهم وكنيتهم ومطابيحهم وجهوا أكثر ما ينفع الناس ولم يحسنوا الصناعات إلا قليلا وفاز بها الافرنج فوفى الله بعلمه المسلمين حظهم من التأنر والفرجة حظهم من التفتت فانه لا يصح أجر المحسنين لأعمالهم فتجب • ولما كان المقام مقام دين وحث على الآخرة عطف عليه قوله (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) أي أفضل من أجر الدنيا (وكانوا يتقون) ما نهى الله عنه من الشرك والذنوب فان الأجر في كل شيء بحسبه ويوسف ينال في الآخرة أفضل مما أوتي في الدنيا • وقد جاء في آية أخرى في حق بعض الأنبياء - وأتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين - • يقال ان للملك لما استوزره أقام العدل وضبط الفلوات حتى دخلت السنون المحببة وعم القحط مصر والشام ونوجه إليه الناس • ولقد نفالي أصحاب القصص فقالوا إنه باع أولاهم بالبراهم والدنانير ثم بالحق فبالذهب فبالفضة والمغار ثم برأبهم ثم اعتقهم بالاتفاق مع الملك • وكل هذا غير معقول تناقله الناس جيلا عن جيل أكاذيب ما أنزل الله بها من سلطان • وقد كان أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب عليه السلام إليه إلا بنيامين إلى يوسف لبرة (فدخاوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) أي عرفهم هو أما هم فلم يعرفوه لطول العهد وعظمة الملك (ولما جهزهم ببجهازهم) أصل الجهاز ما يصد من الأمتعة للنقله كعند السفر وما يحصل من بلدة إلى أخرى ويطلق أيضا على ما زف به للمرأة إلى زوجها • يقال إنه أعطى كل واحد حل بعر • والجهاز بكسر الجيم قرى غادا (قال اتوني بأخ لكم من أيكم) • يقال انه قال لعلكم جواسيس قالوا كلا وذكروا أنهم (١٢) هلك واحد منهم في البرية ولم أخ عند أيهم وهم هنا عشرة وسأله جلا لأجل أخيهما الغائب فأعطاهم ذلك ورهن أحدهم وهو شمعون بطريق الاقتراع حتى يحضروا أخاهم الغائب ليعلم صدقهم وأخذ قيم الحجة على أنهم يجب عليهم أن يرجعوا إليه لفضله عليهم مع اظهار الشدة في المعاملة وأخذ أحدهم رهنا وقوله (فان لم تأتوني به الخ) هذا جمع بين الدين والشدة وهي خير سياسة بحيث اذا كان الرجل ممن يساقون بالصلح فقد نالها أو بالظلم والفضل فقد ناله وذلك عند جهل حال للسوس كما في هذه الحال فان يوسف عليه السلام ولن كان عالما بهم قد عاملهم معاملة من لا يعرفهم فقال (ألا ترون أني أوفى الكيل) آثم (وأنا خير للمزليين) أي خير للضيقين لأنه قد أحسن ضيافتهم وأكرم مثواهم (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) أي ولا تقربوني ولا تدخلوا ديارى (قالوا سنراود عنه أباة) سنجدتد في طلبه من أيه (ولنا لفاعلون) ذلك ولا تواتي فيه (وقال لفتياه) لفتاته الكياليين (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أوعيتهم وكانت فعلا وادما وورقا وهذه البضاعة كانت ثمن الطعام ووكيل بكل رجل واحدا يجعل فيه بضاعتهم (لعلهم يعرفونها) يعرفون حتى ردها وحق التكرم بلرجع ثمن الطعام مع الطعام (اذا اقبلوا إلى أهلهم) وفرغوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع (فلما رجعوا إلى أيهم قالوا يا أبا نانع منا الكيل) حكم بمنحه بعد هذا ان لم يذهب معنا بنيامين (فأرسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع من

الكيلى (وانا له حافظون) من أن يناله مكروه (قال) يعقوب (هل آسنكم عليه إلا كما آسنكم على أخيه من قبل) وقد قلتم هذا القول فى يوسف (قائلة خير حافظا) منكم • • وقرئ • • حفظا - فهو على الأول حال وعلى الثانى تمييز • يقول إني آتوكل على الله فى حفظه (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن ينم على • بحفظه • وإعلم أيها الذى أن قوله هنا - وهو أرحم الراحمين - لا يبقها الأذكى إلا إذا درسوا ما قلتم فى سورة هود وفى سورة الأنعام وفى سورة يونس وفى سائر ما قلتم من عناية الله بالعالم الحية ونظرة لما نظر رجونا أن أكثر الناس إلا يعرفون من الله إلا منها فى الجنة ومعدباً فى النار ومنزلاً على الناس مرضاً وقراً وموتاً • والجاهل يحجبه ذلك عن التوغل فى العلم فيعيش مرتباً معترضاً على الله فى قلبه مظهر الرضا بلسانه ملءاً حقداً على إبليس وعلى كل مخالف لعقيدته من أهل الأرض وهذه حياة الجاهلين فى جميع الأمم والأجناس فلا يرون رجة الله إلا من رحم ربك وعرفه • والطريق الذى سلكناه فى هذا التفسير أن تعرف رجة من جمال هذا العالم والتوغل فى العلم والوقوف على الحقائق • وأن أمثال سجن يوسف وغربت وسجنه وضرب عين أبيه وحسد الأخوة واستعباد يوسف • كل ذلك يظهر للجهال أنه قمة وما هو إلا مقتضات لقنمة وذلك أشبه بدروس للدرسة يتعلمها التلميذ صعبة قاسية ثم تكون عاقبتها السعادة • فهكذا سائر أحوالنا فهذه التفسير والسيرة على متواله ودراسة العلوم التى أشار إليها ونبه عليها تعرف أيها الذى أن الله أرحم الراحمين فرجته كرحمة الأب الذى يعلم ابنه ويقهره على تعلم الدروس • ورجة الجهلاء كرحمة الأم • فتعلم ولكن من التفكيرين ثم قال تعالى (ولما فتحوا متاعهم وجدوا صناعتهم ردت إليهم فقالوا يا أيها ما بنى شيأ وراء ما فعل بنا قد أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورداً علينا متاعنا ثم ونحوه فقالوا) هذه صناعتنا ردت إلينا) فستظهر بها (ونبهر أهلنا) بالرجوع إلى الملك أى تجلبهم مرة وهى طعم يعمل من غير بلدك (وتحفظ أغاناً) عن الخراف (وتزداد كليل بئر) وسق بصير باستصحاب أخينا (ذلك كليل يسير) سهل عليه متيسر لا يشغله (قال) لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً عهداً (من الله) أى حتى تعطوني ما أتوني به من عند الله أى عهداً مؤكداً بذكر الله أو الخلف به فكان للعنى حتى تحلفوا بالله (لثأنتى به) هذا جواب القسم أى وافقه الخ (إلا أن يحاط بكم) أى إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو إلا أن تهلكوا جميعاً أى لا تمتعون من الايمان به إلا للاحاطة بكم كما تقول أقسمت بالله الا فعلت كذا أى ما أطلب إلا فعلك كذا (فلما أتوه موثقهم) عهدهم (قال الله على ما قول) أى قال يعقوب الله شاهد على ما قول فكان الشاهد (وكيل) أى موكول إليه هذا العهد أو وكيل حافظ (وقال يابنى) لاندخلوا من باب واحد واندخلوا من أبواب متفرقة) أمرهم بدخول مدينة مصر من أبواب مختلفة أو من طرق مختلفة لأنهم أبناء أب واحد لهم جلال وطول قامة بارعان وقد عرفوا هذه المرة بخلاف التى قبلها تخلف عليهم العين • ومعلوم فى علم ما وراء الطبيعة كما فى الاشارات لابن سينا أن النفس آثاراً تنبعث منها بواسطة العين وغيرها إلى الخارج وهذه الآثار إما ضارة وإما نافعة وفعل العين من عاين يعينه أصابه بها من تلك الآثار • ولو أنك درست أيها الذى مادونه للمتقون وعلماء الصر الحاضر فى هذا المقام لبعثت من العلوم النفسية فى أمريكا وفى أوروبا من الآثار الغناطيسية فى التويم وغيره ولعلت أن الانسان نليل العلم • فى الأرض اليوم أناس يشفون المريض بمجرد اللس مرة أو مرار كثيرة وذلك يحصل بالتمرين ودروس كثيرة • وقد اشتهر أناس فى أصقاع الأرض بهذه الخاصية • وقد يتوهم الرجل غيره ويوسى إلى النوم وقت النوم ما يشاء أن يفهمه كالصلاح والتقوى وحب للنفس وترك الخمر والتدخين والكوكابين أو الاحسان أو ترك الضرب أو قتل فلان فى وقت كذا • فإذا استيقظ المتوهم لم يعرف شيئاً من ذلك وإنما الأثر فى نفسه يجعله مستعداً لما أوحى إليه فى النوم فيفعل ما أمر به فى الوقت والساعة والذيقه والثانية ولا يدري من أين حل به هذا • هذا غيض من فيض من علوم العصر الحاضر • وهكذا

ذكر بعض ذلك للمتقدمون فالنفس الانسانية لها قدرة مخبوءة تظهر بالعمل والدرس والجهد والرياسة تارة
وطلوعها تارة أخرى . فالعين عما يؤثر بدون درس ولا تعليم كمن يسمون في أوروبا اليوم وسطاء الطبيعة
أى ان هناك أناسا خلقوا ولم قدرة في الوقت الحاضر على مخالطة الأرواح متى ألقوا أنفسهم في السبات المغناطيسى
وهكذا آخرون لم قدرة أن يروا الأرواح باعينهم ويسمى الواحد منهم (الوسيط المبصر) فذلك يكلم الأرواح
وهذا يرأهم ويكلمهم . فكذلك هنا هؤلاء العاتون خلقوا مجبولين على الشر بهذه القوة كما خلق الأنبياء
مجبولين على الخير والنياطين على الشر . فاذا سمعت رواية البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال
﴿ إن العين حق ﴾ فاعلم أن هذا هو العلم الحديث والقديم . واذا سمعت رواية مسلم عن ابن عباس عن
النبي ﷺ إذ قال ﴿ العين حق ﴾ ولو كان شئ ساقى القدر لسبقته العين واذا استفسمتم فاعلموا . ومعنى
هذا أنه كان يؤمر العائن فيقول أنا ثم يقتل منه العين . فاذا سمعت هذا فاعلم أن العلم اليوم كشف أصول
هذه العلوم . والظاهر أن هذه المسائل سيبرز وضوحها في المستقبل القريب . واذا سمعت قوله ﷺ
﴿ اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ﴾ فاعلم أنه لم يجد
علاجاً لهذا اليلد الذى يصدر من النفوس إلا بالاتجاه لحائق النفوس . ثم أخذ يعقوب يذكر بنيه أن هذا
من الأخذ بالأسباب والقدر لا ملجأ ولا مفر منه إذا حتم على امرئ في هذه الدنيا فقال (وما أغنى عنكم من
الله من شئ) أى ان كان الله أراد بك شراً فلا دفع له من التفرق الذى أشرت به ولا غيره وإنما علينا الجهد
والله هو الذى يتولى العباد (إن الحكم إلا لله) فهو منفذ أمره متى أراد (عليه توكلت وعليه فليتوكل
المتوكلون) التوكل فويض الأمر الى الله والاعتداع عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) متفرقين
(ما كان يفتى عنهم) أى ما كان يدفع عنهم دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شئ) أى شئاً قط فاتهم
مع هذا التفرق في الدخول اتهموا بالسرقة وانفضحوا بعد ذلك بسرقة صواع الملك وأخذ أخوهم لان
الصواع وجد في رحله وزاد حزن أبيهم بفقد بنيامين (إلا حاجة في نفس يعقوب) استثناء منقطع أى لكن
شفقة يعقوب عليهم واحترازه من اصابتهم بالعين (قضاها) أظهرها ووصى بها (وأنه أتوعل لما علمناه)
بالوحى تارة ونصب العليج تارة أخرى فصرف ما تنقطع دونه أعناق الحكماء بحثاً وتنقياً وهو أن ما هو شائع بين
العامة من تأثير العين حق وأمر بالتعز من وعرف أن القضاء غالب فذكر الأمرين التوسية والتسليم للقضاء
(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فلا يعرفون من الأسباب إلا ما تلمسه أبصارهم وراة أعينهم وكذلك لا يقرنون
بقوة فوق هذا العالم تدبر شؤنه وتحيط به فامتثلوا أمر أبيهم وسافروا الى مصر (ولما دخلوا على يوسف أوى
إليه أخاه) ضم إليه بنيامين على الطعام وفي المنزل وذلك أنه قال سينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لا ثاق له
فيكون معي فبات معه وقال له أحب أن أكون أخاك بدل أخيك المالك قال بنيامين ومن يجد أخاً ملكاً
أيها الملك ولكن لم بلدك يعقوب ولأراحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه (قال إني أنا أخوك فلا تبتس بما
كانوا يعملون) أى لا تحزن بما عملوا في حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم) أى هيأ أسابهم وأوفى
الكيل لهم (جعل السقاية في رحل أخيه) وهى للشرية التى كان الملك يشرب بها وهى الصواع يقال انها كان
يسقى بها الملك ثم جعلت صاعاً يكال به لوزة الطعام وكان يشبه (الطاس) من فضة أو ذهب وقد جعلها في وعاء
طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا فأرسل خفيهم من استوقفهم (ثم أذن مؤذن) نادى مناد وأعلم معلم والأذان
الاعلام (أيتها العير إنكم لسارقون) العير القافلة وهى اسم الابل التى يحمل عليها الأجمال فسمى بها أصحابها
(قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) أى شئ ضاع منكم (قالوا فقد صواع الملك) وهو الصاع كما قرئ به
وبالصوع كنصر وكقفل وبالعين وبالفين وصواع من الصياغة (ولن جاء به حل بصر) من الطعام (وأما به
زعم) الزعم الكفيل بلسان أهل العين * يقول أنا كفيل أؤديه الى من رده وهذا من باب الجسالة واه

بجورضمان الجبل (قلوا تالله) قسم فيه معنى التهجيب (لقد علمت ما تبشئ لنفسك في الأرض وما كنا سارقين) وذلك انهم شقوا أفواه رواحلهم ثلاثا تناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق في المدينة وكانوا ذوي أمانة ظاهرة عرفها الملك وبطائته وحاشيته حتى رد بضاعتهم اليهم فوجدوها في رحالهم (قلوا فما جزاؤه) أى فما جزاء سرقة الصاع (إن كنتم كاذبين) في سحوتكم ولذعانكم البراءة منه (قلوا جزاؤه من وجد في رحله) أى جزاء سرقة أخذ من وجد في رحله وذلك هو الحكم في شريعة يعقوب أن من سرق يكون رقيقاً ستة فلما استوتهم أجابوهم بحسب شرائعهم (فهو جزاؤه) أى فأخذ السرقة منه هو جزاؤه لا غير (كذلك نجزي الظالمين) أى السراق فنسرتهم (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أطرق هذا أخذ شيئاً فقالوا واه لا تتركه حتى ننظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فوجدوا في وعاء طعامه (ثم استخرجوها من وعاء أخيه) وأنت هنا باعتبار السقاية والصواع يذكر ويؤث (كذلك) أى مثل ذلك الكيد أى الحيلة (كدنا ليوسف) أى علمناه إياه وأوحينا به اليه ثم فسر الكيد وهى الحيلة المتقدمة فقال (ما كان يأخذ أئاه في دين الملك) لأن الحكم في دين الملك أى شريعته لسارق ان يغرم مثلى ما أخذ ويضرب لا أن يستعبد ولو أن يوسف جرى على شريعة الملك لم يمكن من أخذ أخيه وقوله (إلا أن يشاء الله) استثناء منقطع أى لكن أخذه بمشيئة الله وادته (ترفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجته (وفوق كل ذى علم علم) أرفع درجة منه (قلوا ان يسرق) بنيامين (قد سرق أخ له من قبل) وهو يوسف لأنه دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يمدونه فدفنه • وقيل أعطى دجاجة كانت في التزل لسائل أو أن منطقه لآبراهيم عليه السلام يقولونها أكبر ولده فورثها اسمعى ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه وكانت لتعبد عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها فصعدت الى المنطقة خزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسمعى فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم أفعل به ما أشاء فتركه يعقوب عندها حتى ماتت • ويقال انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له اضحطنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال لنا منك بلاد متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاد ذهبتم بأخى نأهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلى الذى وضع البضاعة في رحالك (فأسترها) أى مقالهم انه سرق كأن لم يسمعها (يوسف فى نفسه ولم يبيدها لهم قال أتم شر مكانا) مكانا تميز أى أتم شر منزلة في السرقة لأنكم سرقتم أنا كم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قلوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) فى السن وفى القدر (نفذ أحدنا مكانه) بئله على وجه الاستهزاء أو الاستعجاب فإن أباه يتسلى به عن ابنه المفقود (إننا نراك من المحسنين) إلينا فاقم احسانك أو من المتقدين الاحسان فكيف تغير عادتك (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنه) وكيف نظلم غيره فناخذ على قوتنا كم (إننا إذن لظالمون) فى منهبكم هذا (فلما استأصوا منه) السين والتاء للبالغة كما فى استصم أى فلما يسأوا من يوسف (خالصوا) انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (هيبا) أى متناجين متشاوريين وليس معهم غيرهم وهو مصدر فلذلك أورد لأن هذه قاعلته فهو يكون مفردا فى كل حال (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أوفى الرأى وهو شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) عهدا ونيها لأن العهد كان معه الخاف وهو تأكيد له من جهة الله (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما) مزينة (فرطتم في يوسف) قصرتم فى شأنه (فلن أبرح الأرض) فلن أترق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الرجوع (أو يحكم الله لى) أو يقضى الله لى بالخروج أو بالوت (وهو خير لما كين) لأنه لا يحكم إلا بالعدل (ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه

بالسرقة (إلا بما علمنا) من سرقة وثيقنا أن الصوامع استخرج من وعائه (وما كنا للغبى حافظين) وما علمنا أنه يسرق حين أعطيناك الموقى (واسأل القرية التي كنا فيها) أى مصر أى أرسل إلى أهلها فأسألمهم من كنه القصة (والعبر إلى أقبنا فيها) وأصحاب القافلة وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب (وإنا لصادقون) تأكيد (فلما رجعوا إلى أبيهم) وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال) يعقوب (بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا) أردنوه فقررتموه والا فلا فإنهم الملك أن السارق يؤخذ بسرقة (فصبر جيل) أى أصرى صبر جيل أو صبر جيل أجل (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) ييوسف وبنيامين وأخيما الذى توقف بمصر (إنه هو العليم) بحالى وحالم (الحكيم) فى تديره (وتولى عنهم) أى عن بنيه أى وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (وقال يا أسفا على يوسف) والآف بدل من الباء أى أسنى والأسف أشد الحزن والحسرة والتجاسس بين الأسف ويوسف غير متكلف (وابيضت عيناه) لما أكثر البكاء ومحقت العبرة سواد عينه فجعلته بيضا وكان يدرك ادراكا ضعيفا (من الحزن فهو كظيم) علاه من الفظ على أولاده محسك له فى قلبه لا يظهره أى مكظوم من كظم السقاء عتده على ملته (قالوا لله) لا (تتو تذكر يوسف) أى لازال تذكره فنجما • ومن هذا فقلت يمين الله أبرح قاعدا • ولوقطوا رأسى ليدك وأوصالى

أى لا أبرح وقوله (حتى تكون حرضا) أى مريضا مشرفا على الهلاك (أو تكون من الهالكين) • قال إنما أشكو بثى ورتنى إلى الله البت أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيه إلى الناس أى ينشره فهو لا يئس إلا إلى الله • روى فى باب اللواعظ أن يعقوب اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عمت (وأعلم من الله ما تعلمون) وأعلم من رجه أنه يأتى بالفرج من حيث لا يحتسب الناس (يا بني اذهبوا ففكسوا من يوسف وأخيه) ففكسوا منها وتطلبوا خبرهما • والتحسس هو المعرفة (ولانأسوا من روح الله) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) لأن من آمن بالله ودرس هذا العالم كما قدّم فى هذا التفسير يعلم أن رحمة وسعت كل شئ علما يقينا لا تقليديا فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز منا وأهلنا الضر) أى الشدة والفقر والجوع • وأهل هم من خلفهم من العيال (ويشتا بيضاء مزجاة) رديئة قليلة كسدة لا تنفق فى ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع • قيل هى صوف وسمن وجة خضراء وما أشبه ذلك (فاوف لنا الكيل وتصدق علينا) أى فأنم لنا الكيل وتصدق علينا برء أخينا على اعتبار أن حزمة الصدقة خاصة ببنينا ^{عليهما السلام} أو بالمساحة وقبول المزجة (إن الله يجرى المتصدقين) أى للمتصدقين أحسن الجزاء • يقال أنه أخرج لهم نسخة الكتاب الذى كتبوه يبيعه من مالك وفى آخره وكتبه يهودا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا أيها الملك إنه كان لنا عبد فبعناه منه ففاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلهم قل يهودا كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا إن كنت فاعلا ذلك فأبى بأمستنا إلى أيننا فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين أدركت الرقة عليهم والرجة فبكى و (قال) يوسف لأخوته (هل علمتم ما فعلتم يوسف) أى هل علمتم قبح ما فعلتم يوسف (وأخيه إذ أتم جملون) لا تعلمون قبحه (قالوا أنتك لأنت يوسف) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبران (قال أنا يوسف وهذا أخى) من أبى وأمى (قد من الله علينا) بالسلامة والكرامة وهذه الجملة التى تعميها لأجلها ذكر أخاه وإن لم يدخل فى سؤالهم (إنه من ريق) لله (ويصبر) على ما يتلى به وعلى الطاعات وعن للمعاصى (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) الذين يجمعون بين التقوى والصبر ولهذا المعنى وضع للظهر موضع المضمر (قلوا والله لقد آثرك الله علينا) اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وجمال العلم والحلم والتقوى والصبر (وان كنا لخاطئين) وان شأنا وحالنا - إنا كنا خاطئين - متعمدين للآثم لم تنق ولم نصبر • لقد أعزك الله

بالملاك وأذلنا بين يديك (قال لاثريب) لانهير ولا تأنيب (عليكم اليوم) متعلق بثریب . وإذا لم تؤذبوا اليوم فكيف بما بعده ثم ابتدأ فقال (يعفر الله لكم) ما فرط منكم • روى أن رسول الله ﷺ أخذ بضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال قریش ما روتني فاعلا بكم قالوا فظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قهرت فقال أقول ما قال أخى يوسف - لاثريب عليكم اليوم - • وروى أن أباسفيان لما جاء لبسم قال له العباس إذا أتيت رسول الله ﷺ قاتل عليه - قال لاثريب عليكم - ففعل فقال رسول الله ﷺ غفر الله لك ولبن عمك • ويقال أن اخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا إليه • انك تدعونا الى طمعلك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكك فيهم فانهم ينظرون الى بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بعشرين درهما ما بلغ • ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حدة إبراهيم • اه

واعلم أن هذه الحكاية للمتولة عنهم وأضرابها إنما أذكرها لتقف على المحاورات الحسنة التي تفيد قوة أدبية وإن لم يكن هناك دليل على ثبوتها لا بالكتاب ولا السنة ولكن هذا أحب بحسن أن يقال وقوله (وهو أرحم الراحمين) من الوالدين وغيرها • ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا عفى من كثرة البكاء هليك فقال (انهبوا بقميصي هذا) أى القميص الذى كان عليه (فألقوه على وجه أبى يات بصيرا) يصر بصيرا فأتى هنا بمعنى صار كما تقول جاء البناء محكما أى صار • قال يهوذا أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت قميص الجفاء وتوجه به من مصر الى كنعان (واتنوني بأهلكم أجمعين) لينعموا بالآثار ملكي كما اغتصموا وحزنوا لأجل (ولما ضلت العير) خرجت القافلة من عريش مصر • يقال فصل من البلد فصلا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال أبوه) لولد ولده ومن حوله من القوم (إني لأجد رجح يوسف) وذلك قبل وصوله اليه (ولولا أن فننون) وهو قصاص عقل يحصل من هرم أى لولا تنفيذكم إياي لست كنتمونى (قالوا) أى الحاضرون (تالله انك لفي ضلالك القديم) أى لفي خطئك القديم من حب يوسف وتوقع لقائه وكان عندهم أنه مات (فلما أن جاء البشير) أى يهوذا (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجهه يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) • قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وانزال الفرج (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) وقد اعترفنا بذنوبنا فنحن أهل لصفحك هنا وأن تسأل لنا المغفرة (قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم) وقد أخوه الى السحر وأولى صلاة الليل أو غير ذلك ثم إن يوسف وجه الى أبيه جهازا ورواحل فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف ومعه الجند ولذلك فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) ضم إليه (أبريه) أباه وأمه واعتنقهما • ومعنى دخولهم عليه دخولهم مصر وكانوا إذ ذاك اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه السلام سبائة ألف وخمسمائة وبنوة وسبعين رجلا سوى القرية والحرمي (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجواز • وقد ثبت في التاريخ أن الأمة المصرية كانت تفتن على الغرباء بالسخر في البلاد فلما فتحت أبوابها افتتحها الأجانب فالمشقة راجعة الى الامن مما تقدم ومن المكاره ومن القحط • انتهى القسم الرابع والخامس

(لطيفة في قوله تعالى - وفوق كل ذى علم علم -)

اعلم أن هذه الآية نزلت لتخرج للمسلمين من جهالتهم العمياء إذ هم اليوم أقل الأمم علما وهذه السورة فيها سر العلوم • ألم تر أنه بعد أن قصص قصص يوسف واخوته قال كما سياتى - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - فقوله - وفوق كل ذى علم علم - مقمته لذلك لأن العلم يكون بما خزا الله في العوالم فهذه السورة وهذه الآية تطلبان من امّة الاسلام رقيا في العالم بانهاية فإذا كان المسلمون

اليوم أجل الأمم فاتهم في المستقبل سيأخذون في الارتقاء ومن للمهدات له هذا التفسير • ولأذكر لك نبذة من كتاب **(الدنيا في أمريكا)** لتتذكر كيف ارتقوا في كل شيء وأن المسلمين يقولون انهم أعلم منا وأن هذه آيات الله وهم يتعوا بها ونحن محرومون

(عجائب الصناعات في أمريكا)

فيها بناآت شاعلت فولاذية تناطح السحاب وتقاخر الشهب فهناك عمارة (ولورث) في نيويورك لها ستون طابقا والصواعد الكهر بائية التي تقل سكانها ثمانون ويسكنها اثنا عشر ألف قس ولا تعد البناآت التي لا تتجاوز عشرين طابقا مرتفعة • وتجذ في البناية الواحدة ستة طوابق تحت الأرض ولاتشيد المباني إلا من الفولاذ والحجر في المدن وفي كل عمارة ضخمة في الطوابق التي تحت الأرض آلة للتنوية والتدققة • تحرك هذه الآلة مروحة كبيرة تأتي بالهواء التي من الخارج وتبعث به إلى كل غرفة في البناء • ومتى أقبل الشتاء مهدوا هذا الهواء في تيار ساخن فدقات جميع الغرف

(طرق للمواصلات)

يوجد منها في المدن الكبيرة مما يصل إلى أجزائها المختلفة **(ثلاثة أنواع)** نوع يسير تحت الأرض كما في باريس ولسدن وبرلين • ونوع يسير فوق الأرض كما في مصر وغيرها • ونوع معلق بين الأرض والسما على عمد كبيرة الارتفاع يجري فوقها قضبان تسير عليها تلك القطارات بمحاذاة البنايات الشاهقة ولا نظير لهذا في الممالك الأخرى وهناك قطارات تسير تحت فاع النهر أرى داخل أنابيب تحت الأرض التي يملؤها ماء البحر

(تسهيل الأعمال)

في مدينة (نيويورك) تضع قطعة من النقود في قفب هناك فهناك يفتح لك الباب للدخول للقطار بلا مراقب ولا مفتش وتضع في قفب النقود قطعة من النقود ثم تضع الساعة على أذنك بدون أن تفرع الجرس فتجيبك الساعة على الفور

(تسهيل العمل في المطاعم)

هناك مطاعم فسيحة أنيقة قوم فيها الحركات مقام العمال ففيها آلاف من القيوب النحاسية فوق كل منها مصباح موقد ونحن ناسم طعام من الأطعمة من لبن وشاي الخ من كل ما يحضر بك من طعام وشراب تضع الخن في القفب الذي تريده فيبرز أمامك رف صغير فوقه طبق الطعام الذي ترغب فيه • وهناك أجهزة لمسح الأيدي من تلقاء نفسها بعد لقاء قطعة من النقود في قفب فيها • ومثل ذلك آلات لغسل الأطباق والشوك والملاعق وأدوات الطبخ وتجفيفها وهكذا مما لا حصر له وهم يستعملون الكهرباء للإنارة ولطهي الطعام ولغسل الثياب وغير ذلك • في مدينة نيويورك ١٧ ألف صناعة يتلقى طلبة المدارس ٢٠٢ صناعة فقط منها

(التلفراف الذي لا سلك له)

هذا هو الذي اخترعه العالم (ماركوني) الأمريكي وقد بلغ عدد المحطات التي نبث إلى السكان ليلا ونهارا سنة ١٩٢٣ م (٤٦٤) محطة غير ما للحكومة وهو (٢٣٣) محطة وغير المحطات الخاصة وعندها (١٨٦٥٨) وبلغ عدد الأجهزة اللاسلكية في ولايات أمريكا المتحدة خمسة ملايين ونحن الجهاز من ستة رياالات إلى ألف ريال على حسب توصله في المسافات بسلا وقربا وقد بلغ من منافعتها ما يأتي

ان رئيس الولايات المتحدة يقب ألم آلة التلفون للمنادة في قصره ويطق خطابه بحماس وحبية وتكون آلة التلفون متصلة بشركة اللاسلكي وهذا يطيرها إلى كل مائة من جهاز فيسمع خطبة الرئيس الملايين من النفوس ويسمعها الناس في سائر أنحاء أمريكا وأوروبا • وراهم يقسمون الأوقات باللاسلكي فيقولون

من الساعة ٤ الى الساعة ٤ والدقيقة ٥ مشلا أخبار محلية ومن ٤ س و ٦ ق الى ٤ س و ١٥ ق
موسيقى وهكذا من حكاية فكاهية للأطفال الى عظة شائعة . إن الانسان يسمع بهذه الأجهزة كل صوت
في الصين وفي أوروبا وأمريكا متى كانت هناك أجهزة للاستعمال فيكون الناس على الأرض أمة واحدة بل
العلماء هناك يقولون إن فكر الانسان يؤثر في عالم الأثير بحركات لطيفة ويقتنون أنهم سيعرفون كيف
يقرون الأفكار فلا تبقى إذن للناس أسرار وهذا غنمهم - ولله عاقبة الامور -

(الحركة الفكرية والتجارب العلمية)

في مدينة نيويورك مدرسة شهيرة ثانوية يدفع الطالب فيها سنويا (١٥٠٠) ريالا ويضطلع على مدارس
الحكومة التي لا يدفع فيها قرشا واحدا . وغرض هذه المدرسة وضع مقررات غير ثابتة فهي في تغيير مستمر
والتيغير يكون على حسب الفائدة بالنتائج . وهناك حقول لتجارب الزراعة فيزرعون الفواكه والخضر
ويستبدلون الحب بغيره ليكون الناتج أكبر حجما وألذ طعما وأبهج منظرا وهكذا عملهم في تربية الحيوان
وكم يتبرع العلماء بالمال لأجل الفوائد العلمية مثل ما يأتي

الى أي حد تكون الامتحانات العمومية دليلا على قوة الطلبة العلمية وقد كانت النتيجة بعد أن وضع
الدرجبت على أوراق الطلبة الامتحانية مئآت من المدرسين وتلك الأوراق قد طبعت وكل مدرس لا يعلم ما
فعله الآخر . أقول كانت النتيجة أن الطالب الواحد مختلف درجته في العلم الواحد بحسب تقدير مئآت
وأوف المدرسين من ٣٠ الى ٩٠ في المائة من النهاية العظمى وهكذا فعلا مع المدرس الواحد فهو
يصحح الورق الذي صححه هو منذ شهر وهو لا يعلم أنه هو الذي صححه فكانت النسبة أيضا من ٣٠ الى
٩٠ في المائة . فلذلك استبدلوا هذه الامتحانات بامتحانات أخرى . وأيضا برهنوا بالعمل على أن
العقل لا يتعب بل الجسم هو الذي يتعب . وأيضا برهنوا على أن عدم النوم لا يؤثر في الذاكرة والحفظ
فقد يفقد المرء النوم ثلاث ليال متوالية ومع ذلك يستطيع القيام بعمل المسائل وتحرير الرسائل كالمعتاد .
وأیضا برهنوا بالتجارب أنه خير للطالب أن يدرس علما أو يذكر درسا ثلاث ساعات كل يوم لمدة ستة أيام
من أن يدرس نفس الدرس ست ساعات كل يوم لمدة ثلاثة أيام مع ان عدد الساعات واحد . وأيضا برهنوا
على أن تعليم البنث والولد في مدرسة واحدة خير وأبقى للأخلاق وأكثر صيانة لها . وذلك بانهم عملوا
كلا من البنسين على حدة في مقاطعة والاثنين معا في أخرى وراقبوا النتائج سنين عديدة . وبرهنوا أيضا
على أن الطالب المقتدر في اللغات مقتدر أيضا في العلوم الرياضية بعكس ماظنه في بلادنا . وأيضا كذبوا
بالتجارب هذه القاعدة أن القوى في العلوم ردىء الحظ وإنما أثبتوا أن الميل الى الواحد قد يزيد عن الآخر
فتقل اللذة فيه أو تصف فلا تتكافأ معلومات الطالب في الاثنين . وكذبوا بالتجارب أيضا قاعدة أن الذكي
كثير النسيان فقد برهنوا على ان اكثر الناس نسيانا أقلهم ذكاء . وأيضا قام البرهان على أن حفظ
قواعد اللغة لا يساعد في الانشاء كثيرا . وأيضا كذبوا بالتجارب ما قيل ان الهندسة مثلا والجبر يساعدان
على تثقيف العقل . وهذه القاعدة وضعا أفلاطون في كتابه الجمهورية عن أستاذه سقراط فقد وصل هؤلاء
الى تجارب دلت على أن هذه العلوم لا تضيف تقوية ملكة التفكير ولا تثقيف العقل . وأيضا أسقطت التجارب
ما يظنه الناس من أن أولاد المدن أقل ذكاء من أبناء القرى . قد بلغت الصحافة هناك أنهم لا يكادون
يسكون سارقا حتى تظهر صورته الفوتوغرافية بواسطة (اللاسلكي) الى جميع أنحاء أمريكا وتنتشر تلك الصورة
جميع الجرائد مذيبة بالاسم والعنوان والعمر والصناعة وشرح الجريمة . وهناك جرائد مصورة يومية لا تنشر
إلا أخبار السوء الشائنة . وقد ذكرت لك أن ذلك يستتج من آية في سورة النساء فأقرأها هناك ولما
كنت ذلك هناك لم أكن اطلع على ماقلته لك الآن في أمريكا

(رقي المرأة)

بلغ من رقي النساء في أمريكا أنك ترى الطلبة في جملة (كلومبيا) مثلا أربعين ألفا جميع مساعدي الأساتذة وكاتب أسرارهم من النساء وكذلك ألوف للموظفين في التسجيل والخزينة والبيانات المختصة للطلبة الداخلين كلهم أبسطهم من النساء وهناك فرقة واحدة فيها (٣٧٠) طالبا يتقنون الفلسفة وأكثر من النصف نساء والسود الأعظم من طلبة مدرسة الصحافة في هذه الجامعة من البنات وكذلك السود الأعظم من المحررين والمكاتبين فيهم وفي كلية المعلمين في تلك الجامعة أكثر من ثلاثة آلاف طالب خمسهم من الذكور فقط والباقي من النساء وقد ثبت أن (٩٠) في المائة من الأساتذة في أمريكا من السيدات وأن في مدينة (نيويورك) وحدها (١٩) ألف معلمة وأخت الرئيس (هاردينج) معلمة . أن في كل خمسين من السكان في أمريكا طالبا في المدارس الثانوية وعدد البنات في المدارس الثانوية أكثر من عدد الذكور في حين أن في ألمانيا طالبا ثانويا في كل مائة وثلاثين من السكان . وعدد الطلبة في فرنسا في الأقسام الثانوية بنسبة طالب في كل مائة وخمسين . وفي انكلترا طالب في كل مائة مع العلم أن الأغلبية الساحقة في هذا العدد من الذكور . إن في أمريكا أكثر من عشرين مليون طالب وفي الأقسام الثانوية فقط أكثر من مليون طالب أكثر من نصفهم من الإناث . ويؤم أمريكا من الأمم المختلفة أكثر من عشرة آلاف طالب ليتقنوا العلم في كليتها وجامعاتها . وقد بنى (روكفار) أغنى رجل هناك بناء عظيميا يسكن فيه جمع عظيم من الأمم . والأعضاء في هذه الأيام ألف ومائتان ثلثهم فقط من الذكور وهؤلاء الأعضاء يمثلون (٧٥) أمة ويتعارفون ويتحابون وكل يعطي الآخرين مافي بلاده من أحوال ليكون في غاية السهرة والانتشراح

(الحركة العلمية في أمريكا لها أغراض سبعة)

(الفرض الأول) اللام بالعلوم العامة كالكتابة والقراءة والحساب وتقويم البلدان وغيرها وحذفوا بعد الاختبار ما اصطلاح الناس على أنه يتفق العقول فقط كأكثر النظريات الهندسية والجبرية ويقولون إن للمهندس لا يحتاج إلا إلى سبع نظريات وغيره لا يحتاج إليها . ويقولون إن حل الألغاز الجبرية والهندسية لا تقيدنا في حل ألغاز الحياة والشعر لا يسهل علم الكيمياء وهل يستفيد الزارع والطبيب والمحامي والناظر من تحليل الكميات إلى عواملها وإيجاد جذور الأعداد الرمزية والكميات الخيالية (الفرض الثاني) الاستعداد للمهنة وذلك أن علماء التربية يجهلون في حصص الدراسة المعتادة حصصا تتخطها الأعمال اليدوية الصناعية ليعرف الطالب صناعة منذ نعومة أظفاره وليحترم العمل اليدوي ولتظهر مواهبه الكامنة فيه (الفرض الثالث . الصحة) ولقد جاهدوا الصحة في مستوى الأغراض الأخرى فلم يتركوا صناعة للعلوم والسباحة ومسابقات وألعاب مختلفات قوية لأبدانهم (الفرض الرابع . خدمة الوطن) يفهمون التلاميذ أن يعيش الفرد لمجموع ويشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ويقرأ للتليذ تاريخ آبائه وأجداده وما أنه الأبطال من جلائل الأعمال ويقرؤن خطبهم وحكمهم وترى على البلاد خفا ليل وانهارا فوق سارية (الفرض الخامس . استخدام أوقات الفراغ) يقولون إن ساعات الدراسة لا تتجاوز الثمان أو التسع ساعات وما يبقى بعد ذلك ضف هذا العدد فيقول هؤلاء إن أوقات الفراغ أكثر دلالة على تربية الرء من أوقات العمل ويقولون أرني ما تفعل في أوقات فراغك وأنا أريك من أنت . وعلى هذا المبدأ وضع القائمون بشؤون التعليم في أمريكا مبدأ عاما لجميع معاهدهم وهو وجوب تعليم الناشئة كيف يستخدمون ساعات الفراغ في أحسن وجهها فيحصلون للطلبة نولدى كنادى السباحة أو السباحة أو الغيطة أو البطاطس أى زراعتها أو ركوب التحليل أو الخطابة أو التأليف أو الصحافة أو المطالعة (الفرض السادس . الحياة العائلية والعمل على أسعادها) يقولون ليست المرأة وحدها مسؤولة عن المنزل والعمل على تهية وسائل السعادة فيه . فدروس علم الاجتماع يدرسها الرجال والنساء

والنساء ويعرفون آداب المائدة والزيارة والاستقبال ومعاملة أفراد العائلة بعضهم بعض وطبخ الطعام وتعلمه الذكور كما يتعلمه الاناث (الغرض السابع) من أغراض التربية تكوين الأخلاق ولكن لا يدرسون علم الأخلاق ولكن الأخلاق بالقنوة والمثال اكتسابا تنكسب في المنزل على صدر الأم وركن الأب وعلى المائدة وفي غرفة الاستقبال كما في المطبخ وفي حجرة الدراسة من المعلم أول المعلمة ومن علاقات الطلبة بعضهم ببعض

(التعليم المشترك بين الجنسين)

ان اليابان تربي البنت جنبا الى جنب الولد في المدارس الابتدائية الأولية وتفصل في الأقسام الثانوية ثم تنضم اليه مرة أخرى في الكلية والجامعة . ويقال ان ألمانيا وفرنسا وإنجلترا أدبل الى هذا الرأي . أما أمريكا فان فيها نحو مليونين ونصف مليون من الطلاب في الثانوي منهم مليون ونصف مليون من الاناث وهكذا الحال تقريبا في بلاد اسوج ونروج وهولانده والاندرك وجزائر القيين يقعون النظام المشترك في جميع مدرستهم من الأقسام الأولية والابتدائية والثانوية الى الكليات والجامعات . وهكذا جزائر (الهاواي) السحيقة الواقعة في عرض المحيط الهادى فان تعليمها مجاني إجباري مشترك لكل طالب وطالبة بين سن السادسة والسابعة عشرة . وهكذا (يوت ريكو) التي آلت الى الولايات المتحدة سنة ١٨٩٨ فان عدد سكانها لا يربو عن مليون نسمة ومع ذلك بها مائة ألف طالبة وبجانبهن مائة ألف طالب

هذا ما أردت تلخيصه من كتاب (الدنيا في أمريكا) لأريك أبيها النكي المسلم للمصلح للامة الاسلامية صورة من صور التعليم في الدنيا التي نعيش فيها . ذكرت لك ذلك ولم أقل فعل مثلهم حنو القنفة بالقنفة ولكن أقول هؤلاء فاتونا في العلوم والصناعات والأعمال والأحوال وأساس ذلك كله العلم إذ لا عمل إلا بعلم ولا علم إلا بتعليم والعلم هو الذي جاء في هذه الآية - نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم -

فها أنت ذا أبيها النكي ترى أن الناس قد اخترعوا وجعلوا وصنعوا وارتقوا وكما وصلوا الى درجة ظهرت لهم درجات إذ لانهاية العلم لأن فوق كل ذي علم عليم هكذا في سورة طه بعد هذه السورة بسج سور يقول الله رسوله - وقل رب زدني علما - إن المسلمين أولى بهذه العلوم . إن المسلمين أولى بهذه العلوم . ان المسلمين هم خير أمة أخرجت للناس فهل يكونون خير أمة أخرجت للناس وهم قد تركوا مواهبهم ومجانب صنع ربهم فلم ينتفعوا بها وجعلوا كل شيء إن المسلمين في المستقبل سيزدادون علما وحكمة كما أمرهم ربهم ويقروا علوم الأمم ويصطفون لهم طرقا تناسب أحوالهم ولا يتكلمون على نظريات غيرهم بل يمجربون ويدرسون كما فعلت أمريكا . وانهم يكونون عن قال الله فيهم - فيشرع عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - وانما قال هم أولوا الألباب لأنهم عرفوا الأحسن بالبرهان لا بالتقليد - وان قطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن - فالألم في تعاليمها أشبه بعباد الأصنام يدرسونه ماسه غيرهم ولا يفكرون بأنفسهم ولكن علماء العصر الحاضر أخذوا يفكرون كما ذكرت لك في هذا للمخلص والمسلمون أولى بهذه الآراء والتحقيق والبحث والتفكير . إن الأمم الاسلامية اليوم أجهل الأمم وبعد هذا التفسير وغيره من المؤلفات سيقوم في هذه الأمم الاسلامية من يفوقون الأمم في أقرب زمن

واذا كنا - خير أمة أخرجت للناس - . وإذا كنا من الواجب علينا أن نسعى القول فنتبع أحسنه . وإذا كنا كآباء للأمم . وإذا كنا شهداء على الناس . إذا كنا بهذه الصفات كلها فواجب علينا أن نتحلى بها فعلا ولا فكيف نرى أهل أمريكا وأهل أوروبا يسمع لرجل منهم لخطب ودروس العلم من جميع الأطفال وهو في حجرته ونحن غافلون جاهلون . وكيف يتعلم الذكور والاناث ونحن في غفلة ساهون . أليس عموم التفكر التي لاسلك له جعل الشرق يسمع للغربي والغربي يسمع للشرقي وكأن الناس كلهم أمة واحدة .

أليس ذلك يذكرنا بأية - كان الناس أئمة واحدة - ولعل الناس في أزمان مجهولة لنا كانوا متواصلين بهذا الخط ثم لما انحطت مدرجهم صاروا على ما هم عليه اليوم . ولعل هذه الحركة الحاضرة مبشرة بأيام يتحاب فيها الناس جميعا من جميع أهل الأرض للساعة أيام نزول المسيح واقعة أعلم له
(لطيفة في اعتراض لأحد العلماء وجوابه)

ولما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد الاخوان الفضلاء قال . لقد أثبت هنا بالهيب الهيب وذكرت عجائب العلماء في أمريكا . ولكن بالله قل لي انني ألاحظ عليك أنك ما قرأت علما ولا رأيت سكة إلا ألقيتها بالدين . فقلت له ما الذي رايك في هذا . قال (مسألتان) الأولى علمية والثانية دينية . فقلت فما للسألة العلمية . قال ألم تذكر أنهم يرون أن الهندسة والجبر ونحوهما أصبحتا لا قيمة لهما وانهما أجدر أن يحفظا وأن هناك سبع نظريات هي التي يجدر بالهندسين معرفتها الخ . وهكذا مسائل من هذا القبيل . فقلت وهل أنا قلت اننا نأخذ بهذا عينه . ألم أقل ان هذه للمباحث تقرينا بالبحث عنها وعن غيرها فنصطفي مارق ووراق وترك ما ليس لنا عليه برهان . أنا ذكرت ذلك كله لغرض أن نجعله موضع البحث والا اذا سألتني عن رأيي أقول ان العلوم كلها فروع لشجرة واحدة هي الحياة . العلوم كلها مشتركة مشتبكة فأعلاها عتاج لأدناها . هذا كله لا ريب فيه ولعل القوم يريدون أن الطلاب لا يجوز له التخلي في علم إلا اذا كان مستعدا للاختصاص فيه والا فالعلوم كلها متضامنة له

ثم قلت فما للسألة الثانية . قال هي مسألة الدين . إنك ذكرت أن النساء يتعلمن مع الرجال من الصغر وانهم وجعلوا أن هذا أقرب الى المنعة وحسن المعاشرة والرفق في العلوم فاذا أنت رويت هذا فعناء أن المسلمين في نظرك يفعلون هذا فيعلم سائرهم ويرجلهم معا وهذا يناقضه قوله تعالى - وقل للمؤمنات يفضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أولادهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو لآلئنا عين غير أولى الأرية من الرجال أو لطفل الدين لم يظهرها على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوربنوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم ترحمون - فأنت اذا قلت للمسلمين ذلك فعناء أنك أنت رفع الحجاب وهذا يأباه الاسلام والمسلمون فقلت إن علماء الاسلام أباحوا رؤية الوجه ونحوه اذا مست الحاجة وذكروا من ذلك تحمل الشهادة والتجارة مع المرأة والطبيب والحاسة وما أشبه ذلك . كل ذلك وغيره ذكره العلماء ودوتوه فالدور عندهم على الحاجة ثم اني لم أقل ان التعليم يجب أن يكون الذكور فيه مع الاناث وانما حكيت ما فعل القوم لا غير وقت فلنتبع أحسن السبل . قال فاذا ثبت أن طريقهم أحسن السبل في التعليم وأن اختلاط الاناث بالرجال في سن التعليم أخرج لنا رجالا ونساء أفضل من الموجودين الآن اذا ثبت ذلك فرضا فاذا فعل . قلت ألم أقل لك ان الاختلاط أجازه العلماء للحاجة . قال هذا القول لا يشفي من غلة ولا يروى من غلة . فقلت له سيأتي في سورة النور مسألة الحرام والحلال في هذا المقام . فلننظر الكلام فيه ولنبحث في أمر الأئمة الاسلامية العام فتقول

إن المسلم يعيش ويموت وهو لا يعلم أن سوءة أمته مكشوفة أمام جميع الأمم وإمام الله والنبي ﷺ فلقد أجمع العلماء أن ترك الصناعات والعلوم التي تعيش بها الأمة وتحفظ كيانها تكون كلها ذنوبا على الأمة فيصبح للمسلم كل يوم وفي رقبته ثمانية آلاف ذنب فانه مأمور بصناعات وعلوم قدامت لها بها أوروبا وحاربنا بها فان لم نعرفها كنا جميعا مذبذبين . فهذه سؤات وعورات مكشوفات لله وللناس ولنبي ﷺ فان لم يقم بهارجالنا ونسأوتنا أى لكل علم ولكل صناعة جماعات من الطرفين فان الأمة كلها مذبذبة . فهذه سؤات عرفها أوروبا فأنت وأختك بعض بلاد الاسلام وهذا لأننا خلعنا لباس التقوى غالبا

(١) العامل بالنقد من الذهب والفضة وغيرها قد جعل في الأم طبقة للمرايين الذين يعيشون من ثمرات (العاملين) وهم لا يطعمون الناس مطعما ولا ملبسا ولا غيرهما

(٢) الملوك في جميع الأمم يستبثون بالرعية ويطغشون

(٣) وهكذا رجال الدين في جميع الأمم السالفة استبثوا بالناس بعد أنبيائهم كما هو حاصل في الدين المسيحي في القرون الوسطى وفي الدين البرهمي إلى الآن . فهنا ظهر أن الأمم كانوا أطفالا وأكثرهم لا يزالون كذلك يخضعون للملك ولرؤساء الدين ولأرباب المال . وتفرغ على ذلك أن قوما بحثوا عن الذهب من علم الكيمياء وأضاعوا في ذلك أعمالهم . وهكذا ترى رجال الدين في أكثر الأمم يبحثون في المال على الناس ويعرضون على الرثاسة والعظمة والمال بطريقي الدين . وهكذا أكثر علماء الفقه قديما في أممنا الإسلامية كما قلناه لك عن الامام الغزالي في سورة المائدة فانظر حال الأمم الآن وتجب من فعل الله عز وجل فانظر كيف حبس عقول القدماء في استخراج الذهب بطريق الكيمياء وجعلهم خاضعين للملك ولرجال الدين فكأن الناس إذن عند علماء دينهم وعند ملوكهم أطفال جهال يسخر منهم ملوكهم ورؤساء دينهم ويسخرونهم

الذهب الآن كيف أصبح الناس يبحثون في الهواء عن (الاوزوت والنوشادر) لأجل نجاح الزراعة ويكسرون الأحجار والصخور لاستخراج (حصى النصفوريك) ولا يصنعون الدخان للتطهير من المداخل فيأخذون منه أكثر من (ألفي ألف) قطار في السنة من (البوناسا) وهكذا كان للمسيحيون بحر من جميع العلوم فلما أن جاء الاسلام أخذوا يكسرون وينبذوا القديم وقرؤا العلوم وهكذا المتأخرون من أممنا الإسلامية أصبحوا كالنصارى القدامى سرقوا من العلم وهادنوا أولاء الآن تجدهم مشمرين عن ساعد الجدة لحوز العالم اليوم وهذا التدمير من مقومات هذه النهضة

فاجب لصنع الله عز وجل . سرر العقول الواهمة فأراها أن النعم الحقيقية في استخراج المنافع من هواء ومن صخور ومن دخان . من هذه كلها يستخرج الناس سلبا لضررهم وهذا أفضل وأجل وأعظم من استخراج الذهب بما لاحصره . هذا هو تحرير العقول الانسانية وإخراجها من الجهالة . فالديانات الآن أصبحت لا تمنع العلم ولكن الاسلام يوجب فسلطان الدين إذن لا يمنع من العلوم . هاهو ذا العلم أخرج الناس من الظلمات الى النور . أخرجهم من قيود المذلة للملك وصارت المجالس انبيائية قائمة مقامهم . هاهو ذا العلم زلزل قواعد الملكية وفتح باب المشورة . أخرجهم من الأوهام القائلة بالانكسار بهم إذ استبد بهم للملك فسلبوا أموالهم فقعدها العلماء والشعراء بأبوابهم يستعطفونهم ليرزقوهم مما نهبوا من الرعية . أخرجهم من سجن الذهب إذ كان العالم البارع هو الذي يثر على طريقة استخراج الذهب بطريق الكيمياء . وهبنا هبنا النوال والفضي بل كانوا يموتون فقراء . لماذا هذا . لأنهم جهلوا الحقائق . ذلك أن الذهب إنما هو واسطة التبادل للثمن ولأن الذهب ملاء الأرض وليس فيها قوت ولا ملابس لميت الناس فالذهب كالخبر عند عدم المنافع للمادية من مأكل وملبس . كلا بل الخبز أصبح أفضل من الذهب بالعلم لأنهم استخرجوا منه كما رأيت للمولدة التي تسمد بها الأرض . وهذا السهاد حياة للزراعة والزرع به حياة للانسان والحيوان والذهب ليس له إلا أن تعرف به القيمة حسب . إذن العلوم قليلة أوضاع العقول الانسانية التي تقلس للذهب فأرتها أن أجار الجبال التي تزدحمها ودخان معاملكم خير وأبقى والذهب إنما هو أمر ثانوي للتبادل فمن استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فهو جهول

هذا كله داخل في قوله تعالى - نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم - فهؤلاء الذين عرفوا نعمة ربهم واستخرجوها من الدخان للمبوء ومن الهواء للتروك ومن الصخور جبالهم وهؤلاء الذين لم يقبدهم دينهم ولم يقعد بهم عن العالي ولا استناموا للملكهم أرفع درجات من أولئك الجبال الذين جهلوا نعم ربهم وأظنوا

أَنْ دِينَ اللَّهِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَى النَّاسِ بِهِمْ الدُّنْيَا كُلُّهَا يَمْنَعُ مِنْ تِلْكَ النِّعَمِ أَوْاسِئِدَ بِهِمْ مَلُوكُهُمْ فَأَذْلَوْهُمْ • وَلَمَّا كَانَ رُفْعُ الرِّجَاتِ لِلذِّكْرِ لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَّا الصَّلَامُ أَعْقَبَهُ بِقَوْلِهِ - وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ - اه

(الْقِسْمُ السَّادِسُ)

وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَكُمُ رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ • ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَتَنِيهِمْ إِذْ أَتَوْهُمْ أُتْرُفًا وَهُمْ يَكْفُرُونَ • وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ • وَمَا تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ • وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ • وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ • أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ • قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُفْرِكِينَ • وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَنَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ • حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَوَلَّتُوا أُتْمِنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ • لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ •

(التفسير للفظي)

قال تعالى (ورفع أبويه على العرش) السر الذي كان يجلس عليه يوسف • والرفع النقل إلى أعلى (وخرّوا له سجداً) أي يعقوب وأمه وإخوته • وقيل خالته لموت أمه وكانت تحبة القوم إذ ذاك السجود وهو الانحناء والتواضع (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) التي رأيتها في أليم الصبا (قد جعلها ربّي حقاً) مسلماً (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السبح) وأعرض عن ذكر الحبة ثلاثاً يكون تترياً عليهم (وجاء بكم من البدو) من البداية لأنهم كانوا أصحاب مواش يتقلّون بها في المياه والنباح (من بعد أن نزح الشيطان بيني وبين إخوتي) أي أقصد بيننا وأغري • يقال نزح الرأض الدابة إذا نحسها وجعلها على الجري

(إن ربى لطيف لما يشاء) لطيف التدبير فلا يصعب إلا وله فيه تدبير ينفذ فيه مشيئته (إنه هو العالم) بوجوده للصلح والتدبير (الحكيم) الذى يفعل كل شئ فى وقته * يقال إن يوسف طاف بأبيه فى خزائنه فلما أدخله خزانه القراطيس قال يا بنى ما أعفك عندك هذه القراطيس وما كنت لى قال أمرنى جبريل قال أوماته قال أنت أبسطنى إليه فأسأله فقال جبريل لله أمرنى بذلك فقولك - وأناف أن يأكله الذئب - قال فهاخفتى (رب قد آتيتنى من الملك) ملك مصر (وعلمتنى من ناويل الأحاديث) هدم تفسيرها فى أول السورة يا فاطر السموات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخرة تتولانى بالنعمة فى الدارين وتوصل الملك الفائق بملك الباقي (وفى سلسله) طلب الوفاة على الاسلام كما قال يعقوب لولده - ولاتموتن إلا وأتم مسلمون - أرغضا ومسلما اليك أمرى (وأخفى بالسلطين) من أبائى وضيعهم (ذلك) أى ما ذكر من نبأ يوسف كائن (من أبناء القريب نوحه إليك) خبر (وما كنت لهمم إذ أصبحوا أمرهم وهم يكررون) يقول تعالى هذه من أبناء القريب بلوى لأهلك لم تكن مع اخوة يوسف حين هموا أن يجعلوه فى غيابة الحب وهم يكررون به وبأبيه ليرسله معهم يرتع ويلعب * وقد لبث فى قومك أربعين سنة قبل هذا ولم تلق أفاضته معطين ولا قرأت كتباً وذلك قد ذكر فى آية أخرى - ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا - (وما أكلت الناس ولو حسرت) على إيمانهم (بمؤمنين) لأنهم معاندون (وما تسألهم عليه) على الانباء أو القرآن (من أجر) جعل كما يفعله القصاصون (إن هو إلا ذكر) عظة (للعالمين) عظة (وكأين من آية فى السموات والأرض يمترون عليها) على الآيات ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا ينتفكرون فيها ولا يمتدبرون بها (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) فإذا سئلوا من خلق السموات والأرض وأنزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الأصنام وهذه الآية فى أهل الكتاب والمناقض والمشركين (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) عقوبة فتضاهم وتشلهم (من عذاب الله أتأتيتهم الساعة بفتح) فجأة من غير سابقه علامة (وهم لا يشعرون) باتيائها ولا استعداد عندهم (قل هذه سبيل) أى المسيرة الى التوحيد والاعداد ليعاد حال كوفى (أدعوا الى الله على بصيرة) بيان وصحة واضحة (أنا) تأكيد للتصريح للمستتر فى أدعو (ومن اتبعنى) عطف عليه (وسبحان الله) أى قل يا محمد سبحان الله أى تنزيها له عن كل ما يليق به (وما أنا من المشركين) أى قل يا محمد - وما أنا إلخ - (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) ملك (نوحى اليهم من أهل القرى) لأنهم ذوو علم وحلم فأما أهل البوادي ففهم الجهل والغباء (أقم يسعوا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وادار الآخرة) أى وادار الساعة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك وآمنوا (أفلا تعقلون) فلا يهزهم تمادى أيامهم فإن من قبلهم أمهلوا (حتى إذا استيأس الرسل) من النصر (وظنوا أنهم قد كذبوا) أى كذبهم أنفسهم حين حدثتهم أنهم ينصرون (جاءهم نصرنا) أى المؤمنين والأنبياء فجأة (فتبجي من نشاء) أى النبي وقومه (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم الجرمين) أى الكافرين (قد كان فى قصصهم) أى فى قصص الأنبياء وأهمهم (عبرة لأولى الأبواب) حيث قل يوسف من غايه الحب الى غيابة الحب ومن الحب الى السرور * فاذن عاقبة الصبر باجليل جملة وأفضل أخلاق الرجال التصبر (ما كان) القرآن (حديثا يفتى ولكن تصديق الذى بين يديه) أى ولكن كان تصديق الذى بين يديه من الكتب السبلوية (وتصديق كل شئ) يحتاج اليه فى الدين (وهدى) من الضلال (ورجى) يقال بها خير الدارين (قوم يؤمنون) يصدقون انتهى التفسير القفطى * وهنا (خمس جواهر) فى هذه السورة

(الجوهرة الأولى فى رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك)

(رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك مطلقان من مطالع كواكب العلم مشرقان)

هذا كتاب سهلوى ومن دأب أمته أن يسمو بالقول الى الدارك للشرقة بطريق الاشارات الحكيمية

ليفتح لبصار أبواب الفهم وهناك تشعب الآراء ويبحث العقلاء ويجد المفكرون وتكون تلك الأنوار العلمية أشبه بضوء الشمس إذ يسطع على الأحياء من ملكتي الحيوان والنبات وعلى الجباد فتقبل كل ملكة من النور ما يلائم أشكلها ويوافق أحوالها ويلائم نظامها

فهاتان الرقيتان قد فتحتا (باين) من العلم (الباب الأول) ما سأذكره من عوالم اليقظة وعوالم الأحلام في المنام (الباب الثاني) ما قمت في أول هذه السورة من أنهما قد كانتا سببا في نشر العقلة للمتقدمة البنية على أن فرعون مصر في تلك الأخطاب قد كان مفرما بأمر الرعية فرأى في المنام السبلات الخ ثم أبنت أن القلاح ونوره يحتاجان إلى طيور تأكل الحبوب الفائكة بالزرع وأنه ترك ذكرها لأنها أشبه برجال القضاء والحمامة أولئك الذين اضطر اليهم الناس اضطرابا ولو كان الناس جميعا كلولين لم يكن لهم قضاة ولا حامون هكذا هنا لولا ما في الأرض من حشرات مخلوقات فيها لتمتص الرطوبات لم تكن في حاجة إلى أنواع الطيور الخفاصة بأكل الحشرات . كل هذا ذكرته وأشرت إليه لتبيان السبب في ترك ذكرها في رؤيا الملك . ثم استعرت بذكر أنواع تلك الطيور التي عرفتها أمتنا للمصرية ورسمت صورها

(بيان السبب في ذكر تلك الطيور في هذا التفسير وكيف جاز تصويرها فيما تقدم)

أما السبب في ذكر الطيور في هذا التفسير التي حرم صيدها أهل بلادى فذلك ليكون ذكرى للمسلمين أن يتبينوا ما يلائمهم من الطيور النافعة لزعمهم بأكل الحبوب والفيران ولن يتم لهم ذلك إلا بأن يكون عندهم علماء اختصاصيون في هذه العلوم ويكونوا دلوسين لعلوم الأمم الخفية بهم . هذا أمر أصبح واجبا وتركه حرام لأنه فرض كفاية كما شرحناه مرارا في هذا التفسير في أول سورة البقرة عند قوله - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - وفي أوائل سورة المائدة عند قوله تعالى - فبعت الله غرابا الخ - وفي مواطن أخرى تقدمت . ولعل للمسلمون في أقطار الأرض أنهم محاسبون معذبون في هذه الدنيا قبل الآخرة إذا أهملوا دراسة الطيور ودراسة سائر العلوم . اللهم إني قد أذيت الأمانة وبذلت النصيحة وأتت أيتها القارئ لتكن أصبحت مسؤولا مثل فاجعل كل حياتك خادمة أمتك وتكن من حاملي لواء العلم ومن أعمدة النظام العلم في الأرض فهذا قد استمدت لتكون خليفة في الأرض ونور أمييا ونجما طالعا وشمساً مشرقة

(لطفة ١)

لقد تقدم في سورة هود عند تفسير البسملة الكلام في رجة الحيوان والأحاديث الواردة في ذلك وكيف أمر النبي ﷺ أن يردوا الطائر الصغير إلى أمه لئلا تشغها به وقد بينت هناك أن الرجة هنا واجبة وأن الأمم الإسلامية غالبا لا يفكر علماءها في نصح العامة في هذا

(لطفة ٢)

وقد تقدم في سورة يونس أن رسم الصور الشمسية مباح وقد ذكرنا هناك آراء بعض هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف بإباحتهم رسم الحيوان بالتصوير الشمسي واتى أرى أنه واجب في مثل هذا الكتاب لأجل التعليم والا فمن أين يعرف المسلمون أنواع الطيور إن لم يروا صورها بأنفسها . هذا ما أردته في هذا المقام لنعلم أن مارس من صور الطيور في هذه السورة واجب لأجل تعليم الأمة لا حرام والله هو الولي الجيد انتهى الكلام على (الباب الثاني)

(الباب الأول) في الكلام على أن هاتين الرقيتين قد فتحتا عوالم اليقظة وعوالم الأحلام في المنام

اعلم أيديكم الله أن القرآن بسبب كونه كتابا مبلوياً يفتح مغاليق العلم لم يكن قمتها بالحسبان . ذلك لأن الناس في أمتهم يقولون (كلام الملوك ملك الكلام) وليس هذا القرآن كلام ملوك بل هو كلام ملك أولئك الملوك . فإنا رأينا أم الأرض اليوم تهتز أسلاكهم البرقية وتكتب جوابهم ما ينطق به رئيس

الولايات للتحدة أملك انكفرا أو محو ذلك ويعلقون على الجنة الواحدة وقرعوا أكثر في جوارهم ومجلائهم في الشرق والغرب فكيف بكتاب نزل من رب أولئك الملوك فهو أحق بالتعليق والتشذرة إذن تقول يذكرك الله رؤيا الملك ورؤيا يوسف وبين لنا فيهما الزرع والعباب والسجود والكواكب والشمس والقمر فبهما العالم الكثيف واللطيف والعلوي والسفلي فلنشرح هذا المقام بما فتح الله به فنقول

(١) حبس الناس في هذه الأرض مع النبات والحيوان أول درجة من درجات الحياة أدنى الحيوان كالسودة في لب الثمار ولبن الحيوان ذلك الذي ليس له إلا حسنة واحدة هي حاسة اللمس ثم يترقى قليلا بحاستين فثلاث فأربع فخمس فيكون ارتقاء حتى يصل إلى الآساد والفخور والقردة والانسان وهو درجات أعلا الحكماء والأنبياء

(٢) هذه طبقات أدامها الملائكة إلا بما عمن جلده كالسود وأعلامها يعرف عالم الأرض وعالم السموات فأعلامها يجاور الأفلاك والملائكة وأدامها مغمور في الطين مسجون • إن هذه الدرجات كتاب مفتوح ظاهر مقروء ولكن قراءه قليل في هذا الانسان وأعلامهم هم الدين يقرؤنه وهم مستبصرون وأكثر هذه الطبقات الانسانية مغمورة في الجهالة لا تبصر هذه الدرجات للشروحة في الطبعية فامتاز أناس فنظروا في أنوار السموات وأنوار العقول

(٣) قالوا إن العالم الذي نعيش فيه عالم جيل مصوغ من النور بهي حسن الشكل يديع النظام ولكن الناس لم يدركوه وإن كانوا يشاهدونه لأنهم مغمورون في مطالب شهواتهم وغرائزهم ومن امتاز منهم بقل راجح وفكر صائب نظر فرأى أن نور الشمس هو أصل للوجودات الأرضية فلو لا الحرارة المنبعثة منها على الهواء والماء لم يكن بخار ولم يكن هواء إذ لا بخار إلا بحرارة ولا رياح إلا بدافع يدفع الهواء وأصل كل دافع يرجع للحرارة والحرارة منبعثة من الشمس • وإذا سكن الريح لم يكن سحب وإذا لم يكن سحب لم تكن أنهار كما هو واضح في هذا التفسير في غير ما موضع • الله أكبر • جل لله وجل العلم • إذن يكون النور في أرضنا أصل وجود ما عليها وهذا قوله تعالى - وفي السماء رزقكم - فلو لا نور الشمس لم يهيا لنا رزق في الأرض والشمس في السماء وعطف عليه قوله - وما توعدون - والذي نوعده أيضا في السماء ألا ترى إلى ما تقدم في سورة آل عمران عند ذكر الجنة والثمر من أن الجنة مستحيل أن تكون في الأرض إذ الأرض في باطنها نار فأن تكون الجنة في عالم السموات وهي الجنة الحسية

(٤) في السماء رزقنا لأن النور مع الحرارة المشاهد لنا أصل رزقنا بل أصل حياتنا وهذا مشاهد فلنفس ما غاب على ما شهد ولنقل إن ما وعدنا به في السماء قال السماء فيها الرزق الدنيوي وفيها الموعد الآخروي وإذا كنا نرى في هذه الخلوقات الأرضية اختلافا بينا من دودة في بطن بقرة إلى حكيم ونبي يحيط علما بكثير من العوالم الأرضية وغيرها فليكن في عالم السموات طبقات بحيث تكون نسبتنا نحن إليهم كنسبة اللود إلينا وذلك في العالم القوي وعدنا به وتكون تلك الدرجات أدامها وهم أهل العجيم أشبه بالسود وأعلامها وهم أهل الجنة أشبه بالحكماء والأنبياء عندنا والذي نوعده هو الجنة والثمر موعد ذوي النفوس الضعيفة النفية (٥) هذا ترى الله يقول لنبينا ﷺ - قد ترى قلب وجهك في السماء - ويقول - قل افظروا ماذا في السموات والأرض الخ - ويقول هنا إن يوسف رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر كلها ساجدة له رأى العالم المشرق في نومه مشاة لروحه وكان يمكن تصوير حال تلك الرؤيا بغير الأجرام النيرة ولكن فطرة الأنبياء منجبة إلى الملو • تتجه إلى السماء عقول الحكماء وعقول الأنبياء ليطلقوا اللمس من ضيق الأرض إلى فسيح عالم السماء ويوحى إليهم في النوم ليقولوا للناس أيها الناس انكم كل ليله تموتون ثم تحيون صابحا • إن النوم نوع من الموت وإذا كان كذلك فقلوب لا خوف منه وإذا كان يوسف يرى في النوم

أن اخوته وأبويه خرواله سجدا على هيئة الأجرم العلوية ثم ظهر صدقه في آخر أمره . وإذا كان الملك يرى البقرات والسبلات ويظهر في آخر الأمر أن الرؤيا سقى وأن السنين المحببة قد أقبلت فأكلت الحرت والنسل وأنت على كل ما لا تخفى سنى الخصب السبع فضاء أن عالم للمادة تابع للعالم العقلي فرؤيا يوسف في أخوته وسيادته عليهم قد تمت ورؤيا الملك في خصب مصر وفي خطها قد تحققت وكما أن النور والحرارة من الشمس أتجا عالم المركبات الأرضية . هكذا عالم الفكر والعقل أساس نظام الأمم . إن هذه السورة فريد أن الامور العقلية الروحية أصل للذاتية الظاهرة

(٦) أمر النفوس بمذللوت واضح في هذه السورة . نالم الملك ونالم يوسف أى توفى الملك وتوفى يوسف عليه السلام توفاهما الله ولما توفاهما أطلعهما على صور سجاوية وصور أرضية . فاذن الوفاة ليست عدما . إذن الوفاة فيها علوم أشبه بما نحن عليه في الدنيا وهذه العلوم تناسب عقولنا بليل أن الملك لما توفى رأى ما يناسب عقله والنبي يوسف كذلك . لن النوم وفاة ولا عجب في ذلك . يقول الله تعالى - وهو الذى يتوفاهم بالليل ويعلم ما جرحتم بالهارم ثم يعثبك فيه - فجعل النوم وفاة والحياة بعث وأوضح ذلك أكثر في آية أخرى فقال - الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت في منامها - لى قوله - قوم يتفكرون - ولم يخصها أن الله يتوفى أنفس النائمين وأنفس المبينين ولكنه يرسل نفس النائم لى جسده ويمسك نفس الميت لى يوم القيامة . واعلم أن علماء الأرواح سألوا بعضها فأجابتهم بهذا المعنى فقالت ﴿ انكم إذا نمت تتأبسون أرواحا من جنسكم أو أعلى منكم وتعلمكم ﴾ وأكثرما أنهم عليه من حب أو بغض ناشئ مما تشاهدونه في حال نومكم من أحوال لاعتلمونها في اليقظة (اقرأ في كتاب الأرواح تأليفى فهو واثق في هذا المقام)

(٧) واعلم أن جميع ما يصنع الناس في هذه الأرض لا يمت منه شئ إلا بمبدأ فكري فكأنه فكر الصديق في رؤياه وفكر الملك لما يناسب هكذا كل عالم وحكيم على مقدار طاقته يكون منه فكر لفعل على مقتضاه إن كمال هذا العالم ﴿ بأمرين ﴾ النور السجاوى والعقل الانساني وقد اجتمعا في رؤيا الصديق نور المشرقات وتنزلت على مقتضى عقله واستمداده فليعلم الناس العلم وتهذيب الأخلاق

(٨) لا يقوم العملة ببناء للنازل والحصون إلا بمبدأ تفكير المهندسين . ولا يظهر الاختراع إلا بعد فكر المخترعين . هكذا لا يكون هذا العالم ولا يبرز إلا بمبدأ قديم وجوده والله عليم حكيم . فالفكر مبدأ العمل والأعمال بالنيات التى تقمها وحال الانسان في البرزخ مقدمة لحال أخرى بعدها كما أن حاله في الدنيا مقدمة لحاله في البرزخ . وذلك فظهر حال يوسف الصديق والملك إذ كانت حال كل منهما في يقظته مقدمة لحاله في رؤياه التى تشبه حال الناس في البرزخ بعد الوفاة وحالهما في تلك الرؤيا مقدمة لما بعدها من ظهور مصداقها في الوجود الذى يشبه حال البعث للناس . فلباس حياة فبرزخ فبعث وكلها متشابهة متلازمة كما تشابهت وتلازمت حالهما في يقظتهما ونومهما ومصداق رؤياهما والله عليم حكيم

(٩) ﴿ لطيفة في ذكر حالى في مبدأ حياتى ﴾

اعلم أنى كنت وأنا في حال الطفولة أقول في نفسى (١) ياليت شعبرى لم لا يكون الناس كلهم أسرة واحدة يساعد بعضهم بعضا (٢) ثم انى أجد في نفسى نزوعا الى أمر عظيم فأحس بان هناك عبدا أو ملكا قد قدده قويم وأريد ارجاعه وهذا كان أمرا مبهما جدا في النفس ولكن الحاطر كان عديدا والباحث قويم المهجوم . وأتذكر أنى مرة نظرت حولى وقلت أين ذلك الملك الذى أرجعه وأنا لا أرى في قريتنا ولا في أسرتنا أمرا لهذا الملك وكنت أعجب من هذه الخواطر الحاجة القوية التى لا تستند على شئ أراه في قريتنا ولا في أسرتنا إذ لا أرى إلا المحارث والوؤس والبهائم والزرع والشجر والاملاك ولا دولة أرى أمثهما . فلما قرأت في الأزهر علم النحو والفقه (وأنا لاعلم لى بأن في القرآن الذى أحفظه بلا فهم أى أثر للعلم) أخذت

أنتزلى ما قرب قريبنا من الطرق الحديدية والتلفراف وأقول ياليت شعري لماذا اختص بهذه الصناعات أم التصارى . ولماذا لم يتعلمها المسلمون . وإذا كان هؤلاء أرقى صناعة وعلما فياليت شعري ما رأيهم فى صانع العالم . أنا لا بدلى من الوقوف على آرائهم فى ذلك . وأقول أيضا إذا كان الله هو الذى أنزل القرآن وهو نفسه الذى خلق هذه المزارع التى أراها فى القرى . فلماذا لا نسبح فى ديننا أثرا لذكرها وإذا كان صانع العالم هو منزل الكتاب فكيف يذكر الصلاة والصيام واليوع ويعرض عن ذكر المزارع والأشجار مع أن للتكلم ينطق بما يصلح وبما يصنع . كل هذا لأنى كنت أقصّر ديننا على حسب ما علمت لأن الانسان أول ما تعلم إنما قرأ الفقه . فأما جلال الله وحكمه وبدائه فهذه فى القرآن والمسلمون مستقنون عنها وهذا المقام وضحت فى كتابى (التلج المرمع)

وقد ظهر أثر الفكرة الأولى وهى أن العالم يكون أسرة واحدة فى كتاب (أين الانسان) أما فكرة الرجاء الجهد مسألة تقصير للمسلمين فى العلوم فهى مقاصد أكثر كتبت وأهمها هذا التفسير . هذه هى الخطاير أما الرؤى التى رأيته قد ذكرت بعضها فى أول سورة الأنعام وأكثرها وهو الأهم الأكثر لا أجد خلا لذكره الآن وعسى أن ينشرح صدرى لذكره فى آخر هذا التفسير وقد كانت هذا للرؤى سببا فى تأليف هذا التفسير ولولاها لم يكن له وجود . وكان ابتداءهما فى نحو سن الخامسة والعشرين وأهمها كان ما بين سن الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين انتهى

(الجوهرة الثانية)

(فى البلاغة والاعتبار بالقصص عند العرب ومواظبه بقوله تعالى - قال هل آمنكم عليه الخ -)

من كتابى (للذكريات فى أدبيات اللغة العربية) صفحة (٨٠) وهذا نصه

كانت العرب تضرب أمثالها على أسنة الموام . قال للفضل الضبي يقال لمنعت بلدة على أهلها بسبب حجة غلبت عليها فخرج اخوان يريدانها فوثبت على أحدهما فتنته فتمكن لها أخوه بالسلاح فقالت له هل لك أن تؤمننى فأعطيك كل يوم ديناراً فأجابها الى ذلك حتى أئثرى ثم ذكر أنشد فقال كيف بينا العيش بعد أخى فأخذ فأسا وسار الى جرحها فتمكن لها فلما خرجت ضربها على رأسها فأثر فيه ولم يسمعن فطلب الدبل حين فاته قتلها فقالت له مادام هذا القبر بضائى وهذه الضربة برأسى فلست آمنك على نفسى . فقال للثابت النبىانى فى ذلك

تذكر أنى يحدث الله فرصة • فيصبح ذا مال ويقتل وآثره

فلما وقاها الله ضربة فأسه • ولبرعين لا تنقض ناظره

فقلت معاذ الله أعطيك اتنى • وأينك غدا لرا بينك فاجره

أبى لى قبر لا يزال مقابلى • وضربة فأس فوق رأسى فأقره

وقال الله تعالى - هل آمنكم عليه إلا كما آمنتم على أخيه من قبل فإله خير حافظا وهو أرحم الراحمين - وقال فى هذا المعنى - ولترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا زد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين • بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لعادوا لما نهوا منه وانهم لكاذبون - وقال أيضا - ولورجناهم وكشفنا ما بينهم من ضرر الجوا فى طفياهم يصهبون • ولقد أخذناهم بالعذاب فاستكانوا لهم وما ينصرفون - انتهى . وهذه الآيات كنت خستها منذ بضع عشرة سنة وهى ذه

سمت حجة يوما لتسكن قرية • فأودت سرى القوم بالدغ بقتة

فنادى أخوه للشورة قتيبة • تذكر أنى يحدث الله فرصة

• فيصبح ذا مال ويقتل وآثره •

فأعطته ما لا تتقى شرّ بأسه • وأفضل مال للمرء قدية نفسه
فضاهاها بالناس بعد لنحسه • ولما وقها الله ضربة فأسه
• ولبرعين لا تنقض نظره •

أتى طامعا في المال يدعو ولم ين • فقالت تهنت العهد ظلما وخنتي
فقال وربى لا أسى لمحسن • فقالت معاذ الله أعطيك اتقى
• وأيتك غفلا يمينك فاجره •

أما كان يبنى أن حيوتك ناقل • أليس جزائي أنك اليوم ناقل
وهل يحسن الإنسان يوما لصال • أبى لى قبر لا يزال مقابلي
• وضربة فأس فوق رأسى فاقره •

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث -
الى قوله - وألحقتني بالصالحين - ﴾

اعلم أن هذه الآيات قد جاء فيها ملخص السورة وملخص حياة الإنسان وعماته وعالمه • ذلك أن
الإنسان في هذه الدنيا يسعى لاصلاح الجسد واصلاح النفس • ثم إن جميع العوالم التي تحيط به إما علوية
وأما سفلية والعالم انما هي شرح لهذه العوالم والأحوال لاتعدو أمرين إمدانيا ولما أخرى ﴿ وبشارة أخرى ﴾
(١) الجسم والروح (٢) والعالم العلوى والسفلى (٣) الدنيا والآخرة فأشار للأول بقوله تعالى - رب قد
آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث - فالأول للجسم والثاني للروح • وأشار الى الثاني بقوله تعالى
- فاطر السموات والأرض - والى الثالث بقوله - أنت ولي في الدنيا والآخرة - ثم ان قوله - قد آتيتني
من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث - هو ملخص حياته فان أيام الحبـ وأيام السجن كانت محنة تغطيها
علمه بتأويل الأحاديث ويلي ذلك أنه أعطى الملك • فهاتان الجلتان لئلا يتراجع حياته • فاما قوله تعالى
- فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة - فما هو إلا ملخص سورة الفاتحة • ألبست الفاتحة
ثناء ودعاء وثناء الفاتحة حمد لله على نعمه التي أنعم بها على جميع العوالم العلوية والسفلية • أطلبس ثناء الله
بأنه فاطر السموات والأرض هو عين الجود والحد إلا ثناء بجعل لأجل جبل حمل من الحمود راجعا الى
الحامد أو غيره وهما ينادى به أنه فطر السموات والارض • وهذه الجلة يدخل فيها جميع العلوم فان العلوم
الرياضية والطبيعية والالهية لا تخرج عن هذه الجلة إذ العلوم كلها ترجع للسموات والارض فهذا هو الثناء أما
الدعاء في الفاتحة فهو طلب الهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم • وهما يقول - أنت ولي
في الدنيا والآخرة توفي مسلما وألحقتني بالصالحين - فالولاية لله عليه في الدنيا والآخرة وطلبه من الله أن
يتوفاه مسلما راجع الى طلب هداية الصراط المستقيم وقوله - وألحقتني بالصالحين - يقابل - صراط الذين
أنعمت عليهم الخ -

﴿ مقاصد الدعاء والثناء في دين الاسلام ﴾

الاسم الاسلامية أمرت بالثناء في أول الفاتحة وفي أول التشهد فيثنى المسلم على ربه أنه هو الذي ربي
الطالين وفي تشهده بأن التحيات والتعطيات والمباركات والصلوات والحيات خاصة بآله وفي ركوعه فيزته الله
ويسمعه بالظمة ويظهر له الخشوع في سمعه وبصره ومخه وعظمه وعصبه وما استقام به قدمه وفي رفعه واعتداله
فيصف الله بأنه محمود حمدا يلا السموات والارض ويلا ما بينهما ويلا ما يشاء الله بعد ذلك حتى يشمل
العوالم السديمية التي ظهر كشفها والتي لم تعلم بعد • وهكذا في سجوده فيزته ربه الأعلى ويقول المؤمن
ان وجهه سجد للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره • هذه أهم أنواع الثناء التي يقولها المسلم في

صلاته . وكل هذه ترجع الى قول يوسف - فاطر السموات والارض - وأما دعاء المسلم فهو طلبه الهداية الى الصراط المستقيم وهكذا في قنوت الصبح فانه يطلب الهداية والمعاونة وأن يتولاه الله ويباركه له فيما أعطاه ويصرف عنه الشر الخ . وهكذا في الجلوس بين السجدين فهو يطلب المغفرة والرحمة والرزق والهداية والعافية فهنا **(أمران)** في كلام يوسف ثناء ودعاء . وأمران في صلاة المسلم ثناء ودعاء . وانظر وتجب ثناء يوسف أكثر من دعائه وثناء للمسلم أكثر من دعائه . أمثي يوسف بست عشرة كلمة ودعا بأربع كلمات فتناؤه ربع دعائه . وهكذا المسلم تناؤه أكثر من دعائه فهو يثني في الفاتحة وفي الركوع وفي الرفع وفي السجود الأول وفي السجود الثاني وإنما يدعو في بقية الفاتحة وفي الجلوس بين السجدين وفي القنوت . إذن الثناء أكثر من الدعاء نتيجة هذا المقال

(العبادات جسم روحها العلوم)

من تتبع هذا التفسير أدرك أن جميع أنواع العبادات إنما جعلت لبعث الهمم الى العلوم والعلوم هي المقصودة من وجود هذا الانسان فلا تدنا إلا بالعلوم ولا آخرة إلا بالعلوم . لذلك كثرت الثناء في قول يوسف وكثرت صلاة المسلم ولا يمني للثناء إلا على نعمة ولا ثناء على نعمة إلا اذا عرفها للشي فالسلم الذي يحمده ربه لأنه ربي العالمين والذي يتكلم عن السموات والارض وما بينهما وعن أعضاء جسمه من سمع وبصر ومخ وعظم الخ هذا المسلم اذا ظن أن تكرار هذه الألفاظ هو الذي يرقبه عند ربه ويقربه منه فإنه مخطئ . نعم هذه الألفاظ أطلق بها عبادته مع استحضار الخلق فذلك فيه ثواب العبادات وثواب العبادة أشبه بجسم ولكن التحقق من المعنى هو الروح ولا يتحقق المعنى إلا بالقراسة والتأمل والتفكير . الله أكبر جلّ العلم وجلّ الدين . اللهم انك أنت الذي أوجبت بدين الاسلام وأنت الذي خلقت أوروبا وأمريكا واليابان والصين والبول والحيطة بنا وأنت الذي أنزلت في القرآن مئات الآيات للبحث على العلوم جميعها ولكني أرى انك أثبت لنا بأمر أعجب أمرتنا بالصلاوات فكثرناها صباحا ومساء والصلاوات فيها ملخص علوم الأمم التي تحيط بنا وفيها ملخص علوم القرآن . يثني المسلم على ربه بخلق العالم العلوي والعالم السفلي ويثني عليه بأنه خضع له سمعه وبصره الخ وأنه سجدت له جميع الأعضاء التي للحس والتي للحركة . كل ذلك يقوله المسلم في صلاته والمسلم غافل لا يقرأ تلك العلوم . تلك العلوم التي ملأت أوروبا وأمريكا واليابان والصين وهي التي يكررها في صلاته صباحا ومساء ويكررها في القرآن والله يقول - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - ومن القرآن ما يقرأ في الصلاة . اللهم إن الصلاة عبادة والعبادة روحها الفكر والفكر في الصلاة يهدي الى العلم وكيف يكون حمد المسلم وتناؤه على ربه مجديا حيا إلا اذا هداه لدراسة مصنوعاته وجل خلقه في هذه الدنيا . إذن يكون حمده مستندا الى حقائق علمية ومشاهد طبيعية جلية والى بدائع هذا الوجود الذي درسته الأمم حولنا ونحن ساهون لاهون . فبالت شعري هل يظن للمسلم أن كلمات يكررها صباحا ومساء بلا عقل ولا هدى ترضى في الدنيا والآخرة . اللهم إن ما حلّ بالمسلمين اليوم هو عين ما جاء في قوله تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون - فالسلمون اليوم يسلون وهم عن صلاتهم ساهون . سهوا عن الصلاة فلم يتدبروها ولوليتدبروها لأدركوا أن الثناء على الله بلا علم بما في العوالم العلوية والسفلية من العلوم كالأثناء . فلو قيل اليوم حلّ بالمجموع الاسلامي لجهالة بما تفيد الصلاة من تضمنها دراسة العلوم جميعها . وليس معنى هذا أن كل امرئ يعرف جميع العلوم فهنا مستحيل بل المقصد أن تكون العلوم العامة في الأئمة بحيث يدرس كل امرئ ما يقدر عليه فالعلماء يعرفون ظواهر الجوانب بالتعليم الأولى وبعد ذلك تكون درجات العلماء . هنا ما عني في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

(الجوهرة الثالثة في نفس هذه الآية وهي - رب قد آتيتي الخ - وذلك بهجة العلم ورد البقين)

ما أعجب الحكمة والعلم وأبهجهما . أنظر الى أوائل سورة يوسف وأواخرها . الأول هو الآخر . فيها ما يشبه ردّ الجوز على الصبر عند علماء البديع . أول ما خطر ليوسف في حياته وقت النوم اشراق الشمس والقمر والكواكب وقد أول ذلك بما يناسب هذه الدار من الأنساب الانسانية . فأما في الحياة الأخرى فقد ضرب القمر والشمس مثلين لله عز وجل . انظر في حديث الرؤية للذكور في سورة الأفعال إذ جاء فيه أن الله يرى كالشمس ليس دونها سحب في حديث أبي دلود وأنه يرى كالقمر في حديث أبي رزين . الشمس أشرقت والقمر ليوسف في أول حياته مناما . فلما أن ختم الحياة خاطب الله قائلا يفاطر السموات والأرض فذكر السموات والسموات موضع اشراق الشمس والقمر والكواكب للذكرات بالله كما كان شمسها وقرها مذكرين بالولدين في أول الحياة . في الحديث ﴿ اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى ﴾ وهذه الذكرى هي التي يقولها المسلم في كل صلاة . وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين - يقول الله تعالى لنبيه ﷺ - فبهدهم اقتده - فنحن من باب أولى فكان ﷺ يقوم في آخر الليل ويقرأ الآيات من آخر سورة آل عمران وهي قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض الخ -

إن المسلم في هذه الحياة الدنيا مأمور أن يتجه قلبه لله ولكن الله لا يرى له هنا فكيف يتجه لمن لا يراه انما يتجه الانسان لمن يحبه والمحبوب في الدنيا يرى والله لا يرى في الدنيا فتوجهت العناية الى صفاته وصفاته تعرف بأثاره وآثاره أجلها للمشركات العلوية لهذا قال يوسف يفاطر السموات والأرض وقال للمسلم - وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا الخ -

إن ذلك داع حيث لمحة العلوم كلها . السموات اجالا والأرض اجالا لا يجيبان القلوب الى خاتمتها وانما التفصيل بالحكمة والعلم هما الشاغلان لبدعهما . إن ذكر السموات والأرض على لسان المسلم في كل صلاة على طريق العبادة فتح لباب العلم . الله أكبر العبادة في الاسلام دروس علمية جهلها أكثر المسلمين ﴿ الله والشمس ﴾

جلّ الله صانع الشمس . اذا كان الله عز وجل لا يراه فقد فتح حديث الرؤية لنا باب التلذذ إذ مثل بالشمس ومثل بالقمر . الشمس تصبح كل يوم وليلها خزان النور فتعرج على سيارتها وأرضها والأفلاك الدوائر حول تلك السيارات ولا يحيط بذلك النور إلا ما يقابل وجهها . أما الذى لا يقابل من الأرض ومن السيارات ومن الأفلاك ومن المذنبات فليس له حظ من النور بل هو في ظلم حالك . النور الذى تنشره الشمس على هذه السيارات وعلى نواحيها يجرى في فضاء شاسع وما هو إلا حركت في عالم الأثير لا اشراق لها بل هو ظلمات . إن الجوّ الذى بين أرضنا وبين الشمس البالغ بسير قلة المدفع (١٧) ستة وبسير القطار البخارى (٣٣٥) سنة قريبا مظلم كله فالنور الذى قدفته الشمس لا يرى في تلك المسافة وما هو هناك إلا حركات في ظلمات حالكات وتلك الحركات تنقلب على الأرض فجأة نورا سامعا مشرقا هكذا الله عز وجل يرسل الادراك والفرائد والمواهب العقلية من عالم قدسه ومهايط رحيه لا يعجب عنها أحدا فهو دائما وهاب لتلك القوى السامية كما أن الشمس وهابة للنور دائما . فكما أن الشمس لا يحيطى بنورها إلا ما توجه لوجهها من المخالقات الأرضية مثلا . هكذا لا يحيط بالكمال الادراكى من هذه العوالم الحية من حيوان وانسان أحد إلا على مقدار استدلاله . الله بذو في العوالم بنور الادراك وبها فيها فليس بمانع عطاه عن أحد كما أن الشمس أرسلت أضواءها لم تحجب عنها أحدا من نواحيها فأخذ كل حيوان منه على مقدار طاقته فنظم النمل جهوريته والتحلل مملكة قبيره والغربان جمهوريتها وهكذا كل حيوان . هكذا الانسان قبل من ذلك النور العقل على مقدار ما استعدّه فلم يتزل الى درجات البهائم ولم يتعال حتى يدبر العوالم العلوية والسفلية بل أخذ على مقدار استدلاله . الله ضرب بضمه الشمس مثلا لنوره وبهذا التلذذ أدركنا أن عطاه دائم وذلك من

دوام اشراق نور الشمس وكما أن اظلام ناحية من نواحي الأرض والقمر والسيارات لم يكن من نفس الشمس وانما كان من انحراف تلك الناحية عن وجه الشمس . هكذا نقول هنا ليس يجب العلم والحكمة عن المعلن وعن النبات وعن الحيوان لاسماك وبخل من الله بل ذلك لعدم استعداد هذه المخلوقات لتلك النعم فلم يمنع الخلل عن علم الأنبياء ولا الأسد عن حمل خلايا النحل ولا الخمل عن بناء القصور الانسانية إلا أن ذلك ليس من مصلحتها في شئ والمصلح نامة للاستعداد كما كان من منافع الأرض أن تظلم أوجعها تارة وتضيء أخرى ولو دلم أحدهما هلك من عليها . فقول للمسلم وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ليس يراد به الوجه الجسدي لأن الله ليس بجسم وانما التوجه الجسدي يصح في توجه الأرض والسيارات والأقمار للشمس فهذه لنا توجهت نحوها استضأت بنورها . إذن هذا التوجه روي عني فالتوجه في كل شئ يحسبه في الأجسام جسي وفي الأرواح روي والتوجه الروحي يحصر الفكر وحصر الفكر له مقدمات ومقويات فالركوع والسجود والقراءة وما أشبه ذلك كلها مساعدات على ذلك التوجه والتفكير في ملكوت السموات والأرض التي كان عليه السلام يقفه في سحر كل ليلة إذ يقوم ويقرأ آية - إن في خلق السموات والأرض من أهم أسباب التوجه لله ونحن الذين لسنا أنبياء لا تكفي تلك النظرة في السحر بل علينا دراسة العلوم كلها في السموات والأرض على سبيل فرض الكفاية من جهة . وهكذا يدرس كل مسلم من تلك العلوم متى كان قادرا عليها كل ما يزيد شكر اربه ومعرفة قوله تعالى - وقل رب زدني علما - وقوله تعالى أيضا - واشكروا لي ولا تكفرون - ويوضح ذلك قوله هنا بصد آيات - وكأين من آية في السموات والأرض يرمون عليها وهم عنها معرضون - فهذه الآية تعرفنا معنى - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا - فليس توجه وجهنا لله من حيث نفس ذاته لأنه ليس في طاقنا بل ذلك للنظر في آياته التي وبخا على امراضنا عنها في هذا المقام فيوسف لله بآياته في السموات والأرض ورسول الله توجه له بذلك وهكذا للمسلم . إذن الصلاة في الاسلام مفتاح العلوم لهذا تأخر المسلمون عن الأمم لأنهم لم يفهموا صلاتهم يسلون وأكثرهم لا يفلحون ما يقولون . توجه للمسلم في الصلاة ويقول - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وهو في الوقت نفسه معرض عن السموات والأرض والله تعالى يوبخه قائلا - وكأين من آية في السموات والأرض يرمون عليها وهم عنها معرضون -

(خطاب للمسلمين)

أيها المسلمون . هل يحبكم هذا . هل يحبكم أنكم عنتم قرونا وقرونا وأنتم تصلون وتقولون بالخطأ انكم وجهتم وجوهكم للذي فطر السموات والأرض وفي الوقت نفسه يقال لأكثرنا انكم معرضون عن الآيات في السموات والأرض . اللهم اليك المشتكى . دين تكون صلاته مذكرة بجميع العلوم بل فيها ما فيهاها وما فيهاها لا يجانب السموات والأرض التي أمدحت في سورة الحمد إذ الحمد على النعم والنعم هي جيع هذه العوالم فكيف يكون تابعوه أجهل الأمم بعلومه للذكور في سورة الفاتحة . ولما علم الله أن الناس ربما لا يظنون لهذه العلوم من سورة الحمد أنزل على نبيه عليه السلام وأوصى اليه أن يقرأ - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - في أول كل صلاة وأرسل في هذه السورة أن يوسف قال - فاطر السموات والأرض - وأتبعه بما يشبه التفسير له إذ ذم القوم الذين أعرضوا عن الآيات التي في السموات والأرض فكانت بهذا بين قول يوسف - فاطر السموات والأرض - وأنه ليس معرضا عنها فهو مقل عليهما وبهما يتوجه لله فإذا قال للمسلم - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - ثم هو في الحال معرض عن الآيات في السموات والأرض (وبعبارة أخرى) يجهل هذه العوالم التي تعيش فيها فهذا هو باب غضب الله عز وجل عليه لأنه صار كلنا في قوله فهو يقول له وجه وجهه لفاطر السموات والأرض ولا معنى لهذا التوجه إلا بالاقبال على الآيات فيها وهو لم يقبل . إذن

نحن في هذا الكاذبين أو الكاسخين وإن كنا لا قصد لذلك تأخر المسلمون والمحطوا وتهقروا لأنهم أعرضوا عن الآيات في السموات والأرض فكانهم استهزؤا بآيات الله لأعراضهم عنها ولأنهم أجهلوا لفظا ولم يتجهوا ضلالم . هذا هو الذي فتح الله به في هذا المقام ولعل هذا من أسباب أن هذه السورة أحسن القصص ذلك لأنها آيات حال المسلمين الآن إذ تبين أن السورة بأكملها رجعت إلى إشراف للمشركات في منام يوسف وانتهى ذلك بصدق الرؤيا ثم انتقل الأمر إلى التوجه إلى النظر في آياته للمشركات في السموات والأرض والسلم هكذا توجه كما توجه الصديق وتبع ذلك ذم للعرضين عن آيات السموات والأرض والسلم اليوم (بج) لفظا في الصلاة ولم يتجه عقلا لحرم من ميراث الله التي له ماني السموات وماني الأرض فأرسل الله عليه الأمم فأذنته . السلم اليوم جاهل والله يماقيه في الدنيا بتأب الأمم عليه . وها هو ذا الآن أخذ يقبل على العالم جميعا وهذا التفسير من مقتضات تلك التهضة وسيرى المسلمون قريبا - ولينصرون الله من ينصره إن الله لتؤتي عزيز -

(تذكرة بية في الخليل عليه السلام وقوله - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات الخ -)
لقد تبين لك أن توجه يوسف للذي فطر السموات والأرض الخ موافق لتوجه السلم في صلته كذلك وأريد الآن أنه قد حتم في سورة الأنعام قول الله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - هناك أخذ الخليل يدرس النجم والقمر والنسج وما أتم ذلك قال - إني وجهت وجهي الخ - أليس ذلك معناه أن اليقين إنما يكون برؤية ملكوت السموات والأرض . أولست ترى أنه لا يمكن رؤية ملكوت السموات والأرض إلا بدراسة العلوم في هذه الأرض التي نسكنها ولذلك الإشارة بدراسة الخليل هذه الكواكب . أولست ترى أن الخليل عليه السلام لم يقل - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض إلا بعد دراسة ملكوت السموات والأرض بحسب طريقته

هنا تبين لك أيها النبي أن ما ذكرته في هذا المقام استنتاج جاء في قصة الخليل صريحا فله نظر فأيقن فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذا توقع أن قول السلم - إني وجهت وجهي الخ - لا يتم له إذا كان قادرا على التصلم إلا بدراسة هذه الدنيا التي نعيش فيها فهذا يكون المسلم متوجها لربه لأنه درس السموات والأرض فأما التوجه اللفظي فهو قليل الجسدي عديم الفائدة . هذه هي المسألة التي نخطتها الأمم الإسلامية فنجست قراحتها فبليت تجارها وضلت طريقها وكانت غالبا من الغافلين . ولما كان هذا المقام من أهم ماني القرآن ورد بعد ذلك في الأنعام ما يزيد ذلك مثل (١) قول إبراهيم - أعجبتني في الله وقد هدان - ومثل (٢) - نزع درجت من نشاء إن ربك حكيم عليم - (٣) وفي آية أخرى - رفع الله الذين آمنوا منكم ولهم أوتوا العلم درجات - فهذه الدرجات للذكورة هنا كالتطبيق على ذكر درجات أولى العلم لأن الخليل علم نظام الكواكب والنسج فارتقى ومثل (٤) أنه ذكر ذرية الخليل وهم الأنبياء وختم للقال بقوله - أولئك الذين هدى الله فبهدهم اقتده - ولم يحج في القرآن جلة بهذا النص إلا في هذا المقام للإشارة إلى أن الايقان وقراءة علوم هذه الدنيا وعلوم تلك وغيرها ذات مقام سام ومزلة رفيعة فذلك أمره بالاعتناء بالأنبياء من ذرية إبراهيم وبأيهم إبراهيم . بهذا نفهم أن قول السلم في الصلاة - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض الخ - لا يكون تاما إلا بملء هذا النظام الذي نعيش فيه كما فعل الخليل فطردرس فتوجه والحمد لله رب العالمين انتهى

(الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء -)

اعلم أن لطف الله عز وجل سار في كل مخلوق ولكن الأجل شيء والتفصيل شيء آخر . إن معرفة هذا اجالا لا تفيد فالتاس يحيط بهم اللطف ولكنهم لا يظنون والتفطن لبعض التفارقات يفتح بابا واسعا للناس وأني

موردك الآن بعض ما ستقرؤه في سورة النحل عند قوله تعالى - وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها - فسترى هناك أن الؤلؤ (ثلاثة أنواع) طبيعي ومولد وصناعي فلا أطيل الآن في بيان هذا لأنك ستقرؤه هناك وأنا أذكر لك كيف ظهر لطف الله في هذا . ذلك أولا أن الجير والفحم إنما هما مادتان حقيقتان معروفتان ولكن حسن الوضع وجمال الصنع هما اللذان جعلوا هذا المنبؤ المحفور جوهره بديعة فإن الؤلؤة إنما هي كربونات الجير فالجير معروف والكربون هو مادة خفية والمادة الفحمية منها وقودنا وسير قطارنا وإدارة آلاتنا للطحن والخبز وبقية أنواع الحياة ومنها دهنا ودهن الحيوانات . فانظر كيف ظهر لطف الله بحسن الصنعة حتى صار الفحم ثلثة دهنا وأخرى نورا في شوارع القاهرة مثلا وأخرى أنواعا من الصباغة وأولى يظهر بهيئة جميلة في أجياد الغادات الحسان . إن هذا العالم الذي نعيش فيه يرجع أوله وآخره إلى اللطف وحسن الصنعة والتفان وهذا هو السحر الخلاق

أنظر إلى هذا اللطف في الؤلؤ الطبيعي واللطف في الؤلؤ الصناعي الذي ستقرؤه في سورة النحل أيضا فسترى هناك أن مادة لماعة خلقها الله على جرم السمك لأجل أن يكون نورها الفضي المنعكس من فوق بطن السمكة مفتحا على أعين أعدائها فيكون ذلك وقاية السمكة . فانظر كيف عرف رجل فرنسي هذه الخاصية فاستخرجها من فوق جلد السمكة وملا بها الزجاج صار ذلك الزجاج أشبه بالؤلؤ الطبيعي . ذلك كله باللطف وحسن الصنعة . فالله أعلى السمكة في البحر هذه المادة تحفظها من أعدائها بقوة شعاعها والانسان استعملها لتكون بهجة وجمالا لغادات الحسان . هذا من معنى قوله - إن ربي لطيف لما يشاء - فقد ظهر لطفه في الفصح للتنوع استعماله وفي هذه المادة السمكية التي تحفظ السمكة من عدوها وتجلب للغادات الحسان من يشقها فتلد منه البنين والبنات حفظا وبقاء لنوع الانسان . ها أنت ذا رأيت بعض لطف الله في الؤلؤ فانظر في سورة يوسف التي نحن بصدد الكلام عليها فانك تجد اللطف فيها كاللطف في خلق الؤلؤ وهاك البيان

ألم تر أنه اشتق من بلوى يوسف وذلّه بحسد اخوته ورميهم له في غيايات الحب نعمته وعزه بإدارة ملك مصر ولولا هذه البلى وهذا الذلّ لم يزل هذا المجد والشرف . واشتق من سجنه سبع سنين قربه من الملك وتعمم النعمة بالملك . أليس ذلك هو عين ما رأيت في الؤلؤة الطبيعية فإن الجير والكربون أي الفحم مادتان حقيقتان فهما في حقيقتهما أشبه بما أحاط يوسف من حسد اخوته ورميه ثم سجن العزله ثم اشتق من ذلك الذلّ عزه بالملك كما اشتق من هاتين المادتين الجمال والبهاء وغلو الخمر والمجد في الؤلؤ . فكذا ظهر لطف الله في قصة يوسف ظهر لطفه في جميع المخلوقات الطبيعية فكما أن رجس إلى اللطف فهذا فتح باب لفهم معنى قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء -

واعلم أن اللطف محبوب عند عقول النوع الانساني فترى الجاهل والعالم كلاهما مفرغ بإدراك أسرار اللطف ولذلك ترى الجهال والمتوسلين من هذا النوع الانساني جميعا مفرغين بقراءة الروايات التي يتخبرها الناس لما يرون فيها من حسن التلطف والتجمل وإدخال العجائب وقائعها . ذلك لأن هؤلاء يجهزون عن إدراك اللطف في الطبيعة التي يعيشون فيها فلذلك يلجؤون إلى ما يتخيله الناس في الروايات حتى يعرفوا شيئا من اللطف الذي جباوا على حبه وهم لا يشعرون

واعلم أن الأرواح الانسانية إنما هي لطاف نورية سلبية فلذلك تنش وتفرح بتلك العجائب اللطيفة وينها وبين خالق هذا العالم صلة وإن كانت محجوبة عن تلك الصلة . والدليل على ذلك أن الانسان متى سمع قولاً أو تكلم هو دخلت معاني ذلك الكلام بهيئة صور ترسم في النفس فيشعر الانسان بتلك الصور ولا يعرف كيف رسمت ولا من أين جاءت . فإذا سمع لفظ شمس أوقر أو شجر أو أسماء أو أراضي رسمت

الصروحالا في نفس الانسان فكأننا نحن في هذه الأرض عالم كبير . فلذا كلن الله يخلق الخلق بحيث اذا قال له كن كلن أى حصل ووجد فعلا بحيث نراه ونلمسه ونقله فكلنا أرواحنا التي هي في أصل نشأتها من نور إلهي لها قدرة عظيمة جداً وان كنا لانشر بتلك القدرة المستمدة من موجد نور المبدأ وهو الله سبحانه وتعالى فاذا سمعنا قولاً أو تكلمنا به رأينا قوسنا قد أظهرته في ألواحها . إذن نحن ملكة واسعة الأطراف وكل روح من أرواحنا توجد بأسرع من لمح البصر عوالم وعوالم في خيالنا ونحن لا نعلم هذا السر بل نحقره ونقول إنه خيال . نعم هو خيال ولكن هذا الخيال أمر عجيب . إن هذا الخيال وسرعه وقس الصور التي لانهاية لها في أمفتنا كل ذلك من لطف الله المذكور في هذه الآية - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - فهو لطيف وعليم وحكيم ومن لطفه وعلمه وحكمته أن فطرنا جميعاً على هيئة متجانسة من حيث أننا نرسم في قوسنا صوراً سريعة ثم نرسم أخرى وأخرى وهذا هو عين ما نشاهد في هذا العالم فهو صور تتلوهها صور وهكذا الى الأبد ونقوسنا تقرأ فيها فنرى فيها نفس هذا العالم المشاهدة . ونحن نتمحوه ثم نتجده ونتمحوه ثم نتجده مشاكلاً لما يفعله الله تعالى كأن هذا رمز الى أن هناك بينكم وبين صانع هذا العالم صلة خفية والفرق بين قدرتك وقدرته كالفرق بين عوالم الخيال وعوالم الحقيقة فالعوالم التي نعيش فيها حقيقية والعوالم التي في خيالنا مجازية فتكون النسبة أشبه بنسبة الجودلى ما يشبه العدم وهذا هو المذكور في قصة الخضر وموسى عليهما السلام إذ قال الخضر لهما معناه (ما علمي وعلمك وعلم الخلاق في جانب علم الله إلا كقدر ما أخذ هذا اللطائر من ماء البحر) . ولذا كنا نرى ربنا يوم القيلة فبدأ الرؤية موجود في الدنيا وهو الاستعداد العظيم الكامن في قوسنا فهي بهذه القدرة الجبيلة الخيالية قادرة أن تسرع في التعلم والتقل حتى يقوى عليها فتخلق لها في الآخرة أعين روحيتها تعين الله وهذا كله من قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - فقد ظهر لطفه في المأذة فاستخرج من موتها حياة للإنسان وعلمنا حتى صار كأنه عالم يشبه العالم الكبير وهو يوماسيرى ربه وهذا أعجب اللطف فهو لطف أجل وأبدع من لطف الله في اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ الصناعي لأن ذلك لطف في المحسوسات استخرجه من الفحم ومن الجير ومن مولا أخرى . ولكن اللطف في استخراج العقول الكاملة التي تستخرج من بواطنها عوالم مثل هذا العالم الذي نعيش فيه . فهذا لطف أعجب وأكمل وأجمل . ذلك كله من قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

﴿ جوهرة السورة كلها ﴾

أيها الذكي هأنت اذا قرأت سورة يوسف وعرفت تفسيرها ولكن لم يكن فيها من العناية بهجائب الكون ما كان فيها قبلها من السور . لقد ازدادت السور السابقة بجواهر الكون ودر النظام وجمال العالم ومحاسن الطبيعة وبهجة الدنيا وزخرف النبات وسعادة الحيوان برجة ربه . أما هذه السورة فلم يكن فيها حظ من ذلك اللهم إلا ما استنتج من جمال يوسف والبعث في جمال الوجوه وجمال الثغاه وجمال الشعر وجمال الفك ودقة حسابه . فاذا خطر ببالك ما ذكر فيها أناذنا سألني عليك قولاً بين أجال ما فيها . ثم أردفه بالجوهرة التي أنشأت فيها فكانت زينة تاجها وقرعة لعين قارئها وبهجة للفكرين قامت مقام الآيات الطوال في السور الأخرى وجعت من الهجائب أعلاها ومن المحاسن أبهاها في هذه الكائنات فهأنا ذا أنلو عليك ما وعت وأقصر عليك ما قمت فأقول

﴿ سياسة النفس ﴾

لقد عرف من قصص يوسف أحسن القصص وأكمله وعالم الرؤيا والعبارة والحسد وأخبره والعشق والجال والعفة والكمال وكيد الفانيات وعدم الفيرة في البيوتات وذلك في علم الحكمة هو تهذيب الشخص للمسي بسياسة النفس

﴿ سياسة المنزل ﴾

ثم إن آدابه مع أصحاب السجن وصديق قوله وما أسدى اليهم من النصائح وأورد لهم من السر الفوال في الدين وما بدا لهم من كنه وبهجة جهاله وضيح مقالاه واعلامهم بما ياكلون وتفسير ما كانوا يرون في المنام . كل ذلك أشبه بلم تدير للمنزل ونظامه

﴿ سياسة المدينة ﴾

ثم إن حسن سيرته مع الرعية ألزمت الملك بالأقبال عليه وتسليم مقاليد الامور اليه وأصبح الجميع له لا عليه فلقد شهدنا له بعد أن تناهين في ضلال القيل والقال ونظم السلويين وأراح الرعية ودبر الامور وأفرج الجهور فرضى الله عليه وأرسل اخوته وأبويه اليه وخزوا له ساجدين وارته بصرايه اليه . كل ذلك لتحقيق رؤياه

﴿ خاتمة القصة ﴾

ثم إنه نظر نظرة الى العالم الأعلى وناظر ربه نظرا في أرضه وسمواته قائلا ﴿ طلر السموات والأرض أمتى على الاسلام وألختى بأولى الفضل الأنبياء الأعلام ﴾ هذا ملخص قصص يوسف أमितه عليك اجمالا بعد أن ذكرته تفصيلا

﴿ المقصود من هذه القصة ﴾

ههنا أخل بخاطب نبينا ﷺ وهذا هو بيت القصيد فقال له إنك لم تحضر يوسف وأباه ولم تدرس ما ذكرناه فأت وقومك نشأتم أميين فاعلم عنكم عزب والدين من دركم نازح فكيف يلقى هذا إلا ما أوحيناه أو يفصله إلا ما ينه . وههنا أن أن أريك الجوهرة النفيسة تلك هي قوله تعالى - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - فكأن الله يقول أيها الناس هاهونا نبي قص عليكم أحسن القصص فانذا لم تصلوا بضاحكه للغاية ودره الغنية ومجانبه البديعة فليس ذلك بدعا منكم ولا خراجا عن مألوفكم فان في السموات والأرض التي تشهدونهما من العجائب ما تحرّ له العقلاء سجدا وأتم عنها غافلون فلا بدع اذا لم تسيروا قصصا من قصص أنبيائي الذين هم كزهرات في بستان الأرض ومن جهل جبال النجوم وبهجة الشمس والقمر غما أحواه أن يجهل بعض ما في هذا العلم كالقصص التي أنزلناه . فهذه الجوهرة في السورة جمعت كل ياسة وخشراء وناطقة وبكاء من عجائب الأرض والسماء . وههنا الآن لا أدري أأكتب كل علم وكل فن وكل نجم وكل شمس وكل قر أم أدع الكتابة جانبا في هذه الآية . فأما القسم الأول فهو محال لأن هذا العالم كله عجائب وعلم العلماء والأنبياء لا يحصى وانما يحصى مبدعه وخالقه وهو الحكيم العليم

﴿ علم الذرة ﴾

ولأذكر لك الكلام على الذرة فان ذرة واحدة من ذرات هذا الكون حار فيها العلماء والحكماء وتاهت عقولهم ولم يصلوا لنتهى العلم فيها فكيف بالعالم كله . ألم تر الى ما حققه العلامة (لوبون) فيها وهو أن كل مادة تتحول الى قوة والقوة تتنوع الى ضوء وحرارة وحركة وهي وتنوعاتها ترجع الى الأثير فأصبح الرأى الحديث أن المادة قننى ولا يكون لها وزن ومتى صارت قوة أمكن أن تصير أثيرا وهذا أمر فرضت العقول وجوده تسبح فيه جميع الكائنات ويقول إن الذرة الواحدة العلمية (التي لا نستطيع رؤيتها ولا وزننا إلا بطريق للباحث العلمية الاستنتاجية) ننحل انحلالا بطيئا ويزيد انحلالا تسليط النور والحرارة أو الضوء عليها دهورا ودهورا حيثئذ قننى وأسرع المواد الى الانحلال (الزاد يوم) فان جزأ من ألف جزء من جرام (الزاد يوم) يبقى دهرا وهو يشع ملايين وملايين من تلك الذرات الى أن تلاشى مادته أخيرا أى تتحول الى قوة وهذا الانحلال والتحول لا يمكن إلا بقوة عظيمة جدا فان هذه الذرات تقذفها أجزاءها للنحلة المتحولة

الى نور سرعته (٢٠٠.٠٠٠) كيلومتر في الثانية فاذن هي مستودع قوة مدهشة وهي أشد القوى المعروفة اليوم ولو أمكن العلماء تحليل المادة لنالوا قوة خارقة للعادة فلوانحل جرام من الحديد بحيث ينحل في ثانية واحدة لو جدوا أن هذا الجرام يتحول الى قوة تعادل ستة آلاف وثمانمائة مليون حسان وهذا المقدار كاف لأن يجر قطارا حديديا حول الكرة الأرضية أربع مرات وقرر العلامة المذكور أن الكهرباء والحرارة والنور ماهي إلا انحلال للمادة فهي تتحول الى تلك الأعراض . فاضواء الشمس ولا كهرباء البطاريات والحرارة النار إلا أعراض قد تحول الجسم اليها . فما المادة إلا قوة متكاثفة والأثير متكاثف في الأزمان الغابرة فصار مادة كما تتكاثف المودة السائلة (الغازية) والعلم الآن يريد أن ينال استخدام القوة التي في المادة فانها لا حذها متى انحلت ومتى فلانها كانت للناس سعادة لا آخر لها . وإذا كان (الروبيوم) يشع فكيفنا جميع المواد سميع شعاعا ولكنه هو أسرع منها وما للسك ورائحته العنقة التكية إلا كالروبيوم ينحل الى ماهو أظف فيصير رائحة وهذه تنحل الى ماهو أظف فتصير ضوأ والضوء يرجع الى الأثير والأثير هو الأصل الذي فرضوه أرق من الهواء ومن الحرارة ومن الضوء . هذا هو للبحث الذي يدور فيه بحث العلماء الآن فاذا كان الجرام الواحد وفزائه في الأرض وفي السماء قد حوى كل هذه الجباب والقوى وانحل فصار حركات وحرارات وأشواء فغنى أم الأرض بأسرها وتعمل أفعالهم وتوسع قوتهم فكيف ينسى للناس ان يعرفوا جميع الجباب وأتى لهم ذلك فاذا قال الله هنا - وكأين من آية في السموات والأرض يرون عليها الخ - فان المبحث في الجباب لا آخر لها ولا قوة مخلوق على استقصائها . وغير ما أقوله في هذا المقام قوله تعالى - ولوان ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عتده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم - فهذا هو التمييز العام في أمر الجباب ولا مطمع في استقصائه . هذا ما ينبغي في هذا المقام

(بيان قصير للمسلمين في هذه السورة)

أفليست هذه الآية ناطقة بأن آيات السموات والأرض التي لا تنتهي والجباب التي لا حصر لها من آيات الله جاء في أول السورة - تلك آيات الكتاب - وفي آخرها آيات الأرض والسموات وقد ذم الله للعرضين عن الآيتين فاذا حللنا الآيات في سورة يوسف وعرفنا معانيها وحللنا ألفاظها واستفدنا فوائدنا فيها لأخرى نحلل آيات الأرض والسموات ونستجلي فوائدها ونستخرج حكمها . هذا هو الذي جاء به القرآن فبأي حق يقتصر المسلمون على جزء من (٣٦) من القرآن وهي الآيات المختصة بعلم الفقه ويتركون بقية القرآن كقصص الأنبياء وعجائب الكون والأخلاق فلا يؤلفون فيها استنتاجا وتعليقا كما ألفوا في كتب الفقه وكيف يتركون بقية آيات الله التي هي آيات الأرض والسموات . أفليس هذا هو القرآن . أفليس هذا كلام الله والله هو الذي خلق السموات والأرض وأرسل القرآن وطلب في سورة يوسف قراءة آيات السموات والأرض فبأي حق سلف للمسلمين أن يناموا ويسبقهم القرينة الى آيات الله - إن الله لا يغير ما بقوم - من التلة والانتكاس - حتى يريوا ما بأقصرهم - من الوسواس والوقوف عند الحواس . إن هذه الآية الكريمة بيت القصيد في سورة يوسف وحكم العقول ومهبط الحكمة . فاذا قال يوسف بعد أن خطي بما كان يمتناه يا فاطر السموات والأرض متنجسا اليه مشيرا الى منهج الانبياء والعلماء من التمسك بالوحي والمنهج الحكمي في العلم ومعرفة حقائق الكون وأن ذلك هو نهاية المطالب وحقيقة الحقائق . فقد خاطب الله نبينا ووضع له الامر ايضا وشرحه شرحا واضحا فسلم قوما أعرضوا عما ذرأ في الأرض والسموات . والحق أن كل قصص وكل علم قائما هي مقتضات للقاصد العليا من علوم العوالم العالوية والسفلية والله يهدي من يشاء . ثم

تفسير سورة يوسف عليه السلام

﴿ سورة الرعد هي مدنية وقيل مكية الا قوله تعالى - وقول الذين كفروا الآية - ﴾

(وهي خمس وأربعون آية)

هذه السورة قسمان ﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - كذلك يضرب الله الأمثال - في العلوم الطبيعية وعلم التوحيد
﴿ القسم الثاني ﴾ في الأخلاق والثواب والعقاب من قوله تعالى - للذين استجابوا لربهم الحسنى - الى آخر السورة

﴿ القسم الأول ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الرَّ • تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ • اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ • وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ • وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَبَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَفُضِّلُوا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا ؕ إِنَّا لَنَافِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَقْتَ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ • وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ • اللَّهُ يَسْلُمُ مَا تَخِيلُ كُلُّ أُنْفٍ وَمَا يَنْفَعُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَرْجَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِعَقْدَارٍ • مَا لِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ • سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَعَلَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَتَفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ • لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ • هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ • وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ • لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَاغِيهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ • وَفِيهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ • قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُنْقِصَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَايَا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْتَغِي النَّاسُ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ •

في هذا القسم علم الشمس والقمر والأرض والجيال والأنهار والأشجار والأزهار والتخيل والأعقاب واختلاف الثمرات وتنوع الحاصلات مع اتحاق العناصر والأنوار والهواء والماء وعلم لأجنة في البطون واختصاصها بعلمه المكنون واستواء السر والعلن عند الله ونظام البرق والسحاب والرعد في الحق وسجود العالم لله طوعا وكرها وظلالهم غدا وعشيا وكيف كان الحق يخفي أمدا طويلا ويضفي الباطل ويحجبه عن الناظرين ثم يتجلى سناه ويظهر في الخاصين منفعة وذلك كما في الحمار إذا سقى الأرض فاستلأ الولادي به امتلاء وغطاه لزبد ثم زال الغطاء وبقي الماء فكان للزرع غناء ولصاحبه ثراء مكننا كان العلم والدين

(تفسير الكلمات قصيرا لفظيا)

قال تعالى (عمد) أساطين (رونها) صفة عمد (ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر الخ) تقدم بإيضاح في سورة هود وسورة يونس فانه استولى على ملكه ونفذ فيه أمره (رواسي) جبالا توابت من رسا الشيء لذا ثبت جمع راسية (وأهبار) جعات بعدها لأنها منها تنشأ (زوجين اثنين) جعل فيها من كل أصناف الثمرات زوجين اثنين ذكرًا وأنثى في أزهارها عند تكوُّنهما فقد أظهر الكشف الحديث أن كل شجر وزرع لا يتولد ثمرة وحده إلا من بين اثنين ذكر وأنثى فعضو الذكر قد يكون مع عضو الأنثى في شجرة واحدة كأغلب الأشجار وقد يكون عضواً في شجرة واحدة والآخر في شجرة أخرى كالخل وما كان العضوان فيه في شجرة واحدة إما أن يكونا معا في زهرة واحدة ولما أن يكون كل منهما في زهرة وحده • والثاني كالقمر والأوّل كشجر القطن فإن عضو الذكر مع عضواً اثنين في زهرة واحدة وسيأتي تفصيل هذا المقام في سورة الحجر (ينشئ الليل النهار) يلبس النهار ظلمة الليل فيصير الجو مظلماً بعد ما كان مضيئاً فكانه وضع عليه لباساً من الظلمة (قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سيخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع وأخرى لا تصلح وهكذا (صنوان) مخلات أصلها واحد (وغير صنوان) متفرقات مختلفات الاموال

(في الأكل) في الثمر شكلا وقلرا ورائحة وطعما وخواص (فجذب قوالمهم) حقيق بأن تتجذب منه (أثنا كنا رأيا للبح) بدل من قوالمهم (وأولئك الأغلال في أعماهم) مقيدون بالضلالة لا يربح خلاصهم (بالسنة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية إذ كان كفار مكة يطلبون العقوبة استهزاء إذ يقولون ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ (وقد خلت من قبلهم المثلثات) عقوبات الأمم أمثالهم من المكذبين أي وقد مضت من قبلهم في الأمم للسكتية العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم * والمثلة بفتح الميم وضم التاء وفتحها تمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلا ليرتفع به غيره وجمعه مثلات بفتح الميم وضمها مع التاء فيهما (للمغفرة للناس على ظلمهم) تجاوز عن المشركون منهم إذا آمنوا (لشديد العقاب) للصرين (لولا أنزل عليه آية من ربه) كصا موسى وناقة صالح - لولا - أي هلا (منذر) أي ليس عليك إلا الإنذار والتخويف والنصح متى ثبت أنك نبي يأتي آية فقد كفي وأما اتباع اقتراحهم كأن تضر لهم من الأرض ينبوعا أو تسقط السماء كسفا فذلك ليس عليك (ولكل قوم هاد) قائد يقودهم إلى الخير جله لله عليه باستعداده كالأنبياء والحكماء والمجاهدين والصالحين وأنت هاد لهؤلاء * ولما كانت الآيات للقرائن لاتصلح للأمم وفوائدها وقتية وفوائد العوالم كلها ونظامها ودراساتها تورث اليقين أعقبه بإيت نظام الكائنات فقال (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) يعلم الذي تحمله الأنثى أذكر هو أم أنثى وحسن هو أم قبيح وطويل أم قصير وفقير أم غني وشقي أم سعيد (وما تقيض الأرحام وما تزاد) يقال غاض الماء وغضته أي نقص وقصته وزاد الشئ وزادته * والمعنى يعلم الذي تنقصه الأرحام وتزادها (١) من عدد الولد فقد يكون واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة (٢) ومن جسده فقد يكون تاما وقد يكون ناقصا الخلق وهو المندرج وقد يكون تاما (٣) ومن مدة الحمل فقد تكون أقل من تسعة أشهر وقد تكون أكثر فتكون سنتين وأربعا وخمسا الأول عند أبي حنيفة والثاني عند الشافعي والثالث عند مالك وقد تكون أكثر من ذلك كما ظهر في الكشف الحديث (٤) ومن دم الحيض فإذا حاضت للمرأة نقص غذاء الولد لأن الدم هو الذي يغذيه وإذا لم ينقص يتم الولد ولا ينقص فقوله تفيض الأرحام وتزاد أي في عدد الولد وفي جسد الولد وفي مدة الحمل وفي دم الحيض زمن الحمل (وكل شئ عنده بمقدار) أي كل شئ في السماء والأرض له وقت معين وحال معينة فلا فرق بين شئ وشئ حتى نقص الولد والجسد ومدة الحمل والدم وتعلم ذلك كله فليس هذا بالمصادفة العجبا بل هو بقدر (الكبير المتعال) العظيم الشأن المستعلى على كل شئ بقدرته (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) طالب للخفاء في مخبأ بالليل وبرز بالنهار يراه كل واحد من سرب سربوا برز أو ذهب في سربه ظاهرا والسرب بوزن النصر الطريق (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) معقبات جماعات يعقب بعضها بعضا من عقبه إذا جاء على عقبه ومنهم الملائكة لأنهم يعقب بعضهم بعضا في حفظه وفي كتابة أقواله وأفعاله فهو له وغيرهم يكونون من جميع جوانبه يحفظونه من الخسار ويراقبون أحواله وهؤلاء المعقبات أنفسهم من أمر الله لأنها حصلت بكامة - كن - أوهي تحفظ من أمر الله كلهلكات والمرضات العامة في الكون فهذه من أمر الله فالخلف منها حفظ من أمر الله وسيأتي أيضا - (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والهمة والعز والاستقلال (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من العلم والكمال والاخلاص والأخلاق الجلية (وما لهم من دونه من وال) من دون الله من وال إلى أمرهم فيدفع عنهم السوء وهذا المعنى تقدم الكلام عليه مطولا في سورة الأنفال (هو الذي يرزقكم البرق خوفا وطمعا) البرق لعمان يظهر من خلا السحاب يره الله لنا للاخافة والاطمئاع فهو يشبه النعم والنعيم * تخاف من الصواعق وتخف من المطر المسافر ومن في جريته أي يدره وفيه الثمر أو الزبيب أو القمح وكذلك خاف من المطر إذا نزل في غير مكانه أو زمانه (وينشئ السحاب الغلال) أي بالمطر يقال أنشأ الله السحاب فتشأت والسحاب جمع سحابة وهو الغيم المنسحب

في الهواء (ويسبح الرعد بحمده) أي يسبح سامعوه من العباد الراجين للطر فيصيحون بسبحان الله والحمد لله أي يسبحون ملتبسين بحمد الله أو الرعد نفسه يدل على وحدانية الله وتزبه ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رجه (ولللائكة من خيفته) أي الله (ويرسل الصواعق) الصاعقة نار تسقط من السماء (وهم يجادلون في الله) أي اللادين كذبوا رسول الله يجادلون في الله وينكرون على النبي وما يصفه به من القدرة على البعث وينكرون الوحداية بتأخذ الشركاء وذلك بالغلابة والتنازع في الخصومات وهذه الجهة حالية

روى أن عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أنا لبيد وقد ا على رسول الله ﷺ قاصدين قتله فأخذه عامر بالمجادلة ودار أريد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه رسول الله ﷺ وقال اللهم أ كفيهما بما شئت فأرسل الله على أريد صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة غات في بيت ساولية • وكان يقول غدة كفنة البعير وموت في بيت ساولية وقوله (وهو شديد الحال) أي الماحلة والمكيدة لأعدائه • قال عمل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك • ومنه تحمل اذا تكلف في استعمال الحيلة (له دعوة الحق) أي الدعوة المحببة فان من دعاه أجاب أودعوة الصديق والتوحيد وهي شهادة ألا إله إلا الله (والذين يدهون) أي الأصنام للذين يدعوههم للمشركون (من دونه) أي من دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) لا يجيبونهم بشئ يريدونه من نفع أودفع ضرر (إلا كياسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو بياقه) أي الاستجابة للماء لمن يسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جراد لاشعور له يسط الكفين ولا قبضهما فكيف يجب دعاه هكذا أصلهم يدعونها فلا تخبر جوابا (ومادعاه الكافرين إلا في ضلال) في ضياع لامنعة فيه فان دعوا الله لم يجبه وان دعوا الأصنام لم تستطع اجابته (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها) أي يسجد الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا في الشئ والبراء والكفرة كرها في حال الشئ كما مر في آيات كقوله تعالى - وإذا مسك الضر في البحر ضل من دعونهم إلا إياه - وكذلك يسجد جميع ماني السموات والأرض سجدوا اقياد (وظالمهم) فانها تنقاد تبعاً لاقيااد الأجسام التي تشرق عليها الشمس فيصرفها الله بالذوالنقص وسبأى شره (بالفسق والآصال) حال من الظلال لظهور الامتداد والنقص فيها أكثر في هذين الوقتين والفسق جمع غداة والآصال جمع أصيل والغداة أول النهار والأصيل ما بين العصر والمغرب (قل من رب السموات والأرض) خالقهما ومتولى أمورهما (قل الله قل أفتخذتم من دونه أولياء) أي أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضررا) لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يذفخوا ضررا عنها فكيف يستطيعون تغيرهم وقد آتوهم على موجد الأحياء مقدر الآجال والأرزاق وهذا ضلال بين (قل هل يستوى الأعمى والبصير) الكافر والمؤمن أو من لا يبصر شيأ ومن لا يخفى عليه شي (أم هل تستوى الظلمات والنور) الشرك والتوحيد (أم جعلوا لله شركاء) بل أبعادوا والحزمة للانكار (خلقوا كخلقهم) أي خلقوا مثل خلقه والجهة صفة شركاء فهم إذن لم يتخذوا لله شركاء قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) أي فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء أي ليس الأمر كذلك حتى يشبه عليهم الأمر بل اذا شكروا يقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الأشياء والشركاء أنفسهم مخلوقون له أيضا فلم يخلقوا شيأ حتى يشبه خلق الله بخلق الشركاء • فالجهة إذن قد لزمت المجادلين (وهو الواحد القهار) التوحيد بالالوهية الطالب على كل شي (أنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فلسات اودية) أنهار جمع ولد وهو للموضع الذي ينيل فيه الماء بكثرة ثم استعمل في الماء الجاري فيه مجازا (بقدرها) بمقدارها على ما تقتضيه المصلحة (فاحتل السيل زبدا) الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالجب • وهكذا ما يعلو على النار عند غليتها • وللعني فاحتل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا (رايا) أي عاليا مرتفعا فوق الماء طائفا عليه • هذا مثل أول • للثالث الثاني أن الناس يطرحون القهه والفضة

وسائر الفلزات كالحديد والنحاس والرصاص في الحرارة للنارية فيكون منها زبد راب كما أن الماء في الأودية يطفو عليه زبد ويتخذ من الذهب والفضة الحلية ومن الرصاص والحديد والنحاس وما أشبهها متاع وهو ما يتع به الناس كالأواني من طبق وقدر وغيرها وما تحرث به الأرض أو يدفع به في الحرب أو غيرها فهذه الفلزات يعلاها زبد وهي تذيب بحرارة النار كما يعلا الماء وهذا قوله تعالى (وعما يوقنون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) فزبد مبتدأ وعما يوقنون خبر (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا يتع به (فأما الزبد فيذهب جفاء) أي ضائعا باطلا والجفاء ماري به أو ادعى من الزبد إلى جوانبه والجفاء أيضا التفرق . والمعنى أن الباطل وإن علا في وقت فانه يضمحل وينهب (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والجوهر الجيد من الأجسام التي تذيب وهي الفلزات كالذهب والحديد (فيمكث في الأرض) أي حيث ويبقى ولا ينهب (كذلك يضرب الله الأمثال) أي ليوضح بها للمشبهات . انتهى التفسير اللفظي لتسم الأول من السورة

اعلم أن الله لما ذكر في سورة يوسف تلك الدرة البديعة والجوهر البديعة - وكان من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون - وقد ذكرنا هناك أن هذه وأمثالها أهم مقاصد القرآن فلعبر الله أن من عرف هذا الجلال وتغلغل في علم الطبيعة اعتلت نفسه أرقى الفضائل وعلا في أفق الجبال واستوى إلى سماء الكمال وارتقى فكره ونما عقله وعرف ربه وقسه وأيقن أن اختراقات التي ينتدعها للمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لا قيمة لها وأقبل على الله ونبذ البدع فهذه الكائنات كلنا بها لارتقاء عقولنا كان علماء الفلسفة قديما يقولون ليس يعرف الناس ربهم إلا إذا عرفوا علوم الرياضيات والطبيعات حتى إذا أتوها عرفوا ربهم . هكذا القرآن كتاب الله تعالى يكتب للمؤمن أن يعرفوا ما في السموات والأرض والآيات عينا ابتغاء ارتقاء عقولهم وإكمال صناعاتهم ومتى كملوا عقلا وجسما أدركوا خالقهم وعرفوا ملوكة الطبيعة . فلما كان هذا شأن العلوم الطبيعية وقد أشار لها فيما ستم قبلنا شرع في هذه السورة يفصل بعض تلك الحجابات تفصيلا ويأمرنا أن نشرحها شرحا طويلا في هذا التفسير . يقول الله - ثم إن علينا بيانه - ويان القرآن على أسماء شتى ومنه ما نحن بسنده وأن الله عز وجل قد خلق وسخاقي أناسا يتكفون ببيان العلوم الطبيعية لارتقاء العقول أولا ثم معرفة الله . فأما من علم من المسلمين أنه متى زعم أنه عرف الله جزلته أن ينالم على المهاد ويظل خائر القوي عديم النفع فأولئك هم الكاسلون التأثرون وكثير ما هم . ولقد ضل كثير من الصوفية بهذا القول وهم لا يصلحون أن الله أوجب تزوية الجسم وتنويع العقل ومعرفة الله تعالى . فانظر كيف قال في هذه السورة . إني نظمت هذا العالم وفصلته شموسا فدارت ثم دارت ثم دارت فاقصصت من الشمس سيارت ومن السيارات أقدار وكأها دوائر في مدارات وأتم على أرضكم هذه ترون ما فوقكم وهي تلك العوالم المحيطة بكم للكون بالزركة الحاملة لك الشمس لا تقع عليكم لحفظها في أما كتبنا بنوليس علمته تسمونها الجاذبية ونحن أعلم بها فنحن نملك السموات والأرض أن نزلها وهذا الذي أحاط بكم وعلا فوقكم من جميع الجهات هو المسمى سماء فلا عمد به رمتها ولا قائم بها بثبتها ولما أتممتها في مداراتها ونظمتها في أفلاكها كن ذلك استيلاء عليها وإقامة لأمرها وتمكنها منها فاستويت على عرشها بالحفظ والتدبير وأتت قسطها بلا تقصير ولها حسب معلوم ونظام مرسوم وقانون مكنون فلا تجرى شمس خارج مدارها ولا أقمار في غير شمسها وجميعها تجري إلى أجل ضربته وموعد أثبتته حين تنقل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات وتزق كل ممزق وترجع إلى عالم الهباء ثم يدور عليها الدور ويتم لها الأمر وأنظمتها من جديد وأستوى على عرشها في عالم غير عالمكم فأنا أدبر الأمر في العالم العلوي قديرا وأصل الآيات تفصيلا . فلئن دبرت ملكي وأحكمت نظمه وأتت ببيانه لقد بينت ذلك في كتابي

وضلته في تبياني نظمت للآل والملكوت وأوحيت به ورسمته في العتول فالأفلاك منتظمة والعقول معلوما
 مرتبة على الخلق في الأول والأمر في الثاني . ولذا كان نظامي قضى أن تعرف العقول بعض ما دبرته
 وتعقل بعض ما خلقتة فهل يكون ذلك عبثا . كلا بل إن العقول متى أدركت الجبال طلبت الجبيل ومتى
 أحست بالحسن والبهاء والنظام الذي عرفه العلماء وفهمه الحكماء وأوحى إلى الأنبياء طلبت الوصول إلى ذلك
 المقام وفرحت بالوصول إليه وهذا قوله - يدبر الأمر يفصل الآيات - إلى قوله - بقاء ربكم توقنون -
 والایقان هنا مسبب من ذلك الجلال للرسوم في العقول فهل مثل هذا يخلق في عقولنا عبثا . ولما فرغ
 من عالم السماء وعلموه شرع يفصل ما على الأرض فقال يسط الأرض وأوسعها وثبت الأقدام عليها وجعلت
 فيها الجبال الثوابت والأنهار الجارية من الجبال وجعلت الثمار مختلفة الاصول عند ازواجها بحيث دبرت
 الكور والانات في العنب والتين والزيتون والتخل والزروع وسائر ما ينبت على الأرض وليس يعرف هذا
 إلا من درسوا علم النبات دراسة واسعة . وجعلت الليل والنهار يتناوبان على تلك الثمرات والزروع وغيرها
 فتم نظامها . فهذه دلائل للتكريم وحكم للعاقبين ونعمة للؤمنين وقوة على الحياة للعاملين . ومن
 الأرض ما هي سبعة وطية ورخوة وصلبة وفي الأرض حدائق غناء ومزارع وأصناف شتى في ذلك تجول
 العقول فتفهم منها القروع والاصول وينظمون منهم كما يعرفون ربهم . ولعمري كيف يعرف الله أويجه
 من عبي عن منافع الثمرات وغفل عن هذه الآيات

فلئن تجب يا محمد من انكارهم البعث حقيقي بأن تجيب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك
 كانت الاعادة أيسر شيء عليه فان هذا للبأ الوطيد اذا لم يكن للميعاد فهو قليل المدة . ان أولئك مقيدون
 بالضلالة مخلدون في النار . هم يستهزئون ويقولون أنزل بنا العذاب الذي أوعدتنا به فلم يستجيبوا بالعقوبة
 أو ما علموا كيف أهلكتنا الأمم قبلهم وجعلنا ذلك مثلاً لهم - وإن ربك لتؤمخفرة للناس على ظلمهم - بالامهال
 والستر كما أهلنا هؤلاء لتنظر ماذا يصنعون - وإن ربك لشديد العقاب - لهم اذا لم يؤمنوا وهم متبادون في
 الضلالة . واذا كان ما في السموات والأرض عما ذكرناه لم يكفهم في الدلالة على الله واليوم الآخر فاتهم لا يؤمنون
 بغيره - إن الانسان لظالم كفر - يمر على آيات الأرض والسموات ولا تكفيه ولا يؤمن بها لغفلة وبلاهة
 ويتجاوزها فيقول هل من آية كذا فصالح وعصا موسى وما أشبه ذلك فدفع قولهم - فاعلمت منذر ولكل
 قوم هاد - وأنت الهادي لهذه الأمم . ولذا ذكر السموات وأتبعها بالزروع والشجر التي لا تقوم إلا بضيء النيرات
 وحركات الأفلاك وصلاحيات الأرض أتبعها هو للقصود في العالم الأرضي وهو العالم الانساني للنتفع بالثمرات والأضواء
 وبحركات الأفلاك فأبان أنه تعالى يعلم ما تحمل الانات من ذكور وانات الخ ثم أبان أن كل شيء عنده يقدر
 وهو عالم بما غاب وما شهود وهو الكبير المتعال . يعلم ما يستر الناس وما يعلنون وقد جعل لهم جماعات
 يحفظونهم من سائر العوالم المشاهدة والغائبة يكتبون أعمالهم وأحوالهم وأن كل ما يتصرفون به من الفضة والشرف
 والخنفس والرفع تابع لما في النفوس من الصفات كما يتبع الظل الشبح . فالأحوال الظاهرة شبح الأحوال
 الباطنة . ولما شرح العالم النباتي والانساني أتبعه عالم الحيوان من البرق والسحاب والرعد والصواعق وأخذ
 يتم الأصنام وتابعها . ثم أتبع ذلك كله بجملة تشمل جميع ما تقدم في الأرض والسماء إذ أبان طاعة كل مخلوق
 في الأرض والسماء فكلمة ساجدة سجود تسخير وهكذا ظلالها التابعة لها وذلك يشمل السحاب والانسان
 والنبات والأرض والسموات فهذه كلها ساجدات وظلال للظلمات منها ساجدات بالصدق والآمال . ثم ختم
 ذلك بأن من لم يفهم هذا فهو في عمى وضلال ومن فهمه فهو على نور من ربه وأتبعه بتل أم وأكمل
 وأبين فذكر الأودية والماء والربذ والمعادن ومثل الحق بصفائها والباطل بالزبد فحقها والربذ بذهابها والجوهر
 باق . هذا ملخص هذه الآيات مع تبيان للناسبات وتناسق العبارات وفي هذا القسم لطائف

(اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها - (اللطيفة الثانية) في قوله - ثم استوى على العرش - (الثالثة) في قوله - وفي الأرض قطع متجاورات - (الرابعة) في قوله - يتي بماء واحد وتنزل بمنها على بعض في الأكل - (الخامسة) في قوله - ولكل قوم هاد - (السادسة) في قوله - وكل شيء عنده بمقدار - (السابعة) - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - (الثامنة) - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - (التاسعة) في البرق والسحاب والرعد (العاشر) في الصولق (الحادية عشرة) في الظلال (الثانية عشرة) في قوله تعالى - فأما الزبد فيذهب جفاء - ﴿اللطيفة الأولى في قوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها -﴾

وهذه تفتت في سورة البقرة وقد شرح هناك أمر السموات وعددها ووجودها وما أشبه ذلك ويكنى الذي الاطلاع عليه • وهكذا ما تفتت في سورة الانعام عند قصة الخليل عليه السلام وفي سورة يونس عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء ليل - ولكن نذكر هنا ﴿الجوهرة الأولى﴾

(موازنة بين وصف العرب ووصف القرآن من كتابي ﴿مذكرات في أدبيات اللغة العربية﴾ صفحة (٣٨) قال الخليل بن خولة في معلقته بصف ناقه

وإني إذا لشدت أطلب أستعين على امضاء هي وقضاء وطري (إذا خف أي ذهب بالرجل المقيم بلا عمل النجاء أي الانكماش) بناقة سريمة كأنها نعمت طويلة الساقين ذات أولاد (ملازمة للدق أي الوادي الواسع ذات خف مخلودب) سمعت صوتا خفيفا غفاقت على نفسها السيادة وقت العصر وقد قرب للساء قترها ترجع قوائمها وتوقها على الأرض فيثور غير دقيق كأنه الاهباء (أي ما يرى في شمع الشمس النافذ من الكون جمع كوة وهي الطامة) وترى أطباقا من أخفافها خلفها أطباق أخرى سقطت من وعر الصحراء فهذه الناقة أتلهى بالركوب عليها وقت الحجير من ألم يسني وهم يلحقني إذ يكون كل ذي هم كالناقة البلية أي العيباء التي ربطت على قبر صاحبها حتى تموت وهذا معنى قوله

عَبَّرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ	مَ إِذَا خَفَ بِالشَّوِيِّ النَّجَاءُ
• بِزُقُوفٍ كَأَنَّهَا حِقْلَةٌ	لَمْ رِثَالٍ دَوِيَّةٌ مَسْقَفَاءُ
• آتَسْتُ بِنَاءَةً وَأَفْرَحَهَا	مَتَأَصُّ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ
فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالْوَفِّ	حَجَّ مَيِّتًا كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ *
وَطِرَاقًا مِنْ خَلْفَيْنِ طِرَاقُ	سَاقِطَاتُ الْوَتِّ بِهَا الصَّعْرَاءُ
أَتَلَكَّى بِهَا الْهَوَاجِرَ إِذَا كَانَ	لَئِنْ كَرِهَ بَلِيَّةٌ نَعْيَاءُ *

أقول ولما كان القرآن لا ينزل لثل هذه الأوصاف وجب أن نذكر وصفا ما كقوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر بفضل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون • وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يثنى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون - الى قوله - لآيات لقوم يعقلون -

فانظر كيف وصف الشاعر الناقة وسرعها وهبها بالنعامة الخاقعة من القافس وذكر الفبار وضعف خف الناقة ووصف الله في القرآن السموات بلا عمد والأرض وتسخير الشمس والقمر وجريهما الى انقضاء العالم ثم ذكر تدبير العالم وتضميد كل شيء ثم استنتج لقاء الله للمدير لهذا العالم ثم ذكر مد الأرض وأنها رها ونباتها بالجبال وما فيها من أنهار وأبواب كيف كانت قطع الأرض متجاورة ثم هي مختلفة فيها الحدائق الجيلة والجنات ذات الأعناب وذات الزرايع والتخيل الذي نشأ من أصل واحد وغيره وكيف سقيت كلها بماء واحد وفضل بعضها على بعض في العلم واللون والذوق . اهـ

(الجوهرة الثانية)

(اشراق النفس . بهجة السماء وجعلها من كتابي سوانح الجوهري)

أذكر أني ليلة خرجت من القاهرة مساء لزيارة صديق جلست في حقله وكان ذلك وقت الترويض والظلم حالك والليل قد أرقى سدوله وأحاط ظلامه بكل شيء فنظرت السماء اذا هي جنة ذات بهجة لناظرين هي بحر من نور تتلا نوابق الزهر في مائه وتسطع شوارق الأنوار في أرجائه خيل لي أن نور رجال السكواكب قد ملأ الجبر وأحاط بما حولي من العوالم وتأملت قسي العوالم حولي اذا أنا في عالم عظيم كبير أصفر كوكب في نظري قد يفوق الشمس حجما ونورا والشمس تفوق الأرض آلاف مؤلفة وهذه النجمة القطبية تبعد عنا خمسين سنة مقطرة يسير ضوءها مع ان الشمس يمتشق نورها الآفاق في (٨) دقائق و (١٨) ثانية فكيف يكون مقدار ذلك الكوكب وكيف حال المجرة وهي جميعها كواكب تضامت في نظر الانسان وأصبحت بالنسبة لنا ذرات تكاد تشبه اللبن وكل واحدة من تلك الذرات شمس كشمسنا . عالم واسع وملاك كبير . ولذا رأيت ثم رأيت نعبا وملسا كبيرا . فما الأرض ومن عليها وما النول والملوك والحروب والسياسات وما الأرض إلا ذرة لا قيمة لها ولا وزن فمن الناس ومن أمراؤهم وخزائنهم ما أصفر الأرض وما أضف الناس وما أوسع العالم وما أكبره . الله أكبر كبيرا . لقد صغرت في عيني هذه النول والملوك وسياساتهم وممالكهم وأيقنت أن هناك حلة لنفس الانسان سينسج فيها الأرض وما عليها والاتحاد لما يشبه من العلم وما يوحى اليه من الحكمة . الناس يمتصون للجمال والقدرة والعلم فأرباب الأموال وذوو النفوذ والجاه ذوو قدرة الأولى ماله والثانية جاهية وذوو الجبال يمتصون النفوس اليهم وذوو العلم يتبعهم السامعون والفاهمون . فلذا زج بهم في بحر من نور العلم وأشرفت على قلوبهم شمس الحكمة وأطلعوا على سعة العوالم ونظامها وجعلها فيهم الجبال وأدهشهم العلم وغشى على أفئدتهم سعة تلك المخالقات الهائلة أناسهم ذلك ما كانوا فيه من العيش واللذة والألم ولكن متى يخلص الانسان من ذوبه القواطع فيحاط بتلك الأنوار . قال أرسطاطاليس (إن هذه البهجة لا تدم أكثر من لحظة) وتبعه الامام الغزالي في ذلك وأكبرها ابن سينا في آخر الاشارات وأتى فيها بمقامات تبلغ العنصرين . أما أنا فأخذ ما أجده منها دليلا على جمال وبهاء سبيل اليه المرء بعد التجرد من عالم الطبيعة كما استنتجته الأقدمون من أحوال نفوسهم

(اللطيفة الثانية في قوله تعالى - ثم استوى على العرش -)

أنظر في سورة يونس وسورة هود

(اللطيفة الثالثة - وفي الأرض قطع متجاورات -)

تقدم بعضه في سورة البقرة ونذكر هنا زيادة عليه فنقول

يذكر الله في هذه السورة - وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب - من جملة ما فصل فيها نبينا قوله في سورة يوسف - وكأن من آية في السموات والأرض الخ - ألا يجب للمسلمون كيف كانت عناية الله بالمجاوب الأرضية والسماوية فاته لما أجعلها في سورة يوسف فصلها في سورة الرعد ورمز الى أغلب

علم الطبيعة وهل هذه العناية وجهت الى الوضوء مثلا وإلى البيع ونحوهما . كلا فالعناية هنا تتم وبأبلى شئرى ما هذا التصور وما هذا التعبير وما هذا التبرير أمة هذا شأن كتابها في العناية بالجانب الكونية ثم هي تفصل القول قصيلا في فروض الوضوء والماء المستعمل وغيره ولؤلؤ في هذا ونوسع الدائرة حتى إذا وصلت إلى ما توجه إليه عناية الله في العوالم فكس الناس على أعقابهم . فلماذا لم تسووا أيها المسلمون بين آية وآية . هل هذه الآيات ليست من القرآن . أراكم تقيسون الوجه طولا وعرضا في كتب الله ما سمعتم قوله تعالى - اضلوا وجوهكم وأيديكم إلخ - وكذلك ينتم كل عضو وحدوده وأحسن احكامها في هذا ولكن هل تعلم ذلك وأمثاله في مسألة القطع المتجاورات وكيف كان فعل الله فيها . وإذا كان هذا هو الذي سيكون في مستقبل الاسلام والأمة الاسلامية ستأخذ حظها من العلم فلا يبين هذا المقام فأقول قلا من كتاب لي في الفلسفة ملخصا

إن سطح الأرض جبال وبحار وبراري ومزارع . والجبال (أربعة أقسام) القسم الأول الجبال الصخرية كجبال تهامة فما هي إلا صخور صلبة وأحجار صلبة لا ينبت عليها إلا يسير . والقسم الثاني منها جبال ذات نبات لأنها صخور رخوة وطين لين وتراب ورمل وحصى تعلق متلبس ساف فوق ساف متهاكة الأجزاء كثيرة النبات والأشجار والحشائش مثل جبال فلسطين وجبال لكهن وطبرستان . والقسم الثالث منها جبال النار فانه يرى في أعاليها ليلانها نار دخان معتكر ساطع في الهواء مرتفع في الجوق . وكان القدماء يظنون ذلك بأن في باطن الأرض كهوفا ومغارات وأهوية حارة تجري إليها مياه كبريية أو قطعية ذهبية فتكون مادة لها دائما مثل التي يجزيرة (حقليّة) وبجبل (زامهر) من خورستان أما علماء العصر الحاضر فانهم يقولون إن الأرض كرة نارية وقشرتها لا تزيد عن قشرة الطبيعة بالنسبة لكرة الأرض وقد قسمتم شرح ذلك في تفسير سورة (آل عمران) . والقسم الرابع جبال ذات هواء لطيف يهب عليها دائما أوقى بعض الأوقات مثل جبل الثلج القوي بعمشق والذي ببلاد (دور) من جبال (غور) وجبل دماوند فهذه الجبال لما كان الثلج فوقها فانه عند ذوبانه يتحول إلى أجزاء بخارية لطيفة فيرفع في الجوق ويلطف الهواء

(الأنهار)

ثم إن الأنهار تنبع الجبال لأنها منها نشأتها وإلى البحار تنهايتها فغها ما يجري من الشرق إلى الغرب كهر (ماوند) ومنها ما يجري من الغرب إلى الشرق كنهرين ببلاد (أذربيجان) ومنها ما يجري من الجنوب إلى الشمال كنيل مصر . ومنها ما يجري من الشمال إلى الجنوب كدجلة وأما البحار فانها جميعها ملحة وذلك لتلطف بأبخرتها الجوق وتختلط بالهواء وتتوحد معه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فتدبسه وتلمسه وتمتصه من التغير والفساد والتعفن ولولا ذلك لمات الحيوان المستنشق للهواء دفنه وأيضاً لولا الملح المستكن في الماء للمترج به لمار للماء آسنا وتغير ومات الحيوان الذي فيه جلة واحدة فتعجب من الملح كيف صار نعمة في البحر ونعمة في البر . فأما البراري والتقار فانها تدخل فيها سذكرة من خصائص الأماكن لأنها مناطق ينتزعها النبات والحيوان

- (١) القيلة لا تتولد إلا في جزائر البحار الجنوبية تحت مدار برج الحمل
- (٢) الزرافة لا تتولد إلا في الحبشة
- (٣) السمور وغزال للسك والسنجاب لا تتولد إلا في البراري والتقار
- (٤) الصقور والبزاة والنسور وأمثالها لا تخرج إلا في رؤس الجبال الشاهقة
- (٥) القطا والنعام لا تخرج إلا في البراري والقلوات

- (٦) البط والطيطوى وأمثاله لا تخرج إلا على شطوط الأنهار
(٧) الصافير والقواخت والقمارى وأمثاله لا تخرج إلا بين الأشجار والسهل والقرى والبساتين

{ أماكن النبات }

- (١) النخل واللوذ لا ينبتان إلا في البلاد الحارة والأرض اللينة
(٢) الجوز واللوذ والفسق والبندق وأمثاله لا تنبت إلا في البلاد الباردة
(٣) الحلبة والذلب وأم غيلان لا تنبت إلا في البرارى والقفار
(٤) القصب والصفاف لا ينبتان إلا على شطوط الأنهار

{ المعادن }

- (١) الذهب لا يتكون إلا في البرارى الرملية والجبال الصخرية
(٢) الفضة والنحاس والحديد والرصاص وأمثاله لا تكون إلا في الجبال والأحجار المختلطة بالتربة اللينة
(٣) الكبريت لا يكون إلا في الأرض الندية والرطوبات المعدنية
(٤) الجبس والاسفيذاج لا يكونان إلا في الأراضي الرملية المختلطة بالجليس
(٥) الزاج والشب لا يتكونان إلا في التراب الغصص
(٦) الدر والمرجان لا يتكونان إلا في البحار في أحوال خاصة

{ عجائب هذه الدنيا }

فانظر كيف رأيت الجبل فوقه النسر والباز والصقر والثلج والتار ورأيت في بلطنه ماء وزئبقا وورصا وحديدا وذهبا وفضة وفيه حيون تايغت وقبر وفتق وملح وكبريت ثم إذا نزلت من الجبل رأيت القطا والنعام في القلاوت والبط على شط الهبر والصفور في المرج والنخل واللوذ في الأرض الحارة والجوز في الباردة والحلبة في القفر والقصب على الماء . فانظر للعجب العجيب في هذه الأرض التي نحن راحلون عنها إلى عالم أعلى منها كيف جلت وحسنت وظهرت وبهرت وإزيفت لناظرين فما أجل أرضنا وما أبهج حسنها وما أعظم شكلها وما أبهج أختانها . هذا هو الذى يكون أمثاله في قصير قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات الخ -

{ حكايات عجيبه }

في أيام تأليف هذا التفسير وردت حكايات عن نباتات عجيبه في الجبال والجلات العلمية فראيت أن أذكرها هنا تفكهة وبصره لمناسبة هذه الآية إذ جاء فيها - يسقى بماء واحد الخ -

{ الأولى . الضوء من الأشجار }

تمكن عالم فرنسى من كشف طريقة استخراج الضوء من نفس الأشجار إذا وصل لوحا نحاسيا مدهونا في الأرض بأشور يله في الشجرة بجهاز (حلقانومتر) وهو جهاز يقيس التيارات الكهربائية الصغيرة ثم زاد القوة بجمع ثلاثة أشجار ثم وصلها إلى عشرين شجرة ثم لوحين نحاسيين في الأرض وبينهما ستة أقدام وتمكن بواسطة التيار الكهربائى الذى حصل عليه من اضاءة لبة كهربائية صغيرة . وهذه المسألة الآن تحت التجربة . انتهت الحكاية الأولى

{ الحكاية الثانية . النبات المضحك }

لقد كنا نقرأ في أسفار السندباد البحرى من الاساطير ما نظنه لاحقيقة ثم كنقوم رأهم في إحدى سفراته في جزيرة وكان معه أصحابه فأطمعهم طعما نباتيا ففتر أخلاقهم وجعلهم شرهين على الطعام وزالت قواهم العقلية وأخذوا يسمنون بسرعة وأعتهم القوم للذبح كأنهم غنم أما هو فلم يزل يجرسه وضغنه فهرب إلى بلدان أخرى وما كنا نعلم ما جاء اليوم في الجرائد يوم (٢) أكتوبر سنة ١٩٢٤ إذ وصف أحد علماء الطبيعة

لجنة علمية بعد رجوعه من بلاد العرب نبالا غربيا مياه (المناسك) وأما سواه كذلك لأن كل من أكل من بذره يستمر مدة قصيرة في التحكك للفرط وينتهي أخيرا بشوة عسيرة والوطنيون هناك ينشغون أوراقه ويسحقون بذوره ويحفظون المسحوق للوقت المناسب فيقلمونه للذين يكرهونهم وإذا ضوئوا للقدار المأخوذ تؤدي النتيجة حيا إلى الجنون فيسقط الإنسان بعد تعاطي المقدار في نوم عميق وقد أضعف ذاكرته وتبطلت عادته . انتهت الحكاية الثانية

(الحكاية الثالثة . زيت يستخرج من الجراد)

ذكرناه في هذا المقام لأنه شارك النبات في إعطاء الزيت . جاء في الجلات والجرائد أن بلاد جنوب أفريقيا مصابة بالجراد التي يأكل مزروعها كما أصيبت مصر بمودة القطن لكن الجراد وجدوا فيه زيتا عجيبا به تدار آلات الطيارات . تلك البلاد تصير الآن مقادير كبيرة لهذا الغرض . وتقول جريدة أخبار مديري السكك الحديدية التي تصدر في (جوهانسبرج) بجنوب أفريقيا أن ثمانيا وثمانين باقة من الجراد وزن ثريا ثمان عشرة (طونولات) صدرت أخيرا من (كازيرن) إلى دربان لشحنها إلى (هولندا) وهذه المقادير من الجراد تستعمل بمقطة طعام للنواجن وغيرها من الحيوانات للتزلية الأليفة بعد أن يستخرج منها زيت تدار به آلات الطيارات . وقد أذيع أن لهذا الزيت خواص باقة جدا وأنه يقي في أعلى طبقات الجو سائلا كما هو على سطح الأرض . هذا ما جاء في الجرائد يوم (٢٩) أكتوبر سنة ١٩٢٤ أثبت هنا فهل يعلم المسلمون ذلك . أفلا يعلم المسلمون أن هذه النعم خلقت لنا والفرجة معا . أولا يعلم المسلمون أن الله اختار الجراد وخن في الزيت . ولما خلق الطيارات أفهم العقول أن زيت الحيوان الطائر يناسب الطيارات فهو ممتاز عن زيت النبات لأنه مخلوق في طائر فليكن في الطيارات . أليس هذا قوله تعالى فيما سيأتي - وكل شيء عنده بمقدار - فمن الأشياء هذا الزيت النافع للطيارات ولم يعلمه الناس قبل الآن لا بخلا من الله ولكنه أبقاء ليتفقه به الذين يرتفعون بالطيارات - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وهلا يرى المسلمون أن ظهور عجائب القرآن في هذا التفسير وفي غيره بوضوح قد جاء مناسباً للزمن وأن ظهور ذلك بهذا الوضوح قبل الآن لم يكن مناسباً للزمن وأن الله خزن علوم القرآن كما خزن الزيت في الجراد حتى إذا جاء أجله أبززه . أوليس لهذا القول حظ من قوله تعالى - ولما يأتيهم تأويله - أفليس هذا بعض ما يؤول إليه القرآن من انكشاف حقائقه . أوليس ظهور هذه العلوم في القرآن اليوم مناسباً للمسلمين المتعطشين للعلم كما ظهر الزيت لرجال الطيارات للمتطشين للطيارات . فليقرأ المسلمون العلوم فكيف جهلا ونحوا وطرا وشاروا وبعدا عن الله رب العالمين

(جوهره مضية في قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - وقوله تعالى - وينشئ السحاب

الثقال - وفي قوله تعالى - جعل فيها زوجين اثنين -)

اعلم أن الأجسام كلها لا تخلو إما مضية وهي ما يصدر عنها النور كالشمس والنار وإما مظلمة وهي ما لا يصدر عنه نور بل ينعكس عنه نور غيره إذا وقع عليه وهذه لا ترى إلا بنور مكتسب من غيرها كالقمر والحجر ثم الأجسام من - منها إما شفاقة أو شبيهة بالشفاقة أو ظلية . فالشفاقة ما تعيق النور قليلا عن سيره كالزجاج فتزدها والشيبة بالشفاقة هي التي تعيق النور كثيرا عن نفوذه كالورق والزيت ونحوه فلا ترى إلا بالظلمة هي التي لا ينفذها النور كالخمر ونحوه وتبقى ظلا كشيء على الأرض وعلى ذلك نرى أن الهواء أشبه بالزجاج فهو شفاف وهكذا الماء واليابسة كالحقارات أشبه بالظليل ثم إن انعكاس الانوار يرى رجوعها عن الأجسام بعد وقوعها عليها من جسم منير على نوعين نوع يسمى (النور المستطرد) إذا كان الجسم الذي يقع عليه النور حش السطوح فاذن تفرق الأشعة منه إلى كل مكان فيرى من كل جهة

ونوع يسمى (النور المنعكس) لذا وقع على سطح أملس صقيل فتندفع أشعة النور عنه الى جهة واحدة أو الى جهات معينة فلا ترى الاشباح منه إلا اذا وقفنا في تلك الجهات الميعة . ومثال الأول الجبال والارادية والتنازل فهذه نراها بالنور المنعكس من كل مكان أى ترى نفس الجبال الخ ومثال الثانى للمرآة مثلا فاننا نراها وانما نرى الصور التى ظهرت فيها وانما لا نراها لانها صغيلة فنحن نرى التزل ولا نرى للمرآة الصغيلة وانما نرى ما فيها من الصور ولا نراها إلا اذا قلت صقاتها ويكون ذلك بالنور المنتشر

لذا علمت هذا فتعجب من العالم الذى نعيش فيه وابتهج بما مستمع من حكمة وماترى من جبال فى العالم الذى خلقته الله فيه . أنظر أرضنا فيها الاجسام الظليلة كالجبال والاجسام الشفافة كالهواء ومثل الهواء وكما نرى الهواء والماء ينقد النور من خلالها نرى الاشجار ظليلة فالباقي مثلا نورها مستطير والبحار العظيمة اذا قرأنا العلوم الفلسفية عرفنا أن نورها من نوع للنعكس أى ان النور منعكس عنها كما ينعكس عن المرآة إن لا الأرض نورا منعكسا على القمر . ان الأرض قمر تقى عليه نورا اذا لم تفسد الشمس يسوى النور الواصل منه الى الأرض نحو (١٤) مرة . إذن البحر مرآة الأرض . الأثرى أن الماء أنشبه بالزجاج ووراءه من قاعه أرض يابسة فهو إذن يعكس النور كما تعكسه المرآة فالهواء زجاج والبحر مرآة واليابسة ظليلة . وإذا أوقدنا نارا على الأرض كان عندنا إذن الجسم المضيء . ضع شمعة متقدة وأمامها حائط ومرآة ولوح زجاج الشعة كالشمس والحائط كاليابسة والبحر كالمرآة والهواء مثل لوح الزجاج نحن نعيش فى وسط كامل مضيء ومستقى وشفاف وعاكس لضوء منتشر وعاكس لضوء منعكس . إن العالم الذى نعيش فيه جميل نور مشرق وأجسام لطيفة شفافة وأجسام أخرى مختلفة . إن الله جعل هذه الأرض قطعا متجاورات ليتم الانتفاع بها . هل لك إذن أن أريك جبال تلك القطع المتجاورات أين من هذا

(فصل فى الفحم الجبرى وفى البوار الصخرى وفى الزجاج)

(الفحم الجبرى)

إن الفحم الجبرى يستخرج من باطن الأرض كان قديما غابات عظيمة غطت سطح الأرض قبل خلق الانسان ثم دغنت وضغطت عليها طبقات أرضية فوقها . وأكثرها كانت من نباتات خفية الزهر كأشجار السرخس التى كانت فى ذلك الزمان مكوّنة لأشجار عظيمة . وهذا شكل أوراق بعض الأنواع التى تكون عنها الفحم الجبرى (شكل ١)



(شكل ١)

وأنواع الفحم الجبرى كثيرة الاستعمال فيها قولم كثير من الصنائع ولوقد النوع الانسانى الفحم دفعة واحدة لاختلاف نظام البيئة الاجتماعية اختلافا تاما . وقد ذكرت لك فى أول سورة الأنعام أنواع الفحم وكيف استخرج الناس منه غازا به قضاء الشوارع فى المدن وهكذا أصباغ كثيرة تعد بالآلاف وبشمم للعوجات أيضا نور الكهرباء . فيا عجبنا هذا هو الفحم وهو فى بعض قطع الأرض للذكورة فى الآية . ومن هذا الفحم العظيم اشتقت الأنوار وانبعث عنه كما انبثقت عن الشمس . إن نور الشمس قد خزن فى الفحم

والناس يستخرجونه الآن بالطرق الصناعية . فإذا رأينا شمساً تضيء لنا من السماء فهذه مخازن أنوارها حاصلة في الفحم الفائز في الأرض على بعد عظيم . الفحم جسم ظليل معتم لا يشهد النور منه وبالحمل فيه يصبح جسماً مضيئاً فهو جسم أرضي على حاله وبالحمل فيه يصير جسماً مضيئاً . إن في الفحم الضدين الظلمة والنور والملامس الذي تتكوّن منه جسم شفاف قد جمعت مادة الفحم نوراً للشمس وكثافة الأرض وشفافية الهواء . ولذا وضع وراء قطعة من اللامس جسم ظليل انعكس النور عنه فكان كالأرّة . هذه للنياجيب وكلها جبال وبهجة وحكمة وسعادة للفكرين العاقلين . هذا هو وضع العالم الذي نعيش فيه . أنظر ماذا ترى فيها بعده وهو

{ البلور الصخري }

اعلم أن من القطع للتجارات في الأرض (الكورس) وهو المسمى عند العامة (الزجاج والحصى) والزلم منه فهو كورس على هيئة جبوب صغيرة ويدخل في أعمال الزجاج والبلور ومن أنواعه السوّان وهفت البنادق . ومنه نوع هو المقصود في هذا المقام يسمى (البلور الصخري) هو كورس صلب اللون شفاف منظره كالبلور متبايز بلورات منشورية مستتمة متتية بهرين كما في الشكل الآتي (شكل ٧)



وهذا النوع موجود في جبل الطور وقد يكون متلوّناً بأجسام مختلفة تشبه بعض الأحجار الكريمة وتسمى بأسمائها فنـ (الكركمان) الملون بالبنفسجية (وياقوت بوهيم) وهو كورس وردي لطيف المنظر نادر جداً (والياقوت الأصفر الهندي) وهو كورس أصفر هندي . أنظر هذا النوع من الكورس وتأمل كيف كان مستسا هريماً . وتجب كيف رأينا التسديس في بيوت التحلوي نظم الخلق كما تراه مرسوماً في سورة آل عمران وستره قرياً وهكذا نحن تسديس متقن وجمال بأهرم كيف ترى أن بعض القطع من الأرض كالطور برز فيها ما يشبه الأحجار الثمينة جلالاً وبهجة وقد خرج عن حال الظلمة إلى حال الجسم الشفاف فكان كالماء كالهواء ليفتح للناس باب العمل واستخراج الزجاج

(شكل ٧)

{ الكلام على الزجاج }

اتقنا نعيش في عالم عجيب . فطرنا قرأنا ماء شفافاً وهواء شفافاً . نحن محتاجون إلى الأجسام الشفافة لماذا . لنجعلها في نوافذنا فتمنع عنا القبار والهواء وتدخل الضوء . والهواء والماء ليسا جامدين حتى قفل بهما ذلك والثلج في البلاد الباردة يذوب من حرارة الشمس فسلطانه في البرد . فإذا قفل إذن وأيضاً نحن في حاجة إلى أجسام زجاجية تكبر لنا الصغير عند الحاجة وتحرّب البعيد فبالأولى نريد أن نعرف خلفاً النبات ونكتشف خبايا الأجسام فثقي الطب والصناعات . وبالثانية نعرف الأجرام السماوية وندرس جبالها وأنهارها ولا يكون ذلك كله إلا بالأجسام الشفافة . هكذا نحن في حاجة إلى ما يقوّى أبصارنا على عملها لذا

ضعت ويكبر الحروف لتقرأها . كل ذلك يحتاج الى جسم شفاف صلب لاسائل كالماء ولاغز كالطواء .
لذا خلق الله هذا البلور الصخري وكأنه يقول أى عبادى أنظروا الى المادة الارضية الممتعة . هاهوذا
البلور الصخري جسم شفاف فهأنذا فتحت لكم الباب فادخلوه

﴿ تلويح الزجاج ﴾

قال المرحوم أستاذنا فى هذا العلم أجد أفندى عبد العزيز ماملخصه
لله قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة كانت صناعته فى مصر وفى فينيقيا متقدمة متقنة جداً والمصريون
هم الذين علموا اليونان والرومان صناعة الزجاج والطريقة عند القدماء هى نفس الطريقة الحالية والرومانيون
نبغوا فيه . وفى القرن الخامس حينما أغار البربر على الرومانيين (المراد بالبربر هم أباء الأوربيين الحاليين)
اضمحلت هذه الصناعة ومكثت أوروبا زماناً طويلاً لاتتقن هذه الصناعة وكانت مزهرة فى الشرق ثم إن أهل
(البندقية) تعلموها ومنهم انتشرت فى أوروبا الحديثة

﴿ الزجاج وكيف يصنع ﴾

الزجاج مادة شفافة قابلة للكسر . ومنه ألواح الشبائيك المعروف منعقها . ومنه (المرايا) التى يسهل
بها الاعتناء بالنظافة وهى ألواح من الزجاج مغلى أحد سطحيها بطبقة من التصدير أو اللصقة وكالأواني الكثيرة
الاستعمال والعدسات والأنايب . ولولا هذه وما قبلها لم يصل علم الكيمياء والطبيعة والفلك والتاريخ الطبيعى
وغيرها الى حال التقدم والفلاح

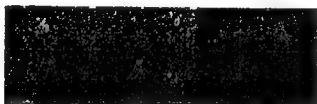
﴿ تحضير الزجاج ﴾

الزجاج يحضر من الرمل والجير أو الطباشير والصودا أو البوتاسا . تتمزج المواد التى يجهز منها جيداً
وتسخن فتصهر بتأثير الحرارة وتسخيل الى عجيبة يعطى لها الشكل المطلوب

﴿ البلور ﴾

هو زجاج استبدل فيه الجير أو الطباشير بأوكسيد الرصاص . ويستعمل فى تحضيره رمل أبيض . هذا
قبس من نور قوله تعالى - وفى الأرض قطع متجاورات - . هذه هى القطع المتجاورات أى للسامون .
فقطعة فيها الفحم الذى يضىء منازلكم وشوارعكم ويولد الكهرباء . وقطعة فيها رمل وأخرى فيها جبر
أو طباشير . وقد قدم فى سررة أكل عمران كيف كان الطباشير متراً كما من حيوانات دقيقة لاتعد فأصبحت
نكتب به على (السورات) لتعليم الاطفال . وقطعة فيها الصودا وأخرى فيها البوتاسا . هذه القطع منها
أخذنا هذه المواد وصنعنا الزجاج قطعنا علوم السماء وعلوم الأرض وارقيتها ولكن الذى عرف ذلك فى زماننا
غير الساميين . إن للساميين يحتاجون لجيل واحد يتعلم ثم ترقى الأجيال الأخرى بعده وسيكون هذا إن
شاء الله قريباً . القطع المتجاورات أشبه بمخازن تزن الله فيها عناصر السعادة والحياة ودلتنا عليها . ولم
نكن الأرض قطعاً متجاورات لكن الحياة عليها لاتطاق . ولكنها قطع متجاورات فيها الأنواع المختلفة
وكأنها هى أسواق تباع فيها جميع ما تشتهى الأنفس وتلد لأعين . إن هذه النماذجية عند العلماء والحكماء
مظلمة عند الجهلاء . انهم لا يرون شيئاً مما هوول بل هم من هذا يسخرون أنظروا منشرا من الشمس
وأجساماً ينفذ الضوء منها وأخرى ينعكس الضوء عنها وهى الهواء والأرض . كيف جعل لنا فى الأرض قطع
متجاورات لتتخذ منها ما نشاء لما نشاء . يلبسان الله . رمل وجير وبوتاسا تجمعها من أماكن مختلفة
ونكوّن منها تلك العدسات المختلفة الأشكال التى بها يجمع النور ليرة وقرحة أخرى . العدسات الآتى رسمها
(قسان) قسم يجمع النور وقسم يفرقه وهى لاتخرج عن ستة أنواع ثلاثة للفرق وثلاثة للجمع . أنواع
العدسات ست . فهذه الأشكال مقسمة قسمين لثلاث لها قسم للجمع وقسم للفرق

يلبسان الله . إن في هذه السورة قوله تعالى - جعل فيها زوجين اثنين - وفي آية أخرى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - ولقد علمت أن الكهربية (زوجان) موجبة وسالبة وفي النبات زوجان ذكر وأُنثى وهو واضح في سورة الحجر فيها سيأتي فيها ترجمته عن كتب (اللورد أيفري) فالزوجان كما كانا في النبات كانا أيضا فيما صنعه الناس من العدسات الآن ياتها وهكذا الحساب جع وتفرقي إذ علم الحساب كله لا يخرج عن الأمرين فالجمع والضرب للجمع والطرح والقسمة للتفرقي . وليس الحساب كله إلا هذين هكذا هنا جع للنور بزجلجت ثلاث وتفرقي بزجلجت ثلاث وهذه صورتها (شكل ٣)



(شكل ٣)

هذه هي العدسات والعدسية في الأصل بلورة بشكل العدسة ثم توسعوا فيها فأطلقوها على كل جسم عتاف له سطح واحد منحني على الأقل والعدسات (قسان) محدبة ومقعرة وكلها تندرج تحت ستة أشكال (١) مزدوجة التحديد (ب) مفردة التحديد (ت) مزدوجة التعيير (ث) مفردة التعيير (ج) هلالية (ح) مقعرة محدبة . فالأولى والثانية والخامسة تضم أشعة النور والبواقي تفرجها هاهذه صنع الانسان وذلك صنع الله . صنع الله لما الصخر البلوري والهواء والماء ووضع لنا في القطع المتجاورات في أرضه مخازن منها نتخذ ما نصنع فسنعنا تلك العدسات لمنفعتنا . فإذا جرى . رأينا أن المزدوجة التحديد هي التي وضعها الله في أعيننا . اختار الله هذه العدسية المزدوجة ووضعها في أعيننا . لماذا . لأنها تجمع النور وكلما قرب الشبح منها بدلت بؤرتها النضمة والبؤرة هنا تجمع النور الداخل من العدسية وكلما بعد عنها قربت صورته منها ولكن رأينا صنع في أعيننا ما لا تقدر على صنعه نحن . ألم تر أن العدسية التي نضعها في قُب الحزانة المظلمة التي نستعملها لتصوير ما أمامنا لا ترسم الصور بواسطتها إلا على بعد مخصوص . ولكننا نحن نرى الأشياء على أبعاد مختلفة . ولو كانت بلورية عيوننا جامدة كالتي نصنعها لم يمكننا أن نرى الأشياء إلا على بعد واحد . إن العين لو بقيت على تحديق واحد لوقعت الصورة تارة على الشبكية وتارة أمامها وتارة وراءها . إن الشبكية (التي يمكن أن تعرفها في سورة آل عمران هناك موهمة) بمنزلة الحجاب تلقى الصور عليه في الخزنة المظلمة في يد المحصور وأذن لا يطر الرائي صورة نظرا صحيحا إلا على بعد مخصوص ولكننا نرى أن الصور جلية على أبعاد مختلفة لأن الانسان يكيف العدسية فيزيد تحديقها ويقلصها كما يشاء فنحن نزيد تحديق البلورية في النظر إلى البعيد ونقل التحديق في النظر إلى القريب بحيث تنع بؤرتها على الشبكية في الحالين

(قصر النظر وطوله)

ويقال للانسان انه قصر النظر اذا كان لا يرى الكتابة الصغيرة الحروف ونحوها إلا على بعد ينقص عن عشرة قراريط وأما عشر تقريبا . ويقال له طويل النظر اذا كان لا يرى هذه الحروف ونحوها إلا على أبعد من ذلك . إن قصر البصر من زيادة التحديق في القرنية والبلورية (انظرهما في آل عمران) وطول البصر يحصل من تسطح البلورية بعكس قصر النظر وقصر النظر وضع عدسات مقعرة أمام العين ويصلح طول البصر بوضع عدسات محدبة أمام العين فالأولى تفرج الأشعة أمام العين والثانية تضيقها قبل انكسارها

في الباغية

(جمال هذا المقال)

إني أجد الله عز وجل إذ انتهيت في هذا المقام إلى نتيجة بهجة جميلة تحتاج إلى درس طويل في علم الضوء وعلم المعادن وعلم الكهرباء وغيرها من العلوم والصناعات . وقد غمت لك على الجوهر واجتزيت من المقعد بدرة واحدة أهديتها لك جميلة بهجة تسر الناظرين . العلم جال والعالم جال . نظرنا في النور ونقوده في الأجسام الشفافة كالهواء وانكاسه عنها مستطيرا ثارة كاليوت وغير مستطير ثارة أخرى كالمرآة وجلبنا جولة في العوالم فرأينا الصخر البلوري مسددا جلا شفافا فافتتح للناس طريقه عمل الزجاج . فإذا حصل . أخذوا الرمل مصحوبا بالجير والصودا أو الطباشير والبوتاسا فصنعوا أنواع الزجاج فكان منها أنواع العدسات وهي لم تخرج عن جامعة للنور ومفرقة له ثم أتيناهم إلى أن العدة الموضوعة في أعيننا أحسن صنعا وأتقن وضعها وأعجب من البلورية التي نحن نستخدمها . فإذا جرى . رأينا أن أنواع العدسات التي صنعناها المنقسمة إلى القسمين قد ساعدتنا فكان قسم منها مساعدا لنا في قصر النظر والقسم الآخر مساعدا في طوله بإعينا . جاء في أول السورة - جعل فيها زويجين اثنين يغشى الليل النهار - فالليل والنهار زوجان والنبات كما قدمنا زوجان والعدسات المفرقة والجامعة للنور زوجان والكهرباء زوجان موجبة وسالبة وأعيننا بقصر نظرهما وطول وذلك زوجان . وقد جعل الزوجان في العدسات على مقتضى الزوجان في الأصغر والطول في أعينا - إن ربي لطيف لما يشاء إليه هو العليم الحكيم - فهذا هو اللطف وهذه هي الحكمة . اللطف في خلق بلورينا أعجب من بلورية الخزانة المظلمة والحكمة في أنه هيا لنا الأسباب حتى صنعا عدسات تقصر النظر وتطوله عند الحاجة

(وجوب درس هذه العلوم)

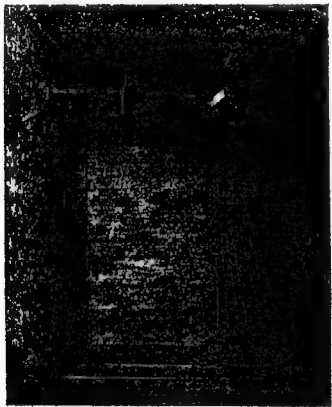
ذكرت في سورة المائدة في قصة ابني آدم والعرب أن هذه العلوم كلها واجبة على سبيل فرض الكفاية
أعني أن يكون في الأمة قائلون بها جميعا ويكفونها عن أوروبا وغيرها . وقد ذكرت هناك نص الامام
العزيز إذ قال ان علماء الاسلام في زمانه شر من الشياطين لأنهم لما عكفوا على علم الفقه وحده وزينوا
لناس ذلك صرفوه عن العلوم الأخرى . أقول لك وهذا هو الذي أوقع المسلمين في المذلة والهوان . لهذا
ألفت هذا التفسير وبأمثاله أرجو أن تنفذ العقول الكبيرة من هذا الجهل وبهم تستنير هذه الأمة . ثم إنني أقول
الآن ان هذه المباحث التي أقولها الآن ليست علما خاصا بل نعبدا من علوم مختلفة لأن هذا هو الذي يجب
على من يتصتون بقيادة المجموع . ومعنى هذا أن الذين يتصتون بقيادة الأمة الاسلامية من علماء وملايك
وأمرءاء يجب أن يتعلموا من كل فن طرفا صلحا جليلا أشبه بما كتب في هذا التفسير . أقول هذا فرض
عين على القادرين والخواص من الأمة كما يؤخذ من كلام الأمة الأعلام . فأما النبوغ في علم أو صناعة
فذلك فرض كفاية كسألة العبدات للتفتحة فاتي وأنا أكتب هذا لست طيبيا حتى أفتها فاطمة مثلا
فرض كفاية ولكن معرفة الأشياء العاتية أمثال ما ذكرته لك فرض عين على الخاصة وقواد الأمة ومن العار
أن يكون رؤساء الدين في الاسلام يجاهلون هذه العلوم العاتية . فانظر لعم قهرمت عنه صناعة كصناعة العبدات
وهكذا كل العلوم يتفرع منها الصناعات كالطب والزراعة والتشريع وعلم النبات . وقيل أن أترك هذا المقام
أريد أن أريك جمال العبدات وجهتها في الأنوار وتحليلها للضوء وكذلك للسحاب

(الطيف الشمسي • لون ضوء الشمس البياض)

فأذا وقع على منشور أو علمية وتقلد فانه فضلا عن أنه ينكسر ويحيل عن استقامته كما مر ينحل أيضا إلى (أضواء سبعة) وهي البنفسجي والبنفسجي والأخضر والأصفر والبرتقالي والأحمر على هذا الترتيب وقد نظمها بعضهم فقال

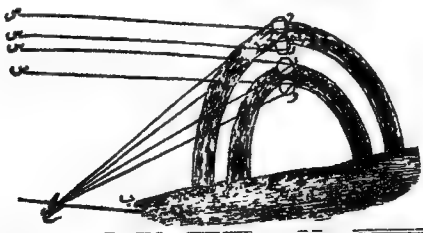
بنفسجي ثم نيسيلى إلى * وأزرق يليه ثم الأخضر
وأصفر ويرتالى كذا * وفى ختام السلك يأتي الأحمر

وهذه نمرقا بأحدى حالين (الحال الأول) أن ندخل حبلًا من ضوء الشمس من خرق في الحائط إلى
غرفة مظلمة ونلقي على منشور ثم نستقبل النور بعد تفرده منه بترطاس أو ما أشبهه فاما نجد الألوان سبعة
مرتبة كما سمعت وهذه صورته (شكل ٤)



(شكل ٤)

(الحال الثانية) أن ننظر قوس هذا العمل في السحاب المذكور في الآية التي نحن في الكلام عليها
فنجدها في قوس قزح . قوس قزح منطقة مستديرة متساوية بألوان الطيف الشمسي من الأحمر إلى البنفسجي
كما تقدم وهذا القوس يقابل الشمس عند وقوع المطر وسبب ذلك انكسار ضوء الشمس وانعكاسه عن قط
المطر فيدخل إلى ألوانه السبعة وقد يرى قوسان معا أحدهما واضحة وهي الداخلية وتسمى (القوس الأصلية)
والأخرى أقل وضوحا منها وهي الخارجية وتسمى (القوس العريضة) وتختلف الأصلية في مواقع ألوانها فلون
الجزء في الأصلية فوق البقية وفي العريضة تحته وهذه صورته



(شكل ٥)

ما أجل العلم وأبدع الحكمة وأبهج هذه الأنوار . أضاعت الشمس فأشرقت بنورها الأرض فأثارت
بحرارها بخارا من الماء واستخرجته من البحار والأنهار والآبار وسائر الرطوبات في الأرض أي من جميع
القطع للتجاورات غلبته الرياح فكان سحابا مبهدا عن الأرض ثلثا يتل منه الأمتعة والناس والحيوان
ولم يكن بعيدا جدًا فلأراه العيون ثلثا ينزل على الناس وهم لا يشعرون فيستفرون ولا يزيد بعده عن ١٦
سنة عشر ألف ذراع تقريباً وجعل له برق ليستعد الحيوان ويتأهب فلا يؤخذ على غرة وهكذا الرعد ثم
يطر وقد يكون من ذلك الخار للنعد نلج وبرد ومنه صقيع وجليد وغيرها . قلنا ان الشمس هي التي
أثارت بحرارتها والرياح هي التي رفعت . هذا جرى بعد ذلك . أرسلت الشمس نورها على قطرات الماء
في السحاب فخلت تلك القطرات الضوء الى ألوانه السبعة السبعة . فالشمس أثارت السحاب والهواء حله
وهي بصونها زوّقه . إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العظيم الحكيم -

(الآلات البصرية)

هذه الآلات أصبحت كأنها حاسة سادسة وهي (ثلاثة أقسام) الأول آلات مكبدة (مكروكوب) وهو
التي نرى به دقائق الأشياء وهو لم يخترع قبل غرة القرن السابع قد كشف به علماء البيا النسيج الخالص
في النبات ودوران العصارة فيه ووظيفته وأوراقه . وكشف علماء الحيوان عجائب جمة مثل أن القطرة من
الماء الزاكد فيها ألوف ألوف من الحيوانات المختلفة الأصناف ومثل أن الضف الذي نراه على الخيز مؤلف
من نبات كما تتألف الغابة من القصب . هذا هو (المكروكوب) (القسم الثاني) الآلات المقربة للأشياء
البعيدة سماوية كانت أرضية * يروي أن أولاد رجل فلسطيني كانوا ينظرون بعينيات الى برج كنيسة
فاتفق أن أحدهم وضع عضة معدنية في مقبرة ونظر بها شعبا فرأه كبيرا وقريبا فأخبر ولله منه حشا فوضع
والله العينيتين في أنبوبتين ينزل أحدهما في الآخضع (النكروپ) (القسم الثالث) آلات شتى للاقاء
صور الأشياء مكبرة أو مصغرة على حجاب أو نحوه تسهلا لتصويرها أو كشف دقائقها الخ . ثم ان القسمين
الأولين غالبا لا بدّ فيهما من عديتين واحدة تبع النور عليها من الشبح وتسمى (بالورة الشبح) وأخرى تنظر
بها العين الصورة . وهذه الآلات كلها لم تخترع عن تنوعات في وضع العينيات المتقدم ذكرها وهذا آخر
ما وصل اليه الناس . استخدموا الرمل والجير والصودا وأمثالها في توسيع نطاق العلم والاطلاع على خفايا
الاجسام وتقريب ما بعد من الاجرام والمسلعون غافلون - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

(لم خلق الله الصحراء والأرض القفراء)

هذا هو السؤال الذي كان يحشش بخاطرى حينما أخلا بنفسى وأصكر في نظام هذه الدنيا . ولعلنا
هجس بالقلب هذا الخاطر أيام زيارتي لحوان المريية من القاهرة وأذكر أنني مرة زرتها وبث فيها ليلة
وقد خرجت الى الصحراء المحيطة بها من كل جانب في الهواء الطلق وقد أحسست في نفسي بالانشراح وبهجة
في ذلك الهواء النقي الصافي الجاف وصرت أقول أهكذا نكون جبال ومجاري وأودية لا أنيس فيها ولا جليس
ولا ديار ولا نافع نار . إذن لم خلقت ثم أجبت نفسي بنفسى وقلت ان الله اذا فعل ذلك فقد خلق لنا اللسان
والحواس وأنما طول الليل فاذا كان اللسان لا ينطق ليلا فليس معناه أنه لاحكمة له بل أجهل لينطق بالناهار
وان لم تظهر حكمته بالليل وقد كان هذا وأمثلة جوابا عن أكثر ما أجهله في هذا الوجود وبيننا أنا كذلك إذ
سمعت عشرات لما طين موسيقى في غاية الجب قفلت أليس هذا من الخلوقات التي تطرب في هذه القفار
فيها بعض حكم الصحراء . هذا ما كن في الأيام الحالية ولكنك الآن قد رأيت ما هو أبداع وأجل من
المناقع الجيبية التي شرحتها لك نارة بالصورة ونارة بالعارة وأريدك الآن بيانا وتفصيلا وسكمة وجالا
حيا لله العلم وحيا الله العلماء . ها ذا أريك من آيات الله الجب في الصحراء كما اطلعت عليه اليوم

في كتب الترجمة والمسلمون تأخرون . أنظر وعاء الله إلى عجائب الحكمة في الصحراء
(١) حرارها (٧) رياحها (٣) تنقيتها الهواء (٤) نجفيتها (٥) ولولاها لم يمش حيوان ولا إنسان
فيما جاورها من البلدان

(١) و (٢) إن الله عز وجل خلق الصحراء ليعر ما كنا نعلم وحجه عن أكثر الناس وهو لا يعطى العلم
إلا لطائفة ولا الحكمة إلا لمن يشاقق إليها . احتجب الله بجماله وتعالى في كماله وغبا العلم عن العقول
والمعلم حاضر منظر . نحن نسير في الصحراء ونسافر كثيرا في الخلاء ولكننا ننظر ولا نعلم فهناك البيان
إن الصحاري تنقد حولة بما ترسله لها الشمس من الأشعة النورية فيخف هواؤها ويعلو في طبقات
جوها كما رأيت في الكلام على الرياح في سورة الأعراف وغيرها فيجعل الهواء البارد محل ما ارتفع بالحرارة
ولا معنى للرياح إلا هذا . ما الرياح إلا هواء تحرك ولا حركة إلا بياض والياض تلك الحرارة في هذه
للمواضع التي خلت من الرطوبة . تجري الرياح إذن وتحمل السحب وتطر على ما جاورها من البلدان
فتش الأبدان وتحرك ما سكن وترفع البخار من البحار إلى الخفول في القرى والأصهار
(٣) و (٤) ثم لها خاليات من المزارع فهوؤها لا رطوبة فيه ولا عفونة . فإذن هي مجففة لمطقة
ومتقية من الجراثيم القاتلة العاتكة للإنسان

(٥) إذن لولا الصحاري والقفار ما كان العمران ولم يمش إنسان ولا حيوان بجانبها لترادف الرطوبات
وتكثر الفوات . وقد ضربوا لذلك مثلا نهر بن نهر النيل ونهر الكنج

إن نهر النيل في بلادنا المصرية ينتهي بالوجه البحري ليشتمل على ما يسمى للبتا . إن هذه البلاد
تحيط بها الصحراء من كل جانب . يقولون فلولا الصحراء بقربها ما عاش حيوان فيها ولا إنسان لأن الصحراء
لها تبث الرياح وتجففها وتنقيها بخلاف ذلك نهر الكنج . هذا ما قرأته اليوم . ألت بهذا تفهم قوله
تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء - . أليس من اللطف أن يخلق صحراء لا أنيس بها وتكون هي السبب
في الأُنس والحياة لجيرانها . إذن القفار جعل تنورا للعالم من الأرض . فالتنوير يجفف الخبز وهذا يجفف
الهواء وجعل عذونا للحياة تنبث منه على العالم . إن العلم يكس قضايا الجهل فيبها الجاهل يقول لا حكمة
في خلق الصحراء إذا بالعلم يقول . كل الصيد في جوف القرا . ويقول . أطرق كرا إن العاتق في القرى .
ومن أنت حتى تعلم . اللهم إنك أنت الذي حكمت على الأمم الإسلامية أن تنام آمادا وأمادا وقصيت على
الخلق أن يتبعوا السلف وأنت الذي جعلت الليل والنهار آيتين يخلف كل منهما الآخر فأرنا آية نهار العلم في
هذه الأم باستيقاظها بعد أن أربنا آية ليل الجهل بنومها - إنك على كل شيء قدير - واجعل هذا الكتاب
من موقوفاتها ومرشداتها وإملا أقطارهم نور العلم والعدل كما ملكت بظلمة الجهل والجور - إنك أنت

السميع العليم - انتهى

إن الصحراء منبع الحياة فالحياة تحتاج إلى منبعين (أحدهما) يكون من الجبال فيعطى الماء لسقي
الزروع والحيوان (ثانيهما) يكون من الهواء فوق القفار يعطى الجفاف والصفاء فلولا الأنهار لم تكن حياة
ولولا الهواء وتناوته وهو لم يدم الحياة . تحتاج إلى منبع ماء ومنبع هواء . فنبع الماء من الطراز
على الجبال وما والاها ونحو ذلك ومنبع الهواء تلك الصحاري والقفار . وهناك دواع أخرى للصحراء كأن
تكون مأوى للظالمين في المدن ومباءة للذين يحبون أن يعيشوا أحرارا فارتين بدنيهم أو يمرضهم كما كان
يفعل الرهبان وكما ستره في سورة الحديد في قوله تعالى - ورهبانية ابتدعوها - وكما شاهد العرب في صحراء
مصر أصبح أبدانا وأقرب للفضيلة كما يقول ابن خلدون من سكان الحضر . ثم هي أيضا
حرم آمن فاصل بين الممالك لينع بعضها عن بعض حتى تستقر كل أمة في مأمنها عاكفة على عملها آمنة

مطمئنة لا تهرب غزو جارها إلا في الأزمنة النادرة . هذا ما عني لي في هذا المقام وهذا ما حضر في تفسير قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - انتهى .

﴿ الطليقة الرابعة في قوله تعالى - يبقى بماء واحد - وتفضل بعضها على بعض في الأكل - ﴾

يقول الله تعالى - يبقى بماء واحد - ولم يقل يتغذى بماء واحد . علم الله عز وجل أننا معشر المسلمين ستمر علينا القرون وتوالقرون ونحن لاهون عن عجائب النبات كما أننا لاهون عن غيره . وعلم أننا لانصبر ولا نرد إلا عن القرآن . وعلم أن هناك طاقة من المسلمين قليلة تعلم العلوم قبات العلوم وهي تظن أن الذين لا يطلوها أو يصادونها ولا يأتونها فأشار في هذا المقام بقوله - يبقى بماء واحد - إلى معنى عجيب دقيق يهدي جيع طوائف المسلمين إلى التبوع في علم الحيوان والترك في علم لتظام هذه الحياة ولنظام العقول ورقها بالحكمة . ولعلك تقول . ولماذا تشير هذه الجهة في الآية . أقول لقد أظهر الكشف الحديث أمراً عجيباً أظهر ما لا يخطر ببال ولا يتصوره خيال بل لا يتصوره الأحلام ولا خفريات الأوهام . اللهم إن فضلك علينا عظيم اللهم لو لم يكن في هذا التفسير بل لو لم يكن في العلوم كلها سوى ما سأذكره في هذه المقالة لكفى للأمة كلها سعادة علمية وجمالا حكيميا وكلاما عقليا . ولو أن أمراً قيل له إن في النبات ما يقترب الحيوان ويفعل ما تفعله الوحوش والاسود والنور في اقتناص الفزلان والأنعام . أو قيل إن النبات له من الحيل ما لا تدرك من الاستغفاله واحتياله على الآساد . يحفر حفرة في طريقه حتى إذا مر عليها وهو لا يشعر وقع فيها الأسد وهو أسير . أو كما تقول دول أوروبا مع أهل الشرق إذ تصدق التمس على عظام الشرق وبذلك تستخرجهم إلى احتلال بلادهم وابتلاع ثروتهم . إذا قيل ذلك عبد قاتله غير عاقل يعرف بما لا يعرف . ولكن هذه أصبحت اليوم حقائق ثابتة لا تقبل الشك كما ستراه وسترى صور هذه النباتات في هذا المقال

﴿ أقسام النبات ثلاثة ﴾

اعلم أن النبات (ثلاثة أقسام) قسم يتغذى بالمواد الأرضية ممزوجة بلقاء والمواد الهوائية وقسم يتغذى بجسم نبات آخر كما تتغذى البراغيش والقمل والحيوانات الضارة من جسم الإنسان مثل (المكروبوت) اللذان تحدث الأمراض المختلفة كالجدري والجدري الخ . وقسم لا يكون غذاءه إلا من الحيوان فالقسم الأول من البات هو المعروف والقسم الثاني من النبات هو السمي (الكشوتي) وهونبات يعيش على غيره لا يجفله في الأرض بل يمتص من جسم نبات آخر . وقد رأيت بمعنى نوعاً منه في حديقة مصرية في بعض الدواوين عندنا . والقسم الثالث هو الذي أفردت له هذا المقال ولم أره إلا في كتاب (للوسوعات) بالإنجليزية الجزء الأول من صفحة ٢٤٠ إلى ٢٤٨ . ولعمرك أنه لم يكن ليخطر لي قبل هذه الأيام أن أطلع على موضوع شائق جليل مثل هذا فأجد الله على توفيقه وأشكره على أن أراني هذا وفوق ذلك وفقني لا يصادح لأذكياه المسلمين . وقبل أن أترجم هذا الموضوع من الكتاب للذكر أرين مناسبة قوله تعالى في الآية - يبقى بماء واحد - كما وعدت من قبل . ذكر الله عز وجل أنه يبقى النبات بماء واحد ولم يذكر التغذى لأن كل نبات لابد له من الماء والماء واحد ولكن ليس غذاء النبات واحداً . لم يقل هو غذاء واحد ولم يقل هو متعلق أي أنه ترك هذا لنا لنارسه فهنا نحن ندرسه الآن فوجدنا الغذاء (ثلاثة أقسام) قسم معدني عام وهو الذي يتغذى به البات المعروف وقسم نباتي وهو الكشوتي وقسم حيواني وهو ما سأبينه فأقول

هذا ملخص ما في ذلك الكتاب للسمي (علوم للجميع) للعلامة (روبرت براون) قال

معاوم أن جمهور النبات من الطوائف العليا إنما يحتجب غذاءه من الطين بواسطة هروقه الضاربة في الأرض وإذا كان يعيش في الماء كالأعشاب البحرية التي تثبت في الطين اجتنب غذاءه من الماء الذي يعيش فيه . ثم قال أننا نعلم أن العروق النباتية الضاربة في الأرض لا ينسني لها أن تمتص للمواد الجامدة

وأنها لا تنمى غذاءها إلا على هيئة مولات سائلة أو مواد (غازية) وهناك فاعلة وهي أن الجملود ليس لديها طريقة كيميائية بها تحول الجلود إلى حال السوائل أو الغازات • كلا • إن في النبات عددا عسورا لاغذائه له إلا من الحيوان بطرق تخالف ما عليه سائر النبات وأهم أغذية هذا النبات هي الحشرات وحيوانات أخرى صغيرة ولتلك تسمى هذه الأنواع (ثمرة الحشرات) أو (آكلة اللحوم) وههنا أحضر الكاتب نوعين من النبات وهما (ندى الشمس ذوالورق للثقف) و (برود) وصورتهما ستأتى في (شكل ٦ و ٧) فلتنصص الأول الآن بالكلام

﴿ وصف ندى الشمس ذى الورق للثقف ﴾

ورقة فيه حرة له زهر أبيض يظهر في شهرى يوليو وأغسطس من كل سنة والأوراق منقورة وهي أشبه شئ بالملقعة المفرطة وسطح الورقة الأعلى يشبه الشعر وهو منته برؤس مغطاة بسائل لزج • وأحسن ما نرى به أن يقال (قرون الحشرات) إن هذه القرون التي تغطي رؤسها بسائل لزج صمغى إذا نحن لمسناها بطرف قلم الكتابة رأينا يعضها بمنته امتدادا عظيما وهو يحمل ما يشبه الصمغ اللزج الأبيض • فإذا وقع على تلك المادة للزجة حشرة أوجب أو شئ صغير فإن ذلك القرن ينقبض ويمسك بذلك الواقع عليه كما يصل للظائر الصغير إذا وقع على غصن مغطى بمادة لزجة معدة لصد أوكا يحصل للنبات إذا وقعت بجمالة وغرور على ديس • إذا نحن نظرنا إلى أوراق (ندى الشمس) المذكور فانتا نشاهد أن كل ورقة قد حصل في جسمها أجسام صغيرة معطلة فيها بواسطة تلك القرون كالتياب والحبوب والأوراق الصغيرة وما أشبه ذلك • وبينما نحن نبحث في تلك الأوراق قد نجد ذبابة وقعت على ورقة وقد اشتبكت أرجلها في تلك القرون أو نجد حبا أو ورقة عصف به الريح • ثم قال الكاتب • إن الإنسان عادة لا يحتمل البقاء في المستنقع الذي فيه النبات المذكور فإذن يمكن الإنسان أن يحضر عليه ويأخذه إلى منزله ويزرعه هناك ويجعله فيما يماثل ما كان فيه من المستنقع الذى لا يثبت عادة الا فيه • وأذن ندرسه في حال فراقنا • فإذا شرح الإنسان في استخراج ذلك النبات لاحظ أن جذوره ضعيفة جدا وتفذيته قليلة • فلذا استوى ذلك النبات في منازلنا هنالك نأخذ في امتحانه فنبتى أولا فنضع ذبابة فوق رأس (قرن صمغى) من تلك القرون ونلاحظ نتيجة ذلك فيكون ما يأتى

(١) إن ذلك القرن الذى وقعت عليه الذبابة لا تمضى عليه دقيقة حتى يتبدى يحنى نفسه نحو مركز الورقة ويستمر في ذلك الانحناء حتى يصل إلى المركز

(٢) وبعد انحناء ذلك القرن تسرع القرون التي تجاوره في الأخذ بيده كأنها عرفت حديث (بد الله مع الجماعة) أو كأنها جمعتها تريد الاشتراك في الفتيمة فتحنى جميعها لاغتنام هذه الفرصة وأخذ القنينة

(٣) السائل اللزج الذى يصبه رأس ذلك القرن يأخذ في زيادة المقدار حتى يغطي الذبابة جميعها وهذا يكون سببا في موتها لأن هذا السائل يستمسك جميعها • ولا جرم أن المسام في الحشرات بها التنفس فحي سدت المسام انقطع التنفس فمات الحيوان

(٤) إن هذه الذبابة التي أصبحت أسيرة في قبضة تلك القرون تندرج نحو مركز الورقة بمحرك القرون الطولية التي في الأمام وتسلمها إلى القرون القصيرة التي جهة المركز

(٥) إن حافة الورقة تكون منحنية كثيرا أو قليلا حتى إن حواشها تكون هيئة حوض عند قاعها الذى استقرت فيه الذبابة وغيرها ذلك السائل اللزج الذى أفرزته تلك القرون

(٦) وبعد بقاء الذبابة في هذا الوضع ساعات بل ربما كان ذلك أياما معدودة نرى تلك القرون تأخذ في الانصباب والاعتدال ككرة أخرى ونزج بالتدريج إلى سيرتها الأولى ووضعها للعتدل المستقيم وترجع الورقة

كما كانت مقرطحة كاللحقة مثل عذتها ويقل فرز القرون لسوائلها بل ربما تراها جفت . وإذا نحن بحثنا عما بقي من تلك الصنحية وجدنا أنه لم يبق منها إلا ما لا ينفع للغذاء كالجلد والأطراف والأجنحة وما عدا ذلك فلا وجود له . وهذا تمام التجربة الأولى (التجربة الثانية) نضع بدل التبنية أى طعام آخر مقبول كقطعة من اللحم والخبز وبيض البيض والحبوب الصغيرة وهكذا كل شئ يؤكل فإذا فعلنا ذلك وجدنا ما يفعله النبات هنا هو عين ما يفعله مع التبنية غاية الأمر أن الانهالك والاسراع يكون أقل أو أكثر على حسب المادة الموضوعة فترى اللحم وكل طعام آخر للحيوان أقوى وأسرع تأثيرا من غيرها (التجربة الثالثة) أن نضع بدل ما تقدم شئ لا يصلح للطعام كشيء من الشعر أو الخيط أو العظم أو الزجاج وما أشبه ذلك . إذا وضعنا هذه رأينا القرن المذكور يتعطف ولكنه ليس بالسرعة التي سبقت مع غيره والسائل يكون افرازه بطيئا وقليل القرون بعد انقطاعها زما قليلا ترجع الى سيرتها الأولى (التجربة الرابعة) أن نلصق بارة مثلا الرأس للدبور لقرن من تلك القرون مرة أو مرتين فافتنا نلاحظ أنه لا يكون لتلك أثر ما فاما إذا كررنا ذلك اللصق مرارا وأخذنا الضغط بذلك سبيلا فإن القرن يأخذ في الانطاف كما في الأحوال المتقدمة . فمن هذا ينتج أن اللصق مرة أو مرتين لا أثر لهما كما في حال ضعيف الأوراق المجاورات لتلك النبات لذا هبت الريح فلمست تلك القرون فنكس لا أثر له . هكذا يطول الأمطار وما أشبهه

(مسألة من الكيمياء في هذا المقام)

اعلم أن هذه الدودة المقرزة ليست من الأحماض . كلا وليست تكون من الأحماض إلا إذا أفرزت في حال التهيج كما يتأثر ريقى الانسان ويفرز عند شهوة الطعام وحضوره وكما تفرز للمعدة مادة حضية عند مقابلة الطعام . وقد جرب العلماء لتلك تجارب فوضعوا على ذلك السائل ورقة كيميائية تسمى (ورقة ليتمس) ومن شأنها أنها إذا غمس في خل أو أى حامض آخر فاتها تلون باللون الأحمر فلما غمسوها في ذلك السائل وهو على حاله لم يلون باللون الأحمر فلما أن قربوا تلك القرون قطعة لحم وتحركت نحوها بانطاف هناك غمسوا الورقة الكيميائية في السائل فصار لونها أحمر فاستدلوا من ذلك على أنها عند تقرب الطعام منها تفرز حامضا كما تفرز للمعدة فاما إذا لم يقرب الطعام فتلك السائل ليس من الحوامض فدل ذلك على أن هذه النباتات تهضم بهذه الحوامض طعامها ولا تفرز إلا عند تعاطي الطعام . وهنا أتى المؤلف بهذا المحصل فقال (١) ان قرون أوراق (ندى الشمس) لها قدرة على القبض على التراب وصغار الأشياء والاستحواذ عليها متى لامست المادة الزكية على رأس تلك القرون

(٢) ان القرون وأطراف الأوراق لها قوة على الحركة بحيث تنعطف على ما تصطاده بأطراف القرون للدكورة وتدسجه الى مركز الورقة

(٣) هذه الحركة إنما تحصل برأس ماسميناء (قرون الحشرات) اما بتكرار اللصق أو بدونه

(٤) القرون ينوم انقطاعها وانحلوها على الفريسة وهي مطمئنة ساكنة زمانا طويلا إذا كانت الفريسة صالحة للأكل وقليل في عكس ذلك

(٥) المواد الضوية لاسيا للمواد الحيوانية القابلة للهضم أسرع تأثيرا مما لا يصلح للأكل فالأول كاللحم والثاني كالعظم وجاء اختنا القرن على الفريسة يطول في الأول ويقتصر جدا في الثاني

(٦) ان حركات القرون يصحبها افرار سوائل من رؤسها لاسيا إذا كان مسبب الحركات مادة تصلح للأكل

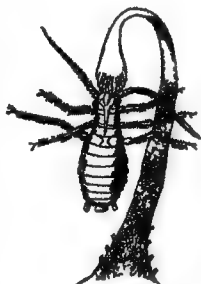
(٧) ان نتيجة اقتراس مادة صالحة للأكل بهذه القرون أن يصممها ذلك السائل المفروز وأن الأجزاء الصالحة للتغذية لا تظهر بعد ذلك وما لا تؤكل لا يقع عليها أثرا

(٨) المادة المقرزة من تلك القرون ليست تكون من الأحماض إلا عند ملامسة ما يهيجها من المواد

للاكله . هذا واهم أنهم قد حفظوا أنه لا فرق بين الماداة النباتية في معيشة النباتان للنبات (يعين)
وبين الماداة الحامضة في هذا النبات فهما سواء . وهذا الحامض الذي في النبات يكثر بعد ملامسة مواد ضارة

(قائمة جنود هذا النبات)

(سؤال) . علمت أن هذا النبات يتغذى من الحشرات وغيرها فما قائمة جنوده في الأرض (الجواب)
أن قائمة هذه الجنود (أمران) الأول انها تثبت النبات في الأرض . الثاني انها تجذب له الماء الصاعد
في أوراها فأما جلب الغذاء فلا . انتهى الكلام على نبات (ندى الشمس) للذكور (شكل ٦)
(عدد النباتات المعترمة هي تبلغ مائة وثمان)



(شكل ٦)

قال المؤلف ان عدد النباتات التي تأكل الحيوان في بلاد الانجاي
غير هذا الذي شرحناه وهو (ندى الشمس للثف الورق) نوعان
فقط فأما الموجود في العالم من ذلك فهو نحو مائة نبات وكلها من
غير استثناء تصطاد الحشرات كالذي شرحناه سواء بسواء وكل غذائها
منها . واذ فرغنا من الكلام على النبات الأول وهو (ندى الشمس
للثف الورق) فلنبين حال الثاني وهو (بعمود) شكل ٧



(شكل ٧)

ولقد أخذ الكاتب يشرح هذا النبات ويذكر التجارب التي صنعت فيه كما كان ذلك مع النبات الأول
فلا يطيل به



٣

٤

(شكل ٨)

هذه النباتات الست قد وصف الكاتب بعضها . وها أنا ذا أوجز القول فيها فأقول
النبات نمر (١) فهذا يسمونه (الست الحزير) وهو نحو (٣٦) نوعا وليس من الأشجار بل هو

من نوع الأنجم أى التى لاساق لها وينبت فى البلاد الحارة والذى كشفه هولستر (هوكر) أنظر الى ورق هذا النبات فى الزكن الأعلى من اللوحة فى جهة الشمال فانك ترى الجزار فيه على شكل الآلة الموسيقية أو على هيئة آنية بأحجام مختلفة يتصل به ساق قد يطول جدًا وهو عند أعلى الورقة وهذا الجوار قد يطول من عقدة وعقدتين الى أكثر من قدم ويقويه غطاء ذوقحة صغيرة أو كبيرة . وعلم أن فم ذلك النبات والسطح النازل منه جيلان بلون بديع وهيئة جميلة وقد يفرز أيضا مادة صلبة . فهنا اجتمع جمال المنظر وحلاوة العسل فهذان يفران الحشرات للسكنات فيدخلن ذلك النبات . وهنا أخذ الكاتب يفرض أن أحدنا لو كان مكان الحشرة رأى ذلك لما عثر والمذاق الحلو لكان حقا يسرع الى ذلك الجبال والحلاوة ويهجم على المكان هجوما شديدا فتدخل أولا باب ذلك الجزار قال وقد نجد ما يفرسنا من جمال النازل فزيد فى التوغل فى الداخل حتى ندخل فى الأنوبة التى تشبه المدخنة . ولسوء طالع النازل يرى أنه يتعثر عليه الريحوم فزيد فى التوغل داخلا . فإذا نرى . نرى هناك سطحا أشبه بالزجاج لاستقر الرجل عليه فاذن نزل على . وحيث نجد هذا الداخل أنه قد فرق فى ذلك السائل الذى يمس جسمه فيقطع أنفاسه ويكون طعاما سائما مهضوما . وهنا نرى العجب . نرى أن هذا النبات الجزار لم يعطد فريسته بقوة ولا بثقله وإنما اعتمد على خفة الفش والحداد بجمال الألوان وبالصلب أولا وباستدرج الفريسة الى السخول فى الأنوبة السهلة الدخول للمفاعة من الخروج ثم يكون الاستقرار فى المكان الذى يشبه الزجاج فى نغمته ثم يكون الموت والمضم . وهذه التجربة كانت بحركة الاستاذ (هوكر) وقدمها للجمعية البريطانية فى اجتماع (بلغاست) سنة ١٨٧٤ م ووصف الكاتب النبات الثانى (مرة ٧) الذى تحت الأول أى فى الزكن الذى جهة الشمال من الأسفل فى اللوحة فقال إنه ينبت فى شال بلاد (كردولينا) وهو مثل النباتين للذكورين أولا هنا . قال وهو ينبت فى أرض المستنقعات مثلهما والورقة ذات فصين يكوئان مع بعضهما زاوية أقل من القائمة وترى عند مركز كل فص من الفصين ثلاث شعرات تشبه الأسنان . ومن العجب أننا اذا لمسنا واحدا من هذه الشعرات بآلة مثلا أسرع القضان فانطبقا معا حالا ويبقيان هكذا معا فيفسر فصلهما إلا بفتريقهما . واذا نحن نجحنا فى فصلهما رجعا فانهما ثانيا ويبقيان نحو يوم لا يبريدان الانفصال . واذا لمسنا جزءا آخر بآلة مثلا من الورقة غير تلك الشعرات لا تتحرك الورقة وهكذا لاحرك لها بهبوب النسيم ولا يزدول قطرات المطر على تلك الشعرات التى تشبه الأسنان كما قلنا سابقا . ولوانا وضعنا على الورقة ذبابة مقطوعة مثلا أو قطعة من لحم رأينا أن رأس الشعرات التى كاقرون التى مسها الذبابة أو قطعة اللحم أدخلت ففرز سائلان زجا وأخذ القضان اللذان انقسمت اليهما الورقة يقتربان وينطبقان . وهذه التجربة قد حصلت فى كل ما أصبح أكله فكافت النتيجة ما حصل فى اللحم واللباب فهناك افرز وهما انطبق الفصين أو مصرعى الورقة . أما مالا غذاه فيه كالزجاج ونحوه فلا يتحرك له القضان ولا يفرز البات له سائلا . واذا انطبق القضان على الفريسة ظاهما لا يفرقان نحو ثلاثين يوما ثم اذا انفصلا فانهما قل قوتهما بعد ذلك ونصب عليهما الفريسة الكبيرة التى قدرا عليها فى أول مرة . ومتى فتح القضان بعد انقضاء عدة الأيام للانطباع فاننا لارى للفريسة أثرا إلا ما صعب هضمه كالجلد والرحلين ونحوهما . ثم وصف الزهرة الثالثة وهى الموضوعة فى أسفل اللوحة فلم يطل الوصف فيها اتكالا على ما سبق . ووصف الزهرة الرابعة التى فى الجانب الأيمن من الأسفل باللوحة فقال ان ورقها ملتفة ولها قرون وهى من نوع (ندى الشمس) المتعتم ولم يطل فيه ولاقى الخلمس ولاقى السلس لأن أوصاف هذه الباتات متقاربة . ثم ختم المقال بقوله . ان اقتصر النبات للحيوان كان موضع شك من العقلاء ولكن ماذا الآن أثبت هذه الفكرة وأن بعض النباتات مفترسة كما يفترض الحيوان . انتهى ملخص هذا المقال مترجما يوم الأحد ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧

(جمهرة)

ها أنت ذا أيها النكس اطلعت على عجائب ما كان ليخطر لأحد أنها حق • اطلعت على عجائب تدبش العقول • الناس عرفتوا النبات بأنه يتغذى ويغزو ويلد ويموت • وعرفوا الحيوان بأنه متصف بذلك كله ويمتاز بالحيس والحركة ولكن بعد هذا البيان أصبح الحيوان لا يمتاز عن النبات فإذا قلنا النبات لا يحس ولا يتحرك فما بالنا نرى بعض النمل ووصفناه في هذا المقام يتحرك لأدنى لمس للشعرات الثلاث اللاقي خلقت في مركز الفصين للتحسين في أحد النباتات التي في اللوحة المذكورة ومبالا نراها كلها تتحرك عند حصول ذباب أو غير ذباب عليها • أليست هذه حركة • أليس هذا هو الحس • بينه • اللهم إنك بهذا فتحت البصائر وأثرت القلوب • ولما وصلت إلى هذا المقام خسر أحد أصدقائي الفضلاء واطلع على هذا فقال يا عجباً لك بأختلاط الحقائق فتحت البصائر أنت تقول إن النبات والحيوان قد اختلطا وأصبح أمرهما غير مضبوط فالنبات حيوان فهل هذا افتتح البصائر • كلا بل هذا هو اظهار جهل أهل الأرض قاطبة بهذا الوجود فأوضح هذا المقام والا فالتقول غير مقبول • قتل لماذا عجلت على • فلأوضح المقام الآن فأقول • إني قصدت بفتح البصائر هنا (خسة أمور) الأول أن هذه النباتات أرتنا سرّ قوله تعالى يسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل - (الثاني) أنها أرتنا لطف الله في الامانة كلطفه في الاحياء (الثالث) انها أرتنا كيف تنتزع الأرزاق بتنوع المخلوقات مع عجائب التدبير والاحكام والنظام الغريب (الرابع) انها أرتنا معنى قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - (الخامس) انها أرتنا أن تحرير اللحم لأجل الرحمة لا يبرهان عليه • فقال فما إيضاح الأمر الأول • قلت إن الله يقول - يسقى بماء واحد - كما قلتم سابقاً ولم يقل يتغذى بضياء واحد وهما ظهر السرّ ظهر هنا بأعظم وضوح فتعجب • ألم تر أن جنس بعض تلك النباتات المقرنة لم يكن له عمل إلا جذب الماء وتثبيت النبات في الأرض فأما جلب الغذاء فلا لأنه يتغذى من الحشرات وغيرها • إذن الماء هو المادة العاتقة لكل نبات وليس الطين كذلك فهذا سرّ قوله - يسقى بماء واحد - ولم يكن الناس يعلمون ذلك قبل زماننا هذا ولم يكن أحد يعلم أن النبات لا يتغذى من المواد الأرضية وإنما يتغذى من نفس الحيوان فهذا سرّ قوله تعالى - يسقى بماء واحد - ولم يقل يتغذى بماء واحد • أليس هذا من عجائب القرآن • ومن عجب أنك سترى في هذه السورة صور التلج أنواعاً كثيرة وترى أنه قد ظهر بأساليب عدة وهو محلى بما يشبه ورق الأشجار وبهجتها • فهذه الأشكال البانية التي سترها في التلج دليل على أن نظام الآيات أسه من الماء ولتلك كل من مائة كل جادا وما يأكل حيوانا فكانت جميعها كأشكال التلج التي سترها الله

(إيضاح الأمر الثاني)

أما إيضاح الأمر الثاني وهو لطف الله عند إماتة الحيوان فانظر وتعجب • أليس الناس على الأرض يموتون بالمرض تارة وبالغروب والقتال تارة أخرى • فيالجب يموت الناس غالباً وهم فزعون من الموت أما هذه الحشرات فإن الله عز وجل قد مهد لها السيل إلى الموت في راحة وسعادة • ألم تر إلى الفصل التي أعد لها وإلى الأنوبة اللطيفة التي تمخلها إلى المنزل التي يشبه الزجاج في نعومة • أعد الله ذلك للحشرة وزين لها ظاهر الورق وباطنه ومدخله ترى جلالاً تقسرع إليه وقد فعل الله معها ما فاضله مع هذا الإنسان إذ قال له - حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً الخ - فهذه الحشرات التي تمخل النبات للمفترس يفرها الجبال الفتان في الورق والفصل الخلو في داخله والمزاتي اللطيفة حتى إذا اطمأنت جاء لها السائل الذي تهرزه تلك القرون من رؤسها فتتموت حالاً فهذا موت لا ألم فيه بل أخذها الموت في حال لا يحسن بها • وأما إيضاح (الأمر الثالث) وهو تنوع أسباب الأرزاق

بنقوع الحيوان فهو ظاهر واضح فانك ترى بعض هذه النباتات يقتصر الفريسة بالخداع واظهار الجبال والعسل فتخدع الحشرات وبعضها يعتمد على حركته واخراج السائل فيقبض بشرة من شعره على القنينة ثم يذبحها بأخرى ويفرز السائل الذي يقتل الحشرة . فهذا يعتمد على قوة بطشه وعلى آلة قتله كما يفعل الانسان وأما ما قبله فقد اعتمد على الحيلة والسهاء والمكر كما يفعل السياسيون وكما يفعل الانسان مع السباع أما ايضاح ﴿ الأمر الرابع ﴾ وهو قوله تعالى - ما من دابة إلا أنا آخذ بناصيتها إلخ - فاعلم أن ذلك تقدم في سورة هود مفصلاً ولكن هنا نذكر ما يناسب هذا المقام . أنظر الى هذه العجائب نبات لا ينقل من مكانه وقد حكم عليه أن لا يأكل إلا من حيوان . فإذا فصل الله له . خلق له الحشرات وأكثرها ولم يفضل عن خلقها وخلق هذه النباتات وقال لها أيتها النباتات اني حكمت عليك بالبقاء في المكان ولكني سهلت لك السبيل ومهدت الطريق وجعلت من الحشرات أفئدة تهوى اليك فرزقتك من العوم وغيرها . أنا الذي حكمت عليك بالبقاء وأنا الذي أنعمت عليك بالحشرات الطاقات لتتغذى بها غذاء تاماً . هذا معنى قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - فهذا هو الأخذ بناصية اللواب وهذا منها أما ايضاح ﴿ الأمر الخامس ﴾ فإن نحرّم اللحم لأجل رجة الحيوان لإبرهان عليه لأننا رأينا الحيوان يقتسمه الحيوان ويقتنصه النبات . وهما في النباتات حرم عليها أن تأكل غالباً إلا من حيوان وهكذا الأسود والغور حرم عليها أكل النبات ووجب عليها أكل الحيوان فعملت أن نظام هذه الدنيا راجع الى ﴿ أمرين ﴾ الموت والحياة والموت مقصود في هذه الأرض والحياة أيضاً مقصودة فهما أمران كل منهما واجب وجوده . وعليه لامعنى لتحريم أكل الحيوان الذي نريجه بقتله واخراجه من ضيق الأرض الى فسيح الفضاء هذه جنة العارفين . إن العلم بهذه الحكم والعجائب جنة العارفين ونعمة الحكماء وبهجة الأولياء . واعلم أن علم الله لاحد له فضله لانهياه له - وقال رب زدني علماً - اهـ

﴿ منظر جميل في قصر منيف ﴾

(أحقية أم خيال)

لما كتبت هذا الموضوع كان ذلك في صباح ليلة الأحد وقد كنت قبل الكتابة مشغولاً به شغفا لاحت له فما كنت أنه حتى أحييت أن أسترجم مقالوما ما يساورني من المعاني التي تحوم حول هذا الموضوع مكتبة بما كتبت . ولكنني في ليلة ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ خطر لي وقت الصباح خاطرم أن أفكر على مدافعتي وظنّ بك عليّ وجداني وأنا به نعل فقد خيلت لي هذه الدنيا كأنها قصر جميل ذات بهجة وحسن وكان السماء جميعها مضيئة مشرقة تحيط بي من كل جانب وكأنني في حياة أسعد من حياة أهل الأرض التي أعيش فيها فلم أربطاً من كتابة ما لاحظته في هذا المقام . وهنا أخذني ما يشبه سعة النوم وكان هذه السماء التي تبثت ليالي مضيئة قد صارت قصراً جليلاً بهياً بديعاً فأنشئت أنظر في جوانبه وأتأمل عجايبه وأسترجع الطرف في عجايبه . هنالك تبثت لي حيطانه الأربعة مصنوعة من الذهب مزخرفة باللاتي البديعة والأحجار الثمينة وأنواع المرجان وكل ما هو جميل ونحلت أن في أركان القصر نوراً يشع ثم أخذ يزدد شيئاً فشيئاً فأخذت بمجموع لي لما تنوعت ألوانه وأشرفت صورته فكنت أرى صوراً مشرقة بديعة بهيئة ألوان (قوس قزح) وهنا رأيتني في عالم غريب عجيب خرت في أمرى وصرت أقول ياليت شعري أين أنا الآن . أنا أكتب في موضوع ذلك النبات الآكل اللحم الذي كشفه تقوم وهما هذه صورته مرسومة أنحى فما هذا القصر وما هذا الجبال . فبينما أنا على تلك الحال إذ رأيت شخصاً كأنه طيف خيال . فقال أراك في حيرة فسلي عما تريد فقلت ما هذا القصر ولن هو . فقال هذا القصر لك أنت ولأمتالك . فقلت وكيف ذلك . فقال قد حضر في خيالك ليليل ما كتبه الآن . فقلت لم أقسم ما تقول . فقال ألم تعلم أنك الآن تكتب في عالم الحيوان

والنبات وقد أتيت بأعجب ما فيهما وهو النبات الذي يأكل اللحم . فقلت بلى . قال إن المعدن والنبات والحيوان والانسان يمثل حيطان القصر الأربعة فأما أركان القصر فهي الصفة ين كل حائط وما يجاوره فركن يمثل اتصال المعدن بالمادة الأصلية كالخشب والراج وأمثالهما فهذه معدن أقرب إلى المادة الأصلية ومثل ذلك أتولع الشوب وأوسط المعدن الرصاص والذهب ونحوهما . والركن الثاني يمثل اتصال المعدن بالنبات وأعلى المعدن الياقوت والذهب ونحوهما وأقل النبات ما يظهر بالفضوات أيام الربيع من نبات صغير ويحذف في صورة النهار وفي اليوم الثاني يطلع كعادته ويحذف ضحي وهكذا يسمى (خضراء اللمن) والركن الثالث يمثل اتصال النبات بالحيوان والركن الرابع يمثل اتصال الحيوان بالانسان وذلك في أنواع القردة والقبيلة والغيل فالقرد يقرب من الانسان في عقليده والقبيل في ذكائه والغيل في أدبه . فأما الركن الثالث فهو الذي كنت تنسب فيه وأنا أدين لك ما في نفسك . لقد تبتى لك في هذا الركن الذي يصل ما بين النبات والحيوان نور أولا قليلا ثم ازداد وتلاوأ وتنوع . فأما ظهور النور أولا فهو ما كنت ترقوه في كتب أسلافك من أن أعلى النبات النخل والكشوفى أما النخل فلا يشبه النبات من حيث انه اذا قطع رأسه مات كالحيوان وأما الكشوفى فانها تعيش على غيرها من النبات فنفسه حيوانية وشكله نباتي . فهذه أشبهت الحيوان من حيث انها تأكل النبات والنخل أشبهه من حيث اتصال الذكر عن الأنثى ومن حيث انه اذا قطع رأسه مات وأدنى الحيوان دودة في جوف أنبوبة تنبت على الصخر التي في سواحل البحار وشطوط الأنهار . هذه هي الأركان الأربعة وأمثالها . هذا هو معنى النور الذي ظهر لك أولا في هذا الركن . فأما النور للتلاؤى الذي ظهر بعد ذلك فانه يمثل لك الجبال التي اجتجج به قلبك والعلم الذي نلت بالاطلاع على نفس صور النباتات المقترنة وكيف أدهشك ذلك النبات الجزار الذي قد رسم أمامك في أعلى اللوحة المتقدمة من جهة اليسار التي كشفه الاستاذ (هوك) فانك لما رأيت صورته ووجدت وصفه وأن فوهته وأسفل سطح الفضاء متلاثلان جيلان في غاية الحسن مزودان بالعسل . أقول انك لما رأيت ذلك دهشت أشد الدهش لأنك تطلب الحقائق وصارت نفسك تحذرك قائلة هذا نبات لا حراك له إلا قليلا فما هذا الجبال وما هذا العسل . هذا الجبال وهذا العسل خلقا ليشق بهما الحيوان فيقدم عليهما ليموت فأخذت نفسك تحذرك قائلة أيضا إن التباب وكثيرا من الحشرات عمرها قصيرا كثيرا يموت في أوائل الشتاء والحكمة قضت أن لا معطل في الوجود ولذلك أعنت هذه المذامج ووضعت هذه الأعاجيب بلطف وحيلة حتى يكون لموت هذا التباب فائدة لأنه اذا مات في الغراء فلا فائدة منه فأما اذا التهم هذا النبات فقد أصبح غذاء له واذن الموت مطلوب والحياة مطاوعة كلاهما مقصود ولكن موت الحشرات على هذا اللفظ أجل حكمة وأشرف مقصدا وهكذا لما رأيت النباتين القدين رسبا في جهة اليمن من لوحة المتقدمة وعرفت وصفهما بحيث ان القم وأسفل الفضاء شكلهما ولونهما جميل وقد وجد فيهما العسل كما تقدم أيضا وهذا العسل قد يسيل الى الأرض ليغر الحشرة ويهديها الى طريق الموت بسهولة فاذا جاءت لتشربه قرحت بالمتنظر فسارعت لتدخل فيقالبها دهليز ملمس ثم تمر على بحر زجاجي لا تستقر الأرض عليه ثم يقضى عليها فتكون طلعما موضوما سافنا للآكلين . فهذه المناظر البديعة التي رأيته في علم الحيوان زادتك علما وأثرت بصيرتك فانتعشت قوتك العلمية فبعد أن كانت معارفك في هذا لاتعدو النحلة ونبات الكشوفى المتقتم وهكذا تلك الدودة التي تنبت على شطوط الأنهار وكنت تقرأ في كتب المتقمن أن تلك الدودة حيوان نباتي لأنها أعطيت الحركة وحاسة اللمس وذلك لأنها تمتد لكل الرطوبات المناسبة لها فهي إذن شاركت الحيوان في حاسة اللمس وفي الحركة وأيضا ان كل نبات في الأرض يحس بالضوء . وبرهان ذلك أنه اذا وضع في مكان مظلم وذلك للسكان دخله نور من نافذة فان ذلك النبات يميل للنور هل ذلك على أنه يحس بالنور . وهو أيضا يمد عروقه للواضع

النمية وفروعه الى جهة العلوق فهو اذن يعرف جهة العلوق وجهة السفلى . وترى النبات اذا امتد على جبل فانه لا يمتداه ولا يميل عنه . هذا ما كنت تهرؤه في كتب للتقنين . فلما أن رأيت عجائب الاحكام ونبتى لك ما كنت تجهله من قبل إذ رأيت الحكمة العالية القدسية لم تنر هذا النبات مهملا بل جعلت له قوة وقوة وسهلت له السبل وأقرت الخسرات بطرق تخدعها وتستخرجها حتى تقع في فخ هذا النبات فيقتنصها فهاك الأمر ورأيت تدبيرا عجميا وقصدا ظاهرا وليس هذا أمرا اتفاقيا ولا حادثا جاء مصادفة وانما الذى فعل هذا يقصده ويدبره . هذا هو الذى خطر لك فبعد أن كان النبات يتصرف بحركات بسيطة ظهر لك الآن أنه له ملكة منظمة وسلاح . وكأن الأمم لها مدبر للحرث ومعامل للسلاح لتسلط على غيرها . هكذا هذا النبات له سلاح وجنود وسلاحه الجبال وجنوده الصل كما في قول معاوية رضى الله عنه (إن الله جنده من عسل) قالوا لما دس السم الى الأشر بضع قواد سيدنا على من قتله بالسم للسموم . فهذا السلاح العسل هو الذى استعمله النبات . هذا هو الذى هالك وأدهشك فانشرح قلبك فتمثل لك ذلك بالألوان البديعة والصور المشبهة المتدخلة التى تتوحد بالألوان (قوس قزح)

ثم قال فهذا القصر الذى رأيته وأركانه مثال خيالى العلم الذى درسته الآن وقبيلما ينهضك أن ماتسكتبه الآن سيقترؤه كثير من شبان المسلمين في حياتك وبعد موتك فزاد سرورك لأنك اعتقدت وأنت على حق أن شبان المسلمين حين يقرؤن هذا يكونون قد وقفوا بنفث على آخر . وصل اليه العلم فيتعاطونه شربا لهذا سائقا للشاربين ويكون هناك جيل جديد لم تحمل به الأوائل لأن المسلمين قد حرموا من هذه العلوم حرماتا تاما وليس لهم ملجأ بلجئون اليه فاذا عرفوا أن القرآن يطلبه كما تكتبه أنت انحلت العقدة وانطلقوا سراعا الى العلوم وفتح لهم الباب على مصراعيه فيتعلمون وهم مجنونون . هذا هو النور الذى رأيته لامعا ثم ازداد حتى صار سرورا للتأملين . فقلت أوضح لي مسألة الخيال والحقيقة أيضا أتم . قال لكل امرئ من الناس قوة ترسم فيها الصور كهية الآلة المصورة يقال لها الخلية وقوة أخرى تترك للمعاني الكلية وهى تسمى (الفكرة) فالفكرة تفهم المعانى والقوة الخلية تجاورها . فالمعاني الخلية التى فى القوة المفكرة تصور لها فى الخلية صور تماثلها وتكون مشاكلة لها . فهذا القصر وهذا النور يمثلان ما فى قوتك العاقلة من المعانى . فقلت له وهل لهذا نظير فى القرآن . قال نعم ألم تقرأ سورة الواقعة ألم يذكر هناك هذه الحيطان الأربعة لهذا القصر وهذا النور الذى ابتدأ صغيرا ثم تلاحا . فقلت وكيف ذلك . قال ذكر الله أولا خلق الانسان فقال - أفرأيت ما تمنون الخ - وهذا يتضمن خلق الانسان والحيوان لأنهما معا مخلوقان - من ماء مهين - فهذان حيطان من حيطان القصر . ثم ذكر الزرع والماء والأول هو عالم النبات والثانى يعبر عما ليس نباتا ولا حيوانا ومن ذلك للعادن . فهذه هى الحيطان الأربعة وأركانها فيها . إن الذى يطلع على هذه الحيطان الأربعة وأركانها يدهش اذا عرف حقائقها فذلك تراه آخر ذكر النار فقال - أفرأيت النار التى توربون - ولاجرم أن النار لا تختص بالشجر المذكور فى الآية بل النار تكون فى دهن الحيوان وفى المعدن وما أشبهها كالمائل للمسى (بالترول) وكذلك يحترق بها بعض الناس يوم القيامة والأشجار كما قال تعالى - وقودها الناس والحجارة - فانار عاتة لذلك أخرها وهذه النار أخسية يقابلها نار الشوق للعلم والعشق للحكمة اتى ظهرت لك أولا فى الاتصال بين سلسلة النبات والحيوان فى كلام للتقنين قليلا وشأن العلم أن يكون أولا قليلا فاذا تار صاحبه عليه أنار الله قلبه وزاده علما كما قال تعالى - والذين اهتموا زادهم هدى وآتاهم تقواهم - فمن فتح الله عليه بعلم استنارت بصيرته أولا بقدر ما علم وعند الثابرة فتفتح له أبواب العلم من عند العليم الحكيم . ونظيره فى سورة الواقعة أنه ذكر النار بعد ذلك فقال - نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم - فذكر النار وأتبعها بالتسبيح ثم أشار الى القنوح الساموى فأقسم

بالنجوم وأبان أن هذا القسم عظيم وأنه لا يعرف عظمة هذا القسم إلا العالم بالمقسم به
 فيها وهذا ابتداء بالحيطان الأربعة وهي الخلوقات الأرضية التي تحيط بكم . ثم ذكر النار التي تنفذ بها كما
 يشرق قلب الإنسان بملها . ثم أبدع فذكر النجوم وأعاد أن أمرها عظيم لمن يعلمون فأما الجهال فليس
 لهم حظ من هذا الجلال . ففي (الواقعة) ذكر العوالم الأرضية وسمّ بنارها ثم بالكواكب وفي هذه السورة
 ذكر أنه رفع السموات بغير عمد ثم استوى على العرش وذكر تسخير الشمس والقمر ثم تدير الأمر اجبالا
 ثم تفصيله ثم أتبع ذلك بجباب الأرض في قطعها المتجاورات والجنات من الأعناب . إذن المذكور هنا العالم
 العلوي أولاً ثم السفلي وفي سورة الواقعة السفلي ثم العلوي إشارة إلى أن كلا منهما مرتبط بالآخر . فإذا درست
 النجوم فلتدرسوا ما أثرت فيه بالنافع والفقر . وإذا درست النبات والحيوان فلتدرسوا ما أعاد فيهما . إذن
 إذا درست السبب فادرسوا للسبب والعكس بالعكس فهذا إيضاح ما تملك لك في خيالك وما يطاقه من القرآن
 فإذا قال الله هنا - يدبر الأمر - فهاهنا تدير الأمر وأي تدير أعجب من هذا . يعدد إلى نبات لا قوة
 له ولا قدرة فيزيه ويعطيه عسلا ويرسل له الحشرات فيختطفها النبات . إن هذا تدير عجيب يسر الحكياء
 وأن مارسه في هذه المقالات من الصور التي عرفها أهل أوروبا من تفصيل الآيات الذي ورد في القرآن فهو
 الذي يدبر الأمر وهو الذي يوصل الآيات . فآيات الله التي تظهر على هذه الأرض كلها مفصلات بعلمه
 وأتبع ذلك بقوله - لعلكم بقاء بكم توقنون -

عبرنا بالايقان كما عبر في سورة الأنعام في قصة الخليل إذ قال - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات
 والأرض وليكون من الموقنين - فهذا التفصيل الذي ذكرته أنت في هذا التفسير وبالجباب التي اخترتها
 ووضعها فيه يكون الايقان . أما الايمان فلا يكفي الأم الآن ولا يكون اليقين إلا بتسل العلوم التي أخذت
 تشرحها فهذا يكون اليقين والمسلمون إن لم يسعوا إلى هذا اليقين فهم هالكون . فقلت له إن الآيات
 هي آيات القرآن . فقال والقرآن معناه هو هذه الخلوقات فالخلوقات آياته والقرآن آياته فإذا قال - تلك آيات
 الكتاب - فقد قال - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - وهكذا غيرها في مواضع كثيرة من القرآن
 وأن تفسرك للقرآن اليوم هو نفس العلوم التي انتفع بها الناس في الأمم الراقية فأصبحت جعب هذه الدنيا
 ونظمها مقصودة للقرآن بهذا التفسير وإن كل من برع في علم من هذه العلوم وهو مؤمن بالقرآن يكون
 موقنا . وكما أن كتاب الله للناس قاطبة هكذا تفسرك سيقروه كثير من عقلاء الأمم لأنهم يجدونه فسر
 القرآن بهذا العالم الذي يعيشون فيه وليس أحد من أهل الأرض يشك في هذه الدنيا ونظامها وانها موجودة
 فإذا اطلع على هذا الجلال وانتظام العلم مع الدين دهش أشد الدهش . فقلت له إن ما كتبه في هذا المقام
 منقول عن أهل أوروبا كما تعلم فكيف يقرؤنه . فقال انك تنقل مثل هذا للقال عن الكتب العالية
 عندهم وليس كل امرئ مطلعاً عليها . ثم إن اقوم هناك بالنسبة لحكماء الشرق أشبه بالفلاحين عندهم
 بالنسبة لساكني القطن . قلت فما معنى هذا . قال معناه أن الفلاحين في مصر يزعمون القطن ولكن
 الذي ينتفع به هم أهل الصناعة في أوروبا . فهكذا علماء أوروبا الذين تعلموا من آياتكم الأولين وفاقوهم
 ورقوا العلوم . ها أنتم أولاد أخذتم تقولون آتوا مواصل إليه العلم عندهم ثم يحملونه في أصل الدين وهو القرآن
 فيظهر في الشرق رجال يضلون بعلوم أوروبا ما فعله صناعتهم بطنكم . فكما غزل صناع أوروبا ونسجوا
 فطنكم لأنهم أعلم بالصناعات . هكذا - يظهر بعد هذا التفسير وأمثلة في السوياء رجال ويتخذون علوم
 القوم قاعدة لهم ويتقنون فيها كما تفان صناعتهم في فطنكم لأن العقول الشرقية النائمة الآن هي التي ستنفع
 بعلوم القوم وترجع لسابق عهدها في التفكير والتنظيم وتحث آراؤها رجة في الشرق والغرب وسيكون ذلك
 بعد تعلم هذا التفسير وأمثلة هذا التفسير

فسأله قائلا . لم أزل لا أفهم ماذا تعنى بقولك ان هذا التصرفى ولأمثالى . فقال كان ينبغي لك أن تكفى بما قلته فى ذلك متعجلا للاجابة ولكنى أريدك ايضا فأقول بضرب مثل مثل الناس مع ربهم كمثل صبية أنجبهم حكيم وبنى لهم قصرا وزينه بأحسن زينة وملأه بالخير وأعطاهم الحرية فيها يختارون فأخذ كل يبعث فى التصرفها يلازم طبعه فى منكب على إدارته ومن عاكف على زخارفه ومن مستريح فى حدائقه . وهكذا أخذ كل منهم يتخذ لنفسه ما يناسبها . هكذا حال الناس مع ربهم وله للثل الأعلى . لقد زين الله هذه الأرض بأحسن زينة وملأها بكل خير ولم ينس عن عباده شيئا . إن من أمثال هذه الدنيا ما صنعه قدامه للمصريين من بناء الهرم الأكبر . لقد أحسنوا صنعه وجعلوه منظما بحيث يشا كل العالم العلوى من حيث هندسته وحسابه ويغدأ أهل الأرض فى موازينهم ومكائيلهم كما سبق فى سورة يونس موعجا جلجل الله وجل العلم . أبدع قدامه المصريون هرمهم بحيث تقل نظام السموات فأعطاه لأهل الأرض كما تقدم . هذا ضرب مثل لحال هذه الدنيا وإن كان للمثل له أبجل وأكمل . فيألت شعري ماذا يفعل الله للناس بعد ما خلق لم يفر ضربا من ضروب الحكمة والعلم إلا أبدعها ولافا من فنون الابداع إلا أبدعها ولاحكمة من روائع الحكمة إلا أبدعها فى أرضكم هذه وأبى إبداع أجل مما رأيناه فى هذا القلم نبات لا قوة له ولا حول يعطى قدرة وقوة وسكينة ويخضع الحيوان لغذائه فيتخلى عالم النبات وعالم الأنعام والبهائم ويشارك الأسد والغور فى اقتناسها . إن هذا لشيء عجيب . ذلك هو الابداع . ماذا يريد الله بذلك . يريد أن يصفى من الناس أقوالا فى كل أمة ويقول - هاؤم اقرأوا كتابيه - هذا كتابى كتبته يدي . لمن كتبه الله . كتبه للناس قاطبة . ولكن لا يفرح به ولا يقبله إلا الأقلون هؤلاء هم الذين كنز الله لهم هذه الكنوز . كنزها لهم وألهمهم أن يستخرجوها . الله أكبر . هؤلاء هم خلفاؤه فى الأرض . هؤلاء هم الهداة الحكماء الفضلاء . هؤلاء الذين يفرحون بهذا النظام ويعقلونه ويسكرهم ويهيجهم . هم الذين يبينونه للناس . هم الذين يهدون الناس السبيل وتنشرح صدورهم لتلك ويشرون فى قلوب الناس حبا وغرلا وعشقا وهيلما لهذا الوجود . الله أكبر ما هذه النباتات الجزارة للثقة وأبى شيء وأبى شيء هو . ذلك النبات اللسى (بندى الشمس) إن بعض هذه النباتات إنما تنبت فى المستنقعات . لماذا . لأن الله يعلم أن هذا النبات لا يفيد الناس غذاء ولا كساء وإنما يفيدهم حكمة وعلما فوضعه فى أخس الأماكن . لماذا . ليعيش عنه المغرمون به . هؤلاء المغرمون لا تصاف أنفسهم شيئا فيعمون الجبال والحكمة أينما تكون لا يفرقون بين حال وحال . ثم ماذا يرون . يرون فى النبات الجزار مثلا المتقدم رسمه عسلا سائغا لشاربين وجالا وبهجة وألوانا منظمة أشكالها فإذا يفعلون يقفون مبهوتين ويقولون إن السوائل كثيرة كالزيت وكلها للمعدنية وهكذا مما لا حده . وهكذا الجوامد والغازات فلم اختبر الصل خاصة لهذا النبات . نعم اختبر الصل لأنه هو الجاذب للحشرات حيث يقفون هذا معنى قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - ويقولون هذا معنى قوله - قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهاموا أعطى هذا النبات الجزار هذا الصل ثم هدى إليه الحشرات لتكون فريسة له . ويقولون أيضا هذا معنى قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتمتعونها - ويقولون أيضا هذا هو حق اليقين . ويقولون أيضا لما كان هذا النظام على هذا المتوال كما نشاهده فستحيل أن يكون بلا عقل يدبره والا فإنا هذا الأحكام . فما هذا الذى خصص هذا النبات بالصل وهذا العقل هو الذى كان يقوله القدماء . انه هو العقل الكلى المدبر للعالم خلقه الله لتلك ومنه اشتقت العقول كلها كما أن الشمس منها اشتقت السيارات حولها وهذه السيارات تستمد من الشمس . فهذه النفوس الأرضية من نباتية وحيوانية وإنسانية كأنها أشعة من العقل العام الذى نظم السموات والأرض وذلك العقل العام خلق من خلق

لغة يسمى بلسان الشرع (ملك) وبلسان الحكمة (عقل) كما علمت . ثم أخذ يقول لى
 إن أمثال هذه العلوم عند القومين بها هي الجنة الحقيقية والقائم بها اليوم يحسن في نفسه بسعادة يجعلها
 أكثر الناس في الأرض فأما قولي لك إن هذا القصر لك ولأمثالك فغناه أنك في حال اشتراق نفسك بهذه
 للمعاني تكون في حال تحجبك عن رذائل هذه الدنيا ومشاغفها فتلقى هموم الحياة ملامت على هذه الحال
 وتحسن أنت بسعادة يجعلها أكثر لتعلمين . فهذا الشعور ليس بقهقهة ولا بسدقة إلا من رزقه . هذا
 معنى كون هذا القصر لك ولأمثالك . والا فهذه الحال يصرف جانبها أهل الأرض وقصورهم وصورهم لأن
 العقل للتصرف في الامور العاتقة يتعالى عن هذه المحسوسات ويستغرق في أنوار الجبال وبهجة الكمال
 فلما سمعت ذلك عبت وفشت عيني وكتبته فأنا الآن لا أدري أكنت في أحلام أم كلن ذلك حديث
 نفسي في الیقظة أم هو إلهام - والله هو الولي الجيد - اه

(أسمت النغمت في الأبحر كما تسمها من الأوتار)

(مقدمة لفهم هذا العنوان)

ربما يظن بعض المعتاد أن هذا العنوان في هذا المقام من المبالغات أو الامور الشاذة في تفسير قوله
 تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات الخ - . ليس من السهل على جميع الناس ادراك الجبال في هذا
 الوجود . إن هذه الدنيا دار جبال وهذه الجبال لا يدرك حق ادراكه إلا قليل . إن الله عز وجل أبرز
 للناس في هذه الدنيا بعض الجبال ليعرف العاتقة والخاصة ثم أخذ يصطي طاقة وراء طاقة لأدراك غيبها الجبال
 والبناء والحسن والبهجة والكمال وذلك في حسن النغمت وجمال الوجوه وبهجة النجوم وحكمة للتشريع
 وعباب الجبال وأبحارها ومعادنها . اصطفى الله أحسن الأشكال والأوضاع لهذه الدنيا . فلنبدا بالنغمت
 المشهورة فتقول

كل بني آدم يفرحون بالنغمت المطربات ويشقون الوجوه الجيلات . ذلك أمر يستوي فيه الجهال
 والعالمون والحكماء والمتدعون فترى جميع الناس يسبون النغمت المطربات والوجوه ذات المحاسن والأشكال
 البهجة وانتظام العينين والقم والأف والحدين . هذا هو الأمر العلم في سائر الأمم والأجناس
 وإنما استأذروا بالنغمت في العبدان وأوتارها لما هناك من النسب المنتظمة التي لا يسعها هذا المقام ولتكتف
 بوصف (أوتار العود) لا لتضرب عليه وإنما لتريك مامعنى الجبال التي عشقه الانسان في العود ولماذا يهتز
 طربا . أكثر الناس يطربون للعود وهم لا يعلمون سبب الطرب كما يستلذون بالمأكول ويجهلون سبب تلك
 الذقات فأقول

انه لا معنى للجمال ولا للحسن إلا بالنسب والوزن واتقان الحساب أو نظام الهندسة أو نحوهما . فكما
 كان الوجود أكثر نظاما كان أوفق لحواسنا وكما قل- النظام كان أبعد عن ذوقنا والعود لم تستلذ الآذان
 إلا لما فيه من حسن الاتقان في وضعه . انظر الى أوتاره عند التقدم فقد جساها أربعة وزاد للتأخرون
 عليها غيرها . ولكننا نكتفي بهذه الأربعة لنملك على سير هذا العلم . والأوتار الأربعة هي (الم والمثلث
 والمثني والزير) فاليم (٦٤) طاقة حرير ابريسم والمثلث (٤٨) طاقة والمثني (٣٦) طاقة والزير (٢٧)
 طاقة . هذه الأوتار الأربعة تد على وجه العود مشدودة أسافلها في اللشط وروسها في الملاوى فوق عتق
 العود . فهذه الأوتار الأربعة بعضها أغلظ من بعض على النسبة الأفضل فغلظ الم مثل غلظ المثلث ومثل
 ثلثه وغلظ المثلث مثل غلظ المثني ومثل ثلثه وغلظ المثني مثل غلظ الزير ومثل ثلثه وهذه عندهم نسبة فاضلة
 فهذه الأوتار الأربعة لها هناك تحسيات أخرى ذكرها ابن سينا وإخوان الصفاء وغيرها وزاد المتأخرون
 كثيرا . ولنا من علماء هذه الصناعة ولكننا طلاب حقائق والمخالفات هنا أن هذه الأوتار لما وضعت على

نسب فاضلة قدم بعضها في سورة آل عمران في أوائلها استلذتها النفوس لأنها قد امتزجت فيها نغمات غليظات
 قال بنفحات حداث خفاف . فالتليقات كالأجساد والحادثات كالأرواح وعلى قدر الانتظام يكون الامتزاج
 فيحصل للنفس طرب وهي لا تدري من أين جاءها . إن النفس مولة بالنظام عاشقة للاتقان وأقرب الأعيان
 إليها لتغاث لأنها سهلة سريعة تتحركها النفس وتعرف متافرها وموزونها . لذلك كان الناس على الأرض
 غالبا يدركون هذه الزينة ولكل قوم مفان تخصهم وموازن تناسبهم وإنما جعل الله هذا عاما ليعطي للناس
 جميعا نموذجًا لحكمته وذكرى لصنعه . فنغمات العود للوزونات يألفها الناس بل الطيور والحيوانات
 والسماك كما هو معروف متداول

(نغمات الأشجار والحشائش وأنواع الرياح)

ومن الناس من يطربون لما يسمعون في الحقول والحشائش والبروج وأعشابها وفي الغابات وملثف
 الشجر وأصوات الرياح المختلفة وغويز الأعشاب وحنين الطير وتقريدها ويطربون لترفع الأغصان كأنها
 الوطنان وترنم عيدان الزان وأوراق الشجر المختلفة وتفتح لهم معان ومدارك يجهلها سواهم والناس حولهم
 غافلون لا يسمعون

(علم الفلك)

وما عجائب علم الفلك وحركاته للوزونات وطرائق نجومه وحسن نظامه إلا كأوتار العيدين ونغماتها فاقرا
 ما مر في قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض الخ - في سورة البقرة وفي آل عمران تركيف كان
 للفلك حساب منظم يشابه في نظامه انتظام حركات العيدين . إن الناس طربوا لنغمات العود لما فيها من
 النظام والحساب للثمن ولكن الخاصة أوتوا علما أعلى فأدركوا نظام الفلك وألفوه متقنا فابتهجوا أكثر من
 ابتهاج العامة بالعيدين فالعامة بالعيدين يطربون والخاصة يزيدون عليهم بنظام حركات الشمس والأقمار
 والسيارات ويرون الشتاء والصيف والربيع والخريف والليل والنهار نغمات لحركات الأفلاك لحركة الأرض
 حول نفسها وحركتها حول الشمس أحدثتا ظلالا وضياء وحرا وبردا مع النظام في البدء والنهاية فأى فرق
 بين العود وبين نظام الأفلاك . العود نظمت حركاته وجعلت هناك نسب . ههنا نظمت الحركات وصحت
 النسب . هذه نغمات لا يمتثلها إلا العالمون

(جمال الوجوه)

إن جميع الناس يدركون جمال الوجوه . وما جمال الوجوه إلا بالتناسب بين العينين والخدين والأنف
 والقم . هذه أربعة كما اعتدلت كان الجبال آتم وكل اختلفت كان القبح وعلى قدر التوافق والاختلاف
 يكون اشتداد الحسن والوسامة أو القبح والجمادة . إنما أظهر الله هذا الناس لأمرين (أولا) ليستلوا
 بالظاهر على الباطن غالبا فعلى قدر جمال الظاهر يكون جمال الباطن وقد يعكس الأمر (ثانيا) ليفتح
 لأناس اصطفاهم قربه فيبحثون عن جمال آتم ومعان أكثر في تفرجج الأجسام ونظام أعضائها . لقد
 مر في سورة (آل عمران) نموذج من جمال الأعضاء ونموذج من الوضع الموسيقى الحسن وأن للأعضاء
 مقاييس خاصة متى صحت مقاييسها كان الجبال متى لم تصح كان القبح فلا تليقها

(الجبال في التشريح)

وإنما نريد هنا أن نبين أن تناسب الباطن أجل وأوسع مدى والباطن (قسبان) قسم خلق وقسم
 جسمي . فالقسم الخلقى هو أربعة العفة والشجاعة والحكمة والعقل . هذه أربعة قابل الأربعة الأتى في الوجه
 فحقى كان الانسان عفيفا في الشهوات شجاعا في القوة النضية حكما بالقوة العقلية معتدلا في هذه الثلاثة فهو
 الحسن الخلق وللخلق جمال كما للوجه وهذا هو الجبال الحقيقي في الانسان والقسم الجسمي هو نظام الاعضاء

ولن يعرف إلا بالتشريح وقد تقدم في سورة آل عمران في أوائلها . ياليت شعري أليس من العجب أن ترى صدرا حوى ريتين وقلبا بينهما ولم يختلط ذلك القلب بالأمعاء وللعدة إذ لا يجانس بين الصويح . الأمعاء وللمعدة خاستان بالطعام أما القلب فخاص بالدم فجعلت الرئة بجانبه لتعني له الدم فيسير في الصورة ولم يجعل في هذا الصندوق كبد ولا معدة ولا أمعاء ولا كليتان . لماذا هذا . لأن هذه الأعضاء كلها عاملات في الطعام حتى نجيزه وتصفيه ليكون دما فالعدة تطبخه والأمعاء تخلطه من الفضلة الغليظة والكليتان تصفيله من الماء وعضو الكبد له عمل في الدم والسفراء تنقي الدم من خلطها والطحال كذلك . فكل هذه الأعضاء جعلت في مقام أدنى حتى تحضر لهم ويرسل للقلب والرئة بجانبه وجعل بين الطائفتين حجاب حاجز . ان قوى القول السليمة يطربون لهذا النظام والتناسب طربا لا تلبثه نفثات الموسيقار . كلا

﴿ الحكماء والمفنون ﴾

تباركت يا الله وجل فضلك وحسن وضعك وبهر نظامك . أحبيت عبادك وأبرزت لهم مكنون فضلك وجوهر صنعك . يا الله خلقت في كل أمة من هم أحسن وجوها وأبهج جبالا وأرقى أصواتا وأحسن نفثات لتدل الناس على جلال صنعك حتى يظهر الجبال للحكيم والجاهل والذكي والغافل والعالم والبليد أراك اصطفت في كل جيل وكل قبيل قتياما وفتيات جلت أصولهم وحكمت عليهم بالفقر ليسمعوا الناس جلال نفثاتهم لتتم حكمك وتم نعمتك ثم لم تنس أن تضع الخاصة بلاجال بروه فاصطفت في كل أمة أناسا للبحث في الحكمة والعلم حتى يسمعوا نفثات العوالم العلوية والسفلية فيخبروا الناس بما يسمعون ويعجبوهم فبا يحبون . فهؤلاء يدركون في الأججار ونظامها وأنواعها ما يدركه غيرهم في الأجسام ونظامها ونفثات وأوتارها والأفلاك وسرعتها والوجوه ولشراقتها

﴿ النفثات في الأججار كالنفثات في الأوتار ﴾

هنا قد وصلت إلى المقصود من اللقال بعد اللقنات فأقول
ياحبا لهذه الدنيا وياحبا لهؤلاء الناس الذين خلقنا فيهم . اللهم انا جئنا إلى هذه الأرض ونحن رااحلون عنها . خلقتنا مسافرين فيها . حكمت علينا بهذا السفر الطويل وأرقتنا جبال صنعك وأفاته . وحكمت علينا ألا نصل إلى مقام القدس والبهاء الأسنى إلا بعد أن نمر على الأوضاع الأرضية ونفرسها ونجثث نستحق أن ندرس ماهو أجل من صنعك العالي الذي هو أبداع أقاتنا وأحسن نظاما في عوالم أخرى بعد موتنا
هذه أرضنا التي نجعل فيها نورك وظهر حسنك وخلقت منا أتلسا يعيشون ويموتون وهم لا يعلمون . نعم يقولون أن هذه الأجسام تطلب الغذاء والشرب والنساء والبنين ويموتون وهم لا يعلمون كيف ركبت ولا لماذا خلقوا . وإذا نظروا إلى هذه الأرض وما عليها لم ينعهم منها إلا أن يسروا فيها ليالي وأياما آتسين ليعتظوا بالفايات القاصرات في القصور وليقتحموا الأخطار وشجشمو الأسفار لطلب الرزق والمال بالتجارة أوليكونوا سفراء للدولة أوليقابلوا الملوك أو تضرب لهم للدفاع وتصف لهم الجنود وترفع لهم الأعلام والبنود ثم يموتون ولاهم يذكرهم صم بكم عجب فهم لا يعلمون

هذه هي حال أغلب أهل الأرض التي خلقنا عليها فأهل أوروبا اليوم قد برعوا في كل العلوم وأكثر من يشار إليهم بالبنان إنما يهتم بما ينفع الأم من هذه الموائد . أما جبالها ونظامها فلا يدركه إلا خواصهم وقليل ما هم . وقليل من عبادي الشكور . اللهم انا خلقنا في الدنيا للعلم والعمل ونحن إذا اقتصرنا على العمل كنا كالتحل أو كالحمل ولكن علينا العلم وعلينا العمل والعلم الآن هو ملجأ في آية . وفي الأرض قطع متجاورات . فلنذكر كيف كانت الأججار وأنواعها نفثاتها عند الحكماء أبهج وأدوم من نفثات الأوتار في الصيدان لحسن النظام والعدل والهبة والاحسان . ولأذكر لك أيها الذي قلا من كل من الخلقات واتى إذا

التي في هذا القال كفاك عن الكثير ولا تقصر على ما ينكر وجوده

الأرض والماء والهواء والبخار والملح الجبلي والجبل الجبى والجبل الرمى والزئبق والجراثيم وحجر الزئبق
هذه أربع مخلوقات كلية وسنة أنواع جزئية من الحجارة بمصراخلت أحوالها ومناهبها فكانت منفعة العاقلين
ولمة للفكرين . ان هذا الموضوع يعرضه بحث في أمرين (أولا) الجاذبية العاتقة (وثانيا) قوة التلاصق
اعلم أن الأرض والشمس والنكواب كلها متجانزات متحابات ولولا ذلك لم ننش يوما واحدا . فلو لا
أن الأرض تجذب من عليها طلائح الحيوان والانسان وكل مخلوق عليها فهذه الجاذبية لقسمه أنتم الله بها على
المخلوقات فاستقرت . ولولا هذه الجاذبية لطلحت أرضنا وغابت عن الشمس وتاهت فتننا في أقرب زمن
ولكن جنب الشمس لها أبقاها في أمان وسلام . أما قوة التلاصق وهي المقصودة هنا فاعلم أنها من أعجب
النعم وأبعد الأحكام فهذه القوة تختلف في المخلوقات اختلافا بينا وهذا الاختلاف لصالح المخلوقات . انظر انظر
الى الماء وإلى الهواء . إن الهواء تباعدت أبزلاء ولم يشتد التصاقها فكان أخف من الماء (٨٠٠) مرة
أى إن الرطل من الماء يوازنه من الهواء ما يعادل مقدار الحيز الذى يشغله ثمانمائة مرة . ثم ان الماء اذا صار
بخارا بالظيان مثلا أو بحمارة الشمس فان الماء إذ ذاك يأخذ حيزا أوسع من حيزه وهو ماء (١٧٧٨) مرة
إذن البخار أبعد تلاصقا من الماء ومن الهواء فانظر لتلاصق الماء وتلاصق الهواء وتلاصق البخار الذى كان
أصله ماء فتجد الماء أشد التصاقا والهواء أقل التصاقا والبخار أقل من الجميع . ولهذا رأينا الهواء يملو على
الماء ورأينا البخار طائراق الجو وارتفع كما يرتفع المتطاير وعلا علوا عظيما ثم صار سحابا

هذا ما ترى في الماء والهواء والبخار وهذا وضع عجيب عند الحكماء . أما الجبال وأنصاف التلحين في
الأمم الاسلامية وغيرها فهم لا يهتمون بمثل هذا النظام ويكونون في نظر هذا أشبه بالجهال في كل أمته إذ
يعيشون في أجسامهم ويتركونها للدود وهم لا يعرفون نظم هياكلها ولا يدرسون مجامعها ولا هم يفكرون
ولا يذكرون . أفلا ترى أن هذه أوتار أرسلها الله في الطبيعة لخلاص الأمم فينبون للبخار وللماء والهواء
من الخالص ما كان يراه العلة والخاصة في أوتار العود من الاختلاف المظم الذى أتبع حسن النعم .
فكما كان البوم والثعلب والشي كل واحد أثقل مما بعده وأخف مما قبله بسبب خاصه كذلك هنا كل من الماء
والهواء والبخار والأرض خواص في التلاصق اختلافا أوجب حسن النظام والاتلاف فجرى السحاب في
أعلى الجو وزين بقوس قزح وأرسل للطر وكان الهواء فوق الماء . فكما ترى في العود البوم والثعلب والشي
والزير هكذا ترى في الطبيعة الأرض والماء والهواء والبخار فالأرض كالهم والماء كالشي والهواء كالثلث والبخار
كالزير . هذا هو الوجود عند الحكماء . وهذا هو النعم عند علة الناس وعند خواصهم . الخاصة بشاركون
العامة في النعم المعروف ولكنهم يخصمون بجانب هذه الدنيا وكما انتظمت الأرض وما فوقها اجالا انتظمت
الأجسام فصيلا . البوم أغلظ من الثلث والأرض أثقل من الماء والثلث أغلظ من الشي والماء أغلظ من الهواء
والشي أغلظ من الزير والهواء أغلظ من البخار - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - سبحانه
خلقنا في جو من اللوسيقى والجمال . خلقنا في نفحات عقلية ولكن أكثر الناس لا يسمعون . أبرزت
لك النفحات لنا في العود وأكثر الناس لا يفهمون الأجسام وجمالها ونظامها

انظر الى الملح انه يكون في الجبال كما يكون في البحار كما قسمناه في آخر سورة آل عمران نحب من
ذلك . انظر اليه . اننا نأكله لأنه يدخل في تركيب عظامنا . قد احتجنا اليه فخلق الله لنا وجعل قوة
التلاصق فيه ضعيفة جدا والا لم تقدر على فصله من الجبل ولا على هضمه في معدتنا

(عجرج الجبل) الجبل الجبى لونه البياض المائل الى الاصفرار وهو حبات صغيرات التصق بعضها ببعض
يكسر بسرعة ويخشد بالسكين بسهولة . إذن هو سهل التحت والكسر لذلك استعمله الناس في البناء

ومنى سفن عدة أيام مع القمم فى (قين) تحوّل الى جير وهذا الجير يجعل (ملاطاً) ويسمى فى مصر (الموتة) تطلق به الحيطان ويحضّر منه ماء الجير للاستعمال فى الطب ويكون مطهراً ونحو ذلك

(الجير الرمل) ألوانه مختلفة السمرة أو الصفرة أو الحجرة وهو حبات مستديرة من الرمل التصق بعضها ببعض فكثرت طبقات رقيقة وهو أيضاً سهل للكسر والتمتد يستعمله الناس فى البناء وفى أساس الأبنية . ومنه نوع اختلط به حبوب من حجر (الصوّان) . وهذا يجعل أحجار (الرس) ويجعل فى أساس المنازل ودعامات القناطر

(الرخام) والرّخام من الحجر المدكور قد اشتقت صلابته والصلابة يقبل الصقل فاذا عاملناه بالرمل صار سطحه صقيلاً جيلاً . وكلما زدناه حكا بالرمل زاد رونقاً وجالاً ولمعاناً وبهجة وهو أبيض أو أخضر أو أحر أو أصفر أو أسود أو أبيض فيمعرض سود وقد تكون فيه بقع ذوات ألوان جيلة بهية تسمى الناظرين . ومن هذا ما يسمى للرمل . وإذا أردت أن ترى الرّخام فادخل المساجد والكنائس وانظر الأعمدة وتأمل البهوات الواسعة عند أهل الثراء والفنى . وكذلك السلالم والمغاسل والمناضد والتماثيل التى تصنع من النى لونه البياض الناصع

(الجرانيت) الجرانيت أشدّ صلابة وأصعب كسراً ونحنا يغلوئنه فلذلك جعله قسماً المصريين فى معابدهم وتمائيلهم ورسالتهم التى تراها فى (الطرية) بمصر وهى فى بلاد الانجليز والفرنسيين وغيرهم . إن الجرانيت فيه البياض والصفرة الضاربة الى الحجرة والبياض اللامع كما تلمع الفضة

(الصوّان) هو أصعب وأمتن من كل ما سبق لا يؤثر فيه الحديد الصلب ولونه إما البياض ولما الصفرة وإما السواد . وقد شاهدنا هذا الحجر فى أبهى الأزرار من بلادنا المصرية أيام الشباب وهم يشعلون به النار فى أنون منه بحجرين يضربون أحدهما على الآخر فيخرج من بينهما شرر يتلقونه بمادة تسمى (الصوفان) وهذا يسمى (الزناد) وهذا الحجر يستعمل فى رصف الشوارع

هذه هى الأحجار الشائعة فى مصر ويقاس عليها البلاد الأخرى . علم الله قبل أن يخلق السموات والأرض أننا فى حاجة الى ماء كل ولما كل لا بد لها من المالح غلظه لتستكون منه العظام وسلطانا عليه وسهل لنا تكوينه فى الماء وهضمه ولأنه فصل به ما قبل بالصوّان أو بالجرانيت لم تنفع به فهو جيله موافقاً لأمر جتنا وسهله لنا وأكثر فكان أقل التصاقاً حتى نستعمله ثم هو يعل أننا فيش على الأرض . فهاذا فعل . خلق (حجر الجير) وصوّره قابلاً للتمتد والكسر وسلطانا عليه فأوقدنا عليه النار واستخلصنا منه ما نشاء لنظام منازلنا وجعل (الحجر الرمل) قريباً منه حتى نستعمله فى أساس منازلنا وجعل من هذا الحجر نوعاً قوياً لما فيه من حبوب صوّانية لنطحن به حبوبنا (أنواع القلال) ويساعدنا على سهولة القلاء وليكون من مقويات القناطر . وعلم أننا نحتاج الى إقامة أماكن عظيمة للعبادة أو للخدمة فخلق الرّخام وحلاه بألوانه الجيلة

وجعل الجرانيت أصعب مكسراً وأقوى وأمتن حتى حفظ به القمماء العالم لمن يصنعهم وصنعوا التماثيل التى كانت جائزة عندهم ولم نجد فى زماننا أصلح لبناء سدّ خزّان إسوان منه فاستعمله المهندسون المصريون ومن معهم فيه فهل يصدّ الحجر الجيرى أو الرمل مسدّه . كلا ولأنهم وضعوها فى مكانه فترقت البلاد ولحقها الفساد . نعم فى الأرض قطع متجاورات فيها للملح والرّخام والرمل والجرانيت والجير والصوّان والحجر الرمل اختلفت قوّة التصاقها فتباينت نتائجها . لا يصدّ الصوّان مسدّ الجير ولا المالح ولا يصدّ للملح مسدّ الجير . كل له عمل لا يصلح له الآخر . لولا الجرانيت لم قطع على المسلات التى تحتها المصريون . ولولا الجير لم نظهر بيوتنا من كل ما يكون سبب الوباء والأمراض . نعم فى الأرض قطع متجاورات . هذا هو تفسير الآيات اختلف للماء والهواء والبخار والأرض اختلفت فى قوّة الالتصاق فأشبهت أوتار العود للحم والثلاث والثنى

والزير • هكذا اختلفت الأشجار في الجبال وهي مشترقات في أركانها متعلقات في تناسجها • اعتزل الجسير والبحر الرمل والجرايت والصوان • اختلفت أماكنها وقوتها وصلابتها واتحدت وجهه غايتها • فغاياتها نظم هذا الانسان • فنها ما يدوم لأجل بقاء علومه في رسومه • ومنها ما لا يدوم إلا أزمانا على قدر الحاجة إن اختلف حجر الجير والجرايت والملح والصوان مثلا أشبه اختلاف الأرض والماء والهواء وأمرها عجب - إن ربك هو الخلاق العليم -

﴿ نعمات الأشجار والأشجار ﴾

تبارك الله ما أجل صنعه • اختلفت القوس وعواطفها كاختلاف الأشجار والأشجار ومنابتها فن القوس من لا تعقل من النعمات إلا ماتسمه من الأوتار ولا من الجبال إلا ما تراه في الوجوه الحسان • ومنها من صفت سرائرها ولراحت وعلت على هذه المادّة وتخلصت من قيود اللذة فرأت ما تراه العيون وسمعت ما لا يسمعه العاقلون • فسرير الأقاليم وحيف الأشجار ونفثات الطير وخفة الهواء وارتفاع البخار وبهجة السحاب والأوان (قوس قزح) كل ذلك لأسبابهم طرب ولعبونهم جلال وقلوبهم بهجة وبهاء فاذا ترنحت العنبت في أشجار النان أو غرد القمرى على الأفنان أو سمعوا غدير الأشباب أو أصوات الرياح في الفجاج أو صوت أحجار الرعى دائرات في ظلمات البجعات فهموا معاني مطربات ونجلى لهم من المعاني آيات وأدركوا نأ من قوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات - اه

﴿ فائدة ﴾ جاء في بعض المجلات العلمية في شهر ابريل سنة ١٩٢٧ م ما يأتى

﴿ شجرة تأكل الناس ﴾

عادت مؤخرا من (جزيرة مدغشكر) بعثة علمية انكليزية أمريكية سافرت إليها تحت رئاسة (بونج) العلامة الشهير وأكدت المصحف تلك الأسطورة القائلة بأن في تلك الجزيرة شجرة تأكل الانسان والحيوان وقيل ثلاث سنين نشرت صحف ومجلات أوروبا مقالات ضافية عن هذه الشجرة الغريبة التي تغذى بلحم الانسان والحيوان • وأول من أذاع هذه الفكرة الدكتور (سولون أوسبورن) وهو من علماء الجغرافيا للبرزين سافرك (مدغشكر) فسمع تلك الاشاعة ولم يتمكن من رؤيتها لأنها في العباب الموحشة وقد قال هو انه لا مانع يمنع من وجودها لأن هناك نباتات تأكل الحشرات • وفي حديقة النباتات بلندن نبات يأكل الفيران والمصحف الانجليزية كتبت عنه كثيرا والتي أكد ذلك العالم النباتي (ليكسيه) لثنى وصف الحفلات الدينية التي يقيمها الأهالي حول تلك الشجرة ويقدمون لها وقتا دون وقت ضحايا بشرية وقال أيضا رسالة للدكتور (فريدلوف) إن تلك الشجرة كشجرة الصنوبر بسقة وجذورها ذوقه كثيرة نائمة وعليها أربع ورقاب فقط يبلغ طول الورقة أربعة أمتار وعرضها في الوسط (٨٠) سنتيمترا ونحها (٤٠) سنتيمترا وهي تتدلى من رأس الشجرة الى أسفلها وتنبه جلد الجاموس الشخين وأطراف الأوراق مسنة ونوجد أزاله على رأس الشجرة تشبه الأقدام تصاعد منها رائحة كريهة اذا شمها انسان اعتراه دوار شديد وتسيل منها قط مذابة مسكرة • والأهالي في احتفالهم الديني يقتربون على من يقيم ضحية وقد أصابت القرعة امرأة فأرغموها على أن تنساق الشجرة وتشرب من المادّة المسكرة وما كادت شفتها تسمان الزهرة حتى ارتقت الأوراق للمتدلية وأطبقت عليها من كل جهة وليت ملقة عليها مدة أسبوعين وعادت بعدها الى ما كانت عليه ولم يبق من جثتها غير رأسها الملسوخ للطنى • وقال (ليكسيه) انه رأىها بعيني رأسه ورفع بشأنها قروا سبها الى الجمعية النباتية في لندن اه

﴿ الطيف الحامسة في قوله تعالى - ولكل قوم هاد - ﴾

اعلم أن هذا الحام قد اتصح في كتابي (أين الانسان) ولكن لأقل قلا من كل

اعلم أن هذه الدنيا منتظمة عند الحكماء عظمة عند مغائر المتعلمين . فانظر مجد الذكور والاناث في الأرض عددا واحدا تقريبا في كل أم الأرض متوحشين ومستبدنين كأن الحكمة قضت أن يكون لكل ذكر أُنثى . وهذه القاعدة لم تختل قط في هذا العالم وقد يحصل حرب أو نحوه فيموت رجال فيقولون ويكثر النساء ولكن هذا أمر عارض لا بعبارة به وإذا ظهر هذا في الذكورة والانوثة فانظره فانه عام في سائر الأعمال من صناعة وإمارة وتجارة فان النبوغ في كل منها مخبوء في العقول محفوف في النفوس ولو علمت لأني تعلميا محييا لخرج من كل أمة هداة على مقدار حاجتهم وصناع وسواس وهكذا على مقدار الأمم . هذا هو الذي يستخرج من هذه الآية وهو للشاهد في العالم ولكن يعوزه التدقيق وفي كتابنا (أين الانسان) شفاه لقام (الطبعة السادسة في الكلام على قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال -) بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . اللهم انك مجود على نعمك العاتية وحكمك التامة في علنا الذي نعيش فيه . اللهم انك أنت أنعمت علينا بنعمة العلم وأحييت قلوبنا بالحكمة وأرقيتنا من محابب ملكك وغرائب حكمك ما جعل قلوبنا فرحة بك مستبشرة منبهة بالنظام التام والاحكام الجيب . فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم . نحن أينما انجھتنا وقلبنا وجوهنا وفكرنا رأينا اتقا مبناه العلم وتوعدا كثيرا مبناه سعة القدرة والعلم

هاتين أولاه سمعا قولك - وكل شئ عنده بمقدار - وقولك - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وقولك - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقولك - إن الله سريع الحساب - وقولك - الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى - وقولك - وخلق كل شئ فتدبره تقديرا - وقولك - وهو أسرع الخاسين - وقولك - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وقولك - وما كنا عن الخلق غافلين - وقولك - وأزلنا من السماء ماء بقدر - وقولك - وأحصى كل شئ عددا - وقولك - وكل شئ أحصيناه في إمام مبين -

اللهم إن هذا هو مناط الحكمة والعلم والسعادة في هذه الدنيا . الباس على هذه الأرض لاحتظلم من العلم في دين ولادنيا إذا لا أقتنوا بما في هذه الآيات ونظروها بقولهم الى أودعتها فيهم وهذه الأمم الاسلامية مضي لها (١٣) قرنا كان أكثرها في غفلة عن ذلك وقليل منهم هم العارفون بهذه الحقائق ولكن كانوا في زوايا الاممال . اللهم إنك اليوم أذنت لأمة الاسلام بالرق والاطلاع على عجائبك والتحلل بمحاسن العلوم في السموات والأرض فها أنذا اللهم أكتب لهم في تفسير كتابك نظرة في عللك التي خلقتنا فيه قبل أن أغلده وأسالك أن تهدي به أمتا ونشرح به قلوبا وتنقذ به أناسا من الجهل والذل وترفعهم الى غاية الحكمة والمجد والسلام . أينما الأمم الاسلامية اسمعى قلت شعري أى الأشياء أذكر لتعرف نظامه . ولقد مضى في هذا التفسير وسيأتى إن شاء الله ما فيه غنية لقلبي

(١) أأذكر الجسم الانساني . وقد مضى في سورة آل عمران من نظامه وبديع احكامه ما يدهش القلب ويثير الإعجاب من ترتيب أعضائه ونظام هيكله ودقة عينه وحكمته أذنه فهذه هناك مقصلة أى تفصيل وهل أزيد أمرا يشاهده الناس ولا يعبئون به وهو

(الحل الهندسى)

إن الانسان اذا توهما أن هناك فيه سطحا مستويا قسمه من فرق رأسه الى أسفل قسمه قسمين مستويين فهذا السطح الموهوم نسميه (الحل الهندسى) ومعنى هذا أنك تجد الأذنين والعينين والحندين والسدسين والترقوتين واليدتين والقدمين والركبتين والساقين والقدمين . كل هذه على أبعاد متساوية من هذا السطح الذى توهما أنه قسم الانسان . فياجها نحن نعيش ونموت ولا نرى أن هناك نظاما فيها بحيث

يشملوى بعد العيتين والأذنين الخ عن ذلك السطح الذى يهلم بالحجم وهذا جبال تتج من الأتقان وحسن النظام كما نشاهد نظيره فى الباني المنظمة بحيث نشاهد شبا كين أوأخذنين على بعدين متساويين من باب البناية (٢) أم أذكر نظام الأججار الساقطة من أعلى الجبل إلى أسفل البئر : وقد مر ذلك فى أول سورة آل عمران بحيث ترى هناك عجبا عجبا وأن نظام أعضاء الجسم وحسنها الموزون بالأشكال الهندسية له نظير فى حركات الأججار الساقطة بحيث ترى الحجر يقطع فى زوالة المسافة بطريق التريع فلا أطيل به هنا لتلا يكون التكرار للعب فأقرأه هناك وانجذب من حجر يجنوب إلى الأرض تزداد سرعته فى التوائ الزمنية المتوالية على طريق التريع بحيث ينزل الحجر فى الثانية الأولى (١٦) قدما مثلا وفى الثانية التى بعدها (١٦) فى مربع اثنين وهو أربع وهكذا . ولأذكر هنا لطيفتين تناسبان للمقام

﴿ اللطيفة الأولى فى معرفة عمق الآبار ﴾

إذا رمينا حجرا فى بئر وعندنا التوائ التى تمر قبل أن نسمع صوته عند وقوعه فى أسفله فلترجع عند التوائ ونضربها فى (١٦) قلما يكون الناتج عمق البئر أقداما وتعد التوائ إما ساعة وأما بدقائق النبض فنحسب كل دقة ثانية

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

ان النور يقطع (١٩٢) ألف ميل فى الثانية ولعظم سرعته لا يشعر به على الأرض فيظهر للناس جيبا فى لحظة واحدة ولودار حول الأرض لأكل دورته أسرع من لمح البصر . وسرعة الصوت فى الهواء هى (١٠٩٠) قدما فى الثانية فإذا رأينا البرق ثم سمعنا الرعد بعده بخمس ثوان علمنا أن البرق لمع على بعد (٥) فى (١٠٩٠) أو (٥٤٥٠) وتعرف التوائ إما بالساعة وإما بضربات القاب . فاعجب لنظام بهيج حركة تمر حول الأرض فى أقل من لمح البصر وأخرى ألف قدم وتسعون . إن الصوت بالنسبة للضوء كالسلحفاة بالنسبة للأرنب والصوت بالنسبة للجياذ من الخيل أشبه تلك النسبة معكوسة وهكذا . وربك يخلق ما يشاء ويختار . لتلك يرى البرق قبل الرعد ولهذا فتم الله البرق على الرعد فى الآية

(٣) أم أذكر ﴿ جنة العرفان فى تفسير القرآن ﴾ وهى

(أ) إن شدة الصوت قل بمقدار ما يزيد مربع البعد عن الجسم الصائت كما إذا أتينا بأر بعة أجواس بحجم واحد ووضعناها على بعد (٤٠) ذراعا ووضعنا جوا آخر بحجمها أيضا على بعد (٢٠) ذراعا فاما نجد صوب الأربعة كصوت الواحد لأن بعدها كبعده مرتين و(٢ فى ٢) تساوى (٤) فاذن يكون كل واحد من الأربعة صوته كربع صوب الجرس القريب فأصواتها كلها كصوته وهو المطلوب

(ب) شدة النور قل بمقدار ما يزيد مربع البعد عن الجسم المنير فاستبدل المصاييح بالأجواس فى المثال فيكون نور المصباح القريب مساويا لنور الأربعة البعيدة بالمقادير المتقدمة

(ج) ان شدة الحرارة قل بمقدار ما يزيد مربع البعد عن الجسم المقد نارا فاستبدل المواقد بالمصاييح والأجواس وفى تلك المواقد ثيران متساوية فان الموقد القريب تساوى حراره حرارة الأربعة البعيدة بالمقادير المتقدمة

(د) الجاذبية . وهالك نظام الجسمين الخفيين كالقطين الساجين على سطح الماء كما قلتم فى آل عمران وكيف يجرى أحدهما ليلاقى الآخر بطريق الجذب على عكس التريع بحيث يكون اسراعهما إذا كن بينهما ذراعان مثلا أقل عما لو كان بينهما ذراع واحد فإذا كانت السرعة فى الحال الأولى مترا فى الثانية قلناها فى الحال الثانية تكون أربعة أمتار أى ان بعد القراعين أخذ مربع الواحد وهو واحد وبعد التراع أخذ مربع التراعين وهو أربع

هذه مسائل أربع الجاذبية والصوت والطور والحرارة . أنظر ونجب هذه كلها قاعدة واحدة تزداد في القرب وتقص في البعد بعكس التربيع . فبالت شعري كيف تفسر القرآن في هذا الزمان . ثالثة هذا هو التفسير . هذا هو الدين الاسلامي . كيف يقول الله . وكل شيء عنده بقدر . ويقول . إن لله سراج الحساب . ويقول . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . فأنت تفاوت وجدناه بين الضوء والحرارة والجاذبية والصوت . لم نجد تفاوت بل وجدنا اتحادا . وهذه الأربعة عليها مدار حياتنا فأصول حياتنا متحدة نظاما عجبا . هذه نبضات القلب كيف كانت كدقات الساعة في التواتر . كيف يكون القلب ونبضات العروق على نظام تقريبي أشبه بنظام الساعة من حيث التواتر حتى أمكننا أن نقيس بها عمق البئر ثم كيف ربنا التواتر حين ضربها في الأقدام كما ربنا أبعاد الضوء والصوت والجاذبية العامة والحرارة

هذا هو علم دين الاسلام والمسلمون في المستقبل هم الذين يدرسونه . هذا هو علم التوحيد وهذا هو شكر الله وهذا قوله تعالى . وقل رب زدني علما . فليزدد المسلمون علما في مثل هذا اقتداء بالتقليد عليه السلام ونبينا ﷺ وشكرا لله وتوحيدا ورقيا في دنيانا وآخرتنا والحمد لله رب العالمين

(٤) أم أذكر نظام رقاصي الساعة الذين قصر أحدهما وطال الآخر وهما في مكان واحد فان بينهما نسبة التريع كما هنا وكذلك ذراع ميزان القبان أى ذراع القوة وذراع المقاومة (وبعبارة أخرى) التراع الطويل الذي فيه الزمانة والقرع القصير الذي يعلق فيه الموزون فهناك بينهما نسبة منظمة لاجل لاطالة شرحها هنا ثلاثا نخرج عن القصد

(٥) أم أذكر نظام الكواكب السيارة بالنسبة للشمس . أم نظام السنين الكبيسة والبسيطة
إني لذا ذكرت ذلك الظامين هنا أخرج عن القصد ولكن أقول قولا وجيزا فيهما . أما أبعاد
السيارات عن الشمس فهو أمر سهل بسيط فهمه بما يأتي

إذا افترنا مكانا أثريا فوجدنا فيه تماثيل والتماثيل الثاني يبعد عن الأول ثلاثة أذرع والثالث يبعد عن الثاني ستة أذرع والرابع يبعد عما قبله (١٢) ذراعا والخامس (٢٤) والسادس (٤٨) والسابع (٩٦) ذراعا . إذا افترنا على التماثيل على هذا النظام لم نشك أن واضع التماثيل حكيم ومهندس ماهر وقد جعل كل تماثيل في البعد ضعف ما قبله من التماثيل . هذه هي الحال في السيارات بالنسبة للشمس . فإذا جعلنا لطلارده صفرا والزهرة (٣) والأرض (٦) والرياح (١٢) وكوكب مجهول عرفنا آثاره (٢٤) والمشتري (٤٨) وزحل (٩٦) إذا فعلنا ذلك تكون قد عرفنا أبعاد السيارات عن الشمس مع إضافات لكل منها مذكورة في محالها فاذن تكون هذه السيارات التي نراها موضوعة في أماكنها بقوانين ترجع إلى النسبة الهندسية فان نسبة ٣ إلى ٦ كنسبة ٦ إلى ١٢ وحاصل ضرب الطرفين يساوي حاصل ضرب الوسطين أى أن ٣ في ١٢ تساوي ٦ في ٦ وهذا من العجب أن نرى كواكب موضوعة بنظام هندسي بديع وهو المسمى بالتوالي الهندسية والناظر بالعين لا يعرف شيئا من ذلك والناظر بالعلم يعرف هذا النظام . اللهم انك أدهشتنا بأعجارك وحركاتها وأدهشنا بنظام كواكبك ونظام أجسامنا وكل نظام

(٦) أم أذكر حساب السنة الكبيسة والبسيطة العربية لأبين لك حركات الكواكب كما بينت وضع أماكنها أتيت إلى ذكر حساب حركات الأرض حول الشمس في السنة لتعرف أن هذه الحركات لها حساب منظم كما أن بعدد السيارات عنها بحساب منظم ولكني لا أذكر هذا هنا لأنه تقدم في آخر سورة آل عمران وفيه أن السنة القمرية (٣٥٤) يوما وسدس يوم وخمس يوم وهذا السدس وهذا الخمس يتكرراهما كل سنة يزيدان ١١ يوما في مدة ثلاثين سنة فتبقى كل ثلاثين سنة تكون منها ١١ سنة كل منها (٣٥٥) يوما و١٩ سنة كل منها (٣٥٤) يوما فالأولى هي الكبيسة والثانية هي البسيطة . ولأذكر لك الحساب هنا

لأنه تقسم هناك وثلاثاً تخرج عن المقصود من النظام التام . فكما رأينا أبعاد الكواكب بنظام هندسي هكذا رأينا حساب سير كل كوكب بحساب عظم فأولها هندسة في للسكان وثانيهما حساب في الزمان . هذا هو النظام التام

(٧) أم أذكر لك نظام الشعر العربي ونحوه والوسيقى . إن ذلك يطول شرحه ولكني أئين لك أن الشعر حاسبه بحساب الفلك والنجوم زماناً ومكاناً وأئين لك ذلك بغاية الاختصار مع الوضوح . أمراً البيت المشهور الآتي

فما نيك من ذكرى حبيب ومنزل • بسقط اللوى بين الدخول غومل

هذا البيت من بحر الطويل ولا بدني لبحر الطويل إلا هذا الوزن وهو فعولن مفاعيلن ٤ مرث ومعنى ذلك أنه (٤٨) حرفاً إذا لم تدخل على تخفيف بعض الحروف . وهذه الثمانية والأربعون منها ما هو أوتاد ومنها ما هو أسباب ومعنى الوند حرفان متحركان وحرف ساكن ومعنى السبب حرف متحرك وحرف ساكن فالأوتاد مثل على والثاني مثل من وعن وهكذا فهذا البحر فيه (١٢) سبباً وفيه (٨) أوتاد فجميع (٤٨) حرفاً من ضرب (١٢ في ٢) ومن ضرب (٨ في ٣) فتوكل فعولن فيه وتد وفيه سبب وقولك مفاعيلن فيه وتد واحد وسببان وتكررها أربع مرث يكون عندك (١٢) سبباً وثمانية أوتاد وربع البيت من الطويل فيه (٧) متحركات وخمس سواكن ونسبة ٧ إلى ٥ كنسبة ١٤ إلى ١٠ كنسبة ٢٨ إلى ٢٠ وحاصل ضرب الطرفين يساوي حاصل ضرب الوسطين

الله أكبر . جل الله وجل العلم وجلت الحكمة . اللهم انك أرينا جمالك في أجسامنا ونظامها وترتيب أعضائها وفيما يتحرك من أعلى إلى أسفل وفي أبعاد كواكبك وفي حركاتها وفيما تنطق به من الأشعار مشاكسة لما أنفقت أنت من حركات الأفلاك وأبعادها . اللهم إن هذا هو الجلال الذي من حرم منه فقد حرم من مقصود هذه الحياة ومن جال الحياة الأخرى . فياجبنا تنطق بما هو منظم كنظام الأحجار الساقطة وللوازين المنصوبة والكواكب الجارية . كل ذلك بحساب ونظام بحيث تكون آيات الشعر حاملة جمال النسب وبها إذا يكون حاصل ضرب الطرفين كحاصل ضرب الوسطين مثل ما تقدم في أبعاد الكواكب عن الشمس فالنسبة المتقدمة هنا فيها ضرب (٧ في ١٥) يساوي ضرب (٥ في ١٤) كما ضربنا سابقاً أبعاد الكواكب . اللهم إن العلم هو السعادة التي بها رأينا ما تنطق به الأطياف من الأسجاع وما ينطق به الإنسان من الأشعار على وزن نظام أبعاد الكواكب ونظام حركاتها . هذا هو الجلال وهذه هي السعادة النفسية الباقية الأبدية التي بها يستمتع الإنسان خلال أرفع مما عليه أهل الأرض الآن الذين يفسون هذه العلوم وأكثرهم لا يفكرون في أمثال هذا وسيكثر في المسلمين بعد ظهور هذا التفسير رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة بل يتحلون بعلومهم عن سقاسف هذه الدنيا ويقرون حكم ربهم ويشاهدون آثاره في خيرات الأفكار وحركات الأشجار وفضات الأوتار ورنات المئاني والثالث والأشعار (٨) أم أذكر لك نظام للماء المركب من غازين خفيفين وهما الأكسوجين والهيدروجين ونسبة أولهما إلى ثانيهما كنسبة (٨ إلى ١) فكل (١٦) جزءاً من الأكسوجين بحسب الوزن يكون معها جزءان إثنان من الهيدروجين وإياك أن يصعب عليك أمر هذين العنصرين فإما هما إلا عنصران أشبه بالهواء الذي نعيش فيه فلما يحلل إليهما تحليلًا حقيقياً وقد حلل أممي في مدرسة دار العلوم وها هو الآن يحلل في مدارس العالم فاطنة فترى هذا الماء الذي تشربه ما هو إلا نوعان من شيء لاراه فإذا اجتمع هذان النوعان مما حصل الماء فرائنا وشربناه وهو سائل وهما غازان

الله أكبر هذان العنصران هما أيضاً نسبة شريفة فذسية (٩ إلى ١) كنسبة (١٦ إلى ٢) وضرب (٩)

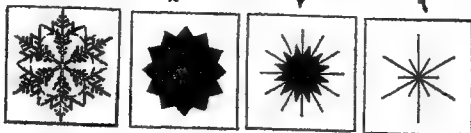
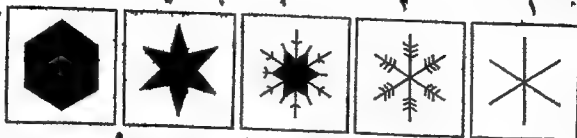
في (٢) يسلوى ضرب (١ في ١٦) وهذا عجب عجاب . أصبح للماء والحجر والكوكب والشعر وجسم الانسان جميعها بنسب هندسية ولولاها لاختل النظام ولم يكن ماء ولا شمس ولا كوكب ولا انسان - وكل شئ عنده بمقدار - . إن الله أذن للسبعين اليوم أن يتبوؤا مكاتهم بين أهل الأرض . ومن أتى قبول ما أكتبه اليوم من أم الاسلام فاتهم سيكونون في الأسفلين في هذه الدنيا وفي الآخرة لأن الله أذن للذين كلهم أن ترتقي فإذا نامت أمته ما قلاتوم إلا نفسها واتى بهذا الكتاب أنذر للسبعين . أنذرهم الطامة الكبرى في هذه الحياة وفي الآخرة اذا جهلوا جلال ربهم الذي أبرزه لهم في الأرض وفي السموات

(٩) أم أذكر نظام النبات والعناصر الداخلة فيه المذكورة للموضحة في سورة البقرة عند قوله تعالى - وانظر الى حمارك الخ - وكيف كانت العناصر داخلة في كل نبات بنسب محددة كما حددت حركات الكواكب وأبعادها ونظم جسم الانسان من حيث المقادير المذكورة في أوائل سورة (آل عمران) إذ ترى مثلا طول قسم الانسان كطول ما بين أذنيه وكلاهما شبر ورع وبعد ما بين يديه وما بين سرتيه وعاتقه كل منهما شبر واحد وهكذا فانظره هناك

(١٠) أنا لا أطيل لك في شرح ما تقدم لأنك تكتفي بما ذكرته لك لاسيما اذا راجعت ما أشرت اليه في هذا التفسير انما التي أردت أن أشرحه اليوم شرحا وافيا حتى يتبجح بنور الحكمة والعلم وتقف على جلال الله عز وجل الذي أبرزه على أيدي علماء أوروبا وأهل الشرق ثأمون جاهلون غافلون مع أن القوم كان ابتداء تعلمهم من آثار آياتنا الأولين . فانظر رعاك الله تنوع الماء فانه يكون بخارا في الجب وتلجا ويكون مطارا على الأرض وجليدا أنا لا أريد اليوم أن أذكر تنوعه في باطن الأرض فيكون أنواعا مختلفة تنفع لأفراض شتى ولا أطيل في جلال تكمونه في الجب بخارا تارة ومطرا أخرى وتلجا آونة . ولا أسهب في عجائب ألوانه في البحار العظيمة ولا في أنواع حيوانه ونباته وانما أكتفي بشئ واحد وهو الآتي بيانه

(أشكال الثلج المستمرة)

أماي الآن كتاب انجليزي اسمه (كل العلوم) في هذا الكتاب ضروب من العلم وقد وقع نظري فيه على مقال متع في نظام الثلج وأنا وان كنت رسمت أشكال الثلج في أوائل سورة (آل عمران) فاني لم أكن إذ ذاك قد اطلعت على عمارن جمال تلك الأشكال ولا بهجتها . اللهم إن النظر الظاهر لا يكتفي به إلا الغافلون والجاهلون . اللهم أنك أودعت فينا غرائز لاتقف عند حد فنحن نشتهي الطعام والشراب والزواج والمال والصيت وجمال الوجوه وجمال الأشكال ولكن توغلنا في ذلك ضلوا بنا لأنه يعود بالوبال وانما ذلك كله كشبكة صائد وكبح يقره التلاميذ وانما الفطرة العظمى الباقية للمودعة فينا التي هي المقصودة بالقدات هي فطرة الحقائق العلمية . ان فطرتنا كلها على خط واحد وهو أن تقول هل من مزيد ولكن للمزيد في الامور المادية المحسوسة وحدها انما هي سبيل الحيوان فليلعل يكتفي بجمع المال أو الجبال أو الذكور أو الصيت ولكن الحكيم العالم بل المؤمن الحقيقي هو الذي يكتفي من الامور المحسوسة بأقلها ويبحث في البواطن فهناك أشكال الثلج المستمرة التي كتبت في ذلك الكتاب بقلم الاستاذ (دوريت جيمس) فترسم في صفحة ١٧٨ من المجلد الثالث من الكتاب المذكور (١٢) شكلا واسطفي هذه الأشكال من (١٥١) شكلا رسمها وخبرها وطبعها الاستاذ (جلشر) في سنة (١٨٥٥) ورفعت مع تقرير رسي الى الجمعية البريطانية العلمية وقد لاحظ تلك الأشكال في ثمانية أيام من شهر فبراير ومارس من تلك السنة قلت لك ان هذه الأشكال أماي الآن وهامي ذه مرسومة أملكك



(شكل ٩)

فها إذا أريتك الأشكال الاتية عشر للمستلمات التي اتخبتها ذلك الكاتب من (١٥١) شكلا ويقول ان الأشكال المستمة الثلجية التي عرفها الناس إلى الآن تبلغ نحو ألف شكل تكلهن مستلمات ولكل واحد منها ستة أضلاع ابرية الشكل شعاعية والتوقع الذي لانها ينفذ لا يخرج الشكل عن التسديس ولا عن الأضلاع الستة ويقول ان بين كل ضلعين شعاعيين من هذه الأضلاع (٦٠) درجة فمضى هذا أن مجموع الزوايا ٣٦٠ من ضرب (٦٠ في ٦) وهذه للبرجنت تقاس بها الباردة التي ترسم فوق هذه الأضلاع وانما ترسم الأشكال على هذا النمط في الجو حيث تكون درجة الحرارة ٣٣ يميزان (فارنهایت) وذلك أن ذرات الماء الطائرات للمسيات بخارا اذا ضربها البرد على تلك الدرجة اجتمعت على شكل منظم كما رأيت وأبسط الأشكال الشكل الأول وهو الذي حوى ستة أضلاع ابرية الشكل شعاعية . وفيه الثاني وهو الذي ترى تلك الأضلاع فيه قد حليت من جانبيها بأشعة ابرية كأنها أوراقها . وفيه الثالث والرابع والخامس ففي الثالث ترى الأضلاع الشعاعية قد حليت بأجنحة او أغشية في داخل زواياها وفي الرابع كانت تلك الأجنحة قد صارت أقم أما في الخامس فقد صار الشكل كله منشورا سداسيا له ستة أضلاع وستة رؤس . وفي الشكل السادس حل أمر جديد هو ابر أخرى شعاعية قد تدخلت بين الأضلاع الأولى الطويلة . أما السابع فان هذه الأضلاع الشعاعية الحديثة قد سلوت الأضلاع الشعاعية الأولى وحليت جميعها بأجنحة أو أغشية الى أوصاف الأضلاع قريبا . أما الثامن فان تلك الأغشية قد ملأت جيع الفراغ في ذلك الشكل . أما الشكل التاسع فقد حلز الجبال والحسن كله والبهجة والرواء وباهر الطلعة أجه وما أعجب فيه ترى الأضلاع الشعاعية الأولى قد حليت بأغشية لطيفة منتظمة كثيرة كأنهم روض باهر حسن يهيج اوراقه تشبه خاتمه مهندمة أيما هندلم

أما الشكل العاشر . والحادي عشر . والثاني عشر فهي كالعاشر حسنا وجمالا ونضرة الأضلاع الشعاعية مزدانة بزينة الجواهر اللؤلؤة التي تشبه أوراق الأشجار وأبدعها وأبدعها مرعى هو الشكل الثاني عشر هذا ملخص ما وصفت به هذه الأشكال مع تصرف يناسب جمال المقام . هذا بالاجمال غوى ما يقوله ذلك الكاتب الانجليزي مع زيادة وملح ينتج بها للفكر . وأنا أقول أيها الذي اعلم أن عالمنا الذي نبش

فيه قد قسم الله فيه العقول والأرزاق والأخلاق والممتلكات والفضائل وجعل لكل من الناس مقاما ولكل مقام مقال ومقام ذلك الكتاب الانجليزي في علم الطبيعة للمشاهدة وقد وصف هذه الاشكال بما يلائم علم الطبيعة فوصف ما يشاهده الناس بأبصارهم ولم يتعرض لما في علم الرياضيات إلا بكلمات قليلة لايضاح المقام . أما أنا في هذا التفسير فأتيت أسير مع القرآن والقرآن يقول الله فيه . وكل شيء عنده بحسب قدره . فلم يخص المقدر يعلم من العلوم فعلى إذ أن أفسر الآية بما يتفق به على من العلوم مع صراحة ذوق الأذكىاء من قراء هذا التفسير . إن علم التفسير يرجع إلى النظام العلم وهو المنسب (العلم الأعلى) ويسمى أيضا (علم ما وراء الطبيعة) وإياك أن تظن كما يظن كثير من لاعلم عندهم أن علم ما وراء الطبيعة فوق مدرك الناس . كلا . وإنما هو العلم الذي يشمل جميع العلوم الرياضية والطبيعية فهو إذن وراء الطبيعة ليس قاصرا عليها وأيضاً هو يدرس بعد علم الطبيعة لأن الأمم عادة تدرس الرياضيات ثم تقرأ الألهيات وما الألهيات إلا العلوم التي هي أعم من هذين . فقرة الله ومعرفة الروح وما أشبه ذلك . كل ذلك لا يخص بعلم واحد فاذن العلم الرياضي والطبيعي داخلان في العلم الإلهي وهو الذي يزيد التكلم عنه الآن فنقول مستعدين من الرياضي والطبيعي معا . أنظر رعاك الله إلى هذه الأشكال من وجهين (الوجه الأول) أن نظام الشكل الستس في الثلج في الأقطار العلوية الباردة قد قسم أنه ملازم للتدريس والأضلاع الستة وزواياها الستة المنتظمة وهذه الأشكال تنفع إلى ما لا نهاية مع المحافظة على الأساس . رسم الله ذلك الشكل من قطرات البخار المائي الذي احتجا إليه حينما صار ثلجا . أوحى الله إلى الماء وكذلك الحيوان والنبات بحيث لا يعيش شيء إلا به ونرى أننا نجعلنا نحرص عليه ويقول تعالى - أفرأيت للماء الذي تشربون * أنهم أنزلوه من المزين أم نحن للزولن - يمتن الله بالماء ويحوجنا إليه ويؤلفنا بالعطش إذا لم نشربه . لم هذا كله وكان يكفي أن نعيش على حال غير هذه ولكنه ربنا بالماء وملاء علمنا وحكمة وقال انظروا في ملكوت السموات والأرض وقال في الماء على أحد تفسرين - ولقد صرفناه بينهم ليدركوا - وعبر عن القرآن والعلم بالماء . فما نحن أولاء تذكر في الماء لما صار ثلجا فوجدنا أنه بتقوّه الذي لا يتناهى صار مضاهيا لما يتكون منه من النبات والحيوان فالتبت كله بنحو ولد ويموت وهو متوقع فوق ما تاتي أقنوع والحيوان يحس ويتحرك وتتوّه بعد بالآلاف والآلاف وهذا نوع الحشرات قد قالوا انها ستبلغ للليونين . إذن تتوّع الماء صراخه يتوّع ما تركب منه دلالة على وحدة هذا العالم ووحدة صانه ودلالة على اتحاد موضوع هذه الدنيا ألا ترى أن الكواكب كلها من مادة واحدة ولا اختلاف بينها إلا بالتوّع وهذه الجفرة التي تعيش فيها قد أحصوا ما فيها من الشمس الكبيرة فوجدوه فوق مائتين وأربعين مليوناً من الشمس الكبيرة وهناك ما لم يعلم لأن . وهناك مجرات أخرى ولها شمس كهذه الشمس . ويقول العلماء إن تركيب الكواكب متقارب من عناصر بعضها معلوم وبعضها مجهول وكلها دوائر وكلها منتظمة فاذن صار تتوّع الماء كتنوّع النبات والحيوان وكتنوّع الشمس والكواكب والتوابع والأقمار وهذا قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وهذا معنى وحدة العالم الدالة على وحدة الصانع الذي نوع الوحدة لجعلها سارية مع الكثرة فبينما نحن نقول حيوان واحد نراه متنوعاً آلاف وآلاف جميعها يطلق عليها اسم الحيوان فالوحدة إذن سارية في الكثرة هكذا الأعداد للركبة كلها من الواحد الذي بتكراره جاءت الأعداد كلها ومع ذلك نقول مائة واحدة وألفاً واحداً بل قول في العدد الذي لا ينأى إنه واحد إذن الوحدة سارت مع الكثرة لم تقارها وهذا علم الكلام على الوجه الأول (الوجه الثاني) ننظر نظرة رياضية في هذه الأشكال الستة فأتينا نرى عجائب . ذلك أنك تعلم أن هناك إبرا شعاعية ستة لاتقارق شكلاً من الأشكال التي صلت للناس وهذه الأبر الشعاعية أنصاف أقطار الشكل الستس . إن من يعرف مبادئ علم الهندسة يعلم أن كل ضلع من أضلاع الشكل الستس المنتظم كلتي هنا يساوي نصف القطر فانصاف الأقطار الستة هنا تساوي أضلاع

المستس وعليه اذا رسمت خطا فوق كل خطين متجاورين فانك تحصل على مثلث متساوي الأضلاع متساوي الزوايا . إذن هنا عندنا (٦) مثلثات متساويات و (١٢) ضلعا متساويات و (١٨) زلوية متساويات لأن كل مثلث فيه ثلاث زوايا وهي كلها متساويات والأضلاع متساويات وكل زاوية (٦٠) درجة والزوايا الثلاث (١٨٠) درجة ومعلوم أن زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين والقائمتان (١٨٠) كل منهما (٩٠) هذا في أبسط الأشكال وإذا كانت الزوايا التي حول المركز (٦) فبضربها في (٦٠) يكون المجموع (٣٦٠) ألا تعجب مع أيها الذي من هذا الجبال . خلقنا الله وأوحينا إلى الماء وجعل لعقولنا فيه مجالا حين يكتب به في صفحات الهواء . خلقنا الله في الأرض ولكنه خلق لنا عقولا أوسع من الأرض وهي عقول تعجب وقروح بالنظام . هذا النظام الباهر العجيب جعل العلماء الجبال في التساوي فالسواوة والتنصيف والتربيع والأيمان والأثلاث كلها فيها الجبال وقالوا أن أحسن الاشكال الدائرة ولذلك ترى جميع هذه العوالم دوائر وأما كانت الدائرة أحسن الاشكال لأن المساواة فيها لانهاية لها فأصاف أقطارها التي لا تنتهي متساويات وكذلك الاقطار وهكذا البوار التي ترسم على محيطها كلها متساويات وهذه أجمع الاشكال وأوسعها وهكذا الشكل للمكعب فانظره تجد أن له (٦) وجوه متوازيات كل اثنين متقابلين متوازيان و (٨) زوايا بحسب متساويات و (١٢) ضلعا متساويات كل اثنين منها متوازيان و (٢٤) زلوية مسطحة متساويات فاذن فيه (٥٠) من المثلثات وهي ٦ و ٨ و ١٢ و ٢٤ فهذه خمسون فاذن كل ما كان التساوي في الشيء أكثر كان أجمل ولذلك ترى جبال الشجر والزرع كل ذلك لتساوي الاوراق والاغصان والازهار الخ

وهذا الشكل المستس الذي رسمه الله بالتلج من قطرات الماء نرى فيه (٣٦) من للتساويات للمثلثات (٦) والزوايا (١٨) والأضلاع (١٢) وهذا كله في الشكل البسيط فما بالك بما هو أكمل وأتم كالشكل (١٠) المتمم فيه فوق ما تمتم (٦) زوايا أخرى وبها يتضاعف عدد التساوي فيكون (٧٢) وإذا أضفنا إليه الاوراق التي بنت على الأضلاع الشعاعية الاصلية وهي في كل واحد (٥) تصير كلها (٣٠) فيكون المجموع (١٠٢) فاذن هذا الشكل قاق للمكعب وصلر أكثر من ضعفه . أما الشكل الثاني عشر فقد بلغ نحو المائتين . هذا هو سبب الجبال الظاهر في هذه الاشكال فالجبال في هذه راجع إلى كثرة التساوي ولذلك يقول علماء الارواح وعلماء الحكمة ان الارواح بعد الموت تفرح بأمثالها من كل روح شرفة كاملة فتريد أنواتها افراما وتزداد لذات أهل الجنة بازدياد الارواح الواصلة اليهم لأن في تلاقي الاشكال زيادة الجبال وزيادة الجبال هي المسرة والفرح والبهجة والكمال

﴿ نظرة أخرى في عدد (٦) ﴾

قد قسم في أول (آل عمران) أن عدد (٦) يسمى عددا تاما ويانه كما هناك أن العدد إما ناقص ولما تام ولما زائد لجميع الأعداد إما زائفة وإما ناقصة ولاتام فيها إلا النادر وذلك النادر هو (٦) في الآحاد و (٢٨) في العشرات . أما الأعداد من مائة إلى ألف فليس فيها إلا عدد واحد هو التام فالعدد الرائد هو الذي إذا جعنا أجزأه كانت زائفة عنه والناقص هو الذي تنقص أجزأه عنه والتام هو الذي تساويه . مثال ذلك عدد (٨) وعدد (٤) وعدد (١٢) فعدد (٨) أجزأؤه (٢ و ٤ و ١٦) فالجميع (٧) ومعنى هذا أن مضاربيه مضافا إليها واحد من (٢) مجموعها (٧) وعدد (١٢) أجزأؤه (٣ و ٤ و ٦ و ١٢) فهي إذن (١٦) وعدد (٤) أجزأؤه (٢ و ٤ و ١٢) فالجميع (٥) فاذن (٤ و ١٢ و ١٦) عددان زائدان (٨) عدد ناقص أما عدد (٦) فأجزأؤه (٢ و ٣ و ٤ و ٦ و ١٢ و ١٨ و ٢٤ و ٣٦) فانه مركب من (١٤) و ٢ و ٧ و ٤ و ١٠ لأنه مركب من (١٤ في ٢) ومن (٧ في ٤) ومن (٢ في ٣) ولا شريك لهذا العدد في الأعداد من عشرة إلى مائة . وقد بحث العلماء في هذه الأعداد التامة فوجدوها نادرة فربما تمر عشرات آلاف ولا تجد فيها إلا عددا واحدا كما هو موضح في محله

ثم انى لما قرأت هذا العلم وهو المسمى خواص الأعداد قلت في نفسي هل الاعداد مثل التام منها قل كاقبل
الكاملون من بنى آدم و بعد سنين اطلعت على كتاب علم خواص الأعداد لاستاذنا المرحوم على مبارك باشا
فرايته ذكر هذا فقال ان ندرة العدد التام يشبه ندرة الحكماء والأنبياء في الناس . أقول وهذا حتى لأن
الناس جميعا مقلدون والتأندهم المفكرون الذين يسوقون الأهم الى مجدهم . وعليه يكون عدد (٦) من
الاعداد التى لها شأن أعظم وهى نادرة الوجود كما ندر الحكماء . وعليه اختاره الله حين صنع المستسامات الثلجية
جعلها مستسة الشكل ونوع في التسديس كأنه يقول للناس ها هوذا نظائى جعلته على آقن وأندر ما يكون
من الحكمة . إن الحكيم يجعل نظامه على أحسن الصور ويتجافى عن الصور الرديئة والصور المنحرفة لانهاية
لها بزيادة أو بنقص . فاما التامة فهى التى لا تنقص فيها ولا زيادة وهذا هو النظام الموضوع لهذا العالم أصالة
كنظام مستسامات الأشكال الثلجية فاقى رأيها منتظمة غاية النظام فتسديسها النادر الوجود مناسب لنظامها
التام . ولا جرم أن الله بنى عرشه ونظام ملكه على العلم والحكمة ونعم الامر فقال في سورة هود - وما من
داية في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين * وهو الذى خلق السموات
والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء الخ - وقال في سورة أخرى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر -
فترى يقول ان العرش على الماء . ومرة يقول - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - ولا جرم أن الماء على
حقيقته فيه حياة الحيوان المذكور في نفس الآيات وفيه عند ارادة مجازة الاشارة للعلم والانتان فلك الله كله
قائم بالحكمة للعبر عنها بالماء والحيوان خاصة المذكور في الآية السابقة قائم بالماء على حقيقته فاذا كان عرش
الله على الماء فذلك لتدبير الكائنات عامة ولتدبير الحيوان مع النبات خاصة فاذا صارت الآية الأولى والثانية
في معنى واحد . فاذا كان العرش في الأولى على الماء فهو في الثانية للتدبير وللتدبير إلا بعلم والعلم لا يكون إلا
بحقائق ثابتة . ومن أعجب الحقائق للمستدس الذى ظهر سره في الخلق الذى هو تنوع في الماء الحقيقى فين
للماء باعتبار حقيقته وباعتبار مجازته مناسبة فلهذا الحقيقى منظم الاشكال عند مجده . والعلم مبنى على حقائق
ثابتة بديعة والعلم به يحيا العالم والماء به يحيا الحيوان والنبات

فبصانك اللهم أبعدت الماء بتسديس أشكاله وأبعدت نظام الافلاك فجعلت أبعاد الكواكب عن الشمس
كما تقدم راجعة الى عدد ٦ و ١٢ و ٢٤ و ٤٨ و ٩٦ فاذا هذه الابعاد مبنية على عدد (٦) وهو العدد التام
فها نحن أولاء ننظر في هذا الوجود نرى عدد (٦) الذى هو نادر الوجود لأنه تالم قد سرى في أشكال
الماء وفي أبعاد الكواكب عن الشمس وهكذا بما ذكره الله في الآية السابقة في عدد أيام خلق السموات
والأرض جعلهما في ستة أيام ولعل هذا من حكم تخصيص عدد الأيام بعدد (٦) لأنه تالم فكانه يقول ان
ملكى مبنى على أتم نظام والا فلماذا خصص عدد الأيام بعدد (٦) مع ان الأيام ليست كأيامنا فقد يكون
اليوم نحو ألف سنة أو خمسين ألف سنة أو أكثر أو أقل فان الكواكب العليا لها أيام لانعرفها ودورات عظيمات
فلا حد لليوم عند الله فلم خصه بهذا العدد إلا أن يكون لنحو ما ذكرناه والجد لله رب العالمين

﴿ شكر المؤلف لله ﴾

اللهم انى أحبك فقد علمتى على مقدار طاقى . أذكر لك أيها التلى نعمة الله على طاملا جلست على
شاطئ نهر أنى الأخضر الذى هو قرب قريننا (كفرعوض الله حجازى) وأنا أفكر فى أمر هذا الوجود
وذلك منذ نحو (٤٥) سنة قبل تأليف هذا الكتاب وقد كانت سننى إذا ذاك حوالى (٢٠) سنة ولم يكن لى
علم إلا بكتب النحو والفقه وبعض علم التوحيد الذى هو بطريقى جدى لا يفيد فتارة أصلى وأدعولته بعد
الصلاة أن يعلى نظام هذا الوجود الذى أراه فى نظرى لانظام له ومرة أبحت حسى أن أجد حيوانا فيه شبه
نظام هندسى استدلت به على أن للعالم صانعا وانى أذكر الآن أنى مرة وجئت حشرة عليها خطوط هندسية

الله عز وجل . مضت سنون وأنا أطلب من الله أن يسلني وكان اليأس قد قلب حتى ولكن الدعاء مستمر فأجاب الله الدعاء وحقق طلبي بعد اليأس ولقد يقول - خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون - سبحانه اللهم وبحمدك اجبت دعائي فلا أعلن شكرى ولا بشرك أبداً لك فطمع علماً فينبأ أنك إذا رأيت شيئاً مما أذكره في هذا الكتاب قد عسر عليك فهمه ووجدت في صلوئك حرجاً واشتقت أن تعرف أصل العلم التي ذكرت منها ما اشتقت إليه فأبشرك بأن بخاتمك شك في أن الله سيعلمك . واعلم أنك كلما اشتدت شوقك للعلم كان ذلك دلالة على أنك ستال مطلوبك . فانظر لما روى عن النبي ﷺ أنه قال (لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات والأرض) فهذا أنا ذا حين كنت على شاطئ البحر أفكر في نظام هذا الوجود كيف كنت غافلاً عن نظام عيني وبقيت الخلل الملتصق الذي شرحته في أوائل هذه المقالة . وكيف كنت أغفل عن نظام النبات والحيوان وكلاهما حاضر لدي . وكيف كان التلجيم يتر فوق رأسي على يد ربحا كان (١٥) ألف قدم أو أقل أو أكثر

ألم تر إلى ما جله في الكتاب الإنجليزي السابق الذكر أن التلجيم يكون دائماً عند القطعين فوق الأرض مسافة (١٢٠٠) ميل ويكون التلجيم للسان مرتفعاً في الجوف أعلى فاعلى كلما اتجهنا جهة المدارين . في بلاد (اسويزرلند) فوق (٩٠٠٥) قدم وفي (البرنيس) كذلك وفي (أرلات) ١٤٠٠٠ قدم ١٦٠ ألف قدم فوق بعض جبال (هالايا) قال وقد يتكون التلجيم في منطقة الاعتدالين على بعد (١١ و ١٢) ألف قدم ولكن هذا ليس من التلجيم للسان واللسان هناك يكون أعلى من هذا البعد . فاذن أنا حينما كنت على شاطئ أبي الأخضر أبحث عن نظام وجمال في الطبيعة قد كان يحيط بي الجبال وأما أغفل عنه فالنظام في جسمي وفي النبات حولي وهكذا الحيوان وهكذا ماء نهر أبي الأخضر الذي يصير بخاراً ويعود في الجوف . ومعلوم أن بلادنا في عرض (٣٠) درجة فالتلجيم يكون دائماً أو غير دائم في الطبقات العليا في الجوف التي تبلغ فوق عشرة آلاف قدم . إذن النظام كان يحيط بي ولكن الجهل هو الذي حال بيني وبين هذا الجبال أيها المسلمون إياكم أن تناموا عن هذا الجبال واعلموا أن في هذا الوجود من الجبال والبهائم ما هو مستور هنا جيباً - وفوق كل ذي علم عليم - والحمد لله رب العالمين

(ثلاث زهورات زاهرات باهرات ناضرات بهجات لزيت بها هذه القالات المنشآت في رياض العلوم)
(الزهرة الأولى)

تبين من هذه المباحث السابقة في الأشكال المستديرة الثلجية أن الشكل الأول منها ساذج لاحتية فيه ولا زيادة على ما كان من المثلثات الستة وزواياها المتساويات الخ . ويزيد عليه الثاني بتلك الزيادات القائمة على أنصاف الأقطار للشكل المستديري وهكذا لازال الأشكال تتزايد درجة فدرجة وجمالاً جفلاً حتى انتهت إلى أجملها شكلاً وأبهىها حسناً وأبدعها نظاماً مما قد حوى ما يشبه الأوراق المتناسقة المترادفة المتساوية للبدعة بنائية الاحسان والجمال . فهذا الابداع القوي ظهر في الأشكال الثلجية في الأقطار الجوية الباردة فوق رؤسنا قد فتح لنا باباً من العلم نلج منه إلى مكنونه ونوزن ما بين هذا وما بين السلسلة الحيوانية والنباتية ونقول لقد رأى الناس السلسلة الحيوانية لها أدنى ولها أعلى ولها وسط فهي سلسلة أدها أقرب إلى عالم النبات وأبعدها أقرب إلى الانسان . ونرى الاسود والنور أرق من عالم البهائم وعالم البهائم أرق مما هو أبط منه حتى نصل إلى أدنى الحيوان مما يدب على العود من السود وما يكون منه في بطون الحيوانات الكبيرة فنرى تلك السلسلة متناسقة متناسقة لها أدنى ولها أعلى . الله أكبر الله أكبر ظهر العلم وبهر واذهرت به الأجيال المقبلة وأشرقت شمس غاب ليله . يا محبا للعلم التي نعيش فيها * قال الشاعر

فقل لمن يدعى علما ومعرفة * عرفت شيئا وغابت عنك أشياء

نظر الناس قديما وحديثا هذه السلسلة فقال قاتل منهم إن هذه جاءت بطريق التشوق والارتقاء ومعنى هذا أن الحيوانات العليا كانت في الأصل حيوانات أقل ثم تولاها التغير والتبذل بالوسط والبيئة والانتخاب الطبيعي والحوادث الطبيعية فارتقت طائفة وبقيت أخرى مكنتها فكان أعلاها القرود وعلا عنه الإنسان بهذه الوسائط . هنالك علماء القرن التاسع عشر . أما علماء القرن العشرين فقد قالوا . كلا . إن هذه القضية كاذبة واستدلوا بحشرة أبق دقيقي وقالوا إنها تكون دودة ففيلجة أي (شرقة) وهي عبارة عن كرة منسوجة من خيوط كتلك التي ترى في دودة الحرير ثم تكون حشرة كاملة فهاهي ذه هذه الحشرة لم تنتج إلى آلاف آلاف من السنين لتنتقل من حال الدودة إلى حال الحشرة بل كان انتقالها في زمان قليل يسد بالأيام . إذن ليس يلزم في نظام الحيوان أن يكون أعلاه مشتقا ومرهقا عن أدناه وقالوا أيضا أن الذي نراه في غرائز الحيوان من الرأفة والرحمة ودقة المنع يهتزنا أن نجبر جوبلا فكيف يتسنى لنا أن نقول إن الانتخاب الطبيعي هو الذي أوجب هذه للتراتب الحيوانية ونجد هذا المقام مذكورا في سورة (آل عمران) في أولها عند مبحث للحكم والمنشابه في الطبيعة في بيان قوله تعالى - هو الذي يسوّركم في الأرحام كيف يشاء -

إن النظر في هذه الأشكال المستمرة الثلجية التي كلاتها فيها يؤيد أقوال علماء القرن العشرين في مسألة السلسلة الحيوانية الذين ذكرنا منهم (٢٠) علما في هذا المقام الذي ذكرناه لك في سورة (آل عمران) أن هؤلاء العلماء يقولون إن البط يعم لأنه وجد نفسه أرجلا مفشاة تصلح للوم وأن هذه الحيوانات أصنعت قبل اللوم وهذا كلام أحدهم العلامة (أدمون برييه) في مجلة (العالم الحي) سنة ١٩١٢ ولاجزم أن مستنات الأشكال الثلجية لم يكن ارتقاء أملاها عن أدناها بطريق النشوء بل وجد أعلاها ووجد أدناها من غير أن يكون الأعلى كل أدنى ثم أخذ يرتقي عنه تدريجا بل هي سرعة التركيب سريعة الزوال . إذن هذه الأشكال تؤيد قول علماء القرن العشرين وتوضح برهانهم وتزيده حسنا . انتهى الكلام على الزهرة الأولى

(الزهرة الثانية في الكلام على حسن النظام ومجموعه)

اعلم أن جلال هذه المستنات يأخذ بالأبواب ويهيج العقول . ولقد ترى العلماء يعجبون للبحث عنه ويعجبون لماذا لما فيه من دقة الصنع وأت خبير أن هذا الجلال الذي رأيته في الأشكال نشاهد نحن مثله في سفرنا وحضرنا وشبابنا وشيئنا . ألم ترى ما هو أجل من هذه الأشكال فانه لم يزد عن أوراق الشجر في الحسن والكمال . ترى أوراق الشجر صلبا ومساء وكل غصن من شجرة عبارة عن محل هندسي تساوت أبعاد نهايات الأوراق المتقابلة عنه حتى يمكننا وصفه بليل الهندسي بموجباً فأن ظهر المحل الهندسي الذي شرحت لك في جسم الإنسان . قد ظهر في أوراق الشجرة المحلية لأغصانها النباتات على جوانبها المتناسبات الأبعاد عنها كتناصب العينين والأذنين فياقتننه . إذن نحن مغضوبون في الجبال فالجبال العالم يحيطان ويعتبان وهما يشاهدان نظم الكواكب جيها والشمس والقمر وهي تجري بنظام ويشاهدان المحال الهندسية في أجسامهم وأجسام حيواناتهم وحشراتهم وفي الأعشاب وأوراق الأشجار وأجمل الناس يرى ذلك النظام في الأنبيسة التي يبينها الناس ليعيشوا فيها . ولذا كان الأمر كذلك فيقال لماذا إذن اهتم الناس بالأشكال المستمرة في الثلج (الجواب) اعلم أن الناس على مقدار معرفتهم ودقوا في الجبال قد سجدوا عنه فالناس يقدون ويروحون في وسط البهجة والنور ولكنهم جميعا عنه محجوبون إلا قليلا منهم وإنما سجدوا عنه لأنه مأثور فأنهم يخلطون صغارا وهم يشاهدون ذلك الجبال ولا عقل عندهم ولا تمييز فاذا كبروا وكبروا وهم يأفون هذه المناظر فقط اعتبارها عندهم فلم يكتفوا بها وإنما يفرحون بما غاب عنهم ونقد كسالة الأشكال

الثلجية فتلك الأشكال يرونها برهة ثم تقيب عنهم ثم من ذا الذي يراها إنما يراها الذين في الاقطار الباردة وقليل منهم من يفكر فيها ويصورها فأشكال الثلج أشبه بالكلمات التي يكتبها للعلم لتعليمه في الوصح يقرؤها ثم يحسوها . هكذا فعل الله لنا . رأينا على الأرض كالصبيان الذين لاعلم عندهم فرسم لنا الثلج بأشكاله المنظمة وقال لنا هذا هو عمل نظام هديع وترتيب سريع وتماسق غريب ودروس لكم حديث ثم يحسوه وهكذا هذا ما يتعلق به لسان حال الاشكال الهندسية الثلجية النادرة الوجود والا فنحن خلقنا في عالم كله نظام وأجسام مهيمنة بمقدرة مسواة مهنمة حتى انك لتهى السلم في صلاته لثثة اقدان الاجسام الانسانية يمثل في قيامه الخط المستقيم ويقرأ في فاتحة الكتاب وهو على هذه الحال - اهدنا الصراط المستقيم - فهذا السواء مناسب للاستقامة في الوقوف . ويمثل في ركوعه الزلوية القائمة . وفي سجوده تكرن له مثلثات مثل ما بين ساقيه فذلك مثل متساوي الساقين . ومثل ما بين ساقيه وقدميه والارض فهما مثلثان أيضا متساويا الساقين ساقى هو الساق الانسانى وساق آخر خط وهمى على الارض والقدم تمثل الخط الثالث . هذا ما أدرت ذكره في الزهرة الثانية

﴿ الزهرة الثالثة . حكمة الجبال في هذا الوجود ﴾

اعلم أن الجبال البارحة في هذا الوجود على ﴿ قسمين ﴾ جبال للعموم وجبال للخصوص . أما الجبال التي للعموم فهو الجبال التي أبدعها الله في الوجوه الجبلية النادرة للثال والاصوات البهجة الشجية القليلة الظير إن الله عز وجل لم يدرأته من الام إلا هيا لها من الصور الجبلية والاصوات البديعة ما به يصوب حلیمهم ويرقق نائمهم وتحيا قواهم اخبوية الكامنة فيهم فيبيجها في الغالب لتعجاب الجنسين وإعجاب القرية والسوى لما يؤدى تلك وما الصور الجبلية ولا الاصوات البديعة إلا نتائج الهندسة والحساب والنظم . فطعمك لم يكن البارحون والبارعات في جبال الوجوه إلا لتناسب الخدين والأنف والعينين والشم ففى كل التناسب بين هذه الأربعة كان الجبال بارعا ومتى قصص كان القبح على مقدار القص - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة - فاذا رأيت وجهها فاق الوجوه فاعلم أن عينك قد نقلت صورة ذلك التناسب التام الى المخ فأدرتكم النفس وعقله جيلا فعضته لأنها من عالم الجبال وكيف أدركت هي الجبال إلا اذا كانت قد فهمت دروسه في عالم غير علنا فأتى هندسة وأتى حساب قرأه كثير عزة ومجنون ليلى وقيس ليلى وهم لا يسمعون باسم الهندسة ولا يقولون علم الحساب . هكذا ترى للجبال والعلماء جميعا يسمعون الأكلان والمغنى يشرب على العود فيطربون وأكثروهم لا يقولون لم يلربون . هم لا يعلمون أن المغنى والضارب على العود قد أتيا بحركات وسكنات موزونات متناسبات متاسقات مثل ما يدهاه في بيت من الشعر سابقا في هذا المقام

ليس يعلم سامعو ضارب العود أن بين أوتاره في الثقل والخفة نسبة معلومة مطردة كما لا يعلمون أن بين الحركات والسكنات نسبة هندسية مثل التي ذكرت لك في بحر الطويل

لقد قرر في علم الموسيقى أن كل النغمات في جميع العالم من عرب وعجم ترجع الى النسب كما قرره علماء (اخوان الصفا) فاذا جاء في النوع من الغناء للسمى (بالمأخوري) الذي يشبه في حركاته وسكناته بحر البسيط إن نسبة متحركاته الى سواكنه كنسبة (٧) الى (٥) و(١٤) الى (١٠) و(٢٨) الى (٢٠) وهذه أشبه بما تقدم في بحر الطويل وحاصل ضرب (٥ في ١٤) يساوى حاصل ضرب (٧ في ١٠) فانه يتبين لك كيف يكون السماع في طرب من أمر محسوب منظم وهو يجهل ذلك الحساب كما يجهل الناظرون للجمال حساب الأعضاء في الوجه والنسب بينها . فالتاس جميعا يحبون الوجوه الجبلية والاصوات البديعة المشجية والنغمات للموزونة وهم يجهلون لماذا ابتهجوا بجمال الوجوه ولماذا أسكرهم جمال الصوت والحقيقة أنه لا فضل لجسم ولا لصوت لأن الأجسام والاصوات في حد ذاتها لا بهجة فيها وإنما البهجة والجبال لذة الحساب

والنظام والنسب • رجع الأمر أوله وآخره الى أن قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - هو سر جمال هذه الدنيا سواء أكان في الثلج المسدس • أم في بيوت النحل المستطالت • أم في نظام السيارات الجاريات حول الشمس التي قترها العلماء كالعلامة (بود) في أوائل القرن التاسع عشر بأنها تبعد (٣ و ٦ و ١٢ و ٢٤) وهكذا كما قتم فهي إذن راجعة الى نظام التدريس الذي اعتبره علماء قساة المصريين في حساب القندان وفي حساب الأبطال وفي حساب المكيال قتلوا الرطل (١٤٤) درهما وهو (١٢) أوقية كل منها (١٢) درهما فكأنهم نظروا للتدريس في أبعاد الكواكب التي عرفها علماء أوروبا اليوم وقالوا الأردب (١٢) كيلة و (٦) وبيات وقالوا القندان (٢٤) قيراطا والقيراط (٢٤) سهما • فلذن نظم الناس مكاييلهم وموازينهم ومساحاتهم بنظم السموات في أبعاد الكواكب مشاكلة لنظام ربهم

وهكذا عدت الأيام التي خلقت فيها العوالم سنا مشاكلة لنظامها • كل ذلك يشمله قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - إنا كل شيء خلقناه بقدر - وهذا انهي الكلام على الجبال العلم وبيان أسبابه

﴿ الجبل الخالص ﴾

أما الجبال الخالص فهو الذي اختصت به طاقة الحكماء • وهو الذي أبدعه الله في الطبيعة ونظام العوالم وهو الذي اشتمل عليه هذا التفسير الذي جعله الله رياضاً من رياض الجنة يترى فيها أناس لا يزالون في الأصلاب وفي الأرحام ومنهم أحياء الآن يقرؤن فيطربون شوقاً الى جبل العلم وبهائه الحكمة وبهم يكون في الشرق وفي أم الاسلام رجال يقودون هذه الشعوب الاسلامية للتأخرة الى سبيل النجاح وهذا الجبال الخالص على نوعين نوع هو أخلاق فاضلة في قوس كريمة تكون نموذجاً للقنوة والسياسة الحسن وهم الصالحاء • ونوع هو الحكمة وجمال العلم ونظام هذا الوجود القوي ظهر بعض سره في هذا الكتاب • إن لسان الحكمة أبلغ من لغة الألسنة • وإن تعجب مما ستمعه من بلاغة اللسان فيما حكاه الأصمى وغيره فأعجب منه منطلق لسان الحكمة المسرع لأولى الأبواب في السموات والأرض الرموز له بقوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً - فإياك أن تحف على بلاغة اللسان فلا تفقه بلاغة لسان الحكمة في الأكوان • ولأذكر لك ما حكاه الأصمى كما وعدتك من بلاغة اللسان قال

كنت أطوف بالبيت إذ سمعت فتاة في الرابعة عشرة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول ﴿ اللهم اغفر لي ذنبي كله • قتلت قتيلاً لغير حله • كزالت في دله • وهلال في شككه • في منتصف الليل ولم أصل له ﴾ قال الأصمى رحمه الله ما أبلغ هذا الكلام • قتلت أوتمة هذا بلاغة بعد قول الله تعالى - وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين - ألم تر أن فيه أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين • الأمران أرضعيه وألقه • والنهيان ولا تخافي ولا تحزني • وانخبران أوحينا وخفت • والبشارتان - إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين -

وهكذا أذكر لك ما حكاه غيره قال سمع اعرابي رجلاً يقرأ - والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله وانه غفور رحيم - فقال ليس هذا كلام الله كيف يضرب وقد قطع اليد فتدرك الأريء وقال - والله عزيز حكيم - فقال هذا حق لأنه عزّ حكيم فقطع ولوغفر ورحم لم يقطع

هاتان القمتان نبتان من بلاغة اللسان العربي في القرآن وهذا جبل ولكن الوقوف عند جمال اللفظ قص لأن جمال اللفظ كجمال الثياب والخلي والمقصود الأكبر جمال الأخلاق فإذا دلّ ظاهر الانسان وجمال ملاسه على ذوقه وحسن اختياره فليس الدليل بمساو للذلول عليه في القيمة وليست للتنمة كالنتيجة • وإذا أحب الناس جمال الوجوه فما ذلك إلا لأنها غالباً تدلّ على جمال البواطن والأخلاق • فالتصود في العالم الانساني أخلاقه ومواهبه لاملأه وحلاه • قال الشاعر

ليس الجبال بأثواب تزيينا • إن الجبال جبال العلم والأدب
(وقال السموت)

ليس الجبال بمنزلة • فاعلم وإن رديت بردا
ان الجبال عحاسن • ومثاقب أورثن محمد

فإذا كان هذا في حال الانسان فهكذا حال القرآن فان جبال اللفظ بحسن البلاغة لم يكن إلا مقدمة
واللفظ لباس للنبي والمعنى هو المقصود فمن وقف على ظواهر البلاغة فهو من العالمة والجهلاء ممن يقف من
الانسان على ظواهر ملابسه ولا يدرك أخلاقه وعالمه • ومماثل الذين يضيعون حياتهم في ظواهر البلاغة
إلا اكمل الحاج يضيع زمانه في إعداد الزاد والراحة مستكثرا من ذلك وقد فاته الركب فلهزل وطره من مقصده
الأعظم وهو الحج • وسيكثر أولئك الذين يدركون عجائب هذه الدنيا بعد نشر هذا التفسير في أمة الاسلام
ويطربون شوقا إلى الحكمة ولا يكتفون بعلم البلاغة وحده الذي وقف عنده الأكثرون • وما جبال البلاغة
إلا حلية الألفاظ كتساب الخبيرين والبشاريين الخ فيها تقدم وكناسية العزة والحكمة لقطع فيما تقدم أيضا
وأى شيء هذه وما شاكلها بالنسبة لنظام الحكمة والإبداع فيما خلقه الله في هذا الوجود من الحساب والاقان
الذي تضمنته آيات القرآن من العجائب التي لا تحصى كقوله تعالى - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله
إلا بقدر معلوم - وقوله هنا - وكل شيء عنده بقدر - وقوله - أولم ينظروا في ملكوت السموات
والأرض الخ - فمن اكتفى من ملكوت السموات والأرض بما ظهر من البلاغة في الألفاظ كما في الروايتين
المتقدمتين فهو (اذا كان ذكيا قادرا على الفهم) من - الأخسرين أعمالا • الذين ضلّ سبيهم في الحياة
الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا -

إن الجبال الخالص كما قدمنا ينمّله الصالحون بأخلاقهم والحكماء بمباحثهم في هذا الوجود والأولون أشبه
بمن جلت وجوههم والآخرون أشبه بمن حسنت أصواتهم في الجبال الظاهري التي قدمناه • وحكماء الأمم
الاسلامية الذين سيظهرون ان شاء الله بعد نشر هذا التفسير وأمثاله هم الناطقون بلسان الحكمة الذي هو
أبلغ وأبدع وهم الناظرين في ملكوت السموات والأرض وهم الذين يظهرون للمسلمين سرّ قوله تعالى
- وان من شيء إلا يسبح بحمده - إن تسبيح المخلوقات لربهم لا يظهر إلا بدراسة جميع العلوم وفي هذا التفسير
قبسة من نوره بما يعرف المسلمون بعض تسبيح المخلوقات • إن أهل الحكمة هم الذين يسمعون الناس
ألفانا تبههم وتسبحهم أكثر ما تبههم ألقان الموسيقى • واذا بهر الناس أصحباب الأصوات الجميلة فان
أذكىاهم يسبحهم يان الحكماء وصوت للفكرين فيفيقون من غفلاتهم ويستيقظون من نومتهم وسترى
أبها الفكي كيف يقوم في العالم الاسلامي من الحكماء من يوقظون هذه الأمم الاسلامية الغالمة ويعيرون قواها
العقلية أكثر مما تحي وجوه البارعين في الجبال ونغمات الملحنين القوي الحيوية الانسانية • فكما تهيج القوى
الحوية في الأمم بالصورة الجميلة والأنغام الشجية هكذا تهيج القوى العاقلة في الامم الاسلامية لدراسة العلوم
وكمال النفوس والوقوف على الحقائق واتقان الصناعات بسلام صوت الحكمة ولسان البيان العلمي وفيهم
الناس قوله تعالى - وان من شيء إلا يسبح بحمده - فهذه العلوم التي أشرنا إليها في هذا التفسير يكون
بعض فهم التسبيح بحمد الله في الوجود ومتى فهم الناس بعض هذا التسبيح بالعلوم ارتقوا في أعمالهم كلها
دنيوية وأخروية • كيف لا والتسبيح بحمد الله يرجع لتزنيه عن صفات النقص بوصفه بصفات الكمال
وهي التي توجب الحمد • وكيف يحمد الناس ربهم إلا على نعم عرفوها ولا معرفة لعمدة إلا بدراساتها ومتى
درسوها انتصوا بها ومتى انتصوا بها كان ذلك شكرا لأن الشكر صرف العبد جيع ما أنعم الله به عليه فيها
خلق لأجله وكيف يصرفه فيه وهو مجهول • إن الله عز وجل أذن للمسلمين بالارتقاء والارتقاء بالعلم وبالعلم

يعرفون هذه الدنيا وهذا التفسير من مقدمات هذه النهضة المباركة إن شاء الله تعالى قلنا ان المفكرين يقولون في الأمم كما يقل ذوو الأصوات الجبلة والأولون يحبون القوى العظيمة كما يحب الآخرون القوى الخفية قلنا انهم سيكونون في أم الاسلام وقلنا ان هذه الأمم ستجاء بعد ملامت في زماننا وفيما قبله . وأريد الآن أن أختتم هذا المقلم بحكاية ذكرتها في كتاب (جواهر العالم) ذلك أنه قد أخبرني شاب مصري من أبناء بلادي كان حاكما في بعض بلاد السودان قال سمعت طائرين يتناوبان الغناء على الأشجار بنغمات موزونات كما توزن نغمات العبدان وهما زوجان فرحان بتلك النغمات قال فأمرت الجنه فاصطادوا أحد الزوجين ولم يتمكنوا من صيد الآخر قال وبات الزوج المسيد عندنا الى الصباح فلم نسمع صوته ولا صوت صاحبه الذي على الشجرة وماطلع الفجر حتى رأياه خرا صريعا في قصه حزنا وكدا فيحشا عن أليفه فوجدناه أيضا قضى نحبه في شجرته . هذا ما ذكرته هناك وأقول الآن هذا مثل ضربته للحكيم والحكمة فهما زوجان لا يفرقان فالحكيم يموت اذا لم تكن الحكمة والحكمة تموت اذا لم يكن الحكيم كما مات أحد الزوجين الجبلي الصوت إذ ظفرت أليفه وغاب عنه أليفه . اذا غابت الحكمة عن الأمم أغلقت همسها وجن ليها وأقل سعدا كما غابت عن الأمم الاسلامية المتأخرة وستشرق شمس العلوم والمعارف من الآن وتسحر أصوات الحكماء والمفكرين قلوب النفوس الشريفة فيحيون الشرق بدموته . ولتعلن نبأه بعد حين - والحمد لله رب العالمين

(ثالثة) جاء في بعض المجلات ما يأتي

(فوائد وفكاهات . علنا الجيب وبعض أخباره . أخبار علمية)

عرض الأرض أوسع من طولها (٢٧) ميلا وهي مغناطيس أى جسم جاذب لأنها تجذب وتجنذب . وتكتسب جاذبيتها من الشمس التي هي نفسها مغناطيس أيضا أى تجذب الأجرام للدوران حولها . أعظم جب حفر في الأرض يبلغ عمقه (٦٥٧٠) قدما . عمر الأرض (١٥) مليون مليون سنة . وآخرون يقولون عمر الأرض مائة مليون . إن الهولاء يمتد لارتفاعا الى علو خمسة ميل فقط . أعلى غيم يصل الى نحو عشرة أميال فوق رؤسنا . أعلى علو استطاع أن يصل اليه الانسان (٧) أميال فقط . (يقول المؤلف ولكن الطيارات لو تقف أعلى من ذلك) . أبعد محل يسكن فيه الانسان شمالى سيرايا الشرق . أشد الأماكن حرا على الأرض صحراء أفريقيا حيث تصل درجة الحرارة الى (١٢٢) . قدمضى على الانسان وهو يسكن الأرض مدة مائة ألف سنة وغيرهم يقول أقل . عدد سكان الدنيا مليار ونصف ويموت منهم كل سنة (٣٢) مليون تقريبا مائة ألف كل يوم وأكثر من أربعة آلاف كل ساعة . ولكن كل (٦٧) شخصا يموت في كل دقيقة يولد بهما سبعون طفلا . فالحساب يكون كل مائة سنة يهلك عشرة ملايين شخص واحد ويلاقيها ثمان فيسبحان الباقي . أطول حياة في الدنيا حياة الفيل الذي يعمر قرنين . أقصر حياة حياة (ذئبة أذخر) التي تولد وتموت وتلد وتموت في (٢٤) ساعة فقط أو أقل . معدل حياة الانسان (٣٣) سنة وربع البشر يموتون قبل السنة السادسة ونصفهم قبل (١٦) ولا يعيش (٦٥) سنة إلا انسان واحد في المائة . انتهى

(الطيفة السابعة في قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه الخ -)

اعلم أن الآية ليست خاصة بشئ واحد مما خلق الله في هذا العالم بل للحفاظات للانسان أنواع كثيرة . ولا ضرب لك مثلا بالنبات . لقد ظهر في العلم الحديث أن النبات لا يتحصن الأغذية من الأرض بلا مساعدة فان هناك في تربته أنواعا من الحيوانات الصغيرة المسماة (المكروبيات) تجدد في تفتت الأغذية والناصر الأرضية وتحت كل نبات منها ما يلحصى من هذه المخلوقات الحية فهذه تفتت الأغذية تفتتا دقيقا لتصلح

لامتصاص الجنود لها واخذن نحو الثبات • ولذا كان هذا شأن الثبات فكيف تكون حال الانسان
 إن الله جعل كل ماحولنا ﴿ قسین ﴾ ضارا ونافعا ولا تارك لما كما قال - ومن كل الثمرات جعل فيها
 زوجين اثنين - فليس من نبات ولا حيوانات ولا حجر ولا شجر إلا وهو بالنسبة لنا على هذا النوال • فترى
 الحيوانات المنيقة في أجسامنا ﴿ قسین ﴾ قسما يسمى الكرات الحمراء وآخر يسمى الكرات البيضاء • فأما
 الكرات الحمراء فهي حيوانات تعد باللايين ما نرى دما نجرا وهي فيه عائمة لاصلاحنا وبقاء حياتنا • فأما
 الكرات البيضاء فهي كثيرة العدد قد أعتدت ثلاثي الخطر ودرء الهلاك فلذا أقبلت على الجسم مكروبات
 ضارة في حي أو نحوها أخذت هذه البيضاء تقاتلها وتهجم عليها فلذا ماتت هذه خلفت جندا وراءها وهكذا
 نسل بعد نسل وجيل بعد جيل • وكلما تأسلت الأجيال كان الأخير منها بما ورثه عن آباءه أقوى شكية
 وأرفع قيمة وأرق عزيمة في اخراج الحيوانات المهلكة الضارة فلا تزال في قتال وأجيالا وأجيالا ولتلك
 ترى الأطباء يعقنون المريض بالجذري وغيره وهذه الحقن تبعث في الجسم الغارة الشعواء ويحتدم القتال
 فتقوى تلك الجيوش البيضاء للبرية على القتال فلذا حاجتها جيوش أخرى بعد ذلك كانت أقوى على غلبتها
 ومماثل التقيح لأجسامنا ولأجسام حيواناتنا إلا كتل تعليم الجندية • أو كتل فتح مدارس الحرية واعداد
 الواقع العملية في المناورات الحربية ليستشدت ساعد القتالين وقوى قلوب المجاهدين • فهذا مثل ضربه لك
 من أمثال الجود المجدبة المتعاقبة على صيانة الانسان وحفظ حياته • وترى حواسنا كالسمع والبصر والشم
 والذوق قد ميزت الضار من النافع • فترى أهلب العين تمنع التراب وتدخل الضوء • وترى شراب الألف
 تمنع البرودة أن تصل الى الخياشيم فيكون الزكام • وقد نص الأطباء في زماننا أنه لا يجوز تنف هذا الشر
 وهكذا ترى حاسة الذوق تعرف ما يلائم من الأطعمة وتفر عما لا يلائم وهكذا حاسة الشم • أفليس هذا كله
 من نوع الحراسة والحفظ • وإذا قال الله - إن كل نفس لما عليها حافظ - وقال هنا - له معقبات من بين
 يديه ومن خلفه - فهذا مثل من أمثال الحفظ والحراسة • وترى أن من الحيوانات ما يذيق الموت كالخشرات
 المؤذية ببلاد السودان فإن لها قوة سمية تنوم الانسان ولكن لا تكون إلا في نادر منها فقد أخبرني طبيب
 أن هذه القوة لا تكون إلا في واحدة من خمسمائة وعملها كعمل العيران واللموس • فهذان النوعان ينقلان
 الأمراض للعنية من جهة الى جهة فتجد الناموس يمتص الدم من زيد ومتى جثم على عمرو اختلط الدم بالدم
 فمرض الثاني يمرض الأول • وهكذا هذه الحشرة تنقل مرض النوم من رجل لآخر وهذا المرض يبقى كلهنا
 في الانسان أياما وشهورا وأعواما ومتى ظهرت أعراضه نام أياما وأياما ثم يعتره الانحلال
 هذه جنود الاهلاك أشبه بالحيوانات المؤذية في الجسم فلذا رأيت الكرات البيضاء في الدم قد ساعدت
 الكرات الحمراء على قتال الحيوانات المجدبة لأنواع الحمى والجذري وجيع الأمراض القاتلة وحدث هناك وطيس
 الحرب التي يتج من الحرارة القوية في الجسم من شدة القتال فهكذا هنا قد سلب الله جنودا على هذه الجنود
 الحيوانية فلم الناس كيف يفتكون بالناموس بأن يصلحوا البلاد ويردعوا المستنقعات والبرك • وأهمهم في
 أيام الوء الحاج من حيوانات صغيرة أن يستعينوا ببعض الأدوية بشرائط خاصة كالنظافة واستعمال الزيت
 لاسيا للتخذ من الزيتون بشرائط خاصة فهذا قاتل لك المكروبات وهكذا لما لا مجال له إلا علم الطب الواسع
 ولن تجد ماحولنا من سام أو ضار إلا وله دواء يمنع فعله • فهذه الأدوية جيوش وجنود معقبات للجيوش
 للوقفة بنا ضرا • هذه نبذة من العلم المحسوس

﴿ الأحاديث النبوية ﴾

فلذا سمعت قوله ﷺ كما في البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﴿ يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم

وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ﴿ ولذا سمعت أن لنا ملكين ملكا عن الصين وهو صاحب الحنات وملكاً عن الشمال وهو كاتب السيات ﴾ . ولذا سمعت في أقوال علمائنا أن ملكاً موكلاً بيني العبد يحفظهما من الأذى وملكاً موكلاً فيه لا يدعه يدخل في فيه شيء من الهولم يؤذيه وأمثال ذلك فاعلم أن ذلك من هذا الباب . ولذا كان النبي ﷺ ذكر لنا ملائكة النهار وملائكة الليل فقد فتح الباب لدرس العالم المحيط بنا ومن العار أن يعيش الإنسان في هذه الدنيا ولا يدرسها إن العلوم الطبيعية كلها دراسة دينية . فلذا أسمعن النبي ﷺ أن للملائكة يكتبون أعمالاً فكأنه يقول لنا إن لكم عوالم لا ترونها ترتقب أسواقكم وهو قد ترك لنا العالم للمشاهد لنبعث فيه فكأنه يقول لنا لدرسوا بمقولكم ولا تسكنوا عالة على غيركم فأنبأكم لم يرساوا لاختلاف عقولكم ولكن أرساوا ليعظموكم فلذا قالوا لكم كل شيء هدر تركوكم بهلاء جهلاء ونحن علينا أن نلحق لكم وزعم وعليك أتم الجهد والاجتهاد وما أعمال ملائكة الليل والنهار إلا إحصاء الأعمال حسنة وسيئة وهذا له نظير مشاهد في العالم حولنا فإن الأمم في المدن العظيمة اليوم قد أصبحت ولاقطرة ماء يشربونها ولا كهر باء يوقنون بها وضيئون بها منازلهم إلا ولها آلة تعتمها كما تعتم البراهم والدنانير وهاتين أولاد نشاهده في بيوتنا ونرى الجهاز للمعد لحساب الكهرباء والماء وغيرهما يفعل مايفعله عقرب الساعة في حساب الزمان . فلذا ورد أن للملائكة يحسبون أخلاقنا وأعمالنا ويحسبونها فليس شيئاً يبدأ بل نحن نشاهد نظيره وهذا سرّ قوله تعالى - وكل شيء عنده بحضار - ومن عجب أن تكون آية العقبات بعد آية - وكل شيء عنده بمقدار - أيضاً لها وتفسيراً وتطبيقاً لهذه الآيات أنزلت لتسوق المسلمين إلى دراسة مايحيط بنا من الجاهل والجنود المجتدة . وليس يعرف المسلمون سرّها إلا إذا توغوا في جميع العلوم فعرفوا مضار الإنسان ومنافعه والجاهل والمتعاقبة على حفظه للملكة لنفسها . أما عالم الملائكة الذي ورد في الحديث فإن الكشف للحديث قد دخل في هذا المضمار .

ألا ترى أن علماء الأرواح كالورد (أوليفرودج) يقولون إن الأرواح تحيط بنا من كل جانب يهيمونا الخبير وقد قال هذا العلامة كماقلناه عنه في كتاب ﴿ الأرواح ﴾ إلى أصبحت موقناً أننا تحيط بنا عوالم عالية نحن بالنسبة لها أشبه بالخل بالنسبة للإنسان وأيقنت لنها من فوقنا ومن تحتنا وهي تهتم بنا أشد الاهتمام فيعجبنا دين الاسلام وأمة الاسلام . يقول الله - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - ويقول النبي ﷺ الذي أمر أن يضر القرآن إن ملائكة يتعاقبون فيكم ثم يحصى علماء أوروبا فيقولون نحن قد كشفنا عوالم تهتم بنا . أفلم يكن الأحق بهذا كله الأمة الاسلامية . إن دين الاسلام هو الذي يطلب هذه العلوم . إن دين الاسلام مظلوم في الأمم التي اعتقته . إن من قرأ هذا الكتاب ولا يذيع هذه الآراء مطالب بين يدي الله تعالى . إن الله يحاسب كل من اطلع على مثل هذا في هذا التفسير أوفى غيره من كتب العلماء ولا يذيعه . إن الله حكم أن لا يبق في هذه الأرض إلا النافعون فلما لم يصلح هؤلاء للمسلمون للخلق في الأرض أزلهم من أرضه واستبدل بهم قوما آخرين . وهاهوذا يسلط عليهم الأمم كما سلط التاموس على البلاد التي لم يصلح أهلها ماحولها من البرك والمستنقعات وكما سلط القباب على عيني من لم ينظفهما وكما سلط الحيات على قوم لم ينظفوا بيوتهم من القاذورات والأبعية الخربات فإن لم يقم المسلمون هذا الوجود طردهم الله منه وأسكن فيه قوما آخرين كما أسكن أميركا الأصليين وأحلّ محلهم أهل أوروبا فغمروها وهم لها مصلحون . فلها نأذ أقول ليعلم ذلك كل قارئ لهذا الكتاب وينشر الفكرة والا فانه هو الذي ياقب القصر الذي يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو شديد العقاب للظالمين

الطليقة الثامنة والتاسعة في البرق والسحاب والرعد وفي قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم

حتى يغيروا ما بأنفسهم -

لا يغيرها من العافية التي هم عليها حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجسيمة بكثرة المعاصي . ومعلوم أن العكس كذلك فإن تغير الأئمة من الفساد إلى الإصلاح إلا بالتربية العامة في الأمة وليس لأئمة سعادة إلا بسوم فكرة الإصلاح فيها وأن يشملها نظم تام وآداب شاملة . فأما إذا ارتقى فيها قوم وتركوا المجموع فذلك المجموع يصبح مفكك العرى لعدم الشام الأخلاق ولذلك عوّلت الأمم اليوم على تصحيح التعليم الابتدائي شاد الناس أم أبوا ومن لم يهتم أكرهوه على ذلك لعلهم أن المجموع مرتبط فإذا اختل بضه فالناب آيل للاختلال والازوال . فليقم المصلحون ومن آتاهم الله علما فلينبهوا الأمة وليخطبوا بالإصلاح وليكن تعليم لبلى العامة وليقم كل بما قدر عليه لإصلاح المجموع فليس بغير الله حال للمسلمين من الانحطاط الذي اعتراها إلا بتحويل العقول عن مجراها وتنويرها بالخطب والجرائد والمجلات وتفسير الآيات تفسيراً يطابق الإصلاح فينبض المجموع فأما إذا بقي للمسلمون على ما هم عليه فإن جهمهم يتداعى ووحشتهم تتصعق فالأمر كله من القلب فإن تنوزر نشطت الأعضاء للعمل وإن أعظم ماتت الأعضاء وكسبت وبكس ذلك إذا كانت الأمة راقية وفيض لها مفسدون فقتلوا لها باب الترف والنعم واحتقار عادات الأمة وأدبها وأخلاقها انحطت الأمة وساء مصيرها - وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا ريب له وما لهم من دونه من وال - ومن أعظم الآثار في النفس التفاؤل والتشاؤم وعلى ذكر التفاؤل والتشاؤم نذكر هنا لقائل الآتي وما هو

التفاؤل والتشاؤم

(للكتاب الأمريكي الأشهر (امرسون) . عربيه بعض أدباء المصريين)

إن الدنيا بخذا فيبرها تنساق إلى التفاؤل للمستبشر إذ كان التفاؤل معث الزينة الماضية والهمة الثاقبة التي كأنها تخفق للره عيين جديدين يرى بهما من ضروب الحيل والتدابير ما لم يكن رآه من قبل . إن للتشاؤم يسكن الجنة يصيرها من جوار سخطه وضجره حيا . ويمكن للتفاؤل النار فيصيرها بفضل انشراحه وعزيمه وسعة تديره فردوسا . وللتشاؤم إذا لبس جلد الفيل وفروه الدب لم يحمه ذلك نفعاً ويظل في يوبه السفه برمش ويرتعد . ينبا الاسكيمو ساكن القطب الشمالي يظن لحسن تفاؤله وانشراحه فرحا طروباً بمأوى نشاطا ومها يصنع لنفسه من الثلج والزهر يرتايا دفيئة

إن الانسان بفطرته وطبيعته متفائل مبال إلى الانشراح والنشاط وهذا التفاؤل هو الذي يجعله صالحا لسكنى هذه الأرض التي لا تهب الا نهب الانسان أدنى شئ من ثمارها وفوائدها إذا لم خلة السخط والتبرم وفطور الهمة والعزيمة وتسخر له كل شئ إذا استشعر الانبهاج والتفاؤل وما يورثه من سعة التدبير والحيلة . ومن ثم يرى الرجل المتفائل النشاط وكأنه جبة علوة بالكفآت والقوى وكأنه قضب مغناطيس فوق كرة من الحديد يجذبها اليه ويتناولها كما شاء . ومن كان هذا شأنه أصبح وكأنه محترق ومستكشف قد أبحر في سيلة ميمونة مباركة يسترشد فيها بخريطة ذهنه ويظل وكأن هذا العالم الأرضي في نظره كله منافذ وأبواب مفتحة ومسالك وفرص ومغانم وكأنه جوهر حساس في كل موضع منه وتر موسيقى يجواب أقل لمسة منه بنغمة مطربة ويقابل كل جسة بفيض سيل من الروح والشعور . وهذا العالم الأرضي الحي الحساس حاضر الحيز سريع السخاء للرجل المتفائل فسواء طرقت بمحراث آدم أو بسيف قيصراً أو بقارب كولومبو أو بمرصد غاليليو أو بمنظار زلطين فلا بد أن يجيبك على كل واحدة من هذه التجارب بأدع جواب وأروعها وإنما بفضل التفاؤل وما يورثه من القوة والقدرة الجبية استطاع الانسان أن يفجر بالخيرات والبركات صخرة هذه الأرض الصلدة ويستخر الطبيعة الهائلة في قضاء ما ربه وأوطاره ويتقلب ويتنصر على المادّة ويسيطر ويهيمن على العناصر ويؤلف من

فلانها نظاما ومن قواضها عاموسا ومن فسادها صلاحا . وعلى الضد من ذلك ترى التشاؤم مصدر الوهن والهجس والقصور والتبلد وفقاً لأعين ويشل الأيدي ويطبق سراج البصائر . وأى خبر فى التشاؤم ومظاهرة الأسود الذى يكسو عروس الطبيعة ثوب الحداد ويحيل مهرجتها مأتماً وبشيرها نعيًا وصفوها صككرا وحلازنها مرارة . ويطلع فى وجهة الشمس الصقيلة بقعة سوداء ويمجرى فلك السود نحسا

هذا العالم الذى نعيش فيه وتقلب بين أعطائه إنما هو مصنع هائل مفعم بقوة الخصب والانتاج التى تؤتى كل شئ باذن القادر على كل شئ . وهل ترى لتناثر الطبيعة من فقاد . وهل حوت مرة أن وزن بالقنطير مياه الجداول الصغير المنسكب فى مزروعاتك هذا على أن الطبيعة لا تبدى لنا من ذخائرها الهائلة سوى القشور وانها من تحت ذلك بيدة الأغوار تقرر أعماق كنوزها بالملايين من القراسخ . ولقد يروق طاقة للتشائميين وليلهم أن يسخرها من مذهب التفاؤل فظاهرها منهم بالفلسفة وادعاء باطلا لذكاء والفضلة على أن آمل للتشائميين البراقة وماتشيد خيالهم من قصور الهواء للزخوة أحسن ألف مرة وأعود بالمنفعة على الناس عما لازال التشائمون يحضرونه من جهور الهم والسكد وسجون المم والشقاء . وماذا يستفيد الناس من التشائميين الذين لا يبرحون ينصبون فوق رؤسهم فى كبد السماء كوكبا أسود يشوهون به لآلاء الضياء وجبال السحب البهجة الأصباغ والألوان . وأى الرجلين أنفع للمجتمع وأصلح من يحرك فيك نسيم الأمل وبشر قلبك روح الثقة وبرد اليقين . أم من يستيك كأس الجزع والأسى ويمررك غصص الكرب والشجن وبذيقك كأس الخوف والقنوط

لقد جعل الله للطبيعة روحا وما روحها إلا الفرح والجلل . ولعلك اذا استطلعت أن تنفذ الى سر الكون ولباب الوجود أثيت قلبا خفلا بالسرور بدفع لى كل نبضة من نبضاته تيارا متدفقا من الجهور والطرب . ولن ترى فى أنحاء الكون موضعا تخله قفرا محبدا إلا كان فى الحقيقة مفعما بالخير والبركة . فأقفر الأمكنة فى نظرك يعتمى من الثروة مالا يكاد يحصى ولا يحد . وأجذب محل فى وهمك لاتنفذ حاصلاته ولا تقنى ثمراته وكل صوت من أصوات الطبيعة يبدأ بلحن وينتهى بنغمة . وكل صفحة من صفحاتها قد زخرف الباري" للصور حواشيها بأبداع الصبغ وأبهج الألوان

لا تعلق على جدران غرفتك الصور المخزنة ولا تشوه أحداثك بسواد الشكوى وظلمة التشاؤم ولا تكتنر من الأئين والحين والظلف والتأفف وكن على أن تظل صالحة تطرب للملأ بموسيقى الأفراح أحرص منك على أن تظل نواحة تبكي بمرآى الأفراح ولا يصدرن منك من القنال والفعال إلا ما يجدد من أمل أو حفز الى عمل أو استنفرة أو استنهض عزيمة

لقد جاء فى حكمة التمداء أنه لن يستطيع مسرة الجلساء من كانت قسه عارية من اللبيرة فان الحديث الخافل بفرر الأفكار ودرر المعاني اذا صدر عن لسان رجل مشائم متبهم كان جذيرا أن يهرك ويروعك ولكنه لن يسرك ولن يفرحك . ولعجب فان الذى يدخل عليك السرور والطرب ليس هو براعة الحديث فى ذاته ولكن حلوة أنس الحديث ورقة شماته وهذه الرقة والحلاوة لن تكون للرجل اللظم الهواه الموحش الجباب . وما ذلك إلا لأن القهن شئ والروح شئ آخر وغير ممكن ولا متظر أن يستطيع امرؤ براعة القهن وحدها اجتذاب الأرواح واستعباد النفوس دون أن يكون له ذلك الظرف الذى ليس إلا من معينه يفيض الطرب والمسرة . وكيف يفرح الناس من أقفرت قسه من الروح . ومن ثم كان أعظم كتاب الفكاهة الذين قتموا الى أبناء البشر أشهى ألوان السرور والضحك على مائة الفنون والآداب كلهم من ذوى اللبايع الفرحة المبهجة والأهزجة الربطة الندية أمثال (شكسبير وموليير وسرفيتير الأسباني) صاحب كتاب (دون كيشوت) وأديسون ودكتور وراييليه وواضع كتاب (ألف ليلة وليلة) وكل هؤلاء على الضد من كتاب

التي كانت للتشاكسين أمثال (فولتير وبيرون وسويفت) صاحب كتاب (أسفار الجفار) وبوب صاحب كتاب (السفهاء) وهابني . أولئك الذين قد مزجوا فكهاتهم بعلم الهجاء والسحرية وحفظ الثقمة والنكال وسوموم القذف والافتداع غرقت مؤلفاتهم أدنى إلى الإجماع منها إلى الاطراب . وأجلب للابلام منها للإعجاب وللإعجاب منها للانداس . بل جاءت أنكى شبة من ابرة القرب وناب الافولون . ذلك إلى الجهم العليل من مساوي تلك المؤلفات التشاؤمية وسوء أثرها في المجتمع مما يضؤل لإزاده كل ماحوت من مزاي وحسنات حتى ذهب فريق من رجال الأدب وجهابذة النقد وأعيان الفلسفة إلى اعتبار مؤلفيها ضمن عوامل الفساد والشر فقال لنا الفيلسوف (نيتشه) أغلقوا بيرون واقتمحوا جوت

والسر في مساوي هذه المؤلفات يرجع كما أسلفنا إلى ما قدر رك في غرائز مؤلفيها من حرارة الطبع وحرافة المزاج وحوضة السليقة وما يتبع ذلك من قسوة الفؤاد وغلظة الأكباد . إن من أقوى مبررات التفاؤل وأقنع البراهين على صوابه ويجوب الأخذ به هو أن الطبيعة التي أوجدت آفات الحياة وعللها أوجدت معها أدويتها ومساند شفائها ومذاك إلا لأن روح الطبيعة إنما هو العدل وأساسها هو النظام وما غايتها إلا الصلاح والرفق فإذا رأيت الطبيعة أحدثت آفة فاعلم أنها لم ترم بذلك إلى التلف والبولر ولا إلى الفساد والقوضى . والحقيقة أن هذه الآفات والعلل ليست في الواقع إلا أسبابا متكررة ترمي في النهاية إلى الإصلاح . وما هي إلا عقبات ضرورية لابد أن يقتحمها المجتمع ليصل على جسر الخوف إلى مآده هي . له من درجات الصلاح والرفق . فإذا شئت مثالا على ذلك فانظر إلى أوراق الشجر وأجزاء النبات . ألاراها تسقط فتدبل فتعفن ثم تتحلل وتبلى ويخيل إليك أنها قد فسدت وتلفت وهلكت وهي في الحقيقة لم تمت ولم تقسد إذ لاموت ولا فساد في الطبيعة وكل ما رآه بل وموت إنما هو تطور وانتقال من حال إلى أخرى أرقى وأكمل . فهذه للموت النباتية التي نخالها قد بلت وماتت لن تلبث أن تستعيد حياتها وقوتها وتجدد بهبتها ونفرتها بل قد تستحيل على التطور والتحول إلى صنف أسمى وأسمى . تلك سنة التطور والارتقاء التي تجري عليها الطبيعة في جميع أركانها من الكرة والهامة إلى النظام الشمسي والسمرة الفلكية وذلك ناموس النمو والصلاح الذي هو أسس الوجود وروح الطبيعة - سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا - ومن أعظم الآثار في النفس أيضا المخاوف والأوهام

— مخاوفنا وأوهامنا . أسبابها وعلاجها —

لا يريد بالمخاوف والأوهام تلك التي تستثيرها الشرابات الروحية أو الحيات التي يتغيل فيها المدمن أو اللريض وجود عمالة من الشياطين في طريقه أو في غرفته يطار دونه ويضايقونه حتى لقد يقذف بنفسه من نافذة هرباً منهم أو يتوهم أنه يرى حيوانات تطير في الهواء أو حشرات تسفل بين ملبسه لأن كل هذه ترجع إلى حالات مرضية وقتية يفقد فيها الشخص ذاكرته وقدرته على التفكير المنطقي . وإنما نعني تلك المخاوف والأوهام التي تساور الإنسان في أحوال عادية فتؤثر في سلوكه في المجتمع من حيث علاقته مع الناس وطريقة تأديته لعمله كما تؤثر في محته من حيث سوء تأدية عمليات التمثيل والتشعيب واستفحال الأمراض التي يكون مصاب بها . وقد قترأ أحد علماء النفس أن تسعة من بين كل عشرة أشخاص يعانون بهذه المخاوف والأوهام التي تشتت وقت الليل حيث يضعف نشاط الإنسان عن مقاومتها بعد مجهوده اليومي . ومن أهم المخاوف الشائعة بين الناس عاقبة والسيدات بوجه خاص الخوف من الأمراض ولا سيما (السل) إذ تجد السيدة تخاف من القدرة والمكروبات خوفاً يقرب من الجنون فتبالغ في النظافة وتدق في اختيار للأكلات وللشرابات للموافقة حتى لقد حكى عن سيدة (وأمثالها كثيرات) لها كانت تحم النظر إلى مائأ كلة أو تشربه بمنظر مكبر قبل أن تمتد يدها إليه حتى تطمئن إلى نظافته وخلوه من جراثيم الأمراض وتأتي إلا أن تفسل الأعطية

واللباس وتطهرها عتة مرات يوميا كلما لامستها يد زائر غريب خوفا على نفسها وأولادها من القذارة التي تسبب الأمراض . وقد أظهر البحث العلمي في كثير من الأحوال المشابهة أن السبب في حدوثها هو ذلك الاحتكام الشديد الذي يظهره كثير من الوالدين بحياة أطفالهم من حيث اللبس والمأكل والمشرب والشغل الكبير الذي يدونه بسلامة جسمهم وحفظهم من شر الأمراض القتالة مما يجعل تلك الخواطر الضارة تنحدر إلى غيابة الاشعور من نفس الطفل ثم تزداد قوة بما يسمعه في حياته من الروايات التي تحكيها السيدات في اجتماعهن عما قاسينه أو قاساه غيره من أثناء مرضهن من آلام كثيرا ما يبلغ في شدتها فيشب الطفل وقد استولى عليه هذا الخوف من الأمراض وملاك ناصية نفسه الباطنة ولا يلبث أن يتعجل في وقت من أوقات حياته في سلوكه وأعماله بالطريقة السابقة . ولقد يشوههم بعض الناس أنه مريض حقا وعلى الخصوص إذا فارق منزله أو بلدته ليعيش في أخرى فإذا به مغموم النفس هزيل الجسم فاقد الشهية يتألم من صدام مستديم ويتعب من أقل مجهود ويثور لأي مضايقة . وما ذلك أيضا إلا نتيجة لما تعود أن يلاقيه من والديه أثناء طفولته من حنان زائد وحماية مستمرة وإهمام بصحته وعناية بالمحافظة عليه وتدقيق في اختيار ما يوافقه حتى ينشأ جباناً مدللًا يخشى الابتعاد عن منزل أسرته ويتوجس خيفة من جراثيم الأمراض التي تهدد حياته التي عرف أنها غاية عزيزة . يعتقد أن هذا الشيء يتبع معدته إذا أكله وذلك يؤذي أمعاءه إذا ابتلعه أو يجلبه المرض إذا اقترب منه فإذا حدث عفوا أو اضطرارا أن تناول أولامس ما يعتقد خطأ ضرره منذ الطفولة استهوى نفسه إلى المرض فغرض وجنى على نفسه بذلك شر جناية

وإلى جانب ذلك يوجد الخوف من القوم والتقد الذي يستولى على كثير من الناس فيجعل الشخص يشعر بأنه أقل من غيره ثروة أو كفاية أو جمالا وإن كان الواقع عكس ذلك فهو يخشى الظهور والتكلم أمام شخصية بارزة أو جمع حافل وإذا اضطر لتلك امتنع لونه وجف لعابه واضطربت حركته وهجز عن إخراج المقاطع الخرجا محميا خوفا منه من قد الغير وشعورا بمهم كفايته . وقد لاحظ علماء النفس كذلك أن عددا كبيرا من الناس إذا خلدتهم الانسان أو تحذروا إليه أتوا بحركة صغيرة لا فائدة منها ولا معنى لها تكون على لوجه دائما كأن يمر يده على شعره إلى الخلف أو يحك ذقنه أو يمسح جوانب فمه بمندليه من حين إلى آخر أو يتبض على وجنتيه باستمرار وعقلوا ذلك بأن الخوف من القوم والتقد يتسلط على هؤلاء الناس في الباطن فيدفعهم إلى محاولة إخفاء وجوههم في الظاهر . وبما أن التقاليد الاجتماعية لا تسمح بذلك فإن الطاقة العصبية تنصرف إلى الاتيان بهذه الحركات الصغيرة كما أنه ظهر بعد البحث أن هذا الخوف ينشأ من تلك الملاحظات التي يسمعا الأطفال من والديهم ومن يجالسونهم عن نقد مظهر أو سلوك أقر بانهم أو جيرانهم عما يفرس في قفوسهم أنهم لابد سينقدون بدورهم في كل أعمالهم وأقوالهم إذا بلعوا تلك السنن ويزيد خوفهم من النقد رسوخا إذا سمعوا من اخوتهم أو والديهم لوما وقرعيا مستمرا لهم أنفسهم على قتل في الحركة أو خلط في الكلام فهم لتلك إذا شربوا ووصلوا إلى سنن النقد تجلى خوفهم الباطن في حركاتهم وأعمالهم التي كثيرا ما تكون مضحكة . وقد يرتبط الخوف بأنواعه أحيانا بمحادة خاصة كما في أمثال حالة تلك البنت التي لم تكن قد بلغت من العمر إلا ست سنوات فقط والتي كانت جالسة أمام منزلها في الأرياف وحيدة في هدوء وسكينة وإذا بهريرة تمر بسرعة محدثة ضوضاء عظيمة ازعجت لها البنت وهبت تجري إلى داخل المنزل فما كان من والديها وأخوتها إلا أن انتقدوها قدامها وعنفوها على سلوكها أمام الناس ذلك السلوك للعب الذي لا يبره واستمروا يعيرونها بتسرعها وطيشها حتى انها نشأت خجولة تخشى الظهور أمام الناس وتخاف أن تبارح المنزل وتظن إذا سارت أو تكلمت أنها هدف لوم والتقد وإن لم يكن هناك ما يستحق ذلك ولا يقل الخوف من الأرواح الشريرة والأشباح الفرية أهمية عن الخوف السابقة إذ يعكس صفوح حياة

التي تتركب قلبه ويقت شعر رأسه ويحجز عن الحركة وتكلم عليه الخوف حتى ينتشر الاعتقاد في البحارة
والسحر والعرافة التي تقوم بها قوى خفية إذ يشب الطفل وقد وحى عقله بالاطمئنان اليقين الكبير من أخبار الحق
والمرءة والشياطين يتجلى وقت اضطرابه أوقات نومه في الأحلام برؤيا الأعيان الغريبة . ومن الغريب أن
هذا النوع من الخوف لا يمكن اتزاعه غالبا من نفس الشخص وإن زال عنه الاعتقاد في العرافة والسحر كما
أثبت ذلك التحليل النفسي البقيق لآلاف من الأشخاص

ويبدى بعض الناس خوفا من البحار فهم لا يتجاسرون على السفر بحرا أو نهرا مهما قيل لهم عن
وسائل الراحة والطمأنينة والأمان الموجودة في السفن . وقد أظهر التحليل النفسي أيضا أن تلك الحالة
تنشأ إما عن الأهمية الكبيرة التي تعلقها الأم حول استحمام الطفل والمضايقة والخوف اللذان يرتبطان به وقت
العلولة ولما إلى تعرض الشخص نفسه للفرق أو روثه شخصا يفرق في وقت من أوقات حياته وانفعاله
واضطرابه للحادث مما يحدث أثرا عميقا في نفسه الباطنة يزيد قوة ما يسمعه من مخاطر البحار فيتجلى كل
ذلك بعدئذ في خوفه من الاقتراب من الأنهار أو البحار أو السفر بطريقها طول حياته

وهكذا نجد المخوف بأنواعها أما ترجع إلى أحداث وملاحظات برية غير مصادرة يسمها الشخص عن
حوله وقت الطفولة أو إلى تجارب قاسية ماضية تتجلى كلها في حياة الإنسان المستقبلية ولذا يجب أن لا يسمع الأطفال
من الأحداث ما يثير خوفا من حيوان أو شيطان أو مظهر طبيعي أو شخص غريب أو مرض قاتل . وأن لا يوجه
اليهم ألفاظ القدر المثل للتركيز وأن لا يؤخضوا في التربة بالبن الشديد وأن لا يواجهوا من المخاطر ما يثير عواطفهم
لأن كل ذلك خطر على حياة الطفل التي هو أبو الرجل

وقد أحصى العلامة (ستانلي) هول أربعة آلاف من أصحاب الخوف فوجد أن ١٤٤٦ شخصا يخافون
من الحيوانات والحشرات و ٧٩٩ من الظلام والأشباح الشريرة و ٦٣٦ من الظاهر الطبيعية كالزلازل والبراكين
والزلازل والبراكين و ٥٨٩ يخافون من السموم والبرياء و ٥٤٠ يخافون من الموت والمرض وقد تختلف
هذه النسبة باختلاف الوسط

وقد أوجلت الحرب الكبرى ميدانا واسعا لعلماء النفس والأطباء لدراسة مخاوف الجنود وطرق علاجها
وكانت أهم وسائل العلاج إثارة خوف مضاد للخوف الموجود يزول ما زال الخوف الأول فالخوف من الموت
ومن التقدم إلى ميدان القتال عولج بنجاح في كثير من الأحيان بإثارة الخوف من العار والفضيحة وكذلك
نجحت إثارة عواطف قوية مضادة مثل عاطفة الوطنية والدفاع عن الوطن المهان التي حوالت انتباه الجنود عن
الخوف من الحرب وشوقهم إلى الجهاد والمعاليبة ثم النصر . أما في الأحوال التي يربط فيها الخوف بمحاربة
خاصة أو تجربة ماضية مجهولة فإن العلاج الوحيد له هو أن يترك الشخص سبب خوفه بكتلة التأمل الباطني
وبالانتفات إلى تفسير أحلامه تفسيراً علمياً صحيحاً حتى يصل إلى تذكر الحادثة التي كانت أصل خوفه وقت
الطفولة ثم يستهوى نفسه إلى احتقار مخاوفه وتركها استهواء ذاتيا مستمرا . انتهى الكلام على آية - إن
الله لا يفرح - ولنبداً بالكلام على الرعد والبرق ونحوهما فنقول

(الكلام على الرعد والبرق ونحوهما)

اعلم أن أعظم الأشياء أثرا في النفوس حوادث الحق من مطر ورعد وبرق فكذلك فيها من نعمة وكم فيها
من اهلاك وذلك بالكهرباء المحدث للصواعق كما سترى شرحه وأن كل ورقة من أوراق الشبب البقيقة تفرغ
كهربائية أكثر مما تفرغه الإبرة وكذلك البراعم فأنها أحسن من مائة الصواعق التي صنعها الإنسان
واذن يكون كثير من الأوراق والبراعم والأشجار بمثابة مائة الصواعق فالثبات والورق والشجر كما

بالتدبير وينفعنا كثيرا يمنع فوق ذلك عنا الصواعق • فلذا كان بالإنسان صنع مائة الصواعق فان الله سبقه بها وملا بها علما في أشجاره وأوراقه وزرعه وهذه بعض المقتبات الحافظات للإنسان ولذلك أردف ما تقدم بهذه الآيات التي وردت في البرق والسحاب والرعد والصواعق • السحاب تقدم الكلام عليه في سورة البقرة فاما الرعد والبرق فلا يمكن معرفتهما إلا بعد فهم نوى الكهرباء

اعلم أن الكهرباء (نوعان) زجاجية (إيجابية) وراتنجية (سلبية) ومعنى هذا انك اذا دلكت أنبوبة من الزجاج بالحرير فظهرت فيها الكهرباء من الملك ثم قربت تلك الأنبوبة من لب (السيبان) فانها تجذبه حتى تكسبه ثم تدفعه ولا يجذبه • ثم اذا أتيت بشمع الختم وهو صمغ راتنجي ودلسته بصوف فتكسبه وقربته من لب (السيبان) للكهرب من الزجاج فانها تجذبه حالا حتى يكسبه ثم تدفعه ولا يجذبه بعد ذلك فلما عدت أنبوبة الزجاج على اللب جذبه اليها حتى تكسبه ثانيا فتدفعه فلذا أعلت قضيب الختم عليه جذبه حالا وهكذا ما يجذبه هذا يدفعه ذلك وبالعكس فهما حيث (قسان) كهربائية سالبة وهى الراتنجية وأخرى موجبة وهى الزجاجية وقد عرفت الحقيقة والسمية اصطلاحية لجرد التمييز • والأجسام للشبهات كهربائية تتدافع والتي تخالفت كهربائيتها تتجاذب فلو كسبت كرتين من لب (السيبان) بكهربائية الزجاج وأخرين بكهربائية شمع الختم لتدافعت الأوليان مع والأخريان مع لأنهما منسابتان في الكهرباء ولكنك اذا أقرب كل واحدة من الأوليين مع واحدة من الآخرين نجاذبتا • وهذا أيضا القاعدة • ثم ان الأجسام إما موصلة للكهرباء وإما غير موصلة للكهرباء

غير الموصلة للكهرباء وبسمونها عازلة أو موصلة أو موصلة غير جيدة	الموصلة للكهرباء
الهواء	المعادن
البخارات الجافة	الحوامض
الشمع • والورق الجاف	القصم
الكبريت • والحرير والزجاج	النباتات
الماس	الحوانات
الحجارة الكريمة واللك	الماء .. التلج

(كهربائية الجلد والهواء والقيوم)

اذا ثبت أن حرك الأنوبة من الزجاج يهيج الكهرباء فيها وشمع الختم كذلك باللك • فلا يكون كذلك الهواء مكسبا دائما إلا نادرا جتا • أهليت الرياح تتحرك ويمرض بعضها بصا وهى أيضا تصادم وجه الأرض وما عليها والقيوم والسحب تحكك ببعضها والهواء وهكذا ترى الحرارة كما تقسم تحول الماء الى بخار والبخار الى ماء وهناك أعمال كيميائية ذات تحليل وتركيب فتتحول كهربائية الأرض السالبة الى كهربائية الهواء وتكون كهربائية الجلد إيجابية وقد تغيرت صير سالبة في أوقات الاضطراب هن هذا نهم حدوث البرق والرعد • فالبرق يحدث من تقارب سحابتين مختلفتي الكهرباء حتى يصير ميل الكهرباء الواحدة للاتقارب من كهربائية الأخرى أشد من قوة الهواء على فصلهما فتجهم كل منهما على الأخرى بنور زاهر وصوت قوى شديد فالنور هو البرق والصوت هو الرعد فالرعد يحدث من تصادم دقائق الهواء التى نظره كهربائية البرق أمامها وأما دويه فيحدث من انكساره من القيوم البعيدة والجبال والتلال والأودية وشوها

وأذا عرفت ذلك فاسمع الحديث وإن لم يكن في الصحيحين ولكنه في الترمذي لما سئل رسول الله ﷺ عن الرعد قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها حيث يشاء الله قال السائلون فما هذا الصوت الذي يسمع منه قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت . وفي حديث آخر هو صوت من نور زجره الملائكة السحاب . فهذان الحديثان إذا صحا كانا من علامات النبوة لأن المخاريق في الأصل أبواب تلف ويضرب بها الصبيان بعضهم بصا . وللولد هنا آلة يزجر بها السحاب فهذه المخاريق التي من نار لا شيء سوى الكهرباء . وقد بينا أن كل واحدة من السحابتين تهجم على الأخرى ولا معنى للهجوم إلا بالأسراع وهذا الأسراع بالكهربائية فالكهربائية هي التي زجر بها السحاب زجرا فقلوه ﷺ من نار أي من كهرباء والملك ذكر ليرجع العالم الجسمي إلى مبادئه الأولى فإن هذه العوالم كلها تنصرف فيها عوالم تحفظ كيانها

﴿ الطبقة العاشرة في الساعة ﴾

قد يتلى السحب بكهربائية والأرض بكهربائية أخرى والهواء فاصل بينهما حتى قاربت السحب وجه الأرض تنفخ الشرارة الكهربائية منها فتندل ساعة تهلك الحرت واللسل . وقد اخضع (فرنكلن) لمنع الصواعق قضيا من معدن كالحديد والنحاس دقيق الرأس متصلا مصنوعا رأسه من معدن لا يصدأ ولا يتحات كالذهب والفضة والبلاطين ويمتد طرفه إلى حوض ماء أو زربة رطبة لا يجف ويكون طرفه الأعلى عاليا عن الدار ويجب أن يكون على كل بناء في تلك المنازل المعرضة للصواعق قضيب للساعة وأن توصل المداخل التي فيها إما بأرض رطبة ولما بقضيب الساعة وأن تصل ميازيب الماء المعدنية وسطوح التوتيا ونحوها بأرض رطبة كذلك أو بقضيب الساعة لثمة تعرضها للصواعق . وهذا القضيب يراد به موازنة الكهرباء في السحاب والأرض مع السلامة من الخطر . والأسلم لمن لم يكن في بيته قضيب كذلك أن يكون في وسط الغرفة . وإذا كان في الغلاة وحسب أن لا يلتصق بالأشجار العالية ولا يتعد عنها كثيرا لأنها تجمعه إليه قضيب الساعة في حال بعده للتوسط ثم إن كل ورقة من أوراق العشب الحقيقية الرأس تفرغ من كهربائية الماء أكثر من ثلاثة أضعاف ما تفرغه أدق الأبر وكل برعم دقيق الرأس يفرغ من الكهرباء أكثر من أحسن التضببان التي جعلها الناس للصواعق وكل قطعة من المطر وكل قطعة من الثلج تنزل إلى الأرض محملة كهربائية تسلبها من الجلد والسحاب . وقد يرى لهب تاري على رؤس السورى وأسنة الرماح وأذان الخيل وما ذلك إلا كهربائية أفلتت من الأرض أفلانا له

﴿ جوهره في قوله تعالى - ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال - ﴾ ذكر الله في هذه السورة البرق والرعد والصواعق . الرعد صوت والبرق نور والصواعق نار فشرح هذا المقام شرحا يسر المفكرين . اعلم أيها التقي أن العالم الذي نعيش فيه ملؤه جلالا وبهاء وحكمة وصنعة مدبشة باهرة تفرق سناء وبهجة للناظرين . ما هي الحرارة وما هو الضوء . ما هي إلا أمر واحد . ضع قطعة من السلاطين في النار فانك تحس أولا بحرارتها ولالون لها ثم تشاهد لون الحجرة فالبرقالية فالصفرة فالخضرة وهكذا إلى لون البنفسجية . هذا ما يحصل في البلاطين إذا وضع في النار وهكذا الحديد وغيره . عجب حجاب . حرارة تكون أولا فضاء ينتشر من الأدنى إلى الأعلى فالأحر أدنى والبنفسجي أعلى . هذا هو قوس قزح بعينه . وهذا هو قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - التي سيأتي تفسيرها في سورة الملك . والبرهان العملي الطبيعي هناك على أن عناصر الأرض وعناصر الشمس وغيرها واحدة بسبب انحطوط السوداء التي كشفها (فرنهورف) تلك الحطوط التي تظهر في طيف الشمس وتظهر في طيف المعادن الملتبئة فكل معدن تشابه خطه بما يرى في الطيف الشمسي فذلك المعدن في الشمس وهكذا بقية

الأجرام العلوية . هذا هو الذي ستره ان شاء الله في سورة تبارك للذي مع العلية للبرهنة عليه وترى أثر ذلك أيضا في سورة الاسراء عند ذكر المعراج وأنه ﷺ بإسرائه وعروجه الى الملأ الأعلى ونظرة في عوالم عند سكرة المنتهى لا يقدر أحد من خلق الله أن يصفها قد سن للسلمين الذين سيكونون بعدنا سنة حسنة وهي أن يدرسوا هذا الوجود مفكرين كما كان يدرس العوالم في اسرائه ومعراج مفكرا باحثا متقبا وكيف يقطع نية أمة عوالم السماء معراجا وتاجود ساهون لاهون لا يدرسون ماعرفته الأمم حوالمهم من تلك العوالم العالية فضلا عن أنهم يفوقون سائر الأمم في ذلك . نية يقطع السموات سفرا في عروجه والأمم التابعة له لاسمقون بالأرض لا ينظرون ما فوقهم ولما حوالمهم . هذا عجب عجيب . فهبتا هذه المسألة وهي الحرارة .

أنظر وتجب من حديدة محجة كيف كانت حرارة أولا فنورا ثانيا متدرجا من الحرارة الى البنفسجية جل الله . هذا قوس قزح أقل ألوانه الحرارة وأعلاها البنفسجية أي ان اهتز الأثير المائي لهذا الوجود ان تحرك نيفا و (٧٠٠) ألف ألف ألف مرة في الثانية يكون هو اللون البنفسجي واهتز ذلك الأثير في الثانية نيفا و (٤٠٠) ألف ألف ألف مرة يكون لون الحرارة وما بينهما النيلي والأزرق والأخضر والأصفر والبرقالي . هاهذا اللون قد تشابه في الحديدة الحمأة وغيرها وفي قوس قزح . خلق الله قوس قزح في السماء وبسط فيه الألوان السبعة وقال للناس هذا كتابي فافروا كتابي بيدي وشرحت وبسطته هاأنذا أيها المسلمون أبنت لكم الألوان السبعة في هذا القوس وجعلت ما زالولونه من أعمال الحرارة جارا على هذا النمط فلتهموا - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فالعلم كله على ودية واحدة . أعلاه كأدناه وصغيره ككبيره . ألا ترون أن الذرة الواحدة مركبة من جزيئات تدور حول بعضها دوران السيارات حول الشمس

﴿ الصوت والحرارة والنور ﴾

هذه الثلاثة ترجع الى الحركات فحركات الهواء اذا اشتتت صارت عواصف وحركات الأثير اذا اشتتت كانت لون البنفسجي واذا قلت كانت لون الحرارة واذا اشتتت الحرارة كانت محركة أو انخفضت كانت هادئة إذن ما عندنا من صوت ومن نار ومن لون كل ذلك حركات . إذن علمنا ان في فضاءنا في الحركة فيه أكبر أثر فعال

﴿ ثم تكون الحرارة ﴾

تصور أيها القاري رجلا يطرق حديدة وأسر بوقه النار في الخطب وهما ما واقفا في حارة القيط وهما يتلظيان بحرارة الشمس فهنا حرارة الشمس وحرارة (ميخانيكية) عند الفريجة أو (حيلية) عند قدامنا نسبة الى فن الحيل وذلك بالاحتكاك أو الطرق أو الضغط وحرارة (كبابية)

(١) أما حرارة الشمس فهي للسماء (طبيعية) إن الشمس وسائر النجوم ترسل لنا حرارة على الأرض ومعنى ذلك أن أجزاءها بشدة حركتها تؤثر في عالم الأثير فيتحرك فتصل حركتها الى الأرض فنحس نحن بحرارة وملأنا من تلك الحركات نحن بهالونا واجتماع الألوان السبعة حولنا نور بالشمس وألوان السجوم . والشمس ترسل لنا جزأ يسيرا جدا يصل الى واحد من ألفي ألف ألف من حرارتها وجميع الكواكب يصل لنا من حرارتها أربعة أخماس ما يصل من حرارة الشمس

(٢) وأما الحرارة الميخانيكية فهي الحاصلة كما تقدم بأحد الأمور الثلاثة وهي في مثالنا حاصلة بالطرق الحاصل على الحديدة وذلك الطرق نشأ من حركات والحركات صارت حرارة والحرارة بالاحتكاك معروفة في القلح بازتاد عند عرب البادية ومثل ذلك الضغط

(٣) وأما الحرارة الكيماوية فهي الحاصلة من اتحاد جسم بأخر بينهما ألفة . مثال ذلك ما تقدم من

النار في الحطب . وما هو الإشعاع . أن هو (الحرارة) الهواء قد لا يفسد (الأكسجين) (الكربون) اللذين في الوقود لما بينهما من الألفة ففداء بهجم عليها ويهجمان عليها ويصلنهما الفرقان وتهتز ذراتهما وتهتز الأثير الذي حولهما فينبثق أمواج كثيرة تكون سواها وتكون نورا . وما سواها أجسام الجيوان إلا من هذا القليل يستثنى النبتات وفيها الأكسجين وطبعا الأكسجين يجد أمامه حبيبه ومهما (الليثروجين والكربون) فيهبهم ويهجمان وتنبش نحن بهذه للمركبة أي ننبش بالحرارة الناجمة من التقاء الأحباب سواء أكان التقاء أولئك في أجسامنا أم خارجها . فلنرجع إلى مافي الآية نجد ذكر الصاعقة والبرق والرعد فالأولان حركات في الأثير والثالث حركات في الهواء . الصاعقة نار مهلكة لارتفعت حرارتها بوفرة الاهتزاز والبرق نور والحرارة والنور يرجعان لسبب واحد هي الحركات في الأثير ثم إن هذه الظواهر ينقلب بعضها إلى بعض . فكل من الحركة والحرارة والضوء والكهرباء ينقلب بعضها إلى بعض . ولو أن أرضنا صدمها كوكب فوقفت بقعة عن حركتها لتولد منها حرارة تحوّلها وما حولها بخارا . ذلك لأن سرعة دوراتها في فلكها حول الشمس لا يقل في الحقيقة عن ألف ميل بل هي في الساعة تجري فوق (٦٨) ألف ميل فحي وقت فجأة تحولت كل هذه الحركة إلى حرارة فجعلتها بخارا

(الحب نظم هذا العالم)

يظهر لي أن الحب هو التاموس العالم في هذا الوجود

(١) هجم الأكسجين على الأودروجين والكربون في الحطب فاستندارا فكان منها كل ما نصلح في منازلنا وسائر أعمالنا

(٢) هجم الأكسجين أيضا على الأودروجين وحده بنسبة (٨) من الأول وزنا إلى واحد في الثاني فتكون الماء . للماء هو (أكسجين وأودروجين) تعاشقا وتحابا فاتفدا فكان منهما الماء

(٣) هجم الأكسجين من الهواء على أخويه في كل حيوان وكل نبات بالشهيق فكان كل حيوان وكل نبات

(٤) هكذا نرى كل حيوان وكل نبت محاب ذكراته وإماته كما نشاهد في محاب الأكسجين لأخويه فكما نجح من اتحاد الأكسجين بأخويه النار والماء وكل حيوان ونبت . هكذا نجح من اتحاد الذرران بالاناث كل نبات وحيوان من حيث التولد . ولعمري أي فرقة بين لشتعال النار بذلك الاتحاد وبين ظهور الفرية وصغار البهات بتقارب وتجانس الذرران والانات

لله أكبر إن هذا الوجود كله حب وكله جلال لاجية في أرضنا إلا بالحب أو بما أشبه الحب . لولا تعاشق الأكسجين والأودروجين ما كان هذا الماء الذي هو حياة كل شيء . وفي الحديث (إن كل أم ينعمها ولها) . أننا هذه العوالم التي نعيش فيها والعوالم التي نعيش فيها لوجود لها إلا بما يوجب الاتحاد . حياة الماء وسبب النار بسبب التفاعل للموجب الاتحاد . هاهوذا الماء عايش في أرضنا يجري في سحابنا وفي أنهارنا وهو يدور كدورة الأفلاك . كل ذلك بما فيه من سر الاتحاد بين جزأيه المتحابين (حبا مجازيا) هكذا . هكذا تكون حياة الأمم في الأرض . لا ترق الأمم إلا برجال يظهر فيها يعشقون العالوم والنضائل . لولا الحب الذي يلا أئدة الحكماء ما تعلموا ولا صنعوا لأنهم حرة واحدة . لولا الحب الجم الذي في أئدة الأنبياء لله وللعلم ولأنهم ما علموا ولا أهدوا ولا كانت لهم أُم . ليست ترق الشعوب إلا بحرارة المحبة السارية في أئدة شبانها للعلم وللرق المثبته في قلوب قادتها . تجانس الأكسجين والأودروجين فاتفدا فكان ماء وهذا الماء حياة كل شيء . هذه قدسها صفه العقول الانسانية لمحبة للعلم . أول الفلسفة حب العلم . وأوسطها تحصيله . ونهايتها حب الله . إن الحب الانساني شائع بين جميع الناس وحب العلم يختص

بالعلماء وحب الله أعلى فهو أخص الجميع وكل حب مقدسة لما بعده وأقل درجة منه . أنظر كيف كان الحب سائرا في سبيل واحد لا يحد عنه جوى مع جزأى الماء ومع عناصر النار ومع أنواع الحيوان وارتقى فكان مع الفلاسفة ومع الأنبياء

يظهر أن هذه الأنفس الانسانية خلقت لأمر رفيعة جدا وشريفة . إني أرى أن صانع هذا العالم جله على نخط واحد وهو الحب العام وأولى بلحب هذه النفوس الانسانية هي أولى به وأولى . وربما تكون هذه الأنفس يوما ما في عوالم أرقى وأرقى فيكون بينها اتحاد كاتحاد الأكسوجين والاوزروجين . هـذان احدا فكأنما هما فكان به حياة كل شيء . فعمل أرواح هذا الانسان أى الأبرار منها يوما ما ستكون على هذا الاتحاد السارى في الماء وفي النار وسيكون لها هناك لغات وأعمال لانفصلها الآن ويكون رأى الواحد رأى الجميع ولذلك الإشارة بقوله تعالى - وزعنا مائى صلورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين * لا يسمهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين - * وفي الحديد ﴿ أت مع من أحيت ﴾ وفي الآية - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم الخ - فهؤلاء الذين أنعم الله عليهم هم المتحابون في الله . إذن الحب نبراس هذا العالم . به ركبت المركبات وبه كانت النار وكان الماء وبه كان الحيوان والنبات وبه كان العلم والعلماء وبه كان الوحي على الأنبياء والحب سراره أيضا والعلم حركات النعم . الحب نظام العالم . بلحب كانت هذه الجاذبية العاقمة والحب كان اللامس في أجزاء الحديد والنهب وكل جامد . بلحب قامت السموات والأرض . نظام هذا العالم هي المحبة . انلك تسمع للمسلم في صلته يقول - اهدنا الصراط المستقيم - ولا يقول اهدنى . ويقول اهدنى فيمن هديت وعافيت فيمن عافيت وتولى فيمن نوليت وتسمعه يقرأ - إياك نعبد - ولا يقول إياك أعبد وتسمعه يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ويصل على الأنبياء والمرسلين ولا يقول السلام على الله أكبر لاحياة للناس إلا باجتماعهم ولاخير في اجتماعهم إذا لم يكن حب يشملهم . لهذا شرعت الجسه وشرعت الجماعة وشرع العبد وشرعت الصدقات ليتحاب الأغنياء والفقراء ويقول تعالى - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا -

الدين يطلب هذا والعقل كذلك إذ لا يعيش الناس إلا بمساعدة بعضهم بعضا وهذا معنى قول الحكماء ﴿ الانسان مدنى بالطبع ﴾ . رجع أمر الانسان الى حال الماء الدائى من الاتحاد وهكذا النار وهكذا سائر المركبات . وهذا معنى قوله تعالى - إن ربى على صراط مستقيم - انتهى
﴿ بهجة الحكماء في هذه الآيات وقوله تعالى - ويسبح الرعد بحمده وللملائكة من خفيته -
ولم سميت السورة بالرعد ﴾

اعلم أن السحاب كاسنان تبسم ثم تكلم . تبسم بالبرق وتكلم بالرعد . وإنما المشكل في هذا الكلام التسبيح والتحميد وما لا تسبيح ولا تحميد إذ لا يكونان إلا من العقلاء . والجواب عن ذلك أن ننظر أياها التكى ماضى في سورة هود في الاستطرد بذكر قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - عند تفسير قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها الخ - فقد استبان هناك أن لكل حيوان لونا خاصا وهذا اللون هو الوفاة الحافظة له . فلذا رأيت حشرة على لون زرق الطيور فذلك لم يكن لاذلالها ولا لاهاتها وإنما ذلك لحمايتها من فم تلك الطيور إذ تراها فتعافها لأنها ظهرت لها هيئة زرقها وهي حائمة على الشجرة فما دامت تلك الحشرة جاثمة على الشجرة فكأنما هي من طير الحرم حرم الله صيدها تحريما طبيعيا لاديبها ففهما تنزيه الله عن العث في وضع هذا اللون وعن قصد التحقير . وبفس هذا الوضع عاش هذا المخلوق وحياته نعمة تستوجب الجدد فهنا تنزيه لمبىس بحمد . هذا هو التسبيح والتحميد وهذا مثال من أمثلة كثيرة تقم ذكرها هاك فأرجع إليها . واعلم أن تسبيح كل شيء بحسبه فإذا كان هذا

تسبيح الطيور وقد شرح في سورة هود بأجمع طريق وأبدع منهج فما تسبيح الرعد . أقول
 إن التسبيح والتحميد هنا إصباح لقوله تعالى - هو الذى يرىكم البرق خوفاً وطمعاً - وذلك أن هذا
 العالم الذى نعيش فيه عالم طبيعى والعالم الطبيعى امتزج خيره شره وضرته بنفعه . فإذا كان المطر ناضاً فهو
 ضار . وإذا كان خيراً فهو شرّ وليس هذا قاصراً على المطر فاللّيل والنون وجميع أحوال هذه الحياة فيها
 الأسرار قد امتزجاً ولكن الخير أكثر من الشرّ والنفع أكثر من الضرّ . فإذا رأينا المطر يخفف الناس
 بالصواعق ويؤذى أهل المدن ونحو ذلك فله منافع معروفة تربو على ضرره وهكذا النار والهواء وكل عالم
 المادّة هذا حكمه . فإذا كان الرعد غليظاً فهو مطمح لآخريين ولكن الطمع أوسع نطاقاً من الخوف
 فإذا أخاف الله عز وجل بالرعد المتدبر بالمطر فهذا ضرّ قليل يفترق جانب النفع الكثير والحكيم لا يترك
 النفع الكثير لقليل الضرّ وهذا هو قوله تعالى - فله الجنة الباقية فليرشاه لهذا كم أجبت -

أنت يا الله محمود على المطر وإن كان فيه ضرر . فهنا امتزج التسبيح بالتحميد . نزهة الله عن إرادة
 السوء والضرّ بالمطر الذى أنزله نعمة عاتية فهو ضرّ جاء نابعاً لا مقصوداً لقائه ولكن لا يحصى عنه وافلات
 المخلوقات من هذا الضرّ معناه إهلاكهم . إذن لله نزهة عن فعل الضرّ وذلك التنزيه ملتبس بنعمة توجب
 الحمد . هذا ما فتح الله به فى معنى تسبيح الرعد وتحميد كآته قيل . لم أخافنا الله بالمطر وهو الطموح فيه
 لأنه نعمة ولم يكن عالمنا كله رجاء لا خوف معه فقال هنا - ويسبح الرعد بحمده - إشارة إلى أن لله الجنة
 الباقية وأن الله منزّه عن خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً لأن ذلك ظنّ الذين يكفرون بالنعم لجهلهم
 أصولها وعلاؤها ولم يدرسوا أصول الحكمة فإن ما هو شرّ أو ما غلب شرّه لا ظهور له فى الوجود وما هو خير
 غلب أو ما غلب خيره هما الوجودان وهذا العالم الطبيعى من هذا الأخير فلما أن يخلق على هذه الحال ولما
 أن يبقى فى حيز العلم . إذن لله بهذا البرهان العقل المذكور فى إشارات ابن سينا وشرحه أجالاً هناك
 أفادنا معنى التسبيح للممتزج بالتحميد والحمد لله الذى علمنا وشرح صدورنا وأرانا بعض حكمه وله الحمد فى
 الآخرة والأولى وهو الولّى الحميد

(تسبيح الرعد وتحميد)

سبح الرعد وسبح لله ما فى السموات والأرض - يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم -
 - ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كلّ - قد علم صلاته وتسبيحه - - تسبح
 له السموات السبع والأرض ومن فىهنّ وإن من شئ إلا يسبح بحمده -

هذه الجمل وهذا المخدج لم ترد فى كلام العرب . نعم سمعنا هذه الجملة فى قول الشاعر

• سبحان من علقمة الفاجر • هذا هو التسبيح الذى نطق به العرب وهو تسبيح فى باب الشتم
 والنم لاجال فيه ولا كمال . المسلمون يسبحون ويحمدون فالأول فى الركوع والسجود وعقب الصلوات
 والثانى فى الفاتحة وعقب كل صلاة وهذا التسبيح إما بلفظ بلا حضور معنى وهذا لافتة منه وأما مع حضور
 للمعنى وهذا تافع لتعبد ونفس الانسان وحده وأما مع العمل بالمعنى وهذا الأخير هو شأن العارفين والعلماء
 العاملين وقادة الأمم الاسلامية للمفكرين

يقول المسلم . هلاًئذا أسمع أن نبينا ﷺ بشره إبراهيم بأن غراس الجنة سبحان لله والحمد لله الخ
 وذلك فى نهاية عروجه فى السماء . الصلاة تسبيح وتحميد وبشارة الخليل للأمة تسبيح وتحميد . ما هذا
 كله وما أثره . ثمرة هذا كله لا ظهورها إلا بالنم

(بـ يكون العلم)

يكون بفهم نظام هذا العالم من السحاب والسماء والأرض . هذه كلها مسبحات . انك عند البحث

نرى شرها لم يكن مقصودا لانه كما تقدم هنا وفي سور كثيرة من أهمها (آل عمران) عند قوله تعالى - يبدك الخير - . السحاب يسمى بالبرق وينثر بالزهد وانذر بالزهد سمي تسبيحا . وانما خص الزهد باسم التسبيح لأنه صوت والتسبيح يكون بالفظ واللفظ صوت . بماذا أنذر الزهد . أنذر بقرب هطول المطر نستعد له . للمطر خير وشر وشره قد اغتفر بالبرهان المتقن . إذن الله منزه عن خلق الشر مقصودا لانه ولو أنه منه لم يكن هذا الوجود . إن مسألة الشر والخير أول العلم وهي آخره . هناك دين القرس بنى على إلهين إله الخير وإله الشر وإله الخير غلب إله الشر فخلق الظلمة وجميع الشرور . هذه المسألة عقدة العقد . هي لغز الحياة . كيف يكون الله أرحم الراحمين ويخلق الآلام والنقص . بهذه المسألة ضل قوم فنبهوا كل دين وعلموا ملحدين . والماتوية اعتقدوا إلهين غلب إله الخير إله الشر كما تقدم . والدين الاسلاحي جاء بأمر جديد فقال إن الله منزه عن كل ما لا يليق ومال الشر إلا أمر لازم للخير ولو حذفناه لحذف ذلك الخير. الناس يعيشون على هذه الأرض في ألم إذا كانوا مفكرين ماداموا لم يقولوا وجد هذا الشر ولم ينبت به والمؤمن يسبح ويستند التزبه بمجرد الإيمان ولكن اليقين لا يكون إلا بالعلم كما في هذا التفسير الذي جعل لك فيه آية الفلسفة القديمة والحديثة . تسبيح الزهد وتسبيح كل مخلوق لا يعقله إلا أولو الألباب بالحكمة والعلم . للزهد تسبيح على العقلاء بل هو خ التسبيح . وإذا سبح الانسان ربه وهو ذكي ثم هوترك هذه المخلوقات التي حوله فلم يقلها ولم يدرك خلق شرها مع خيرها فخل هذا لا يتره ربه قلبه ألينة بل يقول هذا العالم ملأه شرًا لاحتكمه فيه يقولها بقلبه وإن لم ينطق لسانه

﴿ ماذا يقول الزهد ﴾

يقول . للمطر أقبل بخيره وشره فأحترسوا من شره . هذه المعاني يفهمها الناس فلما أنهم يفهمون أن هذا الشر من لوازم الخير ولواستأصلنا الأول حرمنا من الثاني . فهذا المعنى لا يتركه إلا حكماء الناس في هذه الأرض . ولا جرم أن هذا المعنى تسبيح ملتبس بحمد فالخير محمود عليه والشر قد نزه الله عنه وهذا هو ما جاء في ديننا أن تؤمن بالقدر خير وشره من الله مع أنه رحيم رحيم ومن تحقق هذا أى الجمع بين خلق الشر مع وصف الرحمة فهو من الموقنين . إذن كل العالم مسبح بحمد لله ولا كمال لتسبيح الناس إلا بفهم تسبيح الزهد والسموات والأرض وإن كان فهم الحقيقة على ما هي عليه مستحيلا علينا في الأرض بقوله تعالى - لا تفقهون تسبيحهم - أى على حقيقته فلما فهمه كما قلناه فهذا هو المناسب لعقولنا ولا تقدر على أكثر منه . للمسلمون يسبحون باللفظ ومعناه الغريب ولكن لا كمال لهم إلا بدراسة هذا النظام وفهم الخير والشر والافتقار بأن الشر تابع لأصل . فهذا هو تسبيح الزهد وتسبيح مافي السموات والأرض وتسبيح الطير وقد قسم في سورة هود تسبيح الطيور المختلفة فراجعها فهناك عجب والحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿ ستة عشر مليون عاصفة ﴾

﴿ الزهد والبرق في العالم ﴾

اقتطعت من بعض المجلات العلمية الصادرة في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٦ ما يأتي باختصار وحذفت ما لا يلزم لو أتيح لمرء أن يراقب الفضاء ويحصى عواصف البرق والزهد التي تقع فيه رأى أنها لاتقل عن ستة عشر مليون عاصفة في العام وأنحو (٤٤) ألفا في اليوم والاحصاء الدقيقة التي أجراها العلماء في جميع أقطار العالم تدل على أن الرقم الذي ذكرناه ليس فيه مبالغة على الإطلاق . وقد ذكر الاستاذ (تلان) مدير الأرصاد الجوية في حكومة الولايات المتحدة أن العلماء لم يوفقوا إلى احصاء عدد تلك العواصف قط بل

الى رصد مناهها وشتتها أيضا وقد أعتوا لها رسوما يائنة تدل على الأزمنة والأمكنة التي تكثر فيها تلك العواصف أو تقل . ولولم الانسان بكمية القوة الكهربية التي تذهب ضياعا في الجو كما حدثت عاصفة منها لأدهته اسراف الطبيعة وتبذيرها إذ يؤخذ من الأرصاد التي جمعها العلماء أن تلك الكهربية تأتي لتكني لآتارة نحو ستة ملايين منزل أي انه كلما أومضت البروق في الجو وأعقبها رعود ذهب من القوة الكهربية ما يكفي لآتارة نحو عشر مدن كمدينة لندن . كل ذلك يذهب في الظاهر ضياعا ويدل على اسراف الطبيعة الى حد مفرط . ولا يخفى أن البروق والرعود تحتاج الكرة الأرضية على نطاق واسع جدا وكثيرا ما ينشأ عنها أضرار بليغة كما حدث أخيرا في الترسانة البحرية بمدينة (نيوجرزي) بأمریکا فان صاعقة انقضت من الجو واتهمت تلك الترسانة وأهلكت أيضا عديدة . وحدث قبل تلك الصاعقة ببضعة أيام أن صاعقة أخرى انقضت على بعض آبار الزيت في (كليفورنيا) فالتهمت وكادت الحسرة نحو عشرة ملايين دولار وما يجدر بالذكر أن الصواعق لا تكتفي بأمثل الأضرار التي ذكرناها بل كثيرا ما تنقض على الأوحاش والغابات فتحرقها ولا تبقى منها إلا الأثر . نعم ان الأمر يدعو الى أشد الأسف ولكنها أي الطبيعة تهتم اليوم ما ينه بالأس وتخرّب في لحظة ما أقامته في الآلاف من السنين . وفي الواقع أن في الولايات المتحدة الأمريكية أراضي كثيرة كانت بالأس مسكوّة بالغابات والأوحاش وهي اليوم بلقع قفر لأن الصواعق انقضت كل ما فيها من شجر أو نبات . ثم ان الرعود والبروق كثيرا ما تصحبها أعاصير تحدث من الاضرار ما لا يقل عن اضرار البروق والرعود نفسها ولا سيما في البحر وكثيرا ما تنتاب الطيارات في الفضاء فتصعقها كما حدث للطيارة (شندوه) الأمريكية منذ عهد قريب . وقد تعترض أمواج الكهربية بالاسلكية أيضا قطعها أو توقفها عن العمل وقد يظلم الجو بسببها فتضطرب الآلات التي تولد النور الكهربي إلى مضاعفة جهدها وفي ذلك زيادة في الاتقاق كما لا يخفى . وقد قتر العاصف الأضرار التي تنجم عن عواصف الرعود والبروق فاذا هي لا تقل عن مائتي مليون دولار أو أربعين مليون جنيه في العالم . على أن تلك العواصف بلزاه اضرارها منافع كبيرة فهي السبب في هطل الأمطار الغزيرة التي تروى الأراضي القاحلة وتساعد على انماء المزروعات وهي السبب أيضا في (ترجة) الهواء أي اشباعه بالنتروجين بحيث يصبح سهادا للثربة . وقد قتر أحد العلماء الفرنسيين عن السهاد النتروجيني الذي ينشأ عن عواصف البروق والرعود في بلاد الهند الصينية وحدها فاذا هو نحو أربعة ملايين جنيه في العام . فاذا كان ارتفاع الهند الصينية سهادا يبلغ أربعة ملايين من الجنيهات فما بالك بالهند نفسها وما بالك بالصين وما بالك بالعالم كله . فاذن يتفجع الناس بمئات الملايين بسبب الرعد والبرق فالضرر من قوله تعالى - خوف - والنفع يرجع لقوله - وطمعا - والضرر والنفع بالرعد والبرق جار على القاعدة العامة في هذا العالم . إن النفع أكثر من الضرر في الماء والهواء والأرض والحيوان والانسان قال تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وهذه قاعدة عامة في الحرب والسلم والموت والحياة وهكذا اه

﴿ اللطيفة الحادية عشرة في قوله تعالى - ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدق والآصال - ﴾

يناسب هذه الآية قوله تعالى - وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين - الى قوله تعالى - وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله - وأيضا - والله جعل لكم ما خلق ظللا * وجعل لكم من الجبال أكنانا - الى قوله - وأكثرهم الكافرون - وقوله - ألم تر أني ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا * ثم قبضناه لينا قبضا يسيرا - وقوله - أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتقوا ظلاله عن اليمين والشمال سجدا لله وهم داحخرون - وقوله - ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض من دابة وللائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون -

ترى من هذه الآيات أن القرآن كرر ذكر الظلال وسجودها ولقد شرحت هذا المقام شرحا وافيا في كتاب **﴿ نظام العالم والأم ﴾** ولوقته هنا لطلال بنا للقلم فلاختصر ذلك اختصارا ولاكتف به في آيات الظلال الآتية . إن الشمس كما علت حسابها منتظم وجميع ظلال الأشجار تبع لها فهي بحساب منتظم أيضا فلن ترى من شجرة صغيرة ولا كبيرة ولا شاخص إلا وله حساب منتظم تمام الانتظام تابع لحساب الشمس ولقد عرف هذا الفلاسون وأهل البدو لجعلوا أعمالهم على حسب الظلال . ولقد استعمل علماء الفلك نفس هذا الظل في معرفة مقدار الراوية التي بين الدائرة الكسوفية ودائرة المثل للميل المسمى ميل الدائرة الكسوفية وذلك أنهم نصبوا شاخصا في الأرض في محل مستو مكشوف ونظروا ظله في يوم الانقلاب الصيفي وقد تقدم في هذا التفسير وفي يوم الانقلاب الشتوي وقد تقدم أيضا وقاسوا في هذين اليومين أعظم ارتفاع زاوى للشمس وتوضيحه أن الشاخص يعتبرونه ضلع مثلث وقياسه ممكن وظله على الأرض ضلع آخر والخط الواصل من نهاية الظل ورأس الشاخص الذي هو وتر المثلث المقابل للزاوية القائمة ضلعه الثالث . فالزاوية للنقص بين وتر المثلث والضلع الذي رسمه الظل هي الدالة على البعد الزاوى للشمس وهذه الراوية كلما قصر الظل كبرت وكلما طال صغرت كما هو مبين عليه في الهندسة . فإذا راقبت ظل الشاخص فنهاية قصره يكون هناك أعظم ارتفاع للشمس . وإذا علم من المثلث ضلعه والزاوية للنقص بينهما فيمكن رسم ومقاس تلك الزاوية الدالة على ارتفاع الشمس بكل سهولة على الورق بالرق المشهور في الهندسة أو بغيره وتصنع هكذا في يومى الانقلابين الشتوي والصيفي وتقسّم الفرق بين هذين الارتفاعين فيكون ذلك النصف هو الزاوية الواقعة بين الدائرة الكسوفية ودائرة المثل . ويمكنك أيضا أن ترسم خطا بين هاتين النقطتين اللتين وصل إليهما الظل في يومى الانقلابين فذلك الخط هو نصف نهار ذلك المثل وحينئذ متى جاء ظل الشاخص عليه أى يوم من أيام السنة كان وقت الظهور مدى العمر كله . أفلا تعجب كيف أمكن الإنسان بشاخص بسيط أن يعرف أوقاته وأن يحكم على الشمس في السماء ويبين درجاتها . نعم نعم هذا من آيات الله **﴿ حكاية مصرية في الظلال ﴾**

كان رجل يسمى (أراتوستنس) فلجيا عظيما ولد في القبروان سنة (٢٧٧) قبل المسيح وقد علم في الاسكندرية وفي أثينا ودعى لاسكندرية سنة (٣٣٤) قبل الميلاد وعاش فيها إلى أن مات سنة (١٩٤) قبل الميلاد . هذا العلامة لما علم أن الشمس عمودية فوق الأرض عند مدينة (اسوان) في آخر القطر المصرى جنوبا وذلك في وقت الانقلاب الصيفي وراقب عمودا هناك في ذلك الوقت فإذا هولال له طبعاً نصب عمودا بالاسكندرية فوجد له ظلا شماليا في تلك الدقيقة الاقلية فرسم خطا من أعلى هذا العمود الى طرف ظله خلعت الزاوية التي تكون بينه وبين الظل سبع درجات وخمس درجة وقد تقدم بقية هذا الموضوع في أول سورة يونس فراجع هذا العمل اشبه بما فعله للمأمون بعده بأربعة قرون في هذا العمل وهو معرفة الدرجات كما في جغرافية أبي الفداء المسماة **﴿ تقويم البلدان ﴾** قال ان بطليموس صاحب الجسطى وغيره وجعلوا حصة الدرجة الواحدة من الدائرة العظيمة للتوهم على الأرض (٦٦) ميلا وتلقى ميل محققوها في عهد المأمون وحضروا في برية سنجر ببلاد ما بين النهرين واقترقوا فرقتين بعد أن حرموا ارتفاع القطب ففرقة أخذت تصب جبهة القطب الشمالى وأخرى جهة القطب الجنوبي فاطحط هؤلاء درجة وهؤلاء زاد عندهم درجة فكان (٥٦) ميلا مع احداهما بغير كسر ومع الثانية (٥٦) ميلا وتلقى ميل فأخذ بالاولى (٥٦) ميلا وقد عمل ذلك العمل مرة أخرى ببلاد الشام بين دهمى والقرات . فانظر كيف قام الظل في ذلك مقام ارتفاع الشمس وقامت زاويته مقام معرفة ارتفاعها القطب . فإذا سمعت قول الله تعالى - وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تهضرهم ذات الشمال وهم في فجوة منه - فتأمل ترى أنه تعالى جعل الشمس

وظلالها لها حساب معين لا يتغير ولذلك قال بعدها - ذلك من آيات الله - ولاترى من حائط أو حصاد أو خشبة منصوبة أو شجرة أو جسر أو جبل أو صخرة أو حجر في سهل ولا انسان أو حيوان إلا وكل من ظلالها حساب كحساب الشمس - وانه يسجد الخ - ومعلوم أن السجود هو الاقياد فلما سجد مافي السموات والأرض سجدت ظلالها ولولا ذلك لم يمكن الاستدلال بالظلال ولا بالزوال على سير الشمس ومعرفة انتقالها

هذا ملخص من كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ مع زيادات عليه . ثم جاء فيه بعد ذلك موضوع عنوانه ﴿ غفة الغلاء عن النظر في ظلال الأشجار ﴾ وجاء في ذلك مملخصه أن الانسان يجلس تحت الأشجار في البساتين النضرة والجال الباهر والظل وارف والفسن مزهر ولا يهتكر في أمر الظلال ولا يقرأ قوله تعالى - والله جعل لكم مما خلق ظلالا - الى قوله - وأكثرهم الكافرون - وجاء فيه أيضا . ان من حكم الظل أن الناس اذا سموا من الشمس لجؤا الى الظل فنجوا من الحرارة وهذه هي الأقسام الثلاثة نور وظلمة وظل . وكما جعل الله الليل لباسا بطلعت ونهار مبصرا بوجه جعل الظل ملجأ من الحر وقوله تعالى - ألم ترالى ربك كيف مّد الظل - أى ألا تنظر الى صنع ربك كيف مّد الظل وبسطه مع أنه قادر على سكونه ووقوف حركته بأن تقف الشمس التي هي السليل عليه والحركة والملاذه يمتنا ويسارا . فنحن جعلناها دليلا عليه يدل عبادنا بحركاتها للنظمية المعروفة للناس على سطح الأرض ليرتبوا أعمالهم في مهابهم وأوقات فراغهم وراحاتهم من شغلهم على أوقات ذلك الظل فلا ترى رجلا ولا امرأة ولا صغيرا ولا كبيرا إلا وهم ينتظرون الاستظلال في عمل كن لاسيا القفار وبلاد الفلاحين وعند الأعراب . فكل هؤلاء لا يمكنهم الراحة والجذ في العمل إلا ينظروهم في أمر الظل لراحاتهم هم وأنعامهم ولولا سير الشمس بحساب ما أمكنهم أن يستولوا على مواقع الظل قبل مجيئها - إن ربكم لرؤف رحيم -

وجاء في الكتاب بعد هذا تحت عنوان ﴿ غربة وعجيبه ﴾ ان هذه الآية - إن ربكم لرؤف رحيم - قد جاءت كتابتها عفو ولم يكن في ذكرى ان بعدها قوله تعالى - أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داحرون - . يقول لله أغفل أولئك الجاهلون ولم يروا ما خلقنا من الأجرام ذات الظلال تتجمل ظلالها عن الأيمان تارة ومن الشمائل تارة أخرى وتلك الأجرام خاضعة لنا جارية على النواويس التي صنعناها وهم صاغرون الخ . ثم قلت هناك بعد كلام . ولقد أطنبت في مسألة الظلال لأنني كنت أرى في نفسي عائقا لا أدري ماهو وأتأمل في هذه الظلال وأقول في نفسي لعل لهذه حسابا . وبأيت شمرى كيف يكون ذلك الحساب وعلى ماذا يدل وما نظامه وكنت أجد في القلب حواره وعوقا ولا أدري كيف السيل إليه ولا أى عمل يدل عليه في ابتداء محاورتي بالجامع الأزهر

ثم ذكرت بعد ذلك أن الظلال أضبط في معرفة الوقت من ساعات الجيب وأن كل شجر وحجر وندت وشخص وجبل وبالجملة كل ماله ظل يدل عليه على جميع الأوقات أفضل من ساعات الجيب ولكن معرفة ذلك عسرة . وهنا ذكرت الزوال في الكتاب وبينت الزوال للعتلة وكيفية عملها كما تقينها عن أشياء مع برهانتها الهندسية وبينت هناك أن الزوال في خط الاستواء تكون قائمة على الأفق وكلما مال العرض جنوبا أو شمالا مال الزوال جهة خط الاستواء بقدر متم عرض البلد ففي عرض (٢٥) تجل جهة خط الاستواء (٧٥) وفي ٢٣ كلسان تجل (٦٧) وهكذا وهنا ذكرت ما يقوله العلماء في الظلال فمن قائل انها أعراض ولكن ورد عليه أن العرض لا ينتقل ومن قائل انها أجسام ولكن ورد عليه أن الأجسام لاتزول بزوال أسبابها فلا يزول البناء بزوال البناء ولكن هنا زال الضوء لما زال المضيء وهو الشمس . ثم قلت الأقرب للصواب أنها أعراض وماهى إلا تتجمل في الأثير والأمواج متى زال المحرك لها زالت . ثم بعد كلام ذكرت تحت عنوان ﴿ دلالة الظلال على الله ﴾ انه كما يستدل على الظل بالشمس هكذا استدل كبار العلماء على العالم بالله

وكذا أن الشمس لو فرض زوالها زال الظل هكذا لو فرض زوال الله زال العالم بالكلية كما يزول الضوء والظل يزول الكواكب ولا يبقى إلا الظلمة وهي هنا العلم للطلق ومن هنا تزول شبهة العاتية

يقولون إن الانسان بين البيت ويعوت ولم يعلموا أن العلم لم يكن للباقي فيها إلا جمع ما خرق بخلاف هذا العالم فهو كالظلال تتبع الشمس والكل كلمات لا توجد إلا عند تكلمه ومتى سكت لم يكن كلامه . فلذلك ذكر الله الظل في عدة مواضع كما عبر بالكلام في قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لن خ- بخلاف الخط الذي هو جمع ما خرق من الحروف بمادة على الورق فهذا أشبه بمنأنا نبقى بعد موتنا فالعالم مع الله كالكلام مع المتكلم والظل مع المضيء لا كالكتابة مع الكاتب وقد كرر الكلمات كما كرر الظلال فقال - انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون - وقال - وكنته ألقاها إلى مريم - ثم جاء بعدها وقد رمز إلى ذلك بقوله - إن الله يمك السماوات والأرض أن تزولا - إلى قوله - حليما غفورا - وبقوله - ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم - وهذا بخلاف نباتنا فهو باق بعد بانيه وليس كالكل كلمات ولا كالظلال . ثم ذكرت بعد ذلك تحت عنوان (أعجوبة الظلال ومع الهندسة) فرسمت من فوق نخلة ووصل إلى الأرض بحيث يرسم في طبعاته خلا مستقيما أو كره على الشجرة وآخرو نهاية ظلها على الأرض وزيد أن تعرف طول هذا الخط بجاء الجواب تقيس طول النخلة وطول الظل الذي يمتد من أصلها إلى نهاية الظل وتربيع كلا من الضلعين وتجمع المربعين وتجذرهما فالجذر هو المطلوب فإذا كانت النخلة أربعة أمتار وطول الظل ثلاثة فرج الأول (١٦) والثاني (٩) ومجموعهما (٢٥) والجذر (٥) وذلك من قاعدة أن مربع وتر المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين ولما شغل في الهندسة يسمى (العروس) الذي كشفه اليونان . ثم قلت ان هذه القاعدة لا تدر نخلة ولا شجرة ولا زرع ولا صفر من ذلك حتى النخلة ظلها يكون على هذه القاعدة وأن ذلك من الميزان الذي قامت به السماوات والأرض وما بينهما . هذا إذا كان العمود أو الخط قائما عموديا فإن كان مائلا فليزل من رأس عمود على الأرض فالمساحة المنصورة من أصل المرتفع وذلك العمود هي مسقط النخلة على الضلع وحينئذ قول ان المربع المنشأ على الضلع للقابل لزاوية حادة من هذا المثلث يكافئ مجموع المربعين المنشئين على الضلعين الآخرين منه ناقصا ضعف المستطيل الذي قاعدته أحد الضلعين للمذكورين وارتفاعه مسقط الثاني عليه فإذا كان ذلك العمود أو الشجرة أو الخط مائلا إلى خلف كانت الزاوية منفرجة فنضع ما تقدم قبله وقول ان مربع الضلع للقابل لزاوية منفرجة في أي مثلث منفرج الزاوية يكافئ مجموع المربعين المنشئين على الضلعين الآخرين منه زائدا ضعف المستطيل الذي قاعدته أحد الضلعين وارتفاعه مسقط الثاني عليه وتجيئه غير خاف

ثم قلت فتأمل هذا الارتباط العجيب وكيف أمكننا أن تقيس كل ظل بهذه القوانين الثلاثة فهكذا يكون الميزان والعدل والنظام المحكم في السماوات والأرض وسواء طال الظل أم قصر أول النهار أو آخره فالنسبة محفوظة ثابتة لا تتغير وبهذا يفهم - وترى الشمس اذا طلعت تزول عن كهفهم الخ - وختمت هذا للموضوع الذي اختصرته هنا اختصارا كثيرا قائلا وإعلم اني وأنا أكتب هذا للموضوع وجدت نفسي فرحة به طالبة طائفة تحب أن لا ينقض ولو أطلعها لم يقف البرام وسيوقفني خوف سامة القارئ

ثم قلت وبالأجمال فإن مسألة الظلال وتبعيتها للشمس تشير بطرف خفي إلى أن العالم كله تابع لحركة واحدة منتظمة فانتظم كل ما تبعها كما انتظم سير الظلال تبعاً لنظام الشمس فالمادة العمومية متحركة منتظمة ظاهرا وباطنا والشمس جزء صغير منها وبحركتها انتظمت الظلال فهذا الجزء دل على السك لتشابه بين العالم كله - ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين - . - تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا -

(اللطيفة الثانية عشرة في قوله تعالى - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الخ -)

شبه القرآن للماء الذي ينزل من السماء لتسبيل به الأودية على قدر الحاجة ويحتضى المصلحة فينفع الناس والحيوان والنبات ويكث في الأرض . فنه ما يكون فوق رؤس الجبال على هيئة تلج ومنه ما يغترن في باطن الجبال ومنه ما يسلك في عروق الأرض فيكون منه الجارى في باطن الأرض ومثل الماء في أنه مشبه به القفز الذي ينفع به في صوغ الحلى واتخاذ الأمتعة المختلفة ويوم ذلك الى حين وشبه القلوب بالأودية فكأن الماء لا يسيل في جميع الأودية هكذا العلم لا ينزل على كل القلوب . وكما أن الأودية لا تأخذ من الماء إلا بقدر هكذا القلوب لا تقبل من العلم إلا ما يناسبها وتأتى أن قبل ما يناسبها . وشبه الباطل بالزبد في قلة النفع وسرعة الزوال . هذا هو اللؤلؤ وإنما ذكرته هنا بعد ما تقدمت لأسمعك الحديث

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت للماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله وقعه ما بعثني الله به فتعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)

(١) الكلأ الحشيش (٢) اجادب أرض لا تلبث الكلأ (٣) وقوله رعو رواة مسلم ورواية البخارى وزرعو (٤) القيعان جمع قاع وهو المستوى من الأرض وقته كلم وظرف أى فهم الأحكام وغيرها ومعنى هذا أن الناس لما كانوا مخلوقين من الأرض أشبهوها (١) فنها الأرض الطيبة تقبل المطر وتأتى بالنبات . هكذا منهم من يتنفع بالعلم وينفع غيره (٢) ومنها أرض لا تنبت زرا ولكنها تحفظ للماء لأرض غيرها . هكذا منهم من يقرأ العلم ولكن لأفهم له ولإدراية فينقلون العلم الى من يعرف قيمته فيأخذونه عنهم ويعلم غيره (٣) ومنها أرض سبخة لئلا تمسك ولا تروى تنبت . هكذا من الناس من لا يلبس لهم حافظة ولا أفهام لهم ثاقبة فهم لا ينتفعون بالعلم ولا ينفعون غيرهم . هذا ما أردت ذكره في هذه الآية من وجهة الأحاديث الشريفة

(نظرة في الآية من جهة العلم الحديث)

اعلم أن في العالم الانساني اليوم فكرة نبقت في انكسار كما يقولون وانتشرت في أنحاء المعمورة شرقا وغربا وهي (النشوء والارتقاء) وتلك الفكرة ترى الى أن كل شئ في هذه الحياة أخذ في الارتقاء موجه الى النماء وهذه الحياة مطالبة ومشادة ومناضلة فلا يفوز إلا الأقوى والضعيف له التكال وعليه الوبال فلا بد للأقوى من الغلبة في الحياة . وقد دعمت هذه الفكرة الأحوال الحيوانية والانسانية والسياسية وبنوا على ذلك قتل الأمم الضعيفة بحجة أنها لا تصلح للوجود وساعدتهم على ذلك البخار والكهرباء والفحم والحديد والاختراعات والطائرات وأنه كلما كان الانسان أقوى استعدادا وأوفر عتة كان أبقي حياة وأسعد حالا وهذا التاموس هو الذى بنوا عليه سيادتهم وسعادتهم فلا يبقى في الوجود إلا الأصلح

(حكاية صينية)

منذ سنين قرأت في بعض الجرائد محادثة بين سفير (صيني) ومكاتب لاحدى الجرائد الفرنسية . ابتدأ الكاتب يصف المكان والزمان والتمتع والظارات التى على عيني ذلك السفير وابتسامه وأخلاقه وحسن ربه ثم سأله ما شاء أن يسأل فقال له السفير . لم تراكم يا أهل أوروبا خائفين من رقى الصين ولماذا منعم بيع الأسلحة الى الصين . فقال له لأننا نخاف أن يعظم أمركم فتأتون أئتم وجيرانكم فقسطون علينا . فقال له هوّن عليك انتا ليس في تعالينا اهتمام حقوق الأمم . ثم ان كوفتشوس وبودا ومحمد هؤلاء لا يحاربون

أوروبا كما تحاربون الشرق بل تكون سلاماً على الناس . على أنكم مهما كان الأمر فهل تقفون حركة القلعة . فهب أننا نرتقي وهب اتساقنا لكم وغلصكم فهل تفتدون أن تمنعوا شيئاً من ذلك . كلا . أستم قفرون بأنكم كسفتهم ناموس الارتقاء فإذا كان الارتقاء يعم العالم فكيف تصبوتنا عنه وهل في قفورتكم أن تمنعوا الشمس عن المسير . إن التولميس العاتية لا يقدر أحد أن يصدها فاما أسلحتكم فأتنا تقدر أن تأخذ رجالكم بالمال ويصنعون الأسلحة لنا في بلادنا فافعلوا ما تشاؤون فلا تقفرون الصين . انتهت الحكاية إن هذه الآية ملخصها أنه لا يبقى إلا الأتقع فهي عنها نظرية الترقى وبقاء الأصلح فالماء والفراوات أشبه بالأمم الراقية العاقلة الكاملة والزيد أشبه بالأمم الجاهلة التي تظهر غلبتها في أول الأمر ثم يصيرها الاضمحلال والاحتلال . إن أكثر الأمم الراقية الآن كالأسان والطليان وأهل فرنسا والانجليز قوم قتلتهم الشهوات واعتراهم داء الطمع والمحلت الأعصاب فهم أقرب الى الاحتلال والبرهان على ذلك ان ألفاً من عرب طرابلس وألفاً من عرب مراکش يغلبون عشرة آلاف من الطليان وعشرة آلاف من أهل اسبانيا . إن أمم أوروبا اليوم قد ضعفت أجسامها وخرت قواها . فاما أمم الشرق فان قوتهم آمن وعقولهم صالحة للارتقاء وقد جاء دورهم فحي قرأ العرب والترك والأفغان والصينيون علوم أوروبا واستعملوا مدافعهم حلوا محلهم وقاموا مقامهم في رقى النوع الانساني فاهل أوروبا اليوم أشبه بالزيد لأنهم ظاهرون وأهل الشرق أشبه بالماء ولذلك غلب الترك أوروبا بجمعة منذ سنة وكذلك الأفغان طردوا الانجليز . وقد آن وأوان أن يأخذ الشرق دوره وذلك من جهة الارتقاء وبقاء الأصلح وهذا هو الذي سيكون كما ظهرت اليابان والأفغان وقوم عبد الكريم بالغرب والسنوسيون في طرابلس والترك في الأناضول والفرس في بلادهم . فهذه ست أمم ظهرت في هذه الأيام . وسترى في المستقبل القريب رقى الشرق لازهار ان شاء الله تعالى

(تنبيه) إن الأثنين العريتين للذكوريتين عند طبع هذا غلبتا على أمرهما لاتحاد الاوربيين عليهم جاء في كتابي (مذكرات أدب اللغة العربية) في صفحة (٩٣) ما فيه

(باب التشبيبات في كلام العرب والقرآن)

بذكر في هذا الباب جلا حوت التشبيبات في كلام العرب ثم تتبعها بأخرى من آي القرآن لتعرف أنواع الكلام وليستدل للطلع على مقدار ما وصلت اليه البلاغة عند الجاهلية في أشعارهم وكيف تخطاها القرآن وتجاوز تلك الدرجة الى ما هو أعلى منها وأسمى . قال لبيد بن ربيعة العامري في مطلقته

وَجَلَّالَ السُّيُولُ عَنْ الطُّلُولِ كَانَتْهَا زُبُرٌ تَجِدُ مَوْتَهَا أَقْلَامُهَا

أَوْ رَجَعُ وَإِشْمَةُ أَسِفٍ نُورُهَا كَيْفَقًا تَعْرِضُ قُوَّتُهَا وَشَامُهَا

يقول لما تماطلت الأمطار على الديار وحملت منها السيول كشفت آثار الديار لفصل ما كان متراكماً عليها من التراب فكأن تلك الطلول كتب غابت فيها الكتابة لطول عهدها بالكاتب وكأن تلك أقلام تجدد الكتابة وتظهر ما خفي منها والرجع الاعادة والاشمة التي تصنع الوشم وأسف ذر والنور الكحل الذي ترضه الواشمة على الجرح والكشف دارات تكون في الوشم وتعرض ظهر ووشم جمع وشم غرز الابرة في اللحم حتى يظهر اللحم ثم ذر الكحل عليه (للمضى) وكأن تلك السيول واشمة عمدت الى وشم قد ضعف أثره على اليد فرجته وأعادته بذر النور على داراته حتى كأنه جديد لا يضمحل وقوله جلا أى كشف والسيول جمع سيل الماء الكثير والطلول جمع طلل آثار الديار والزر جمع زيور الكتاب وتجدد تجدد والتون جمع متن وهو بمعنى الظهر في غير هذا المقام وهنا معناه الكتابة ويقول الله عز وجل - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - الى قوله - كذلك يضرب الله الأمثال - . يقول ان الله أنزل المطر فسالت به الأودية وأخذ كل واد قسطه ورياً على الماء الزيد . هكذا ترى الناس يرقدون النار ويصهرون المعادن فيعملوا على جواهرها

الأجسام القوية كما يعلو الزبد على الماء . وهكذا كان الحق والباطل في الدنيا فان الحق في أول أمره يظلب الباطل ويشبهه بقشاه من الأضاليل ثم ينكشف القشاه ويصمصح الحق ويتجلى للناس كما أن زبد الماء الزابي عليه وزيد المعادن النفيسة يذهب ويذول بعد أن غلب وغشى على الماء والمعدن فأما ما ينفع الناس من الماء والمعدن كالذهب والفضة فانهما يبقيان . فهذا ثبت الكلا والشب والمزبور والحدائق والجنات . وهذا تصاغ منه الحلي ويعمله النساء زينة لهن وجالا ويعمله الناس آلات ويعملون به أعمال الحياة . هذا هو التاموس الطبيعي العام الذي افتخر به الاوروييون وقالوا قد كشفناه ودرسناه وأبرزناه للعالم وهو تاموس بقاء الأصلح للوجود والأفقع للإنسانية والأفضل للحياة نطقت به هذه الآية وجعلت أعمال المجاهدين والفضلاء والحكماء والخلفين تشابه ما تراه كل يوم فيا أماننا من الزبد والماء والحلي وأن الحق يعلو وان غشيت الأباطيل والباطل يذهب جفاء وان غاب بالتضليل . هذا هو التاموس المبين فهل ترى له مع قول لبيد موازنة .

أفرايت الفرق بين التنيهين وكلاهما في الماء . ليس من العجب أن يقتصر لبيد على الطلول واليسداء ويتعالى القرآن فيقيس به السياسة والحكمة والحق والباطل فيقول - فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض -

عجب عجب . هذه هي التي غر بها الاوروييون وقالوا نحن لها معترفون . ألا فلينظر العاقلون وليعلم القين لا يعلون . انتهى القسم الأول من السورة

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ هُمُ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ السُّوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَبَنَسَ لِلِهَادُ . أَفَن يَظُنُّ
أَنَّمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ مِنَ الرِّبِّ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يُؤْفُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْمِيثَاقَ . وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخْلُقُونَ سُوءَ الْحِسَابِ . وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ هُمُ عَفَى النَّارِ . جَنَّاتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ
بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ . وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ
مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوءُ النَّارِ . اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَصِلُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ . كَذَٰلِكَ

أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكَ أُمَّةٌ لَسَلُّوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ
 بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ • وَلَوْ أَنْ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ
 الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ نَفْسٍ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِسِ الَّذِينَ آمَنُوا
 أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ
 تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ • وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرَسُولِ
 مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ • أَفَنْ هُوَ قَاتِمٌ عَلَى
 كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ مَن مَّعُودُكُمْ أَمْ تُبَوِّهُنَّ لِمَا لَا يَسْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
 بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا
 لَهُ مِنْ هَادٍ • لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ
 مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ
 اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ • وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ
 الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكُ بِهِ إِلَهًا أَدْعُوا إِلَيْهِ
 مَا بَ • وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَاكُمْ حِكْمًا حَرِيًّا وَلَكِنْ أَتَيْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بِمَدَامَ جَاءَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكُ
 مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا
 كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ • يَمْخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِثُ
 وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ • وَإِنْ مَارَيْتَكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَعَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ
 وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ • أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَخْكُمُ لَا مُمْقَبَ
 لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ • وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا
 تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ • وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا
 قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ •

(التفسير العنقي)

قال تعالى (الذين استجابوا) للؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) للنفعة العظمى في الحسن بأن
 تكون خالصة من السوائب الضارة ومن الاقطاع (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة مبتدأ خبره (ولأن
 لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لاقتدوا به أولئك لهم سوء الحساب) بأن يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له

منه شيء واعلم أن في قوله تعالى - لا تسبوا به - سرا مصونا يحتج في القلوب والشفاه لالتقيه محسوسا في النفوس والناس عنه في تبه . ذلك أننا في هذه الحياة لاحظنا لإلناقوسنا وحدها وكل ما عدا النفوس مسمعل الآثرى أن أحدا لو أصابه مرض أضعف شديد أو هرم لأصبح لا يحسن بما كان يحسن به في زمن الشباب وقلت آماله وضاعت أحلامه ومتى ضفت قوة الطعام فيه لم تكن له قائمة من المال التي عنده فكل شيء دون النفس زبد يذهب جفاء وقوله (وأولاهم جهنم) أي مرجعهم (وبئس المهاد) المكان للمهد والنصوص بالهم مخوف أي جهنم وقوله تعالى (أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق - كمن هو أعمى) الهمة لانكار أن يشك عاقل ما بعد ضرب هذا للثل أن يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهم على البصائر مع أن البعد فيما بينهما كيد ما بين الماء الصافي والابريز الخالص ولازبد والخبث (إنما يتذكر أولوا الأبواب) ذوا العقول الذين نبئوا الوهم والالت واستبصروا بالرأى ثم وصفهم فقال (الذين يوفون بعهده الله) الذي عقده على أنفسهم بشهادتهم برؤيته وشهدت فطرتهم في هذه الحياة بصحته وأزل الكتاب بإيجابه (ولا ينقضون الميثاق) ما أوقفوه على أنفسهم من الإيمان بالله ومن الموائيق بينهم وبين الناس من ذكر العام بعد الخاص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الأرحام والقرابات الخاصة وكذلك القرابة الدينية وهي تم جيع للزومين فهم أخوة فيحسن إليهم متى قرو ويذب عنهم ويشفق عليهم ويفشى السلام ويعود المرضى ويراعى حق أصحابه وخدمه وجيرانه ويرفقائه في السفر . واعلم أن الانسان لا تحاوله إما أن تكون له قدرة علمية فهذا يجب عليه نشره بين أمته وهذا أعلى الدرجات ولما أن تكون له قدرة عملية وعجز عن العلمية فهذا ينبغي له أن يصرف أيامه في مواساة الفقراء وعيادة المرضى وفصل للبرات والتجيرات ولما أن تكون قدرته عاطلة فلا عمل عنده ولا قوة لديه وهذا ينبغي له أن يصرف أيامه في العبادة ويلزم المحراب ولما أن تكون نفسه خلت من العلم ومن العمل النافع ومن العبادة فهذا خبر له أن يدع الناس ويحتملهم لأنه لم يبق لديه إلا الغيبة والنجمة . فالثلاثة الأول أشبه باللائكة على اختلاف درجاتهم فالعالم العام النفع أفضل من المواسى لصنعاة الأمة وهذا الثاني أشرف من العابد الملزم للمحراب والتارك للخير والشر العاكف على النوم وهو الرابع أشبه بالجرى في اليباء لا يملك للناس قنعا ولا ضرا . فأما الخامس وهو من يضع وقته في أذى الناس فهو كالحيات والعقارب والذباب والناموس وأمثالها يؤذي الناس على مقدار ما أوتى من قوة وما نال من همة على درجات متفاوتة تفاوتت الدرجات في المشبهين باللائكة وقوله (ويخشون ربهم) أي وعبيده عموما (ويخافون سوء الحساب) بحيث يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) عن المعاصي وبتلى ما أصابهم من مرض أو أذى من الناس أو فقر وعلى الطلعات ومشاقها (ابضاء وجه ربهم) لا ليتال ما أكمل صبره أولئلا يشتبه به الأعداء أولئلا يعاب من الأصدقاء وإنما يكون صبره خالصا لوجه الله لعله بأن ذلك رافع لشأنه مهذب لنفسه رافع لمرجاته مقتر عليه لحكمة (وأقاموا الصلاة) داوموا على اقامتها (وأنفقوا مما رزقناهم) بعض ما رزقناهم واجبا أو مندوبا (سرا) فيما بينهم وبين الله وهذا أولى لمن لم يعرف المال (وعلاية) وهذا أولى لمن عرف بالمال (ويدرؤن إلى حطة السيئة) فيدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم أوهم اللطون من سرحهم العاقون ممن ظلمهم للواصلون من قطعهم التائبون من ذنبهم المغيرون للفتكر اذا راوه ويتبعون السيئة الحسنة فتتمحوها فهذه (ثمان خصال) الوفاء والصلاة والنجية ومحاسبة النفس والصبر وإقامة الصلاة والاتفاق وأن يدرؤا السيئة بالحسنة فهي عددا بواب الجنة الثمانية ولأنك أعقبها بها فقال (أولئك لهم عقي الدار) عاقبة الدنيا العاقبة التي تنفي لهم وأبدل من عقي الدار (جنات عدن) أي بساتين إقامة . يقال عدن بالمكان اذا أقام به (يدخلونها) أي الدار التي تقدم ذكرها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) عطف على الولو في يدخلون فلا أزواج والذرية يقرنون بهم عند

دخولهم الجنة اذا استحقوا بصلاحهم وتكون المزية إذ ذاك جميعهم معهم تكريما فيقرن بعضهم
 ببعض لما بينهم من الصلة والتحميد بالصلاح للدلالة على أن النسب لا يفيد في الآخرة (وللجنة يدخلون
 عليهم من كل باب) من أبواب منازلهم في الجنة أو من أبواب الصوح والتحف وشارات الرضا قائلين (سلام
 عليكم) بشارة بدوام السلامة هذا (كما صبرتم) أي هذا الثواب بسبب صبركم بأقسامه المتقدمة ويصح أن
 يقال تسلم عليكم وتكرمكم بصبركم والأول أولى لأن الخبر فصل بين المتعلق والمتعلق به (فتم عقب السار)
 الجنات • ولما أتم الكلام على صفات السعداء أعقبه بصفات الأشقياء فقال تعالى (والذين ينقضون عهد الله
 من بعد ميثاقه) بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أي
 من الرحم وحفظ الجوار والمساعدة العامة كما تقتض (ويضربون في الأرض) بالظلم والمعاصي والتهيج وتفرق
 الكلمة (أو تلك) أي من هذه صفته (لمم للجنة ولم سوء الدار) عذاب جهنم وسوء العاقبة في مقابلة عقبي
 النار • ولما كان كل فئة وتمييز وقس عهد إنما يكون لقصد الشهوات والحياة الدنيا أخذ بذهمها فقال
 سبحانه (الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوصفه بقوم قراء وآخرون أغنياء وما المقر والقي إلا
 كالليل والنهار يران على البر والفاجر والصلح والطلح فليس العنى مرمى الأنظار ولا الفقر غاية الأخطار بل هما
 حالان يعتبران الناس بأقدار غالبية وأحوال عارضة كما يضي النهار الليل والليل النهار فكيف يرحون يسط
 الرزق في الحياة ويعتدونه أكبر متاع وما الحياة كلها إلا سحابة صيف من قليل تقشع فما بالك بنفس النفي
 ونفس اللذة وما هما إلا حالان عارضان في الحياة فالجياة وشؤون الحياة لا وزن لها ولا تمن وهذا قوله تعالى
 (وفرحوا بالحياة الدنيا) أي بما يسط لهم من الرزق فيها (وما الحياة الدنيا في) جنب (الآخرة إلا متاع)
 متعة لا تدوم كجمالة الراكب وزاد الراعي فهو لا بطروا وأشروا بما نالوا من الدنيا واعتزوا بقليل المتاع سريع
 الزوال • ولما أبان ولوعهم بالسراب وانخداعهم بالجاب وجعلهم بما حصر وغاب أخذ يبين ما ترتب على ذلك
 الغرور من اقتراح الآيات الناجم من بطرهم وأشهرهم فقال (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه
 قل إن الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى إليه من أناب) أقبل إلى الحق
 ورجع عن العناد فمن أضله أمه فلا هادي له وإن نزلت الآيات التي اقترحها فالقلوب تختلف اختلاف الأودية كما
 تقدم • ثم أبان المهتدين فقال سبحانه هم (الذين آمنوا وتطمئن) تسكن (قلوبهم لذكر الله) ففي الوحدة
 يسكنون بأنسه • وعند الحاجة الاعتماد عليه • وعند القلق من خشيته يسكنون برحمته • وعند الشك
 في وجوده يسكنون بدلائل وحدانيته في آيات الكتاب ومجائب الكائنات ولاطمأنينة إلا باليقين والشك
 موجب للقلق والاضطراب (ألا يذكر الله تطمئن القلوب) في جميع ما بيناه ولما كان لطمئنان القلوب لا يتسنى
 إلا بعلم الحقائق وتهذيب الأخلاق أردفه وبين لطمئنين ذويهم فقال (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى
 لهم) أي فرح لهم وهي جملة خير الدين وطوبى فعل من الطيب قلبت الياء ولوا بعد الضمة وهي مصدر كرتني
 وبشرى • وقول العرب (طوبى لك) أي أصبت خيرا • ومعنى هذا أن أهل الجنة منعمون بكل
 ما يشتهون فكل ما يسر النفس داخل في هذه القضية • فإذا سمعت حديث البخاري وسلم عن أبي سعيد
 الخدري أن النبي ﷺ قال (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام
 ما يطعمها) وسعت أن البخاري زاد (واقرأوا إن شئتم - وظل عمود) • وإذا سمعت الأحاديث التي ليست
 في الصحاح أن ثياب أهل الجنة تخرج من أكاملها وأن الخلى والخلل تكون من أغصانها وأن في كل دار
 وغرفة في الجنة منها غصنا وأن الله لم يخلق لونا ولا حره إلا وفيها منه إلا السواد وإنه لم يخلق فاكهة ولا ثمرة
 إلا وفيها منها وأنه ينبع من أصلها عينان الكافور والسبيل وأن كل ورقة منها تظل أمته
 فإذا سمعت هذا كله في الصحاح وفي غير الصحاح فاعلم أنه بعض ما أعد لأهل الجنة من المرح الذي

نصته الجنة والجنة أعم من هذا كله صرح أول صبح وأما الحقيقة فهي أن أهل الجنة لهم ما يشتهون وهذا في الامكان بل إن العوالم التي كشفها علم الفلك بلغت عظمتها حدًا لا يتخيله الفكر فإذا كان هذا في العالم الذي نحن فيه فكيف تكون الجنة بل إن كل روح من الأرواح لها قدرة نامقة على اختراع ما تشاء من ملابس وماكل من كل ما تشتهيه وهذا ثبت في علم الأرواح اليوم في الأمم الغربية فإذا كانت كل روح لها قدرة على نوع ما من اللابس والنفاثس فنلك أكبر نعمة فوق ما هو مشاهد في الخلق

إن الحديث أبان للناس ما يشهدون على فهمه وقبح لهم باب عظمة العالم ليستعملوا لما سيرونه بعد الموت وما بعد الموت فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وليس يكون ما سمعناه في الحديث تقرب لمقولنا المصوبة في هذه العوالم الحسية وإذا كانت الجنة فيها ما لا يخطر ببالنا فهذا ربما يخطر بالبال فما فيها فوقه بما لا حد له - وقوله (وحسن ما ب) أي ولم حسن منقلب . ولما كانت الآية أبانت أن ذكر الله به تعلق القلوب وذكر من ذلك أن لهم ما يشتهون في الجنة أتبعه بأن هذه العقيدة قديمة العهد ليزداد الاطمئنان فليس لشيء بدعا بل سبقه أنبياء أرسلوا لأمتهم بهذا التسامع يدل على صدق الدعوة لأن الأمم تضافرت عليه وما كان باجتماع الأمم فهو حق والحق به الاطمئنان فوعدهم بالسعادة أولاً وحقق أصول دينهم ثانياً وأتى الاطمئنان بعد هذا وهذا قوله تعالى (كذلك) مثل ذلك يعني إرسال الرسل قبلك (أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها) تقمته (أمة) أرسل إليها رسل فهل يكون بدعا إذا أرسلناك إليهم (لتسألهم) (التي أوحينا إليك) لتقرأ عليهم الكتاب التي أوحينا إليك (وهي تكفرون بالرحن) أي وحاسم أهم يكفرون بالبلغ الرحمة العظيم النعمة قد أحطت بكل شيء رحمة ووسعت كل شيء نعمته فلم يشكروا إحسانه ولم يذكروا أنعمه ولم يعرفوا مته في الهداية بإرسالك إليهم وإزال القرآن لتقرأ عليهم . وهذا القول عالم لا يخصص حالاً بعينها فكفرهم شامل وجهلهم عظيم . فإذا سمعت أن هذه الآية نزلت في صاحب الهداية وأن سهيل بن عمرو لما جاء للصلح وانفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب أكتب بسم الله الرحمن فقالوا لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة (يعنون مسيلة الكذاب) أكتب كما نكتب باسمك اللهم وعليه تكون الآية مكية . وإذا سمعت أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمن فرج أوجهل إلى الشركين وقال إن محمداً يدعو إلى دين يدعو الله ويدعو إليها أتريسي الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا الرحمن اليمامة فنزلت هذه الآية . وإذا سمعت أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ - اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن - . إذا سمعت هذه الروايات كلها وأن الآية نزلت فيها فاعلم أن ذلك لا يغير من المقصود شيئاً فكل هؤلاء كفروا بالرحمن فسهيل بن عمرو وأوجهل وكفار قريش صدقت عليهم الآية . فأما اختلاف الروايات وكل من الرواة يقول نزلت للسبب الذي ذكره فإنه من تصرفهم أو من استعمال النزول في معنى أنها تنطبق عليها . وأنت علم أن شرائع البخاري نضوا على أن الحديث ظني فما بالك بما ليس بصحيح واليقين إنما هو الآية والحديث المتواتر والآية هنا تشمل ما ذكره وغيره ثم أمره الله أن يصبح بالأمر فقال الله (قل هوربي) أي الرحمن خالتي ومتولي أمرى (لا إله إلا هو) لا معبود بحق سواه (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (والله متاب) مرجى ومرجى ثم إن الله تعالى - ويقول للذين كفروا ولا أتزل عليه آية من ربه - قد أجاب عنه بقوله - قل إن الله يضل من يشاء ويهدي الخ - فكانت الاجابة بقطع الاطماع عن إيمانهم مهما أتزل لهم مما اقترحوه . ثم ذكر الهداية وصفات للمهدين واحتاج المقام إلى إيضاح تلك الآيات وزيادة البرهنة على دلم تقع اجابتهم فأفاد أنه لو ثبت أن كتابا - سبرت به الجبال - أي زعزت من مقارها - أو قطعت به الأرض - وصدمت وزايت قطعا - أو كمل به اللوقي - تقسم وتجبج لكان هذا القرآن ولم يؤمنوا فأن هذا إما وصف لعظمة

القرآن وأما وصف لشدة عنادهم فلا يفتضحهم ما يترجون وهذا قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كالم في الموتى) وقد كان قهر من قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية قد جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خلف النبي ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله إن سرنا أن تبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفتح فانها أرض ضيقة لمزلعنا واجعل لنا فيها أنهارا وهيوناً لغرس الأشجار ونزيع وتخذ البساتين فليست كما زعمت بأهون على ربك من دلود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لنركبها إلى الشام لميرتنا وحوالحنا ونزيع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فليست بأهون على ربك من سليمان أو أوحى لنا جدك قصيا أو من شئت من موتانا لقسالة من أمرنا أحق أم باطل فان عيسى كان يحيى الموتى وليست بأهون على الله من عيسى فزالت هذه الآية قال تعالى (بل الله الأمر جيعا) أي بل الله قادر على الاتيان بما اقتضوه ولكنه لم يرد ذلك لأنه لا ينتج المقصود من إيمانكم • ثم أتبع هذا (١) بالتبيين من إيمانهم فأكد لما تقدم (٢) وبالتهديد لهم بالقارعة التي تحمل بهم (٣) وبسليمة النبي ﷺ على استهزائهم به • فالأول قوله تعالى (أفلم يئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعا) أي أفلم يئس الذين آمنوا بأنه لو شاء الله لهدى الناس جيعا من إيمان هؤلاء الكفار وهذا إذا بقي اليأس على معناه • وقيل يئس بمعنى يطم وهذا المعنى في لغة النخع والمعنى واحد أو متقارب على الوجهين والثاني قوله تعالى (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الأعمال (قارعة) داهية تفرعهم بأنواع البلايا كالجدب والسلب والقتل والأسر (أو تحمل) قريبا من دارهم) فيفزعون ويتطاول بهم شرورها • ويجوز أن يقال أو تحمل أنت يا محمد مع أصحابك قريبا من دارهم وهي مدينتهم مكة (حتى يأتي وعد الله) فتح مكة (إن الله لا يخلف الميعاد) التي وعدها به من النصر والتأييد والبعث بعد الموت وكل موعود به من موت وغيره والثالث قوله تعالى (ولقد استهزئ برس من قبله فأملت للذين كفروا) لما أوعد الكافرين أخذ يسلي النبي ﷺ ويزيد في وعيدهم وأفاد أن الرسل من قبله استهزأ بهم قومهم فأملت الله للذين كفروا أي أمهلهم والاملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أي عقابي لهم هكذا هؤلاء الكفار أملى لهم ثم أخذهم وقد تم ذلك فأنهم غلبوا ومن أي قتل وأسلمت جزيرة العرب كلها إلى الآن • ولما فرغ من الكلام على النبي ﷺ وتسليت ووعيده أعدائه شرع يذكر سعة علم الله التي يعلم النبي ﷺ وأعدائه ويجازي كلا بعمله يرفع الصادق ويخفض الكاذب فقال (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي أفمن هو حافظها ورزقها وعالم بها وبأعمالها خيرا كانت أو شرا ومجازيها على الخير والشر كما علم محمدا والمشركون وأعطى كلا ما يستحقه أي أفمن هو بهذه الصفة لم يوجدوه (ويجعل الله شركاء) أي ويجعلوا له شركاء وهو الظاهر في مقام الاضمار والهمزة للانكار (قل سموهم) أي صفوهم فهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (أم تقيئونه) أي بل أنقيئونه (بما لا يعلم في الأرض) يشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفتهم يستحقون العبادة لأجلها لا يعلمها مع أنه عالم بكل شيء (أم) سموهم شركاء (بظاهر من القول) من غير حقيقة واعتبار معنى كما يسمى الناس الزنجى كافورا ثم أضرب عن ذلك فقال (بل زين للذين كفروا مكرهم) تمويههم فتخيلوا لأبطال ثم ظنوها حقا أو كيدهم للإسلام (وصنوا عن السبيل) أي وصرفوا بالبناء للمجهول فيها أن قرئ بضم الصاد أو صرفوا الناس عن السبيل أي الإيمان أن قرئ بفتح الصاد (ومن يضل الله) بخلافه (فأله من هاد) يوقه للهدى (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والأسر ومصائب الحياة ومهموما (وللعذاب الآخرة أشق) لشدة ودولمه (ومالم من الله) من عذابه (من واق) حافظ

(وصف الجنة)

ولما ذكر أن المؤمنين لهم فرح بقوله - طوبى لهم - فصله بعض التفصيل هنا فقال (مثل الجنة التي

وعد للفقون) صفتها التي هي مثل في القرابة وهذا مبتدأ خبره محذوف عند سيوبه أي فيها خصصنا عليك
صفحة الجنة التي وعدنا للفقون حال كونها (يجري من تحتها الأنهار كلها دائم) لا ينقطع نهرها (وظلها) أي
وظلها كذلك بخلاف ظل الشمس للفقون في قوله - وظلالهم بالغنى والأصل - (ذلك) أي الجنة (عقب
الذين اتقوا) أي ما لهم ومنتهى أمرهم (وعقب الكافرين النار) لا يغيب فأطعم الأولين وأياس الآخرين
وهذا القول في مشركي العرب . ولما كان أهل الكتاب قد آمن بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وبعض
النصارى وهم ثمانون رجلا من الحبشة واليمن وبحران وكفر باقيم ذكر الفريقين فقال (والذين آمنناهم
الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب) وهم الذين كفروا منهم (من ينكر بضه) لأنه لا يوافق
ما حوفوه من كتبهم أو شرائعهم (قل) يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) أي قل لهم إني
أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحده وهذا أهم المطالب في الدين فأما ما عدا ذلك من الأحكام الجزئية
للخالقة لشرائعكم فذلك ليس بدعا فالكتب السبلوية تتفق أصولها وتختلف فروعها لاختلاف الأزمنة والأمكنة
والعقول (إليه أدعو) وحده لا أدعو سواه (والله) لا إله غيره (ما ب) مرجعي وأما وأتم على اتفاق تلم
فكيف تنكرون المتفق عليه (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أي وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم
ولسانهم أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب حكمة عربية ليسهل لهم فهمه وحفظه وقوله - حكما - حال ثم إن
أهل مكة دعوه إلى أمور يشاركون فيها كقريودينهم فقال تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ماجاءكم من العلم)
بنسخ إذك (مالكم من الله من ولي ولا واثق) أي لا ينصرك ناصر ولا يشيك واثق . ولقد كانوا يعيونه
بالزواج والأولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فتزل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
أنوفا وخزينة) نساء وأولادا كما أنك كذلك (وما كان رسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) فليس يقدر
أحد منهم أن يأتي من الآيات بما يقترحه قومه وكيف يأتي لهم بما يقتضونه وقد جاء لهم من الآيات ما فيه
عبرة لمعتبر وغناء لمفكر ولكنهم أبوا إلا التنادي وازدادوا اقتراحا كما حتم في مقال عبد الله بن أبي أمية
والآيات المقترحات لاتأتي إلا على مقتضى الحكمة في أزمان علمها الله فلكل زمن حكم على العباد بمقتضى
صلاحهم ولاصلاح فيما اقتروه وهل من صلاح للمراق أن يرضع اللبن من ظهه فإذا لم يحسن في الحكمة
أن ترضع الظئر شبا قويا وأن يجعل للمراق مهد يكون فيه . فهكذا لاسحمة في ازال الآيات التي اقتروها
وهذا إيضاح قوله (لكل أجل كتاب) أي لكل أمد حكم لا يحسن سواء فيه فلا آية من المقترحات بنزلة
قبل وقتها ولا هذاب مما خففوا به بحاصل في غير وقته ولانوة حاصلة في غير الزمان المقترها لغوسي وعيسى
ومحمد عليهم الصلاة والسلام كل حكم الله بوجوده في زمانه انخلص به لا يتقدم ولا يتأخر وهكذا اقتضاء أعمال
الناس ووقوع أعمالهم وأحوالهم كلها كتبت في آجال ومحدد معلومة لا تهديم ولا تأخير . ألا إنما منسل هذه
الدنيا من كواكبها وشمسها وأرضها وزرعها كتبت مدرسة رتبت فصولها ونظمت سجعها وأقيم كل مدرس
في درسه وجعل له علم مخصوص والتلاميذ لكل من هؤلاء سامعون وناظر للمدرسة قد رتب لها مناهج
وقوانين وأوقات لامتحان التلاميذ ونهايت لأعمالهم فترى للمدرسين كل يوم يعملون وينصرفون إلى أمانتهم
ويرجعون والمنهج المرسوم لا يتغير ولا يتبدل . فهكذا هذه الدنيا قد جعل الله لها في علمه التدرج نظاما كأنها
مدرسة وهذا النظام على مقتضى الحقائق الثابتة التي تتعلق بها علمه وعلى ذلك العلم جرت الشمس والقمر
والكواكب وظهر النبات والحيوان وتعاقب اللوت والحياة وظهرت نجوم ونفيت أخرى ونبت زرع وحصد آخر
وقام نبي ومات آخر وامتد دين وتخلص آخر وكل كوكب من الكواكب التي تصلح للحياة كأرضنا صار كأنه
محيقة يكتب فيها ويمحي على مقتضى الخلق والائتات عند الملائكة وذلك تبع لما رسم في المنهج الأصلي تتعاقب
الأزمن والأجيال والزروع والبول والأحكام والنظم ويتعاقب قسما المصريين واليونان والرومان والعرب والانتار

وأوردوا أهل الشرق عليها كل ذلك نحو وأثبت على مقتضى المنهج للرسوم . وهكذا ننسخ آية من القرآن ويؤتى بنبرها كما نسخ زرع بزراع ويل نهار وقوم يقومون في بال سحر كل فوعته . وهكذا يتصلق زيه على رجه فيطول عمره . ويجهد الرجل الهندى من العلاقة المسماة (راجايوة) فيحصر نفسه التى ينتفسه على هيئة مخصوصة كما في بلاد البنغال وغير البنغال هناك في الهند . ويتعد عن الناس فيسكن حركات قلبه دقائق كل يوم بالتدريج فيكون عمره أطول من أعمارنا عشرات السنين ويعطى شبهة كما قرأته في كتاب (راجايوة) بالانجليزية مترجما عن اللغة الهندية وقد كان الذى خطبا في نيويورك سنة ١٩٦٥ وستة ١٩٥٦ بعد الميلاد فهذا كله حصل على مقتضى مارس في العلم القديم . وهذا التفسير جمع لك سائر الأقوال

(١) فإذا سمعت علماءنا رحمهم الله يقولون ﴿ يعحوا الله ما يشاء من الشرائع بالنسخ ويثبت ما يشاء فلا يسخره ولا يبدله ﴾ أوقرات حديث البخارى ومسلم عنه ﷺ

(٢) ﴿ ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشفق أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله لا إله غيره ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ﴾

(٣) وكذا إذا سمعت بعض العلماء ينص المحرم بما ليس فيه ثواب ولا عقاب من قول الانسان أكملت وشربت والأثبت بما فيه ثواب وعقاب

(٤) وكذا إذا سمعت آخر كل حسن يقول ﴿ يعحوا الله من جاء أجله ويثبت من بقى أجله ﴾

(٥) أو قول مكرمة ﴿ يعحوا الذنوب بالتوبة ويثبت الحسنات بدلها ﴾

(٦) أو قول السنن ﴿ يعحوا الله القمر ويثبت الشمس ﴾

(٧) أو قول الربيع ﴿ يقبض الله الأرواح عند النوم فيميت من يشاء ويمحوه ويرجع من يشاء فيثبت ﴾

(٨) أو قول بعضهم ﴿ يعحوا الله حكم السنة الماضية ويثبت حكمها آتول سنة بعدها ﴾

(٩) أو قول بعضهم ﴿ يعحوا الله الدنيا ويثبت الآخرة ﴾

(١٠) أو قول آخر ﴿ يعحوا الله الخمر والمصاب بالساء ﴾

فإذا سمعت هذه الأقوال كلها فاعلم أنها لاتناقض فيها بل هي جارية على القاعدة التى ذكرناها داخلة فيها . والمحدث الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وأما ان الانسان يعمل بعمل أهل الجنة ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار وعكسه فذلك أيضا مما سبق به الكتاب وذلك مشاهد معروف كل يوم . ان الانسان يكون معتادا عوائد جميلة ثم يعمل عملا سيئا على غير عادته فتقلب العادة الجيلة عليه فيعمل العمل الصالح وتقلب حسنة على سيئة فيدخل الجنة وهناك رجل غلبت عليه العادات السيئة فلزمته فتكلفت الأعمال الصالحة فعمل بها ولكن السيئات غلبت عليه فخرجته عن الجنة لأن الصلاح ليس من طبعه وذلك كرجل يصلى ويصوم وهودائب في رفع القضايا الكاذبة على أهله وجيرانه فهذا سبق عليه الكتاب وغلبت عليه سجيته . هذا تحرير المقام في قوله تعالى - يعحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب - وإذا عرفت الحقيقة فساء أكان أم الكتاب هو علم الله والتغيير في الأوج المحفوظ الذى قال فيه ابن عباس من باب ضرب المثل لنا ﴿ إن الله لو ما محفوظا مسيرة حسنة علم من دوة يضاء له دقان من ياقوته الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يعحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ أو أم الكتاب هو الأوج المحفوظ الذى لا تغيير فيه ولا تبدل والتغيير عند الملائكة في مصفهم التى يكتبونها فيمحون ويثبتون

فسواء أكان هذا أو ذاك فالخلاف لفظي والحقيقة لم تتغير فهناك أمر واقع وأمور مبتلة وتغير الأسماء لا يضيع الحقائق اه ثم قال تعالى (ولما ترينك بعض الذي نعدهم) من العذاب (أو توقفينك) من قبل أن نريك ذلك (فإنما عليك البلاغ) أى ليس عليك إلا تبليغ الرسالة إليهم من الله طاعتهم بما سينالهم ولكن أهتم بما أوجيناه عليك وهو البلاغ (وعلينا الحساب) أى أن نحاسبهم يوم القيمة فنجازيهم بأعمالهم ثم اعلم أن الله عز وجل وضع هذا العالم على نظام التغيير والتبديل كما مر في آية - يحو الله ما يشاء ويثبت - وقد أوضحت في سورة البقرة مسألة نسخ الآيات القرآنية فلم أعدها في آية الحوول والاثبات هنا فاما هذه الآية فقد نزلت لحال خاصة وهى التغيير فى أطراف الأرض بالحرب والعمارة وبغلبة قوم وبخلان آخرين وبانقياد طائفة البحر بفعل الماء ثم يزداد فى جهة أخرى وببطيطة الكرة الأرضية عند القطبين وبانقلاب البحر برا بطول للذى وتطول السنين أو يموت العلماء فيقبض العلم فهذا قصص فى أطراف الأرض وهذا عن الجوهري ومثلب أو الأطراف الأشراف • قال الفرزدق

وسأله بنا وبكم اذا وردت منى • أطراف كل قبيلة من يتبع

وكذلك فتح دار الحرب بأذى المسلمين فكان لهم التصرف والغلبة وهذا قصص من أطراف تلك الأرض والمقصود من هذا أن التبديل حاصل فى أطراف الأرض فمن خراب وعمارة وذلك وعزّ وقصص وكال فهل آمن كفار مكة أن نبذلهم بعد عزهم ذلا وبعد غناهم فقرا وبعد حياتهم موتا • وإذا كان فتح البلاد بيد المسلمين قد أحاط ببلادهم وقد قصصا الأرض من أطرافها فهل آمنوا أن يمتد إلى بلدتهم والعامل من يتدبر ويتفكر ويستر فاعلم لا يستبصرون (والله يحكم لامتب لحكمه) المحب الذى يكرّ على الشئ فيعطيه • وقيل لصاحب الحق مقب لأنه يقفوغريه بالافتضاء وههنا حكم الله للإسلام بالاقبال وعلى الكفر بالاديار وماحكم به تعالى لا يمكن قصصه كما حكم على أطراف الأرض بالنقص بمقتضى النظام الذى وضعه والقانون الذى سنه (وهو سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعد العذاب بالقتل فى الدنيا (وقد مكر القوم من قبلهم) أى كفار الأمم الخالية والأجيال البائدة بأنبيائهم • والمكر لارادة المكروه فى خفية وماهنا للمكر بشئ لذا قيس بمكر الله (فنه المكر جيعا) وكيف يؤبه بمكرهم وهو (يعلم ما تكسب كل نفس) فيعد جزاءها (وسيعم الكفار لمن عصى الأمر) من الخزيين أى العاقبة المحمودة • وإذا علم الله عمل كل نفس وأعد لها جزاءها بحيث يقع العذاب على المذنب وهو فى غفلة على خلاف ظنه وهو لا يدري فهذا هو للمكر كنه (ويقول الذين كفروا لست مرسلنا) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا قال الله له (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) بالمعجزات وببلاغة القرآن (ومن عنده علم الكتاب) أمثال عبد الله بن سلام لعلمه بالتوراة والمسلم الذى عرف اعجاز القرآن فهو لاء يشهدون برسالى • انتهى التفسير اللفظى لسورة الزعد والجد لله رب العالمين • وهما (جوهرة ثان)

﴿ الجوهرة الأولى فى الكلام على البرق والرعد والسحاب والصاعقة فوق ما ختم فى الآيات ﴾

اعلم أن هذه الأربعة ذكرت فى أول سورة البقرة فى قوله تعالى - ما لهم كمثل الذى استوقد ناراً الخ - إذ جعل القرآن كالطرويعه كالرعد وحججه كالبرق والهلاك الذى يصيب الجرمين كالصاعقة فارجع إليه هناك ولكن هذا ملخصه وهذا لسان البيان المعبر عن حال الوجود لأن اللسان (لسانان) لسان البيان ولسان الوجود • فأما لسان البيان ومنه لسان الوحي فهو المعبر عن المعاني التى كتمت فى النفوس الانسانية لتصور الطبيعة البشرية عن اظهارها كمن فيها فكان هذا اللسان لجميع اللغات السامية من عربية وعبرية وسريانية وحشية الخ وجميع اللغات الطورانية كالتركية فى الأناضول والقازانية فى بلاد القازان الخ وجميع اللغات الآرية كاللغات الهندية والأوروبية • هذه كلها وأمثالها البالغة أربعة آلاف لغة لا عمل لها إلا نقل ما فى أنفسه

الناس بعضهم لبعض من اللعاني المقصودة لهم لينتقموا بها ولو أن هذه الأقمس البشرية كانت قادرة على تفهيم بعضها بدون احتياج إلى هذا الترجان وهو اللسان لم نستعمله . إذن احتياجنا للتعبير ناشئ من هذا الجسد الذي حجب بصارتنا عن الاطلاع على ما يحول بالناظر من اللعاني . لهذا خلق الله اللسان فأخذ الناس يتكلمون ولكن أكثر هذا النوع الانساني قاصر لا يدرك الحقائق . ومعنى هذا أن قصور الناس ليس خلاصا بالتعبير عما يحول بخواطرهم . كلا بل نفس هذه الأقمس ليست كلمة العلم والعقل . فاذا عبروا باللسان عما في ضمائرهم لم يجدوا فيها ما يكفي لاسعادهم لذلك خلق الله فيهم أنبياء وحكماء فلا أنبياء يخاطبونهم بلسان الوحي والحكماء يخاطبونهم بلسان البرهان والحكمة . فأما لسان الوحي فله القرآن الذي هو الكتاب الحكيم وقد جاء فيه - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الخ - يأمرنا الله بالتسبيح والصلاة فنعلى وقول سبحان الله ونحمد الله إلى آخره . هذا هو لسان الوحي وبالله والوحي هو الذي جعل هذه الأربعة مشبها بها أحوال القرآن من حجج وعلم وانذار الخ

أما لسان الوجود فقد ذكره الوحي هنا فأبان أن نفس الرعد يسبح بحمد الله والناس لا يفقهون تسبيحه الناس يسبحون والرعد يسبح - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - الله أكبر . أنزل الله سورة سبها الرعد بعد أن ذكره في سورة البقرة بهيئة ضرب للثلث وذكر معه اخوته الثلاثة هناك وهنا . جعل هذه الأربعة هناك ضرب مثل وجعلها هنا مقصودة بل جعل أحدها هو الرعد مسبحا وسبأ في سورة الاسراء تسبيح كل شيء . هذا فتح باب لأن نفوس هذا الوجود . إن في الرعد وإن في الوجود حكمة وعلم وفي هذا العالم جلال العلم المعبر عنه بالبرق وانذار من يتغاضى عن هذا العلم والمعبر عنه هو الرعد وفيه ثم يعبر عنها السحاب . وفيه هلاك يعبر عنه بالصاعقة . إذن هذا الوجود نفسه ناطق . هو هكذا من يوم أن خلقه الله . برق جبل ورعد منظر وسحاب مطر وصواعق مهلكة في هذه الأربعة حياة وموت وانذار وحيمة أو خوف ورجاء . الرعد والصاعقة خوف اهلاك والبرق والطر رجا وحياة . إن هذه الحياة كلها ترجع في مجموعها إلى لذة وألم وغنى وفقير وعلم وجهل وكبر وصغر ورجاء وخوف وعزّ وذلل وبألجلة محبوب ومكره . وهذه كلها يعبر عنها البرق للأول والرعد للثاني . هذه هي أحوال الحياة . ومعلوم أن الحياة ضدها للوت فالخياة كالسحاب ومطره واللوت كالصاعقة . فهذه الموجودات الأربع لسان هذا الوجود نطقت بما تضمنه

(انذار الرعد للسلمين)

يظهر البرق في أكناف السماء كل حين وللسلمون ينظرون كما ينظره أهل الأرض . البرق جبيل وبهيج . البرق يذكر بحمال هذه الدنيا وبهجتها وحسنها ونظامها وبهائتها . يتحدث البرق للسلمين حديثا عن ربهم أنه كامل وجبيل ونور السموات والأرض وما أمره إلا كلمح البصر أو البرق الذي يظهر في جزء من ألف ألف من الثانية ولذلك ترى الأشجار في البرق ساكنة في حال الاصر لأن البرق في جزء صغير جدا فأعرض متأخروهم عن هذا الجبال مع ان البرق بهيج وجبيل يكاد يأخذ بالأنبيب ويأخذ بالأبصار فلما أعرضوا أسمعهم الرعد كما أسمع غيرهم والرعد صوت الانذار للسكان في هذا الوجود . وقد ظهر ذلك السكمن في مقنوفات المدافئ القاصفة كالرعد للرمي بها من الطيارات التي اختصرها الناس في عصرنا فأهلكته الحمرث والنسل . الرعد قد أشبهته الآلات الحربية الحديثة التي ظهرت في الحرب العاتكة من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ هذه هي الرعود التي كانت كلمنة في الطبيعة والرعد يعبر عنها بزجرته فكأن الرعد يقول للسلمين إن لم تتركوا علوم هذه الدنيا الجلية البديعة التي تظهر لكم وقتا بعد وقت في آيات الوحي البارقة لكم البهجة التي أفادتكم أن كل شيء يسبح وأن الرعد يسبح بحمد ربه فاستعملوا غضب الله الدال عليه بزجره الرعد

أيها الناس إن الحياة بالعلم الجليل الذي يتم عنه البرق الذي هو نور الكهرباء المسارية في هذا الوجود ولما موث بالجهل الذي يبر عنه الرعد والصاعقة . وهذا التصير آثر انذار المسلمين والسؤل عن أم الاسلام هم الأذكاء لاسيا من يتفلق هذا التصير وأمثله في بلاد الاسلام . هذا من سر تسمية السورة بالرعد إن الله تعالى قد اجتهد عنايته لنا فقال انه يرينا البرق فعليا أن نراه ونفكر فيه هو وما معه

(١) الانسان له قوى (ثلاث) فالعاقلة كالبرق والنضية كالرعد والحويانية كالسحاب
(٢) البرق مظهر من مظاهر الكهرباء والكهرباء قد تدخلت في عموم الماء والهواء والأرض وكذا الحرارة وهناك ما هو أقل لطاقته من الكهرباء وهو الهواء فتدخله أقل وشموه أضعف فهو يتدخل في الماء بدليل أن السمك يقف من بهما خالط منه الماء . ثم الماء تدخله أقل فهو يتدخل في الطين . فالقاعدة أن كل لطيف يكون أعم وأشمل لما تحته ويحيط به فالكهرباء والضوء يحيطان بما تحتهما والهواء يحيط بالماء والماء يحيط بالأرض والله فوق الكهرباء وفوق ما تحتها فهو بكل شيء محيط
(٣) الدول لا يتم نظامها إلا بحيوش جلولة يمثل لها الرعد وعلماء وأمرأه ونواب يمثل لها البرق
الآزرى أن المجالس النيابية ومجالس الملوك ورجال العلم أشبه بالبرق الالامع وإن كانت الحرب قائمة على ساقها
(٤) البرق في علم الأخلاق كاللبن والرعد كالشدة فهو ذو بطش شديد وما قبله باسم الشر جيل الطلعة

(الجوهرة الثانية في قوله تعالى - لكل أجل كتاب -)

اعلم أن جميع الأشياء عمدة أصلها وأحوالها ولكنها في ظواهرها مشككة غير منتظمة لأحوال وعوارض تطرأ عليها ومن ذلك أعمار الحيوان . إن أعمارها غير واضحة من حيث نهايتها العوارض التي تعرض لها كما في أحوال الانسان ولكن نذكر طرفا منها على مقتضى ما ذكره (اللورد أفبى) في كتابه (مسرات الحياة) وإن كان هو نفسه يقول ان ذلك لم يخرج عن حد التقريب

الحيوان	عدد السنين	الحيوان	عدد السنين
الارنب	١٠	الحل	٣٠
الفم	من ١٠ الى ١٢	القي	١٠٠
الكلاب	من ١٠ الى ١٢	البياء	١٠٠
الخنازير	٢٠	الغراب	أكثر من مائة

ويقول (مبولث) ان بيضاء كان ينكلم ولا يفهم كلامه لأنه كان بلسان قبيلة هندية منقرضة عن بكرة أيها . ويقول ان نوعا من السمك يقال له (النبي) سريع النمو يعيش (١٥٠) عاما وأن سمكة من نوع الكراكي طولها (١٩) قدما وزنتها (٣٥٠) رطلا انكليزيا وجلت في (سوايا) عام ١٤٩٧ حاملة حاملة نقوشا عليه هذه العبارة (أنا أول سمكة أقامها بيده في هذه البحيرة حاكم العالم (فردريك الثاني) في الخامس من اكتوبر سنة ١٢٣٠ لأن تكون هذه السمكة عمرها ٣٩٧ سنة والرحلات طويلة الأعمار وقال (فوتز) ان بعض السلاحف عاش ١٥٠ عاما وبعض السلاحف قدورها باعصار عمرها فكان ذلك (٥٠٠) عاما . وقال (أرسطاطاليس) ان ملكة النحل تعيش (٧) سنين . ويقول (اللورد أفبى) والعلم لا يؤيد هذا أن ملكة النحل قد عاشت عند اللورد أفبى (١٥) سنة

(لطيفة)

في سنة ١٩٢٦ نشر محل (رودلف موس) في برلين الأجزاء الأولى من مؤلف غريب في باب اسمته (في عالم الأرقام) وقد ذكر فيه أن عدد الذن تجاوزوا السبعين من العمر في ألمانيا سنة ١٩١٠ ميلادية

(٩٧٣) ألفا من الرجال ومليون (٥٠٠) ألف امرأة . ولذين يصرون أكثر من سواهم هكنا على الترتيب الآتي

رجال الدين . رجال الساتين . الزراع . الصيادون . التجارون . الفزارون . الخياطون
الأطباء . الجزارون . الشعفون

ثم قال إن مقابل كل مائة وفاة من رجال الدين مع مراعاة النسبة والعدد بطبيعة الحال يموت (١١٤) من الزراع ١٤٣ من صيادى السمك و١٤٨ من الخبزين و١٨٩ من الخياطين و٢٠٧ من الأطباء و٢١١ من الجزارين و٣٣٨ من الشعافين . وما يناسب هذا اللقام مذكوره هو أن عدد النساء يزيد في أوروبا على عدد الرجال كنسبة ٥ الى ٤ وفي آسيا بنسبة أقل فكل ١٠٠٠ رجل يقابلهم ٩٧٣ وفي أفريقيا ٩٦٨ امرأة فقط في مقابلة ألف رجل وفي استراليا أقل جدا له

(قائمة طبية للصحة)

يقول العالم الياباني (فوكيسافا) وصايا للناس كي يصمروا طويلا

- (١) امتنع عن شرب لشاي والقهوة والسكر ولا تدخن
- (٢) اشرب كل يوم ثمانية أقداح من الماء المقطر الصافي
- (٣) خذ في الاسبوع مرتين حماما بالماء الفاتر
- (٤) اغسل أسنانك وفك أربع مرات في اليوم (أقول عندنا في الاسلام ربما كان أكثر)
- (٥) لا تعصب
- (٦) لا تنأثر
- (٧) لا تأكل كل مأكولات ملحة
- (٨) ثم مبكرا واستيقظ مبكرا

هذا ما قل عنه . أما أنا فأقول لك من أهم ما جربته في حياتي للصحة مضغ الطعام جيدا مع المحافظة على ذلك وأن تسير في الهواء النقي كل يوم زمنا طويلا مع الرياضة وأن تمتسل كل يوم وأن لا تأكل ليلا لئلا فان لم تقدر فليكن الطعام خفيفا جدا هالك تكون الصحة التامة . انتهى قصير سورة الرعد

﴿ تفسیر سورة ابراهيم عليه السلام ﴾

﴿ هذه السورة مكية سوى آيتين وهما قوله تعالى - ألم تر إلى الذين بخلوا نعمة الله كفرا -

إلى آخر الآيتين وهي ٥٢ آية وأقسامها ثلاثة ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ في قصص الأنبياء الذين أرسلوا لأمتهم نبينا قوله في السورة قبلها - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الخ - وفي عطاياهم وبين أهمهم إلى قوله - ومن وراءه عذاب غليظ -

﴿ القسم الثاني ﴾ في عاقبة المكذبين من قوله - مثل الذين كفروا بربهم - إلى قوله - إن الإنسان لظالم كفار -

﴿ القسم الثالث ﴾ في دعاء إبراهيم من قوله - وإذا قال إبراهيم ربه اجعل هذا البلدا ممنا - إلى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الرَّ • كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ الْحَمِيدُ • اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَقِيلَ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ • الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ • وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ • وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْبِدُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ • وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَنْ يَشْكُرَنَّ لَكُمْ أَنْ تَزِيدَنَّهُمْ وَلَنْ يَكْفُرَنَّ عَنْ عَذَابِي لَشَدِيدٍ • وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنُفِيَّ حَمِيدٌ • أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَّدُوا أَفْعَاهُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَنَافِي شَكٍّ بِمَا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ حَرِيبٌ • قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ • قَالَتْ لَهُمْ

رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ • وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ • وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَصِيدٍ • وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَبَّ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ • مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَافٍ • يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ •

(التفسير النفثي)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

(الر) تقدم في آل عمران وسنراه في جواهر إبراهيم، هذا (كتاب) والمراد به السورة (أزلناه إليك لتخرج الناس) بدعائك لإيهم (من الظلمات إلى النور) أي من الضلالة إلى الهدى (بإذن ربهم) بتيسيره والاذن في الأصل تسهيل الحجاب فاستعير لما يمنعون من التوفيق ثم أبطل من إلى النور قوله سبحانه (إلى صراط العزيز) الغالب بالانتقام (الجيد) الذي يعهد على أفعاله (الله) بالجزء عطف بيان للعزيز وبالرفع مبتدأ خبره ما بعده (الذي له ما في السموات وما في الأرض) وهذه الجلة الجلية قد كررت في القرآن في كل سورة وكل قصة للدلالة على أن مقصود هذا الدين أن يخرج في العالم قوم يحكماء رباتيون فضلاء • نعم سيكون ذلك وسيكون من هذه الأمة بعد ما استبان في كتب المسلمين المفسرين لنا أمثال ما ينبيه في هذا التفسير من عجائب السموات والأرض وبداهتهما وكيف كان القرآن يحث على كل عجيبة وغريبة • وإذا جاء في سورة يوسف - وكأين من آية في السموات والأرض - ثم جاء في سورة الرعد بما يوضح بعض مطالبها جاء هنا ذكر السموات والأرض مرة أخرى تذكيرا لما بيناه في سورة الرعد واستنبأنا لما ذكرناه وتشويقا لما خلقه في الأرض والسموات • فياحببا لأمتنا الإسلامية يكرر على أسعاهم صباحا ومساء في كل مناسبة وفي كل حالة - الذي خلق السموات والأرض - وكثير منهم يظنون أن مجرد الإيمان يكفي ولو كان ذلك كافيا لكان ذكر الخبز وسماحه عند الجوع كافيا في الشيع فوالله لم يكرر هذه الجلة رب السموات والأرض بلاسبب بل جعلها تذكيرا وترغيبا وتشويقا إلى صنعة الحكيم الخبير - الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - وتجب كيف أتى بدعائه قوله (وويل للكافرين) الذين غفلوا عن السموات والأرض وبداهتهما وهم غافلون بينهما وكيف يسلمون من العذاب وهم أتوا إلى الأرض ورأسوا منها صفرا ليدفن فتركوا عقولهم وشغلوا بالأمور المحسوسة التي فطروا عليها لتسد حياتهم وحياتهم إنما جرى بها لكالمهم فغفلوا عن الكمال ومالوا إلى الوقوف عند حد المألوف فحبسوا في سجن الشهوات إلى المات فويل لهم (من عذاب شديد) مد لهم في الآخرة بل ما أشد عذابهم في الدنيا حينما يسمعون أن قوما أعطوا علما وهم منه براء قد حبسوا عنه وتحسروا عليه وهم غافلون • والويل ضد الوال وهو النجاة أي هلاك لهم مبتدأ وخبر • ولما كان

هؤلاء النجسبون في سجن الأتس من جمال السلطان الأرضي لله حسموا عقولهم في هذه الحياة أخلوا
يسدون غيرهم من معرفة الحقائق السابوية والأرضية وعن الإيمان ليكونوا مثلهم لأن النفس تحب أن
يكثر أمثالها لتلك وصف الله الكافرين بقوله (الذين يستحبون) يختارون ويؤثرون (الحياة الدنيا على
الآخرة ويصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويغفونها) يطلبون لسبيل الله (عوجاً) زيفاً واعوججاً والأصل
يغفون لها خلف الجبار وأوصل الفصل إلى الضمير (وأنت في ضلال بعيد) هؤلاء ضلوا عن الحق وذهبوا
عنه بهر حال وليس الضلال هو أقصى بعيد وإنما البعد لنفس الضال فوصف الضلال بالبعد مبالغة لما بينهما من
اللابسة (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) بلسنة قومه الذين نشأ بينهم (لئبين لهم) ما أسروا به
فيقهوه بسهولة وصرعة فإذا كان الرسول مرملاً لقومه خاصة فلا مراء في ذلك فأما إذا كان دينه عاماً كديننا
عليه السلام فهناك مجال الترجمة والنقل وذلك دافع إلى الاجتهاد والكسب وذلك فيه ترقية لنوع الإنسان فارتقاء العقول
على حسب الاطلاع وأعمال الفكر واستقامة الأعمال أي وهذا الكتاب أنزل بلسنة العرب وهو يتلى عليهم
فأى حذر لهم أن لم يفقهوه وما الذي صدعهم أن يدرسوا مانداً لله في الأرض والسموات حتى يعرفوا صدق
آياته انهم (فريقان) فريق هداه الله وفريق حق عليه الضلالة وإني كان القرآن بلسانهم جميعاً فلذلك
قال تعالى (يفضل الله من يشاء) فيحذله عن الإيمان (ويهدي من يشاء) بالتوفيق (وهو العزيز) فلا
يغلب مشيئة غالب (الحكيم) الذي لا يضل ولا يهدي إلا على مقتضى الحكمة والنظام • ولما كان سيدنا
محمد ﷺ قد أرسل لأخراج الناس من الظلمات إلى النور ذكر الله قصة موسى مختصرة وفيها نص ملجأ
في أول السورة ليأمن الناس بقصص الأنبياء وأن الله لم يترك أمته من الأمم إلا وأرسل لها هداة يهتدون
وهذا موسى قال الله فيه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) كاليد والعصا (أن أخرج قومك من الظلمات إلى
النور) أن تفسيرية بمعنى أي لأن في أرسل معنى القول (وذكرهم بأيام الله) بوقائمه في الأمم السابقة •
يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم فما من أمته إلا ولها وقائع تشمل النعمة والنعمة فالنعمة للؤمنين منهم
والنعمة للكافرين ومنها وقائع بني إسرائيل أنفسهم فانهم ابتلوا بالاستعباد قطة وبالنجاة من فرعون وقومه
نعمة فبرجع الأمر إلى الترفيب والترهيب (إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور) أي أن في وقائع الأمم
الماضية وحداثتها وما أنعم الله به عليهم من السراء بعد ما أصابهم به من الضراء لآيات لكل من يصبرون
على البلاء ويشكرون على النعماء فهؤلاء متى عرفوا ما أصاب من قبلهم من الكوارث وكيف صبر قوم
فقالوا أعلى الدرجات ولم يصبر آخرون فنزلوا في أدنى الدرجات اعتدوا وقاسوا ما حلّ بأنفسهم على ما حلّ بمن
قبلهم وجاهدوا في الحياة والعلم جهادهم واذن ينالون مثل ما نالوا • فأما ما سوى الصابرين الشاكرين على
النعم الذين يصرفون كل ما أنعم الله به عليهم فيما خلقوا لأجله فانهم لا ينتفعون بذلك • إن الإنسان في الحياة
بين صبر وشكر أبداً فهو إما في مكروه ولما في محبوب فإن صبر على الأول وانتبه فرصة النعمة بالثاني وصبرها
فيما حلفت له فذلك هو الذي اعتبر بالقرون الخالية والأمم الماضية ولا مساعدة بغير السبر والشكر ومن الشكر
سرف الخواص فيما خلقت له وعدم ضياعها سدى ومنه انتهاز فرص الحياة فلا يمر وقت على الإنسان بلا عمل
إن الوقت ذهب ومتى ضاع من حياتنا لحظة بلا عمل أسديناه ولا علم حزنناه ولا بناء أقتناه ولا مجد بنناه
فقد كفرنا النعمة وأضنا الفرصة ولم نعتبر بالأجيال البائدة والأمم الغابرة • إن الحياة لنا فرصة عظيمة
فالشكر لله والشكر صرف كل ما أعطيناه فيما خلق له فليخف كل امرئ من ضياع حياته بالعمل يليق
به وليخف من ندم أبدي وحزن سرمدي على وقت يضيع وعذاب مريع

ولما سمع موسى أمر ربه امتثله وأخذ يذكر قومه بأيام الله فقال الله (وإذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون) أي اذكروا نعمة الله وقت أنجائهم إياكم الخ فاذمتم بعملة

وقوله سبحانه (يسمونكم سوء العذاب) يعذبونكم بأشد العذاب كما تقم في سورة يونس مما قتلناه عن اللغة (المبروغلية) والآثار المنقولة عنهم يقينان الضرب والاذلال (ويدبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) هذه أحوال من آل فرعون (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أي ابتلاء وهذا يوم من أيام الله معكم فيه قمة التعذيب وغيره وفيه نعمة الانجاء ولذلك أعقبه بما هو كالنتيجة له فقال (واذ تأذن ربكم) أي آذن كتعود وأوعد وهو من كلام موسى أي واذكروا يا بني إسرائيل حين أعلم ربكم فقال (لئن شكرتم) لئن شكرتم يا بني إسرائيل ماخولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من نعمي كالسمع والبصر والسياء والأرض وما فيها بالعلم بما فيها والعمل الصالح كالصلاة والطاعات (لأزيدنكم) فانه ثبت عقلا وعلمنا أن العوض الذي يناب به عمل كما مر من عليه ازداد قوة على قوة وكلما عطلناه عن العمل ضرر وانحل وضعف . هكذا جميع العلم ان استعمل بما خلقت له بقيت وان أهملت ذهبت وهذا قوله تعالى هنا - لئن شكرتم لأزيدنكم - (ولئن كفرتم لإن عذابي لشديد) بحرمانكم من العلم وسلبكم للمواهب وحرمانها في الدنيا والآخرة فتعذرون في الدنيا بزوال النعم وفي الآخرة : هم وبسّ القرار على أن الله لم يطلب الشكر من العباد لمصلحة ولا لتسخير واذلال بل أمر بذلك رحمة منه فمن لم يقبل طبعه ما أهدى من العلم فانه غنى عنه مستحق للحمد في ذاته تنطق بحمده الثرات في جميع المخلوقات وهذا قوله تعالى (وقال موسى إن تكفروا إلى قوله اغنى جيد) وما ذكرهم موسى بنعمة الانجاء من آل فرعون وحذرهم من عاقبة كفر الهم أخذ يذكّرهم بأيام الله فيمن قبلهم من الأمم السابقة والأجيال البائدة بطريق عجيب وأسلوب بديع ونظام طلي ومقال جلي فذكر القول اجاليا وأوضح المحاوره ايضا حسانا بها إذ أرسل موسى عليه السلام القول كالمحاوره بين الأمم والأبياء على النهج العام في هذا المقام فذكر أن قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من أمم جلت عن الاحساء . غاب عن الناس عليها وعند الله احصاؤها (جاءتهم رسلهم بالبينات) كما جاء فينا ﷺ بها وتليت على الناس ليعتبروا (فردوا أيديهم في أفواههم) أي سخطوا غيظا مما جلت به الرسل كما حصل من العرب للنبي ﷺ وغلهم الخقد والحسد والغضب فطغوا بما تكن قلوبهم (وقالوا إما كفرنا بما أرسلتم به) بزعمكم وزادوا ذلك تأكيداً فقالوا (وانا اني شك) مما تدعوننا اليه (مرتب) موقع في الرية وهي قلق النفس فرد الرسل عليهم وقالوا (أأن الله شك) حمزة الانكار دخل على الجار والجرور لأن اللقاه مقام للشكوك فيه أي انما ندعوكم إلى الله وهل هو عتمل الشك ووصفه بما هو يراه وهو عين البرهان المذكور في دل السورة فهناك يقول - إلى صراط العزيز الخديد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - وهنا في محاورات الأنبياء جاء بنفس الوصف فقال واصفا الله (فاطر السموات والأرض) فالعبارة متحدة عند الأنبياء في كلام موسى وعند صاحب شرعنا ﷺ وكل من منهم جمل مطلع نظره توجه النفوس إلى علو السموات والأرض فأولوا يؤمنون ثم بعد ذلك يزادون بقبول النعمة التي في السموات والأرض والا نزل بهم العذاب ثم قال (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) لأنهم ملوونون بالجهالة والمعاصي فغير الله من هنا وفي كل موضع ذكر فيه مغفرة الذنوب للكافرين لانه يخاطبهم في أمر الامان وحده فأما المؤمنون فان مغفرة ذنوبهم موجهة إلى المعاصي فذلك قيل لهم - هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم - إلى قوله - يغفر لكم ذنوبكم - وهكذا كثير من الآيات في التسمين وطف عليه قوله (ويؤخركم إلى أجل مسمى) آخر أعمالكم فرد الأمم على الأنبياء (قالوا إن أنتم إلا بمرسلنا) لافضل لكم علينا فم اختصتم بالنبوة دوننا وذلك كما حصل للنبي ﷺ فانهم قالوا - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - يريدون أن النبوة يجب أن تكون تبع الشهرة والعنى فكيف عكس الأمر هنا . ثم اقترحت الأمم على الأنبياء ما اقترحه العرب على فينا ﷺ كما تقم في سورة الرعد وهذه لسورة حامت لاعلام هذا العام وغيره كما جاءت سورة الرعد وآمنت مقام الهبات السايوة

والأرضية على مقتضى الحال وهذا قوله (تريدون أن تصنونا عما كان بعد أبوتنا) ولا حاجة لكم عليه وليس يحوز في العقل أن ترك أمرا بدون أن تتحقق خطاه (فأتونا بسلطان مبين) على صحة ما تدعون من النبوة فأما ذكر السموات والأرض ومجاتهما فلسنا نحفل بها وإنما القاهر القادر هو الذي يخرق التواميس ويغير الظالم ويأتي بخوارق العادات . فأما الهجاب الأرضية والسبوية فلسنا نفعلها وأن سائر البشر يخضعون لمن يأتي اليهم بما هو خارج عن طور معتادهم فيعظمونه ويجلونه وهذه للمشاهدات المحسوسات لا ترى فيها شيئا غارقا للعادة فلا إيمان ولا تسليم إلا بما فوق طاقتنا كقلب الصاحية وقل الجبال مثلا وما أشبه ذلك فأما السموات والأرض فذلك أمر لا يعطى دليلا ولا يبنى قتيلا ولا قطميرا وأن طباع جهلة الناس تجعلهم على الخضوع للذين يضعون كل ما خالف العادات ولو بطريق القويوه فردت عليهم رسلهم مسلمين أنهم بشر مثلهم ولكن الله من عليهم . فأما الآيات المقترحات التي تقرر حوتها فلا تكون إلا بذن الله وعلى المؤمن أن يتوكل على الله ويفوض إليه أمره ونحن أول المؤمنين في أمنا وكيف لا نتوكل على الله وقد هدانا إلى سبل المعرفة ومن أنعم الله عليه بنعمة فليشكر الله عليها بالعمل بها وليصبر على ما يصيبه في سبيلها كما تدل عليه وقائع الله وأيامه في الأمم . وإذا كنا نحن هداة الأمم فلنصبر على إيدائكم ولنشكركم على الهداية فندعوكم لله وهو شكر لنعمة الهداية كما نصبر على أذاكم وهذا عين ما جاء في أول السورة - وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور - فهنا تجل الصبر وتجلى الشكر على لسان الأنبياء أنفسهم فشكروا الله لهدايتهم إلى السبيل وصبروا على أذاهم وهذا هو الكمال الذي جاء في القرآن لنا معاشرا المسلمين فلم تنزل هذه السورة إلا لنا . فمن عنده مال أو علم أو نعمة فلينفق بها الناس كالتنريق للزرع والشمس تضيء وليصبر على أذى الناس في جهادهم كما يرى الناس يفتلون عن ذكر أكثر النعم التي حولهم فهكذا الأنبياء أرسلوا لأمتهم ولم يبالوا بإيذائهم لأن الهداية خلقوا ليصلوا ولم يطلب منهم أكثر من ذلك فهم هدلة بطباعهم وأقاربهم في قلوبهم ومنهم نقل إلى الناس وهذا قوله تعالى (قال لهم رسلهم إن) ما (نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله إلى قوله (وما لنا) أي وأي علم لنا في (أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) أي طرق المعارف والعلوم التي نعرفها بها (ولنصبرن على ما آتيتونا) جواب لقسم محضوف أي والله لنصبرن (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي فليثبت المتوكلون على ما اتصفوا به من التوكل فلما أجاب الرسل بذلك هتدتهم الأمم بالقوة بعد الجدال وأنزلهم من أراضهم وهو بعينه ما حصل لنبينا ﷺ بعد نزول هذه السورة إذ أخرج من مكة فأوحى الله إليهم بهلاك الظالمين وأن الأنبياء وتابعيهم يرتضون فيستكون الأرض من بعدهم واستنصر الأنبياء ربههم فصبرهم وأفلح للمؤمنون وخاب كل غات متكبر وهذا أيضا عين ما حصل لنبينا محمد ﷺ فإنه أخرج إلى المدينة ونصر في غزوة بدر وخاب كل غات متكبر من قومه . ثم وصف عذاب هؤلاء بعد الموت بعد ما وصف هلاكهم في الدنيا فأفاد أنهم يدخلون جهنم ويستقون فيها ما يسيل من الجلد واللاحم من القيح ويتصاه ذلك المتكبر مرة بعد مرة لحرارته وقته ولا يقدر على ابتلاعه وتحيط به أسباب الموت من كل مكان وما هو يبيت وله عذاب غليظ غير ذلك وهذا قوله تعالى (وقال الذين كفروا) إلى قوله - غليظ - ثم قال (فأوحى إليهم ربهم) أي قائلا (للهكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم) تفسيره ظاهر (ذلك) أي للوحى به (لن حاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب (وخاف وعيد) أي عذاب (واستفتحوا) استنصروا الله على أعدائهم مطوف على - فأوحى إليهم - (وخاب كل جبار عنيد) أي وخسر كل غات متكبر (من وراءه جهنم ويسقي من ماء صديد) عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود أهل النار وهو القيح فهو شراب أهل النار (ينجعه) يشكف جوعه وهو صقة الماء أي يشربه جوعه بعد جوعه (ولا يكاد يسيغه) أي ولا يقارب أن يسيغه بل ينقص به فيطول عذابه * يقال ساغ الشراب حار على الحلق بسهولة وإذا لم يقارب أن يسيغه

فكيف يسفه (وأيأس الموت الخ) أى أسبابه (وما هو ميت) فيستريح (ومن ورائه) أى من بين يديه (عذاب غليظ) أى يستقبل فى كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه له التفسير اللفظي

﴿ جوهره فى قوله تعالى - وذكرهم بأليم الله إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور - ﴾

اعلم أن كلام الله عز وجل سيد الكلام وإذا كنا نجد الأمم اليوم إذا سمعت قول وزير أو ملك فى خطبة موجزة لاتبلغ بضعة أسطر تهتز الأسلاك البرقية (التلغرافات) والسررات (التلغويات) وتصدر الجرائد والمجلات فى العالم كله يشرح ذلك وتفهمه بحيث يكتب على الجلة الواحدة ما لا يحصر باللغات المختلفة فى الشرق والغرب فربما بلغ ذلك حل يعبر لوجهه الناس أو أكثرها بالك بقول الله الذى هو ملك للملك

﴿ حكاية ﴾

اطلع أحد الفضلاء على ما جاء فى هذا التفسير فى قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - فرأى أنه ربما يصل الى (١٥) صفحة فقال هذا كثير . قلت أخرى كلام من هذا . هذا كلام الملك (فادرك) . قال صدقت فهذا الآن أين منزلة هذه الجلة من السورة التى نحن بصدالكلام عليها وانهاهى المقصودة منها ثم ألقى بقيان ويجز لما كان من حوادث البحر وأفعال الله عز وجل بالأمم الاسلامية المتأخرة ونحوها ثم أذكر أن العلماء بدنا عليهم أن ينجحوا هذا النهج أى أنهم يؤلفون كتباً ورسائل يفهمون للمسلمين بها أيام الله وأن هذا هو من أخص مالى دين الاسلام والعناية به أفضل من العناية بعلم الفقه مع فضله وقسمة العميم

﴿ منزلة هذه الجلة من السورة كلها ﴾

لله در العلم وما أجل الحكمة وأبعس البيان والبلاغة . ابتدأ الله السورة (١) بأنه أنزل هذا القرآن ليخرج الناس من الظلمات الى النور (٢) ونهى بأن كل رسول يصل بلسان قومه (٣) وأبان أن موسى قبلك يا محمد جاء ليخرج قومه من الظلمات الى النور (٤) وكأنه هنا قيل . بماذا أخرج موسى قومه من الظلمات الى النور حتى يخرج محمد أمته من الظلمات الى النور بالطريق الذى سلكها موسى فقال - وذكرهم بأليم الله - وهذا بيت القصيد فى السورة غرود الله ووقائمه فى الأمم ونعمه وبلائه بتذكرها يخرج الناس

من الظلمات الى النور ﴿ ختمه موسى فى التذكير بأليم الله ﴾ (٥) ذكرهم بنجاتهم من فرعون

(٦) وبأن الشكر يجلب المزيد والكفر يورث العذاب (٧) وذكر لهم وقائع الأمم السالفة

(٨) وهلاك الكفار منهم وحسن العاقبة لأنبيائهم بعد صبرهم على التبليغ والإيذاء

(٩) كل امرئ مسؤول عن نفسه فالضياء مسؤولون وإن زين لهم الشيطان أعمالهم وغرهم الرؤساء

(١٠) وقصارى الأمر وحجاده أن الحكمة اذا بدى بها فى أمته عمت فهى كشجرة أصلها فى العقول

وفرعها فى الأمم جيلاً بعد جيل وهذا الاجال تفصيله فى ذكر خلق السموات والأرض وإزال المطر وإخراج

الثمار وجرى السفن وجرى الأهوار والشمس والقمر وما فوق ذلك من نعم لا تحصى . هذا هو أهم أيام الله

وما تقدم مقدمات له فهو أعظم التذكير بتلك الآيات . وختم السورة بدعاء إبراهيم ألا يكون أبنائه مقلدين

حامدين وعبر عن هذا بعبادة الأصنام وختم السورة بما ابتدأها وهو أنه بهذا يذكر أولو الألباب

يقول سبحانه أولاً ذكرهم بأليم الله وختم القول بأن هذا القول فى هذه السورة كفاية للناس أى ان

الوعظة بمحادثات الأمم كاف لارتقاء الشعوب لذا تذكره وعقلوه فبدأ بالتذكير وختم بها . إذن المقصود من

السورة كلها هذا البلاغ وهو التذكير بأليم الله

﴿ كيف نذكر الناس اليوم بأليم الله ﴾

اعلم أن هذه السورة وحدها كافية لارشاد الأمم الاسلامية على شريعة أن تكون لنا عقول وأفهام حتى

نعم الأمم الإسلامية • ألا وإن هذه جملة واحدة كافية لسعادة الأمم الإسلامية فولته لولم يكن هناك قرآن غيرها لكفت وهذا هو قوله - بلاغ - فهذه الجملة وتوابعها كافية لاسعادنا اذا كنا عاقلين فبشرحها وتذكر الناس بما حولنا وما سبق لنا نتقد أئمتنا من الهلاك • فأما قراءة القرآن وإعراجه والصلاة به وكثرة الترتيل بأن القرآن بليغ أو فصيح فالاعتصار عليه صفة العاجزين فوائده ما نزل القرآن إلا لما هو أرقى من البلاغة والفصاحة التي صارت مشهورة لا كتبها الألسن وأنشأها الطبع فتنهجم على المقصود من القرآن وقول • أنظر كيف قال أن كل رسول مرسل بلسان قومه، لماذا ذكر هذه هنا وأنته بقوله - ليبين لهم - وأي مناسبة لها بهذا المقام فاعلم أنه أورد هذا ليغفينا أنه ليس للدلالة على مجرد القول بل للدلالة على البيان والتفهم • فإذا كان الرسل جاؤا بلسان قومهم فهذا معناه أن الدلالة على ما يؤثر في العقول ومن ذلك حوادث الأمم وأيام الله فإذا ذكر موسى بنى إسرائيل بما وقع لهم ولأولئك قبلهم فليذكر علماء الاسلام وحكامه ووعاظه الأمم الإسلامية بالوقائع التي هي أقرب أروا وأشد وقعا • فإذا قال موسى قومه أقم خستهم من ذل فرعون ونجوتهم فاذكروا هذه النعمة فإن لم تشكروها عذبكم فليس معناه أن عالم الاسلام يقول هذا القول حين يفسر للسلمين • كلام كاد • عالم الاسلام الذي يقوم بنشر الدين يسطي من الحوادث ما يؤثر في عقول الأمة حاذيا في ذلك حذو موسى عليه السلام إذ اصطفى ما يناسب قومه وذلك إنما أخذناه من قوله تعالى - وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم - فالدار على البيان الذي يهتدي به القوم فالقرآن نزل لنسج على منواله وتذكر الناس بما يناسب عقولهم • هذه هي عجائب القرآن التي يعجز عنها الفصحاء والبلغاء والحكماء • كلام عام عامه حكما وغرائب

(هذا تذكرى للسلمين)

هأنذا أبداً بتذكرى للسلمين (١) ذل الأمم العربية قبل ظهور الاسلام (٢) عزهم باتباع الاسلام واجتماع كلمتهم (٣) فتحهم بلاد الله شرقا وغربا (٤) انتشار اللغة العربية التي صارت أداة التفهم بين أمم في الشرق والغرب (٥) ترجمة العلوم وتبوعهم فيها (٦) انحطاط العلم في بلاد الاسلام بعد ارتفاع شأنه (٧) اضطهاد العلماء بنظام هذا الوجود الذي هو أحسن أيام الله في السورة كنظام الفلك والطبيعة وأخصهم ابن رشد (٨) انتقال العلم بعد أن هجره للمسلمون على يد تلاميذ ابن رشد الى أوروبا (٩) تموق الأوروبيين الى المسلمين فيها اليوم (١٠) اضمحلال الفسولة العباسية في الشرق والأموية في الأندلس ثم هلاك المسلمين وطردهم من أوروبا وهلاك الأمم الجاهلة كأهل أمريكا الأصليين وأهل استراليا الأولين • كل ذلك لأنهم لم يستيقظوا من الغفلة • هذه هي الذكريات التي سأذكرها للأمم الإسلامية أجالا ليعلموا مستقامهم ويقبضوا للمستقبل على الماضي اقتداء بموسى عليه السلام الذي قال الله لنبيه ﷺ فيه وفي أمته - فبهادهم اقتده - والنبي ﷺ الآن عند ربه وقد جاء في القرآن في سورة الأنفال وغيرها تذكر المسلمين بأيام الله في أحوالهم الخاصة كما فصل موسى عليه السلام - فغوى أخرج قومه من الظلمات الى النور بالكلام على فرعون ونجاتهم منه وهكذا ومحمد ﷺ ذكراته على لسانه في سورة الأنفال ما يناسب المسلمين • أنظر ما هناك فقد طهر (١٤) حادثة في وقعة بدر بينها الله كلها تذكر المسلمين وذكر البشارة بالملائكة وكيف غشيتهم النعاس وقت الشدة وكيف نزل اللام لهم فطهروا وكيف بنت الأقدام وهكذا مما تحمده واضحا هناك في التفسير • فالحجب للقرآن كيف ذكر الله المسلمين بوقائعهم على لسان الرسول ﷺ وذكر بنى إسرائيل بوقائعهم وهذا من غرائب القرآن • أما الآن أعتقد أنك ايها الحكيم مقتنع • إلى اذا ذكرت المسلمين اليوم فاعلم أذكركم بما هو أحسن من الحوادث وأقرب لهم وذلك في كل زمان بحسبه • هذا هو دين الله

فلأشرح هذه الفصول على ترتيبها فأقول

(الفصل الأول من أيلم الأمم الاسلامية)

لما وصلت الى هذا المقام اطلع عليه صديق غخلص عالم فقال

(س) إن هنا خطوة واسعة لم أجدتها في هذا التفسير من قبل . إن ما أزمعت على تسطيره اليوم من الغرابة بمكان لأنك هنا ستجمع ملخص ماوصل الى العرب من العلم وأهم ملجأه في الكشف الحديث اجمالا وما انتاب المسلمين من حوادث السمر والقهر والجهل وسيكون هذا للمقام خلافا لماورثني . فخذتني هل هذا تقتضيه هذه الجلة - وذكرهم بأيلم الله -

(ج) فقلت أرأيت لوسمع المسلم قارئا يقرأ - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا - وأخذ يكررها ألفي مرة كل صباح وكل مساء فهل يكون مصليا بهذا . قال كلا بل قارئا فقط . قلت وهكذا في الزكاة والحج . قال نعم . قلت هكذا هنا فإذا سمعت هذه الآية فليس معناه أنك قارئها أو تفهم معناها أو تعرف بلاغتها فخب فكل هذه صناعات لتعلم الصبيان كيف يفهمون ونحن الآن في مقام العلم والحكمة ومقاصد القرآن فإذا كانت الصلاة والزكاة غير الأمر بهما فهكذا التذكير للمسلمين غير الأمر به . وإذا كان للمسلمون ألعوا للصلاة والزكاة كتبنا فأولى ثم أولى تذكير المسلمين بلوقائع التي حلت بساحتهم أو كانت قريبة منهم حتى يحترسوا عما وقع فيه أسلافهم كما سألهم قريبا وما دام المسلم لاهايا عما حدث له في نفسه فانه لايعتبر ولايتذكر في أخلاقه وركبه . هكذا النبوة إذا جهلت ما أحاط بها من النافع والضار والحوادث التي جرت عليها وعلى أسلافها فاما واقعة في الهلاك عاصية ربه معرضة للعذاب في الدنيا والآخرة وهناك يقال لها - يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نقاس إيمانها الخ -

(س) قال كيف تقول ان التأليف في هذا أولى من التأليف للصلاة (ج) قلت ستعرف هذا من الحوادث التي مرت بالمسلمين وانهم بالأندلس بعد ما استقروا هناك وعاهدتهم المسيحيون على تأدية العبادة وحريتهم فيها غدروا بهم وأزموهم ترك الفصل من الجنبات وترك الصلاة فإذا اغاد المسلم من علم الصلاة وهو لاواق له ولا حافظ يحفظ سلاته وأمنه ودياره . وهكذا سترى قريبا كيف كان جهل المسلمين أيلم (قطب أرسلان) وهجوم التار والمغول على المسلمين فقد كانوا بجلاء بقوة جيرانهم فاقضوا عليهم على غرة وهم ساهون وهكذا بلادنا المصرية لما اتفق عليها الفرنسيون في أوائل القرن الثالث عشر الهجري كانوا يجهلون قوة عدوهم ويفترون بأنفسهم بل كانوا يجهلون ما أمر به الدين الاسلامي من الحجر الصحي أيلم الطاعون التي ورد به الحديث والفرنسيون بأمرتهم به وهم لايعلمون أنه في الحديث الشريف وفي أعمال عمر بن الخطاب وعنه عملا وحشيا . كل هذا ستره قريبا . فإذا ذكرنا المسلمين بمثل هذا فانهم يعرفون أن الدين الى الآن لم يدرس ولم يعرف إلا قشوره ويؤلفون في كل علم وفقن فجعل قوة الدول وجهل الامور الصحية التي ورد بها الحديث مثلا كالحجر الصحي . كل ذلك بذل الأمم فإذا ذكرناه احتقرس أبناؤنا من الوقوع فيه بعدالآن لاسباب أن هذه تعد في الاسلام من فروض الكفائية وفرض الكفاية فالجمع من العلماء ان ثوابه أفضل من فرض العين لمعوم نفسه للناس قاطبة ولأن فرض العين ربما لايتم إلا بكثير من فروض الكفائيات فهو أشبه بالخارس لفرض العين وكيف تعيش في بيتك ان لم تكن آمنة لتلك يكون القول بصله على فرض العين وجبها

(س) قال إذن ذكرني قبل أن تذكر المسلمين لأنني أول من اطلع عليه فليكن محاوره بيني وبينك

حتى تألفه النفوس وتأنس به العقول

(ج) فصل ما تريد

(س) فاذ كر الفصل الأول من الفصول التي تريدتها وهو الكلام على ذل الأمم العربية قبل ظهور الاسلام

(ج) إن هذا المقام سهل المثال معلوم لقراء هذا التفسير إذ هم غالباً يعرفون أن العرب كانوا متفرقين شرائع مختلفين طرقاً ومشارب كانت آلهتهم كما قال سدبى القرنى بهائم ونباتات وغزلاً وخنيل وجبالاً وتخللاً وأعتاباً وأجساماً معدنية لانظامها وصخوراً وأحجاراً وأصناماً كهيكل اللات والعزى ونجوماً كالهـ بران والشعري الحماية وسهيل ومنهم يهود تعلموا من اليهود الذين حاربوا بلادهم بعد أن طردهم اليونانيون والسريانيون وذلك في بعض بلاد الحجاز واليمن ومنهم براهم في بلاد عمان وضاري في غسان وفي العراق والبحرين ودومة الجندل وهكذا . ولا جرم أن تفرق العقائد والأخلاق يقبع اضطراب السياسة ولذلك كانت بلادهم معروضة للأثم المحيطة بهم فكانت اليمن تغزوها الحبشة ولم تخلص منها إلا قبيل البعثة وغسان في الشام تتبع راية الروم والمناذرة في الحيرة وما والاها يتحكم فيهم الأكاسرة بالفرس كما قال الله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال -

(س) كفى هذا في الفصل الأول الذى هو كلقمة لما يجب الكلام فيه

(ج) فلنشرع في الفصل الثانى وهو اجتماع كلمتهم مع الفصل الثالث والرابع وهو فتحهم البلاد وانتشار لثم العربية . لقد فتح المسلمون البلاد ونشروا الدين ثم تقدمت الفتوحات وجاسوا خلال الشام والقرس الى نهر السند والى بحر قزوين وجميع شياى أفريقيا ومعظم جزيرة اسبانيا وهندوا فرنسا بالقارة عليها ولكن ردهم ملكها (كرلوس صرئيل) حين هجمت جيوش عبدالرحمن الأموى عليها وذلك في اقليم (لواره) وعظم ملكهم ونظام بلادهم حتى إنك ترى في كتاب (سدبى) القرنى أنهم برعوا في الجغرافية الضبطية وانهم لما امتدت ملكتهم من المحيط الاطلسي الى تخوم مملكة الصين أنشؤا بالتدريج أربع طرق عظيمة تجارية توصل من مدينة (قادس) و (طنجة) الى أقصى آسيا (١) احداها تخترق اسبانيا وأوروبا وبلاد (سلاووه) الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد (هجزج) كذلك والثانية تخترق بلاد المغرب وادى مصر ودمشق والسكوة وهداد والبصرة والأهواز وكرمان والسند هند . والثالثة والرابعة تعبران البحر الأبيض المتوسط وتجه احدهما من الشام والخليج الفارسي والأخرى من الاسكندرية والبحر الأحمر للتوصل الى بحر الهند وساعدهم على ذلك علمائهم بالأزياج كتل (البثاني) بالركة سنة ٩٠٠ ميلادية (وابن يونس) بالقاهرة سنة ١٠٠٠ وهكذا ابن حوفل والأصطخرى والمسعودى حوالى نصف القرن العاشر الميلادى . وهكذا الكوى سنة ١٠٩٧ ميلادية فتأخرت بهذه الطرق السياحات وقفل السياحون ما عند العرب من الآراء والمدينة واستفاضت الأخبار الجليلة فتوالت أذهان الملاحين وعرفتهم الأخطار التى يخشى عليهم الوقوع فيها اذا سافروا في ولايات غير معروفة معرفة تامة

فقال صاحب كفى هذا في الفصل الثانى والثالث والرابع فقد حصلت صورة واضحة تبين الاجتماع والمدينة بعد الاقتراق والمجبة في الأمم العربية خصوصاً وإسلامية عموماً وفتح البلاد وانتشار اللغة

(الفصل الخامس في أمرين ترجهم للعلوم ونبوغهم فيها)

(ج) أما الترجمة فلها كانت في عهد العباسيين على (ثلاثة أنوار) الأول من خلافة أبى جعفر المنصور الى وفاة هارون الرشيد من سنة ١٣٩ الى سنة ١٩٣ ومن للترجين فيه يحيى بن البطريق وجورجيس بن جرتيل الطيب وعبد الله بن المقفع ويوحنا بن ماسويه وسلام الأبرش وباسيل المطران قترى المجسطى ترجمه الأول والثالث ترجم الكتب المنطقية لأرسطاطاليس وهكذا . والدور الثانى من ولاية المأمون سنة ١٩٨ الى سنة ٣٠٠ وللترجون فيها أمثال يوحنا بن البطريق والحجاج بن مطر وقسطاس بن لوقا البعلبكي وعبدالمسيح ابن ناعم وحنين بن اسحق واسحق بن حنين وثابت بن قرّة الصائى وهكذا في هذه المئة ترجم أغلب كتب بطراط وجالينوس وأرسطاطاليس وبعض كتب أفلاطون . والدور الثالث من سنة ثلثمائة الى منتصف القرن

الرابع والمترجون أمثال متى بن يونس وسنان بن ثابت بن قرة ويحيى بن عدى وأبي علي بن زرقه وهلال بن هلال الحمصي وأكثر اشتغالهم بالكتب المنطقية والطبيعية لأرسطاطاليس وبالمفسرين كالاسكندر الافروديسي ويحيى النحوي . هذه هي أدوات الترجمة ملخصة من كتاب الاستاذ (مقتله) الطلياني . أما نبوغهم فيها فاسمع ما قاله (سيدو) الفرنسي المتقدم ذكره . قال في صفحة (٢٠٨) من الكتاب للترجم بالعربية ترجمه أستاذنا على مبارك باشا قال مملخصه (اقتدى بالنصور من بعده في نشر العلوم وتوسعة دائرتها زمن إهمالها بجميع بلاد أوروبا بجلبهم من الأقاليم التي فتحوها علماء لترجمة كتب اليونان وإنشاءهم مكاتب عامة ومدارس يتعلم بها الخاص والعلم مثل كتب أرسطاطاليس وسقراط وجالينوس ودسقوريدس وأقليدس وأرخميدس وبطليموس وأبولونيوس مع تعليم متن القرآن وتدريب تلاميذه وبإنشاء جمعيات العلماء واغداق النعم من للمهدى والرشيد على علماء التصاري الذين ترجموا الكتب اليونانية والفارسية إلى السريانية والعربية واشتهر إذ ذاك (معاذ الله الفلكي) المؤلف في الاسطرلاب ودائرته النحاسية وأحد بن محمد الهندي وهما أقدم علماء الأرصاد من العرب وحجازي بن يوسف أول من ترجم كتاب اقليدس إلى العربية وكفى بالساعة الشاقة المتحركة بلقاء التي بعثها هارون الرشيد إلى (شرليانيه) ملك فرنسا شاهدا على رفعة درجة الفنون لدى العرب إذ ذاك الخ . وجاء في المبحث الثاني والعشرين من هذا الكتاب مملخصه قال

أدرجنا في الأبحاث السالفة مؤلفي العرب والفرس لانتساب سائرهم إلى مدرسة واحدة ولأن الاصطلاحات العلمية التي جرت عليها للشارقة كان سائرها ألفاظا عربية لتغير صورة اللغة الفارسية إلى العربية منذ زمان طويل بممارسة القرآن والحركة العقلية الفاضية في القرن الثامن بعد الميلاد منذ تولى بنو العباس منصب الخلافة وظهر التحذير العربي المتسبع به فطالق لسان العرب الذي أدخله مترجمو الكتب اليونانية في الاصطلاحات فسهل انطباقها على المعلومات التصويرية التي عزا الفريخ اختراع أكثر ما كشف منها إلى علماء منهم كانوا في القرن الخامس عشر والسادس عشر مع أن اختراع أكثرها ما كان إلا للعرب الذين اجتهدوا في حقن العلوم

قال . ونلخص لك اجتهادهم فنقول . وههنا ذكر المؤلف الفرنسي المذكور مسائل تصعب على بعض قراء هذا التفسير لأنها اصطلاحية في العلوم (الأول) مثل الكلام على حلل المعادلات التكميلية واستبدال الأوتار بالجيوب وتطبيق الجبر على الهندسة وإدخال الخطوط المعاسة في حساب المثلثات وهكذا وقال إننا شاهدا هذه جميعها في مؤلفات العرب المكتوبة بخط اليد التي ظفروا بها (والثاني) أن العلماء الفلكيين يفتقد ضبطوا بزيادة الدقة حركة أوج الشمس وتدخل تلك هذا الكوكب في داخل أفلاك آخر ومقدار السنة (الثالث) أن تقدم الجغرافيا الرياضية وتصحيح أزيلاج بطليموس كانا على أيدي العرب (الرابع) أن القرن السادس وما بعده إلى السادس عشر كانت خالية من الفلكيين الأوروبيين وإنما كانت الأرصاد العربية هي القائمة في الشرق (الخامس) هو ما نحب منه فلكيو الشرق وهو (مرصد) رصدخانه سمرقند التي أنشأ بعدها بقرن الخوارج (تيكوبراية) رصدخانه (أورنيبوغ) سنة ١٥٧٦ ميلادية (السادس) أن الفريخ زعموا أن آلة الاسطرلاب من مخترعات (تيكوبراية) مع أن تلك الآلة والرابع ذا القتب موجودان من قبله في رصدخانه المراغة التي أسسها العرب العارفون للساعة ذلت البنول (السابع) أن العرب شهرها النقص التدرجي ليل وسط فلك البروج قبل متأخرى الفريخ زمان طويل (الثامن) أن العرب قتلوا مبادرة الانتحال بمقداره الحق من ابتداء القرن الحادي عشر (التاسع) أنهم رصدوا اختلاف عروض القمر قبل (تيكوبراية) بأكثر من ستمائة سنة الخ

قال صاحبي . إن هذه (وإن أفادت أن علماء أوروبا شهدوا بأن كثيرا من الكشف التي نسب رجالهم لأنفسهم هو العرب (وبعبارة أخرى) للآدم الإسلامية) لا يبعد القارئ فائدة كبرى كما ذكرت أنت

لأنها اصطلاحات فلسفية ليس يعرفها أكثر الناس فلذا ذكر بعض ما تبغ فيه العرب على شريطة أن يفهمه الجمهور وقبل الانتقال إلى الفصل السادس وهو انحطاط التعليم في بلاد الاسلام لتكون المقالة مقدمة لمشوقة لنا والناس قتل قال (سديو) للذكور ما ملخصه (أنهم أتوا بالهيب الحجاب (١) في الهندسة (٢) والحساب (٣) والجبر (٤) وعلم الضوء (٥) والنظر (٦) والميكانيكا (٧) وترجة هندسة اقليدس (٨) وغيره مثل تيودوس وأبولونيوس وابيسقليس ومينيليوس (٩) وشرحوا مؤلفات أرشميدس في الكرة والاسطوانة واشتغلوا قرونا بدقائق الهندسة (١٠) وطبقوا الجبر على الهندسة وترجوا كتب (هيرون الصغير) في الآلة الحربية وقليزيبوس وميرون الاسكندري في الآلات للفرغة للهواء والرافعة للياه وألف حسن بن هيثم في استقامة النظر وانعكاسه في المرايا التي توقد النار (١١) وألف الخازن في علم الضوء والنظر كتابا في انكسار الضوء الخ (١٢) قال وليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الفريغ فاننا لاشكر علماء بغداد على حفظهم كتب علماء الاسكندرية قط بل مع ما اخترعوه في هذه الفنون نحو ما اخترعه البتاني الملقب بطليموس العرب من استبدال أوتار الأقواس التي استعملها اليونانيون في حساب الثلث بأصناف الأوتار للأقواس المضاعفة وهي جيوب الأقواس للصورة التي آثر ما ذكره بما لا طائل في ذكره . وهنا ذكر المؤلف أمياه اخترعها العرب وفاقوا بها اليونان في علم الهندسة والفلك سبق أكثرها . وقال في موضع آخر صفحة (٢٤٠) مانسه (زعم الفريغ أنه لم يكن فلسفة عربية وما ذلك إلا لجهلهم بأشغال العرب فان جميع الروس بمدارس أوروبا في القرون للتوسعة مستمدة من تأليف العرب الفلسفية) إلى أن قال (ولا ننظر أن العرب اقتصرنا على تفسير كتب أرسطو بل كانوا يعرفون تأليف أفلاطون وعتة كتب منسوبة إلى فيثاغورس الخ . أقول فاجب لعالم فرنسي يقول هذا وفي ديارنا بحمر من للتعليم نصف تعليم من يتكروا على آبائهم كل علم وكل فضل - وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرده له - (١٣) يقول للمؤلف للذكور ان (ابراتيسين) اليوناني أول عالم في عصره بالكرة الأرضية واختص بهذا العلم ومعلوماته الجغرافية كمعلومات معاصريه يسيرة ثم تقدمت العرب في هذا الفن كالفنون السالفة وكتبوا كتاب الجسطلي بطليموس الذي تنحى اللاتينيون عن طريقته وكتاب بطليموس بملاو بالخطأ وقد اعتمد علماء أوروبا أولا وجعلوه نموذجاً لرسم الخرائط وساروا شوطا بعيدا وكان أكثر هؤلاء العلماء يجهلون اصلاح العرب له فساروا على غير هدى والاصلاح العربي للذكور كان بأمر للمأمون سنة ٨٢٠ ميلادية إذ عمل أرسادا جديدة ببغداد وجمع أرساد الجسطلي بالزيج الجديد المحرر في خلافته وبهذا رسمت العروض والأطوال بهيئة غير التي كانت في كتاب الجسطلي (١٤) وأكمل تصحيح للمأمون الملك محمود التزني إذ أمر البيروني الفلكي بذلك سنة ١٠٢٥ م وقبل ذلك عمر التعليم والادريسي . وذكر المؤلف بعد ذلك تقدم العرب في منازيها بأرضهم من النبات النافع في الطب والصنائع وزينة المعابد والقصور . قال والعرب هم الذين اخترعوا (الأجوانات) الصيدليات الكيائية وهم الموروث عنهم ما يسمى الآن قواعد تحضير الأدوية التي انتشر بعد ذلك من مدرسة (سارنه) في للمالك التي في جنوب أوروبا قال واشتغلوا بعلم (الجيولوجيا) علم طبقات الأرض ثم قال وبلغت الزراعة أقصى أوجها وكاملها وأحدثوا في أسبانيا السواقي ذات القواديس . هذا ما أردت ذكره في هذا الفصل الخامس (الفصل السادس) انحطاط التعليم في بلاد الاسلام (والسابع) في اضطهاد العلماء بنظام هذا الوجود . هذان الفصلان تتقما في سورة الأنعام عند قوله تعالى - نجعلوه قراطين تبوتوها ونحفون كثيرا - وقد أبنت هناك كيف كان المسلمون بعد القرن الخامس يعادون العلوم وسرى هذا الهاء إلى الجيل السابق وابتداء النشاط الآن . ولكن لا بد من ذكر حادثة عجيبة لتكون توطئة للفصل الثامن وهو انتقال العلم لأوروبا هاربة من المسلمين الذين كرهوها وهامى ذو

(اضطهاد ابن رشد في الأندلس)

اعلم أن الخليفة الحكم ببلاد الأندلس أخذ كتب الفرس والشام وغيرها وصار له في الاسكندرية وبمشق وبنداد والقاهرة أناس يتعاونون له الكتب العلمية القديمة والجديدة بأعلى الأمان وكان في قصره النساخون والمجلدون والأدباء الصادرون والوردون وفي مكتبته (٤٠٠) ألف كتاب ولها ٤٤ مجلدا فهارس فقط وليس فيها إلا عنوان الكتاب وهو قسه يحادث العلماء ويحاولهم في الفنون المختلفة . ولما تولى هشام ابنه قام حاجبه بالأمر واضطهد الفلاسفة والفلاسفة وأخذ الكتب الفلسفية والمنطقية والفلكية وأمر بإساقها في ساحات قرطبة وطرح باقها في آبارها فصارت الفلسفة تقرأ سرا . وإنما قصد بذلك استئالة الفقهاء إليه ليومهم أنه ناصر الدين . وهكذا يقال أن سبب سقوط دولة المرابطين بعد ذلك وقيام دولة للموحدين إنما هو اضطهاد العلوم والحكمة والفلسفة . كل ذلك قبل ظهور العلامة ابن رشد . فبلاد الأندلس كانت تسير حسب رغبات من يتولون الأمر إن أحبا العلم ظهر والا اختفى . هكذا لما تولى الخليفة عبدالمؤمن من دولة للموحدين نصر الحكمة والفلسفة كما فعل الحكم في الزمان الماضي فاجتمع في بلاطه ابن زهر وابن بجا وابن طفيل ثم ابن رشد في عام ٥٤٨ هجرية سنة ١١٥٣ ميلادية وقد عبر البحر إلى بلاد المغرب (مراكش)

ولما تولى عبد المؤمن خلفه يوسف وقرّب ابن طفيل إليه فقام إليه ابن رشد فارتفع ابن رشد عند الأمير يوسف وتولى قضاء أشبيلية سنة ٥٦٥ هـ إلى سنة ٥٦٧ هجرية . ولما تولى يعقوب المنصور بعد ذلك رفع ابن رشد وفي آخر الأمر وشوا به إليه ونسبوا له أمورا دينية وأخرى سياسية فقالوا إنه يجحد القرآن ويعرض بالخلافة وأنه قال ملك البربر جلع المنصور فقهاء قرطبة وقرأ كتب ابن رشد ثم قرأ رأى عند الأمير أن ينفي ابن رشد فسكن (إسبانية) وهي قرية قريبة من قرطبة سكانها يهود وكتب منشورا للأمة بإنشاء كاتبه عبد الملك بن عياش لمنع الفلسفة وهذا بعض مانسه (قد كان في سابق البحر قوم خاضوا في بحور الأوهام وأقرهم عوامهم بشغوف عليهم في الأفهام حيث لاداهم يدعو إلى الحي القيوم ولا حاكم يخلص بين المشكوك فيه والمعلوم غفلوا في العالم محضا ما لها من خلاق مسودة للعاني والأوراق يؤمنون أن العقل ميزانها والحق برهانها) إلى أن قال (فاحذروا وقلكم الله هذه الشرمة على الإيمان حذركم من السموم السارية على الأبدان ومن عثره على كتاب من كتبهم فجزأه التار التي بها يذب أربابه والبا يكون مال مؤلفه وقارنه وما به) إلى أن قال (والله تعالى يطهر من دنس للملحدين أصقاعكم ويكتب في صحائف الأبرار تضاهركم على الحق واجتماعكم إنه منكم كبير اه) والحق نكب في هذا مع ابن رشد محمد بن ابراهيم قاضي بجاية والقاضي أبو عبد الله بن ابراهيم الاصولي وأبو الريح الكفيف وأبو العباس الشاعر وقد ضلهم المنصور إلى بلد غير (إسبانية) منى ابن رشد . وكتب المنصور بأمر الناس بإساق الكتب سوى الطب والحساب والمواقيت مع أنه كان يدرس تلك الكتب في السرايى وأمره . وقد عفى عن ابن رشد ولم يضره بدالاف إلا سنة واحدة وتوفي سنة ٥٩٥ هجرية وعمره ٧٥ سنة وكانت وفاته برا كش ثم حل إلى قرطبة فدفن بها في روضة بمقبرة ابن عباس . وبعد ذلك قلّ اهتمام الطلبة بالعلم وأكبر تلامذته محمد بن حوط الله وأبو الحسن سهل ابن مالك وأبو الريح بن سالم وأبو بكر بن جهور وأبو القاسم بن الطليستة وغيرهم

(الفصل الثامن في انتقال العلم إلى أوروبا بعد أن هجره المسلمون)

ثم هجر اليهود الأندلس إلى (بروفنسيا) والأقاليم المتاخمة لجبال (البيزنطية) فرارا من الاضطهاد وخالفوا الفرنجة وكتبوا بالعبرية وتركوا العربية ونهبوا إلى (لوتل) في فرنسا وهم (أسرة طيبون) أصلها من الأندلس وترجم اثنان منهم وهما (موسى بن طيبون وصموئيل بن طيبون) بعض تلاميذ ابن رشد في فلسفة أرسطو فهذان أول من ترجم مؤلفات ابن رشد لأوروبا وكان الأمباطور (فردريك الثاني امباطور ألمانيا) من

محيي نشر الفلسفة ومخالف الاسلام والمسيحي فشهد الى بعض اليهود بترجمة فلسفة العرب الى العبرية واللاتينية فألف يهود بن سليمان كوهين الطلياني سنة ١٢٤٧ م كتابا سماه (طلب الحكمة) واعتمد فيه على ابن رشد فهو أول كتب لابن رشد صلت بالعبرية وأيضا ترجم له يهودي من (بروفنسيا) كان مقبلا في نابلس وهو يعقوب بن أبي مريم بن أبي شمشون اتولى حوالي سنة ١٢٣٢ عتة كتب من تأليف ابن رشد . ويقال ان الفيلسوف ابن رشد فر من (الباسه) الى قاس وأن أهلها أسكوه ونصبوه ألبم باب الجامع للبصق عليه عند الدخول والمخرج وقيل غير ذلك وأن ابن رشد قال أعظم ما طرأ علي في التكبيرة التي دخلت أنا ووالدي عبد الله مسجدا بقرطبة وقد حانت صلاة العصر فاعترضنا بعض سفلة العامة فأخرجونا منه . ثم إن الحق لم يدم فان المنصور عفا عنه وعن سائر الجاعة معه وعاد المنفيون الى بلدتهم ولما نفذ في ابن رشد وتلاميذه سهم الحساد أخذ الشعراء المعادون للفلسفة والفلاسفة ينتهجون فقال الحاج أبو الحسين بن جبير

الآن قد أيقن ابن رشد • أن تواليفه تواف
يا ظللا قصه نامل • هل تجد اليوم من تواف
(وقال غيره)

لم تزلم الرشد يا ابن رشد • لما علا في الزمان جتك
وكننتي الدين ذاريا • ما هكذا كان فيه جتك
الحمد لله على نصره • لفرقة الحق وأشياعه (ومنها)
كان ابن رشد في مدى غيه • قد وضع الدين بأوضاعه
فالحمد لله على أخذه • وأخذ من كان من أتباعه
خليفة الله أنت حقا • فارق من السعد خير مرق (ومنها)
حيتم الدين من عداه • وكل من رام فيه قتما
أطلمك الله سر قوم • شقوا العما بالتفاق شقا
تفلسفوا ولتعوأ علوما • صاحبها في المعاد يشقى
واحترقوا الشرع وازدروه • سفاهة منهم وحقا
أوسمهم لعنة ونحوا • وقلت بعدا لهم وسحقا
فايق لدين الله كهفا • فانه ما بقيت يتي

ثم ان كلونيم بن كلونيم بن ميرالنيولد سنة (١٢٨٧) قد ترجم كتب ابن رشد الى العبرية . وترجم كتاب (تمهافت التهافت) سنة ١٣٢٨ وفي القرن الرابع عشر بلغت فلسفة ابن رشد عند اليهود أعلى منزلة ثم كان (الون) الاقريقي اليهودي الذي شرح فلسفة ابن رشد كلها وصنع فيها ما صنعه ابن رشد بفلسفة (أرسطو) من الشرح والتلخيص

وهناك ما قاله (سديو) في هذا المقام تتم الكلام في مسألة هل العلوم العربية الى أوروبا . قال ولا يخفى أن الكشف السابق يفيد علم الملك للشرق منزلة الاصلية والأولية التي لا يستطيع الامساك عن الاقرار بها أحد من الفرنج الذين كان كشفهم لمعاملات الكتب العربية شاهدا على تقدم العلوم الرياضية عند العرب الذين استفاد منهم اللاتينيون للمعاملات فان (١) (جويرت) الذي كان بابا رومه للملقب (يسلاستر) الثاني أدخل من سنة ٩٧٠ الى سنة ٩٨٠ ميلادية عند الفرنج العلوم الرياضية التي كسبها من عرب أسبانيا (٢) واهيلارد الانكليزي ساح من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٢٠ ميلادية في كل من أسبانيا ووادي مصر

وترجم مبادئ اقليدس من العربية بعد ان ترجمها العرب من اليونانية وترجم افلاطون المنسوب (لطفوليا) وهي مدينة قرب روميه من العربية الرياضيات الكردية للنسوبة الى (تيودوز) كما ان الخولبا (رودلف) أحد أهالي (بروجس) للبلجيكية ترجم مسائل بطليموس المتعلقة بالكرة الأرضية والسجوية المصوّرة مبسّطة على خريطة وهكذا (ليونارد) أحد أهل (يزه) ألف سنة ١٢٠٠ ميلادية رسالة في الجبر التي تعلمه من بلاد العرب وقيانوس من أهل نولره في أسبانيا ترجم في القرن الثالث عشر كتاب اقليدس ترجمة جديدة وشرحه و (ويتليون البولندي) ترجم كتاب الخازن في علم الضوء والنظر (وجيراد) الكريمو في ترجم المجسطي وشرح كتاب جابر وغير ذلك فاشتهر في أوروبا بعلم الفلك الصحيح وشهر (الفنس) القسطلاني سنة ١٢٥٠ ميلادية الأزياج الفلكية المنسوبة اليه . وللك (روجير) الأول ملك (السيجيلين) كان مساعدا لعلماء (سببيليا) لاسبا الادريسي ثم أتى الطاهل (فردريك الثاني) بعد (روجير) بمائة سنة فلم يأل جهدا في المساعدة والبحث على كسب العلوم والمعارف الأدبية الشرقية . وكان أولاد ابن رشد مستخدمين في ديوانه ويعلمونه التاريخ الطبيعي في النبات والحیوان . انتهى

وأیضا قال (سدبو) ان القوانين وهي خمسة كتب لابن سينا قد ترجمت وطبعت مرارا وكانت مؤلفاته ومؤلفات الرازي تدرس بمدارس أوروبا نحو ستة قرون تقريبا وكانت وفاته سنة ١٠٣٧ م

وكتب الفخر الرازي في الطب طبعت بمدينة البنادقة سنة ١٥١٠ ميلادية وكتب على بن عباس الفارسي وهي عشرون كتابا في الطب وهي التي أهداها الى عضد الدولة البويهي قد ترجمت الى اللاتينية سنة ١١٢٧ م وطبعها ميخائيل كابلان سنة ١٥٢٣ في مدينة (ليون) فرنسا

فلما سمع ذلك صاحي قال . هذا الذي ذكرته أطلعنا على علم جم غزير فلقد كنت مشوقا الى أن أعرف كيف انتقل العلم لأوروبا من المسلمين وكنت أظن أن هذه أقوال مبالغ فيها ولكنني الآن أمام علم جم فاني رأيت من هذه الأقوال

- (١) لأن اليهود بعد موته تناولوا علمه الى لغتين العربية واللاتينية
- (٢) وأن فردريك امبراطور ألمانيا هو الأمر بذلك
- (٣) وأن يهوذا بن سليمان كوهين ألف كتاب (طلب الحكمة) معتمدا على ابن رشد
- (٤) وأن بابا رومه نفسه أدخل علوم الرياضة العربية بنفسه في بلاده
- (٥) وهكذا العالم الانجليزي ترجم الهندسة العربية
- (٦) والعالم البلجيكي والطلياني والاسباني وهكذا كف في هذا المقام فاذكري الفصل التاسع وهو تفوق أوروبا في تلك العلوم . قلت

(الفصل التاسع في تفوق أوروبا في العلوم جميعها بعد آياتنا العرب)

قد يظن ظان أن ماقلته سابقا خلا عن العالم الفرنسي (سدبو) من أن ما نفعه الترجمة من الكشف قد سبقهم به العرب يوجب أن أعظمهم حقهم . كلا فنحن الآن في تفسير القرآن والقرآن حق ومن لم يجعل الحق ديبته صرعه الحق فاعلم أن الفجر الكذاب يظهر قبل الفجر الصادق * قال الشاعر
وكذب الفجر يبدو قبل صادق * وأول الفجر قطر ثم ينسكب
ادعى الترجمة في أول أمرهم أنهم كاشفون لما سبقهم به العرب ثم جاء بعدهم علماء كشفوا عجائب عما خباء الله في أرضه والمتأخرون من المسلمين ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يبرهن عليها وهم عنها معرضون - . هذه أيها المسلمون آثار آياتكم وأتم خلفهم فإذا علمتم . قلت أوروبا علومكم وأتم تأمّنون . أفلا تعلمون . أفلا تفكرون . ألم يقل الله - قل سبروا في الأرض فانظروا -

أما أبائنا فساروا ونظروا والفرنجية ساروا ونظروا عمل آبائكم فهل أتمم لا تشعرون . انظروا أيها المسلمون
أتمم اليوم عائلة على أوروبا أنها قد فتحت لها كنز العلم وأتمم تائمون . هلا نأذا أقصص عليكم نبأ أهم العلماء التي
حدثت في القرون التأخرة من نحو القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر لتتجلى لكم صورة من العلم
قديمًا وحديثًا وانكم ظلمتم أنفسكم بالجهل وآباءكم بانتسابكم إليهم وهم في قبورهم عليكم محزونون

(علماء القرن السادس عشر)

منهم (١) (تيصوبراهي) المولود في بلدة (بنسترب) جنوبي اسوج في سبتمبر سنة ١٥٤٦ المتوفى
سنة ١٦٠١ أثبت أن نور الشمس سبعة ألوان وأن مولد الأجرام السماوية تشبه أكثرها مولد الأرض وقد
دعاه (فردريك الثاني) ملك الدانمارك فأنشأ مرصدًا فلكيًا من أعظم المراصد بقيت عشرين سنة وزاره
الملك (جيمس الأول) ملك الانجليز في هذا المرصد وأهدى إليه كثيرًا من الهدايا ووفد بعد ذلك على امبراطور
ألمانيا في مدينة (براغ) فأكرمه ولكن لم تطل مملكته بعد ذلك فمات

(٢) (وليم غليبرت)

عالم انجليزي أنشأ علم الكهر بائية الحديث ولد سنة ١٥٤٠ وتوفي سنة ١٦٠٣ فهو الذي عرف أن
الكهرباء تتكون في الزجاج والكبريت والشع الأحر والراتينج والماس . وهذه مبادئ علم الكهر باء
التي أكلها العلماء بعده وقال ان الغناطيسية والكهر بائية من نوع واحد

(علماء القرن السادس عشر والسابع عشر)

(١) غليل . هوفيلسوف ايطالي ولد بمدينة (بيزا) سنة ١٥٦٤ ومات سنة ١٦٤٢ نسبوا له كشف
وقاص الساعة وأنه لحظ ذلك في كنيسة (بيزه) إذ رأى التنديل مدلى من القبة وله خطرات متساوية وقد
قال (سديو) . كلا . ثم كلا هذا اختراع الحسن بن يونس المصري قبل ذلك بقرون . فهذه عما سيناه
القبحر الكذب . وقد اضهد لأنه قال بديوان الأرض ويقول العلماء . كلا انها معروفة قبل الفرنجة عند
العرب كما ستراه في كتاب (المواقف) فيه ديوان الأرض وذلك قبل الاوربيين بمئة وقد ذكرت هذاني
كتابي (في الفلسفة العربية) وتقيم في يونس وقد أكره غليلو على الحضور إلى روميه وهو شيخ ضعيف سنة ٦٩
ستواصر بالركوم أمام جمهور حافل من المثقفين وغيرهم وعاهدكم على الانجيل أنه يلعن ويكره ديوان الأرض
(كشف دورة السم)

(٢) هرفي . ولد سنة ١٥٧٨ في ولاية (لنت) يبلاد الانجليز وعين طبيبًا للملك (جيمس الأول)
ونحلفه وتوفي سنة ١٦٥٧

(علماء القرن السابع عشر والثامن عشر)

(١) اسحق نيوتن . ولد سنة ١٦٤٢ وتوفي سنة ١٧٢٧ من أكبر علماء الفلك زعموا أنه كشف
الجاذبية إذ رأى قنطرة سقطت على الأرض ولكن هذا الكشف قد سبقه به العرب بنحو ستة قرون كما أثبتناه
في كتاب الفلسفة ولكن ليس معنى هذا أنه لا فضل له . كلا فانه جعل هذه الجاذبية تمتد إلى القمر وجها
يدور حول الأرض

(٢) ديمرو . مؤلف دائرة المعارف الفرنسية وهو من عائلة سكنت ولاية شمانيا بفرنسا ولسنة ١٧١٣
ومات سنة ١٧٨٤ وقد ترك كل شيء في حياته إلا المطالعة ولما طرده أبوه دخل بيت رجل يعلم أولاده ثم كره
ذلك وقال للرجل أنظر إلى فقد اصفر وجهي واصفرار الليمون أنا أحاول أن أجعل أولادك رجلا وهم
يحاولون أن يجعلوني ولدا . لست أشكو قلة الراتب ولا سوء المعاملة لأن رائي أكثر مما أستحق ومعاملتكم لي
على غاية الوداد ولا أريد أن أعيش أحسن مما أنا عايش هنا ولكني أريد أن لا أموت اه

(علماء القرن الثامن عشر)

- (١) بنيامين فرنكلن المتوفى سنة ١٧٩٠ وعمره ٨٤ سنة من أمريكا وهو الذى اخترع مائة الصواعق
(٢) لافولازيه أبو الكيمياء الحديثة . ولد سنة ١٧٤٣ وحكم عليه بالقتل سنة ١٧٩٤ فى الثورة الفرنسية
وهو الذى كشف خواص الأكسوجين وحقيقة الاشتعال للنار ونسبة السوائل والغازات والمواد بعضها لى
بعض ويبحث فى الحرارة ويمتد الأجسام وتصلبها باختلاف درجات الحرارة والضغط
(٣) ماريا أغنيس الإيطالية فاقته أهل عصرها فى العلوم الرياضية ولدت سنة ١٧١٨ وكان يحضر مجلسها
فوق ثلاثين رجلا من عظماء أوروبا من أم مختلفة وتوفيت سنة ١٧٩٩

(علماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر)

- (١) كولون الكهربائى ولدت سنة ١٧٣٩ وتوفى سنة ١٨٠٦ هو أول من استعمل الرياضيات فى المباحث
الكهربائية فشره كلها ترجع الى ما كشفه فى الكهرباء وللغناطيس فهو الذى فاض قوتها ونواميسها
(٢) أدورد جفر عالم الإنجليزية ولد سنة ١٧٤٩ وتوفى سنة ١٨٢٣ هو الذى كشف تطعيم الجدرى .
ذلك أن فتاة حلاية البقر سمعت أناسا يذكرون الجدرى فقالت إنها آتت على نفسها لأنها عدت مرة بجدرى
البقر وسمع ذلك (جفر) فخطر له أن جدرى البقر قد يكون واقيا من الجدرى الذى يصيب البشر وأسلم عاقبة
من التطعيم بالجدرى نفسه فاذا طعم الانسان بمادة الجدرى من البقر ظهرت فيه طور قليلة تقيه الجدرى فى
المستقبل ولذا أخذ المصل من تلك البقرة وطعم به أناس كثيرون وقام أيضا الجدرى
(٣) فلطالكهربائى الإيطالى . ولد سنة ١٧٤٥ وتوفى سنة ١٨٢٧ وهو الذى كشف البطارية
الكهربائية والريصيف الكهربائى أو الفلطاى كما هو موضح فى هذا التفسير فى غير هذا المكان شرعا ورسما
(٤) (لامرك) صاحب مذهب التحول هو فرنسى ولد سنة ١٧٤٢ وتوفى سنة ١٨٢٩ وهو أول من
أطلق على الحيوانات الدنيا اسم (عبدية الفقرات) وكانت قبل ذلك تسمى ذوات اللحم الأبيض ودرس الحيوانات
القديمة فى الأرض وله كتاب (فلسفة طبائع الحيوان)
(٥) السرمغرى دافى ولدت سنة ١٧٧٨ وتوفى سنة ١٨٢٩ وهو الذى كشف الصوديوم والبوتاسيوم
والسترونيوم والباريوم والكسيوم والغنيوم . ولما كشف الصوديوم جعل يرقص من الفرح وكشف
النور الكهربائى والأتون الكهربائى كذلك

(مصباح يشرح على العلوم التى كشفها المسلمون والأوروبيون ومنها الكيمياء)

قال صاحب . صوديوم بوتاسيوم . هذه أقطا لا تقيد قرى التفسير فأى فائدة لقرى سورة ابراهيم
من أن يسمعك قول فى رجل أفرنجى انه كشف الصوديوم والبوتاسيوم . أسمع للمسلمين أقوالا قههم
مقاصد ما ذكره والاسم القراء من طول هذا الذى تذكره . قلت هذا من علم الكيمياء . قال وما الفائدة
الكيمياء أليست هى التى تجعل الفضة والنحاس ذهباً . قلت الكيمياء علم به تحلل الملوحة فتعرف أصولها
فتنتفع بها فى جميع أعمالنا والصوديوم وغير الصوديوم هى الأجزاء التى لها خواص ممتازة فى منافعها . قال
هناك لا يفيد . قلت فاسمع . قال سمعا . قلت حياك الله وبياك انظر أنت فى كل أوقائك رجل
كبابى وأنت تنكر ذلك . قل لى رعاك الله ألسنا نحصد القمح . قال بلى . قلت ونمدرسه ونفروه ونطحنه
ونحنه ويهضم فى أجوافنا ويفترق على أعضائنا كل قدره . قال ما معنى هذا . قلت نحن ندرس القمح
فى الحرن بالنورج فيفروه مفتتا ثم نفروه فى الرمح فنفضل الحب عن التبن أما التبن فللهبأى وأما الحب فهو
لنا ولكننا لأننا نأكله حتى نلطفه بالطحين ثم الحن ثم الخبز ثم تحفه هو وغيره أضرأنا وأينا نأكله
بدل فى المعدة فيهضم ثم تجتذبه العروق فيصير دما يفرق على الأعضاء كل عضو يأخذ ما يناسبه . إن هذا

هو التحليل ولولا هذا التحليل ما قدرت أعضاؤنا أن تتناول أغذيتها من دمنا لأنه لا يكون دم إلا بالتحليل المذكور . فهنا (١) آلات من الخشب والحديد وهي التنوير تجرّه الأنعام (٢) وبهذا يمكننا أن ننشروه في الهواء فحصل التمييز بين الحبة والتبن بهذين الصليين . درسه مقدمة وذروه في الهواء نتيجة والنتيجة تميز القمح من التبن ليمتاز غذاء البهايم من غذاء الانسان وكلّ تصرف فيها هو له . فهذا أشبه بتحليل الكيمياء ثم حب القمح يحتاج أيضا الى عمليين الطحن بالأحجار التي يشبه الهرس بالتنوير والضغ التي يشبه ذرو القمح فالضغ فنت الطعم وهكذا أعمال المعدة في هضمه ليأخذ كل عضو من الدم ما يناسبه كما ان ذرو ما درس بالتنوير يعطى البهايم تنبها والانسان حبه . فهنا مقدمات ونتيجتان ولكل نتيجة عمل فالنتيجة الأولى فصلت طعم الحيوان من طعام الانسان بالحكمة . والنتيجة الثانية وهي الهضم بالضغ وغيره أعطت لكل عضو من أعضاء الانسان ما يستحقه من العناصر التي سمينها (صوديوم وبوتاسيوم) وهكذا فإذا قلنا هذا تبن وهذا قمح بعد التنوير في الهواء للحيوان والانسان فهكذا هنا نقول هذا بوتاسيوم وهذا صوديوم وهكذا في الطعام فكل من الأعضاء يأخذ حصة منه بعد الهضم كما أخذ كل من الحيوان والانسان حقه بعد الهرس والتنوير في الهواء . فقال حسن قد فهمت إذن ما عدد العناصر . قلت عدد العناصر سيأتي في سورة العنكبوت فوق ٨٠ وستذكر بأساليبها في جدول هناك . قال ولكن الكلام لم يتم . قلت نعم لم يتم لأن الذي سمعت أنت إنما هو مثل ضربته مما زاه في أنفسنا وما الأمم إلا كالأفراد . الأفراد تحلل القمح بمرسه وذروه وطحنه ومضغه والأمم تحلل جميع المواد التي تراها جميع المواد أشبه بالقمح في المثال المذكور والتبن والحبة أشبه بالناصر والآلات التي اخترعها العلماء في معاملهم أشبه بالخشب والحديد في التنوير والخشب وحده في المنزلة وحجارة الطاحون والأنياب والأسنان والأضراس لتفتت الطعام والعناصر التي يستخرجونها يرقون الصناعات والطب ويجمع أعمال الحياة فإذا أخذ كل عضو بعد المضغ في أجسامنا ما يناسبه . هكذا يحصلون عناصر خاصة تناسب الزرع كالقمح والقطن وغيرها يسمونه (السداد الكيميائي) وما السداد الكيميائي إلا عناصر استخرجوها كما استخرجت أعضاء أجسامنا عناصر مناسبة لها كما فصلنا التبن عن الحبة فأخذ الحيوان والانسان كل حقه . فقال هذا حسن أنا الآن أدركت معنى الكيمياء وفهمتها فهما تقنيا زدي زدي . قلت أما الآن فاني مبتهيج بأنك أدركت ما أردته . وبهذا ارتقوا في الحرب والتجارة وكل أعمال الحياة . واني أذكرك بما تقدم في آل عمران . فقال لا أذكر فاني لم أقرأ المجلد الثاني من هذا التفسير ما الذي هناك . قلت لا أريد التكرار . قال ولكن ذكرى والتذكرى هنا قيد قلت علم الله قبل أن ينزل القرآن أن المسلمين سينامون كما علمت فأنزّل القرآن وجعل في أوائل بعض السور (الم . الر) وهذا يشبه الى ما قوله الآن . علم الله أن أكثر الناس لا يعقلون ما أمامهم فجميع بني آدم يشاهدون الهرس والتنوير والطحن والضغ ولكن لا يفقهون وإنما أكثرهم أشبه بالآلات الميكانيكية مسخرون في طعامهم . مسخرون في ذرياتهم . مسخرون كما تسخر الأنعام . هكذا أكثر الناس في أرضنا يشاهدون هذا التحليل الذي يشبه التحليل الكيميائي بل هو نفسه كيميائي ولا يفكرون في العالم الذي يعيشون فيه فيفسدوه كلا وهو معنى قوله - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - وقوله - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - لذلك أنزل هذه الحروف في أوائل السور كأنه يقول أيها السالكون جهلتم الكيمياء التي تحلل الأشياء وتحققها فأننا أذكركم بالقراءة والكتابة إن الطفل لا تتسنى له الكتابة ولا القراءة إلا اذا حلل الكلمات الى حروفها كما تحلل المركبات الى عناصرها . فكما ان القراءة والكتابة لا يتأتى إلا بتحليل الكلمات الى حروفها . هكذا هذه المادة وقواها لا تنتفعون بها إلا بتفصيلها وإدراك حقايقها قال تعالى - وكل شيء عنده بحمداد - وقال - إن اكل شيء خلقه بقدر - وقال - وأنبئت

فيها من كل شئ موزون -

أعمال الناس لا تتم إلا بالتحليل والقراءة لا تتم إلا بالتحليل فلماذا لا يحققون هذه العوالم بالعلوم ومنها الكيمياء وإن شئت فارجع لما قسم في سورة آل عمران . قال أما الآن فقد فهمت حقا
(بقية العلوم كالكيمياء ما لا تفصيل وتحقيق)

ثم قلت ومثل الكيمياء جميع العلوم فإذا سمعت العالم (كوفيه) الآتي ذكره قد قسم المرتبة الدنيا من الحيوانات الى (ثلاثة أقسام) ولم تقسم قبله فهذا يسمى تقسيما والتقسيم لبيان للتقسيم كما أن التحليل لبيان الحبل وهكذا بقية العلوم كلها لا يخرج عن التقسيم والتحليل وما أشبه ذلك وما هو إلا تحقيق الحقائق كسألة التمتع للتقسيم وكسألة الحروف الهجائية في أول السور . فقال صاحبي حسن لقد أضاء هذا الموضوع وأشرق وصار ما ذكرته من كشف العلوم المختلفة واضحا بهذا المقال فارجع إذن لبقية الكلام على علماء أوروبا فقلت (٦) (جورج ليويلد كوفيه) عالم فرنسي توفي سنة ١٨٣٣ أثبت كتابا اسمه (العظام المتحجرة) وأتوا اسمه (المملكة الحيوانية) وهو الذي قسم مرتبة الديدان التي تشتمل على كل ما يعرف بنوات الهم الأبيض (وهي تقارب نصف المملكة الحيوانية) الى ثلاثة أقسام وهي الحيوانات الصدفية والحشرات التي لا قلب لها والقسم الثالث هو الشبيه بالثبات

(٧) (جان شامبليون) فرنسي الذي كشف لنا كنوز الآثار المصرية توفي سنة ١٨٣٣ م . إن علوم مصر بقيت غزيرة قديما وكان علماءها يقولون لليونانيين (أيها اليونان أتم أطفال) وكان بمصر دار كتب في عهد ملوك اهرام الجيزة . وقال مانيتون المؤرخ في القرن الثالث (ق.هـ) إن عدل المؤلفات المنسوبة الى هرمس ٣٥٥٢٥ وما ترمذ المصريون على الأبراطور (ويكسليانوس) في القرن الثالث (ب.هـ) أحرقت جميع المؤلفات المصرية القديمة التي في علم الكيمياء مثلا يقاوموه بهذا العلم ولكن بقي في المعابد والأحجار والمباني علوم كثيرة لم يعرفها أحد حتى تعلم اللغة القبطية شامبليون ولغة الهيروغليفية وساعده على ذلك حجر رشيد ومسلة (فيلا) للكتوب عليها أسماء الملوك باللغتين الهيروغليفية واليونانية التي يعرفها فتوصل بها الى معرفة اللغة الهيروغليفية وساعده اللغة القبطية وكأما لويس الثامن عشر ملك فرنسا بعث من الذهب منقوش عليها ما يأتي (هدية من الملك لويس الثامن عشر الى شامبليون لكشفه الأحرف الهجائية الهيروغليفية) فياسبحان الله ويسعدانه . كل هذا حاصل وللسلمون ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون - . هذه أيها السلمون أعمال آياتكم الأولى . وهذه أوروبا ارتقت فأما أنتم فأنتم فأنتم لأن ملوككم قتلوا رجال الإصلاح وأهانوهم واكتفتم بالشعر والملاحة . هذا لويس الملك الفرنسي بكافيا عالما فرنسيا على ماذا . على أنه كشف رموز المصريين ولفته في القرآن يقول - فالقوم تنجيك بدينك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -

عيرنا الله بالفظة عن علوم الأمم المصرية التي خباها في أجداث وقبور القراعتة . اللهم أنت الحكم العدل أنت القابض على كل شئ . ينال أهل الشرق جميعا فقلط عليهم الفرج فيفتحون بلادهم كبلاد المصرية ثم يتقون على آثار قد عيرنا الله بجهلها ورمانا بالعفة والجود . اللهم إنك عدل سلطت العلماء على الجهلاء . أليس هذا هو ديننا فكيف ننأ عنه . نعمنا عما أشار اليه من آثار الأمم ومنها آثار مصر والله يقول - أفلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فأنها لا تسمى الأبصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور -

أقول وبعد هذا التفسير وأمثاله وانتشاره سيقوم أكثر المسلمين قومة واحدة لدراسة هذه العلوم كلها وتكون الدراسة بوجدان على ودين معا وهناك يكون طور المسلمين لم يعلموه من قبل لأن الاسلام دين

جديد بكر لم يدرس للآن حتى دراسته ولم تبين مقاصده تبياناً تاماً وبعد هذا التفسير وأمثاله سيظهر رجال أقوى شكيمة وأعظم قلباً وأغزر علماً من علماء أم الأرض ومن يشي به اه

(٨) (جورج ستفنسن) ولسته ١٧٨١ ومات سنة ١٨٤٨ هو عالم انكليزي وهو الذي أنشأ السكك الحديدية في العالم . وقد أنشأ معملًا للركبات البخارية وأخذ في اصلاحها وكان للمهندسون يفكرون في عمل مركبة نارية تسير على قضبان الحديد بدل مركبات الخيل ولكن غنوا أنها تنزلق عن القضبان ولكنه قال ان قتل الآلة كبتها ولو كانت عجلاتها لمساء فله الفضل على جميع نوع الانسان وقد صار سنة ١٨٣٧ م رأس للمهندسين لأكثر السكك الحديدية

أيها المسلمون . أليس من العار عليكم أن يكون (ستفنسن) قد فتح العالم كله وأتم ناثمون وتركبون القطر وأتم علة على أوروبا والله انكم قوم ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يبرهن عليها وهم عنها معرضون - والله عار وجهل وإثم أن يكون هذا السر ورد به القرآن وأتم تجهلون أليس القرآن هو الذي جاء فيه كما سيأتي في سورة النحل - ويخلق ما لا تعلمون - بعد أن ذكر الخيل والبغال الخ يخاطب الناس أيام النبوة فيقول ذلك لأنه لم يأت أوانه ولكن ما علمنا نحن قبح الله الجهالة أم الجبائث ولكن إن شاء الله قد جده وقتكم فافرقوا علوم القوم وزيلوا للانسانية علما حتى تسلموا الأم كما أعطتكم والا فاني أُنذركم صاعقة العذاب الهون بنومكم أجمعين . أيها الناس - أليس منكم رجل رشيد -

(٩) (فراداي) عالم انكليزي ولد سنة ١٧٩١ وتوفي سنة ١٨٦٧ وهو عالم عظيم قد كشف البنزين باستظهاره من الفحم الحجري سنة ١٨٢٥ وكشف قوانين التيارات الكهربية بالتيه الحديدية أيها المسلمون هل يجوز أن يكون أبناؤنا هم الذين علموا أوروبا كما فهمتم من هذا المقال ونمسي علة على علمائهم . اليوم هذا البنزين أتم تستعملوه في مركباتكم وفي الآلات الدائرة النافعة . أفلا يجنبكم المسلمون أن يعيشوا ولاعمل لهم إلا أنهم جاهلون . يقول الله - ويخلق ما لا تعلمون - بعد الكلام على الاتفايع بالحيوان أكلًا وملبسًا وسفرًا ويكون البنزين مما يساعد على السير كالبنزين والمسلمون لا عمل لهم اللهم ضاعت عقول في الشرق عاشوا وماتوا وهم لا يعقلون صم بكم عي فهم لا يرجعون ولكن سيعوض أبناؤنا ما فقدناه ويرجعون من الجهد والشرف ما أضناه

(١٠) (اربان لفرييه الفلكي) الفرنسي ولد سنة ١٨١١ وتوفي سنة ١٨٧٧ هذا العالم هو الذي كشف السيار (نبتون) الذي بعد السيار (أورانوس) الذي ذكر في مواضع من هذا التفسير . هنالك تسابقت جميعات أوروبا الى تسجيل اسمه بين أعضائها وأرسل له ملك الدانمارك برتبة عظيمة تشرفه وصنع جلول لتسيير السفن في البحار

أيها المسلمون . أوليس مما يؤلنى جد الأم أن الله يذكر لنا في القرآن أنه سخر لنا القالك في البحر لنبتني من فضله ويقول - وعلمنا وبالنجم هم يهتدون - فأين الهداية التي استخرجناها وهل نكون جميعا علة على أوروبا برا وبحرا . أليس هذا كتاب ربنا . إن للمسلمين ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يبرهن عليها وهم عنها معرضون - . يفرح الأوروبيون جميعا بعالم نبغ فيهم والشرقيون متقاطعون لا يهري أهل مصر ماذا في الأقطار الأخرى فلا تعارف ولا تولد ولا تناصر بل الجهالة مستحكمة ولكن هذا أوان النصر - إن مع العسر يسرا - وهذا التفسير من مبشرات النهضة والاصلاح والمسلمون قريبا جدًا سيستيقظون في جل الأقطار

(علماء القرن التاسع عشر)

(١) (تشارلس داروين) ولد سنة ١٨٠٨ ومات سنة ١٨٨٢ مذهبه مكمل لمذهب (لامارك الفرنسي) وملخص للدهيين معاً. يرجع الى أن عالم الأحياء من النبات والحيوان سلسلة واحدة متصلة أعلاها بأدناها وهل هي مشتقات بعضها من بعض أم هي مخلوقة خلقاً أولياً . وهذا النزاع تجد الفصل فيه في سورة آل عمران في أوائلها فارجع اليه إن شئت

(٢) (يوسيفول السكاوي الفرنسي) ولد سنة ١٨٠٢ وتوفي سنة ١٨٨٧ كشف العناصر التي تتألف منها النباتات المختلفة وكيفية دخولها في تركيبها . فقال صاحب هذا مثل ما فهمنا فيما تقدم عند الكلام على الكيمياء . قلت نعم كحل مسألة الطعن والتجيز والمضغ الخ . فقال الأمر واضح

(٣) (ماري مانشل الفلكية) الأمريكية ولدت سنة ١٨١٨ وتوفيت سنة ١٨٩٨ برعت في الفلك وكشفت نجما جديدا من ذوات الأذئاب وكانت تقضي الليالي على سطح بيتها ترصد الأفلاك وترقب السماء وانتخبت عضوا في أكاديمية العلوم والفنون الأمريكية

(٤) (شليم الأتري الألماني) توفي سنة ١٨٩٠ عشق في صفه كشف خرائب (بروادة) التي وردت في أشعار (هومبروس) فوجد أسلحة وأمتعة وحل فضية ذهبية وعرف قبر (أنا منون) في جهات سيني التابعة لبلاد اليونان وذكر أنه رأى عجائب ذهبية وأواني وحل كثيرة جدا لاعل لذكرها

(٥) (الاستاذ (تندل) عالم انجليزي ولد سنة ١٨٢٠ وتوفي سنة ١٨٩٣ قد كشف خواص هجينة في النور والحار والبارد والتجريد والاختار والمغناطيس والحيوانات القرية (المكروبات)

(٦) (الدكتور (هتري رولنسن الانجليزي) ولد سنة ١٨١٠ وتوفي سنة ١٨٩٥ هذا العالم أشبه بالعالم (شامليون الفرنسي) كشف عجائب في الشرق والمسلمون ثامنون ككأنهم لم يقرأوا القرآن فهم ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون - وهذا التفسير ان شاء الله وأمثله سيكون مثرا للعزائم مرقيا للشعوب الشرقية نميا للعلوم . أنا بذلك موقن أشد الايقان ولا أدرى ما سببه ولكن هكذا هو الوجدان ولا يلزم الشك إلا الله . كان يعرف اللغة الفارسية والبابلية والمادية قرأ بهذه اللغات على صخر عظيم في باغستان على بعد (٢٢) ميلا من (قرمان شاه) الى الشرق منها . وهذا الصخر ارتفاعه (٧٠٠) قدم فوجد أنها من أيلم (دلريوس هستاسبس) سنة ٥١٦ قبل المسيح ووجد في الكتابة اسم (داريوس) ونسبه وغزواته وممالكه وصورته وقوسه وتاج ملكه الخ وهذا في الآثار الآشورية مثل ذلك فخر المناصب الرفيعة واشتغل بالعلم وحل رموز الكتابات الآشورية والبابلية المكتوبة بالقلم السفني وعلماء انكثروا وألمانيا يجمعون على أنه أول من حل الرموز السفنية

(٧) (الاستاذ (دانا) الأمريكي توفي سنة ١٨٩٥ كان من المحققين في علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) و (المتولوجيا) أي علم المعادن . له كتابان في علم المعادن وكتاب في (الجيولوجيا) وعرف منه داروين وقال ان الانسان لم يرتق إلا بقوة فوق القوى الطبيعية لأن الكون متوقف على ارادة خالقه

(٨) (لويس باستور) هو فرنسي توفي سنة ١٨٩٥ وهو كيميائي وله الفضل في البحث عن التوفد الثاني والاختار والجرائم المرضية

(٩) (السرجون (لوز) المنوفي سنة ١٩٠٠ وهو انجليزي عالم مفرد بعلم الكيمياء وقد خدم بها الزراعة ونحن في الشرق لاهون . وقد استحسن الأسمدة المختلفة للزروعات فرأى ان العظام تفيد الفت اذا كان في أرض ضعيفة بخلاف ما لنا فكان مزروعا في أرض قوية فانتها لتفديد فصالح العظام بزيوت الزاج (حامض الكبريتيك) فزادت فائدتها للأرض . ثم عالج الأثرية النصفورية بزيوت الزاج فصارت سجدا نافعا جدا

هذه صورة مما يتضمنه قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - وقوله في آخر السورة - هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب -

ها أنا ذا أيها المسلمون ذكرتمكم بأيام الله في العرب قبل البعثة وكيف كانوا متفرقين أذلاء ثم كيف جمعهم الاسلام . ثم كيف فتحوا البلاد . ثم كيف ارتقوا في العلوم والصناعات وترجعوا الكتب . ثم كيف اضطهدوا العلم والعلماء . ثم كيف قرأ العلم منهم على يد تلاميذ ابن رشد وغيرهم الى أوروبا مثل بابا رومة وعلماء الأمم من الانجليز والبلجيكيين الخ . ثم كيف نوحى قوم منهم أن ماقلوه عن آياتكم كشف لهم ثم كيف ارتقى القوم في فروع الحياة كلها مما لم يحلم به أبابوا كقطرات السكك الحديدية والآلات البخارية وكنسحو البنزين والسيارات والحيوانات القترية وما أشبه ذلك . أما أنتم أيها المسلمون فانكم قوم ساهون لاهون - وكأن من آية في السموات والأرض يرمون عليها وهم عنها معرضون -

قال صاحبى . كفى هذا في الفصل التاسع الذى جاء في ذكر لرقاء أوروبا وأمريكا في العلوم . قلت

(الفصل العاشر في نتائج جهل المسلمين وغفلتهم)

اعلم أن نتائج هذا الجهل الفاضح في الأمم الاسلامية المتأخرة ظاهرة للعيان فهاتمن أولاء في مصر قد أصبحت الأم كلها آخذة في الرقي وقد ألغيت الامتيازات الأجنبية من بلادهم لإاعتدنا . قال صاحبى تريد أن تذكر ماضى في التاريخ . قلت لأقتصر على (ثلاث حوادث) وهى سقوط الدولة العباسية وسقوط الأندلس واحتلال الفرنسيين أولا والانجليز ثانيا لبلادنا المصرية

(١) (سقوط الدولة العباسية)

إن الدولة العباسية انما سقطت لجهل المسلمين وقلة تبصرهم . وأذكر لك حديثا في ذلك سائى في آخر سورة الكهف عند الكلام على يأجوج ومأجوج وأسباب هجوم المغول والتنازع على البلاد الاسلامية وأن قطب أرسلان قتل باغراء التجار من أرسلهم جنكيزخان من التجار العظام بخطاب من عنده للتعامل معهم وكان معهم أموال كثيرة . فلما قتلهم وأخذ ما لهم أرسل له جنكيزخان رسلا آتوهم قطع أذانهم فلم يسع جنكيزخان إلا أن أرسل جيشه كالجراد للنشر . ولما بدت طلائعه وظهروا للمسلمين أنصبوا جيوش الاسلام هناك سقط في أيدي عظماء الدولة وعرفوا أنهم لاعم عندهم بالقوم وانهم خروهم لجهلهم بهم وكان ما كان من خراب تلك الممالك الشاسعة وجاست تلك الجيوش خلال الليل وكانوا كثيرا ما يهلكون الرجال والنساء والأطفال والبهائم والآلات التى تستعمل في البلاد انتقاما كما ستره هناك في سورة الكهف

أشهرى لم هذا كله . لأمرين الظلم والجهل لأنهم لو عرفوا جغرافية البلاد التى تجاورهم لكانوا قدروا القوم حتى قدرهم . إن علم الجغرافيا فرض كفاية فلو كان في البلاد طائفة تعرف الكرة الأرضية معرفة جيدة سياسية وزراعية الخ لكان هؤلاء العلماء قتموا للأمير تقريرا عن قوة تلك البلاد وأهموه الحقيقة ولكنهم كانوا قد تركوا العلوم كما قتمناه وعثوها من سقط للتعلم واقتصروا غالبا على علم الفقه فزلت بهم الطاقة وهم لا يشعرون - وكأن من آية في السموات والأرض يرمون عليها وهم عنها معرضون -

(الحادثة الثانية سقوط الأندلس)

حدث مما قتم أن المسلمين في الأندلس أسقطوا كرامة ابن رشد وأن الملك أصغر منشورا بدم العلوم الحكيمة وقد أخذت ربح العلوم في الشرق والغرب تركد وكان المسلمون بحال واحدة فهم في الشرق والغرب سواسية . وكما نزل صاعقة العذاب المون بالمسلمين في الشرق أغلقتهم الرجفة في الأندلس . وسرى من أسباب ذلك في سورة الشعراء عند قوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاللون * ألم تراهم في كل واديهيمون - انهم عكفوا على الشعر وقتموا فيه وأهل إسبانيا عكفوا على الفكر والعلم والحكمة

ولما تحاذل ملوك الأندلس في أواخر أيامهم واختلقوا وصار كل منهم يلجأ إلى من جاورهم من ملوك الأسبان حلت بهم الأوصاب (من ذلك) أن الملك فردينند أتى بجانين ألفا أمام أسوار غرناطة وطلب من أبي عبد الله تسليمها فقام الرجال والنساء والأطفال والشيوخ وجثوا في التحصين إلى أن يسوا فخرجوا لحرب النصارى مجازفين فهزمهم عسكر فردينند فرجعوا فطلب هذا الملك من أبي عبد الله أن يده له المدينة بعد شهرين إن لم يأت إليها مدد فلم يأت لهم إلا من القسطنطينية إذ جلت سفن ضربت السواحل ولكن أباعد الله لم يصبر حتى يحىء الموعد إذ خاف من قيلم أهل البلد عليه ولم يسلم المسلمون إلا على شروط مثل حفظ الحرية والأموال والإعلان بشعار الدين والخروج ولكن قد قضى ذلك كله فرديناند وانتهى ملك العرب المستند من سنة ٧١٠ إلى سنة ١٤٩٢ ميلادية أي ثمانية قرون

ولما ولي شربل كان كرويس الخامس سنة ١٥٢٤ أزم أعيان النصارى للمسلمين بالتصهر وما زالوا في أخذ وردة حتى أخذ رئيس أساقفة غرناطة أمرا من الملك فيليبس الثاني بمنع اغتسال المسلمين من الحدادين والرقص للترقي واستعمال اللسان العربي وخروج النساء مبرقعن فأبى المسلمون وشبهوا السلاح وعقدوا مودة مع مغاربة أفريقية فجمعهم النصارى فالتجؤا إلى الجبال مع قائدهم محمد بن أمية من نسل الخلفاء الأموية واستمرت الحرب سنين حتى ظهر شقاق بين المسلمين وذبح محمد بن أمية وخلفه عبد الله فأخذ منه النصارى سنة ١٥٢٠ معظم عساكره وبضهم ذهب إلى أفريقية وشتت النصارى شمل المسلمين في الأقطار تحت المراقبة ولما اشتد الكرب على المسلمين دفعوا سنة ١٥٩٢ إلى الملك فيليبس الثاني ثمانمائة ألف دينار ليخفف عنهم فقبضت الحكومة يدها عنهم ولكن الرعية مازالت وفي يدها أفعى السيف وفي اليسرى الصليب لمطردة للمسلمين . ثم أمر الملك فيليبس الثالث سنة ١٦٠٩ بطرد مسلمي (والنساء) و (مرسبه) فنقلتهم السفن إلى سواحل أفريقية وبضهم اجتاز جبال (برنيه) قبل نزولهم في فرنسا ملكهم (هنري الرابع) وجد على بضهم بالسكن والزراعة وعلى بعض آخر بوسائل السفر في البحر إلى (مينتا غنيته) و (مينتا لتجديق) ويقول (سدرو) إن المسلمين الذين بقوا في اسبانيا بعد فتح غرناطة أي من سنة ١٤٩٢ إلى سنة ١٦٠٩ ثم طردوا بعد ذلك كانوا ثلاثة ملايين وهم كانوا نخبة المسلمين وأعظمهم صناعة . ثم قال مانه (فندرس معالم عز اسبانيا وكذا فرنسا بطردهم من مدينة (تنتنس) سنة ١٦٨٩ للمعززين مذهب (القائولية) ذوى الصنائع العظيمة تأمله)

هذه هي النتائج التي وصل إليها اخواننا المسلمون من أبناء العرب ذلك لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

(الحادثة الثالثة دخول الفرنسيين مصر)

طاحت للملك الاسلامية في الشرق وضاعت في الغرب ومصر في الطريق بين البلدين ولكن الأمم الاسلامية في تلك القرون ذهب منها الصلحون . ذلك أنه كلما نبع نافع أصبح بين فكي الأسد يحضه الحاكم للسبب ويبحر به العوام الجهلاء فالحكام يخافون على ملكهم من طلاب الإصلاح والعامة جهال لا يدرون شيئا فيقول لهم الفقهاء ان هذا مارق من الدين فيضربونهم . إن الله خلق في كل أمة وكل جيل ناضجين وهؤلاء في الاسلام كانوا لا يبحسون على رفع أصواتهم من صولة الحكام وجهل الفقهاء القائمين بأمر الدين ولكن هذا هو الزمان الذي نرفع فيه صوتنا ولا راد لأمر الله ولا يد من رقى أمة الاسلام في هذا الزمان . لهذا كله لم يعتبر المسلمون وكيف يعتبرون وقد مات المسلمون إذ كفرهم الجاهلون فانظر لماذا حصل واعتبر وفهم المسلمون ذلك . إن ما حصل من دخول التتار والقبول بلاد الاسلام في القرن السابع الهجري هو قسه الذي حصل عند دخول الفرنسيين مصر في القرن الثالث عشر الهجري . ذلك أنه كما أن المسلمين كانوا يجهلون

الممالك المتاخمة لهم مساحة وسياسة وعددا وعددا . هكذا كان القوم في مصر واليك البيان
جاءت مراكب انجليزية يوم الثامن من محرم سنة ١٢١٣ الى نهر الاسكندرية وأرسلوا رسولا الى السيد
محمد عبد الكريم الذي هو القائم بالأمر فقالوا إما علمنا أن الفرنسيين يريدون مهاجمة بلادكم فجئنا لنمهمهم
ولعلمهم قادمون بعد قليل ونحن نريد أن نبقى في البحر بعيدا وتأخذنا زاد بالتقود منكم فردّهم محمد عبد الكريم
بخشن القول فتركوهم وسافروا والأمراء لم يهتموا بشئ من ذلك اعتادا على قوتهم وانه اذا جاءت جميع
الافرنج لا يقفون في مقابلتهم وانهم يدوسونهم بخيلهم

وفي يوم (٢٠) منه جاءت للمراكب الفرنسية وطلعت الى الاسكندرية فانهمز المصريون حالا وأحرق
مراكب مراد بك ورئيس الطليعة خليل الكردي فولى مراد بك هاربا . أما في الجامع الأزهر فكان
للشايخ يرقون البخاري وجميع مشايخ الطرق يذكرون اسم (لطيف) وأنحوه ثم دارت الحرب ثلاثة أرباع
ساعة بجوار القاهرة ففرق كثير من الخيلة في النيل وهكذا سلمت البلاد لهم
وقد جرت حادثة وهو أن الطاعون فشا في البلاد المصرية فأمروا بأن الناس لا يدخلون بيتا فيه مصاب
ولا يخرجون منه وأرادوا عمل الحجر الصحي . ولا جرم أن هذا نفسه هو الوارد عن عمر رضى الله عنه وقد
سمع الحديث الشريف في ذلك أي ان الطاعون اذا كان يبلى لاندخه ولذا كنا فيه لانخرج منه

فلما أمر الفرنسيون بالحجر الصحي اعتبر المصريون أن هذا عقاب وقد أرسل لهم قائد الجيش خطابا
يتضمن الحجر الصحي (ذكره الجبرتي في تاريخه) . ولما شرع الفرنسيون ينظمون الأعمال الصحية بحيث
يحرقون ثياب الملعون وفرشه ثم لا يقرب من ليت أحد قال العلامة الجبرتي فاستبشع الناس ذلك وأخذوا
في الحرب والخروج من مصر الى الأرياف

هذا ما أردت تفه لتعلم أيها النكبي الى أي حد بلغ جهل المسلمين ونومهم العميق فلا العدو يعرفون قوته
ولا العمل بالحديث في أمر الصحة قاموا ومسألة الحجر الصحي حق بلا جدال والمسلمون إذ ذاك ساهون لاهون
- وكأين من آية في السموات والأرض يمزون عليها وهم عنها معرضون - . هذا ما كان في حادثة القرنين

(أما دخول الانجليز مصر)

فانه معلوم مشهور ولكن أذكر حادثة واحدة أخبرنا بها أستاذنا الشيخ حسن الطويل رحمة الله عليه
قال كان الشيخ أبوخطوه جالسا في مجلس عرابي بلشا الوطني الشهيد وقت الحرب مع الانجليز . فقال الشيخ
أبوخطوه يجب افعال القتال . فقال عرابي بلشا إن السياسة ليست في المحفظة . فقال الشيخ أبوخطوه
أنا أخذ للمحفظة وأقوم . ثم إن الانجليز لم يدخلوا إلا من القتال . والسبب في ذلك أن رجال فرنسا ضنوا
لعرابي عدم دخول الانجليز بمراكبهم من القتال فوثق عرابي بذلك ولم يثق الشيخ أبوخطوه . ولقد قرأت
في كلام (البلات) الانجليزي في هذه الحادثة أن المصريين لو أنهم أوقفوا القتال لم يدخل الانجليز مصر الى
الأيد وإنما دخلوها بحيلة فوهبوا السفن تخدبو مصر و بعد أن دخلوا استردوها منه حتى يقولوا ما دخل بلادكم
إلا سفن الخديوي لاسفن الانجليز . هذه عواقب الجهل بالأمر وبالعلم - والله عاقبة الامور -

أيها المسلمون . هاأنذا ذكرتمكم بأيام الله فينا وفي أسلافنا فلتذكروا أمركم بعدنا بكتب ورسائل وتفتخروا
سنان القرآن إذ ذكر بما وقع في غزوة أحد وغيرها عاملين بقول الله تعالى - وذكرهم بأيام الله إن في ذلك
لآيات لكل صبار شكور - اه

(تمة وشرح لما تقدم . تذكير للمسلمين بالقرآن)

قلنا فيما تقدم أن سورة ابراهيم مبدؤة بالتذكير بأيام الله ومحكومة بقوله تعالى - وليذكر أولو الألباب -
والألباب جمع لب واللب غير القشر فالقول (قسان) عقول هي القشور وعقول هي الألباب وهذه الثانية

تبحث في حقائق الأشياء . فليرجع من بعدنا من المسلمين الى أسباب زوال الممالك الاسلامية . السبب
(أمران) الجبل وترك الثوري . أنظر الى مايقوله المؤرخ الفرنجي المنكور . يقول إن الأساطيل
الاسلامية وصلت الى مصاب نهر السند وأخذ عبد الله بن عامر بلاد كرمان وسجستان الى أن قال وبعث الى
ملك الصين اثني عشر سفيا وهدته بالآغاثة فغمرهم ببطايا الذهب الوفيرة لشرهم وانتشرت اللغة العربية
ودين الاسلام بالتسريع حتى زالت ديانة البوذية وقد ظهرت الجيوش الاسلامية على شواطئ نهر السنج
هذه حالم في الشرق . فأما حالم في الغرب فانهم توغلا في فرنسا وأخذوا القلم (برغونيا) وبلغوا
مدينة (طلوشه) تحت تلك البلاد سنة ١٠٣ . فهزموا فارتدوا الى شواطئ نهر الرون والسين وأخذوا مدينة
(بون) ودفع الجزيرة أهل (سنس) و (البيجو) الخ

انا لست الآن في مقام الاستحسان أو الاستقباح إنما أنا الآن أذكر ما حصل لأبائنا شرقا وغربا ثم ماذا
حصل بعد ذلك . هأئت ذا رأيت كيف أصبحت حالم بعد ثمانية قرون . هاهم أولاء في البادية كما
كان آباؤهم قبل النبوة ومن تحضر منهم فانه تحت حكم دولة من دول أوروبا . ثم انظر هاتين الحالتين حال
الغزة أولا والبلد ثانيا ووزن بينهما وبين حال العالم أولا وثانيا . أنظر كيف يقول في صفحة (١١٠) من
الكتاب المذكور . ان للمأمون لما تولى استدعى من الانسطنطينية عالما يسمى (ليون) فأبى (توفيل)
ملك القسطنطينية فكان بينهما سنة ٨٢٥ ميلادية حرب نصر فيها (توفيل) وتوفيل هذا هو الذي طبع
بعد ذلك في ارجاع ما أخذه العرب منه فخارب المعتصم سنة ٨٣٦ وخرب مدينة (سوزويزا) مسقط رأس
المعتصم وذبح جميع رجالها فسبب ذلك أن أخذ المعتصم عمورية سنة ٨٤٠ ميلادية وفعل ما فعله (توفيل)
فانظر ووزن بين المأمون وبين يعقوب المنصور فالأول حارب الروم لأجل عالم منهم والثاني طرد وأهان العالم
وهو ابن رشد فارتقى الملك في أylum الأول وانحط بعد زمن الثاني . إذن

(ما السبيل لرقى المسلمين)

السبيل أن تحصل الأمة عن النظام الحالي فان كل مصيبة حلت بالأمة تنبت من جهل الملوك والأمراء
وعدم اعتنائهم بالشورى حتى مات الأمير وخلف الملك لولد غير رشيد ضاعت الدولة فهي أبدا تبع الأمير جهلا
وعلا فلا سبيل لرقى الشرق إلا أن يكون النظام في الملك جاتون سنون وأن يكون هناك مجلس له الكلمة
النافذة في أمر الوراثة ونظام الملك وأن يقيد الملوك كما قيد ملك الانجليز بحيث يكون الأمر لأهل الحل والعقد
هذه هي السبيل لنظام الأمم الاسلامية في مستقبل الزمان . هلموا يا أبناء العرب واسمعوا قولي .
انظروا الى أخلاق آباؤكم الأقدمين وأخلاقكم اليوم . آياؤكم كانت لهم السلطة على أم في الشرق والغرب
كما يتناقلها زالت دولهم الملكية بقيت دولهم العلمية . فانظروا اذا يقول العلامة الفرنسي للمنكور في
(المبحث العاشر وغيره) إن مدينة العرب لم تذهب بذهب دولهم فذكر في هذا المقام أن الأتراك والمغول
لما أغاروا من شمال آسيا على غربها وشرقها حفظوا مدينة العرب وعلمهم (١) فقد أحضر السلطان محمود
الفرنزي الى ديوانه العلامة البيروني من سنة ٩٩٧ الى سنة ١٠٣٠ . (٢) وجع جلال الدين ملك شاه
السلجوقي أفاضل العلماء من سنة ١٠٧٢ الى سنة ١٠٩٢ . (٣) وأحضر (هولاكو خان) المغولي الى
ديوانه حين تغلب على بغداد سنة ١٢٥٢ ميلادية نصير الدين الطوسي الذي قلده ادارة المرصد الجديد
بمراغة (٤) وقتل جمال الدين الفلكي مع الخان (كو بلاي) عامم العرب الى مملكة الصين (٥) وحث
محمد الناصر بن قلاوون أحد السلاطين للمالك بمصر رعايله على اكتاب المعارف من سنة ١٣١٠ الى سنة
١٣٤١ ميلادية (٦) وأسس (أولغ بيك) التتاري في القرن الخامس عشر مرصدا بدمشق وأبقى في
أزواجه من الآثار الفلكية ما يشهد بعلمه وحسن قريحته (٧) وقد كان بعد هلاكو بقرنين عائلة تتجور

لذلك إذ كان والده (شاه روج) وحفيده (أولخ بك) للتقدم ذكره وارثين لما في المدرسة البغدادية العربية من العلوم والفنون (٨) ثم كان زمن الأولين من السلاطين العثمانية علماء برحوا وألفوا كتباً باللغة العربية والفارسية فكان لبعضهم آخر أشعة شمس العلوم التي ختم بها ذلك العصر المديد (٩) وإن تعجب فحجب ما نسمع عن (هلاكو) للتقدم الذي أغدق على العلامة نصير الدين الطوسي المال لجمع الكتب الفلكية من خراسان والشام والموصل وبغداد وبني للرصد للتقدم وجعل في قبة تبا تدخل منه أشعة الشمس وبهذه الأشعة تعرف الدرجات والساعات في سيرها اليومي وارتفاعها كل فصل وجعل في هذا المرصد دوائر رصد كبر أو ربايع دوائر وكرات سماوية وأرضية وسائر أصناف الأسطرلاب (١٠) هذا ما كان من أمر آياتكم العرب خاصة والمسلمين عامة الذين أصبح علماءهم عربية بفض النظر عن الأصل

كان لهم الملك أولاً فلما ذهبت دولهم صار العلماء قائمين بالعلوم عند المتخلفين . فإذا تم بعد ذلك (١١) قال المؤرخ للذكور : « تأخر العرب الآن من التدخل في انقلاب الممالك الشرقية وسكنوا المدن المتباعدة عن بعضها في بحيث جزيرتهم ولزم عرب الشام ونجد عوائد الاجلاف كأنهم نسوا ما تراث آبائهم » . ثم قال : « وأخذ أهل حضرموت وعمان والبحرين يتمتعون بفترات الممارسات التجارية مع أهل الهند وبغوصون على المرجان قرب سواحل الخليج الفارسي ووفد السباحون وتجار العرب الى شرق أفريقيا وجزائر بحر الهند وسواحل مالابار والممالك المتحدة الى مقابل ذهبوا الى الصين . قال ولم يزالوا الى الآن ينشرون فيها عقائدهم وعوائدهم وتصويراتهم » (١٢) من آثار الجهل في أمم الاسلام زمن الانحطاط أنك ترى أن البربر في شمال أفريقيا كانوا هم والعرب اخوانا أيام موسى بن نصير وطارق بن زياد . ولما طرد النصارى في اسبانيا العرب سنة ١٦٠٩ من بلادهم الى بلاد البربر بشمال أفريقيا لم ياذنوا لهم أن يتوطنوا في البلاد حتى أخذوا مامعهم ثم عاملوهم معاملة الأعداء ولم يزالوا كذلك تحت حكم الأتراك وهم قريب من ثلث أهل البلاد حتى سكن قليل منهم مراکش تحت حكم الأشراف واختار أكثرهم العيشة البدوية والاستقلال بحكم أنفسهم فسكنوا الصحاري ولله الأمر من قبل ومن بعد . هذه صفحة ثلثة من تاريخ آياتكم حفظوا الملك ونشروا العلم الى زمن قريب ثم دلت دولة العلم بعد دولة الملك وسكنوا الأكوخ بعد القصور . فهل من أبناء الاسلام والعرب من قتيان صق يربعون مجداً مضى ولربما قضى ويسيدون التاريخ . هاأنذا بينت لكم في هذا التفسير خلاصة العلوم وخلاصة الدين وخلاصة تاريخ الآباء وخلاصة ما أحاط بكم من رفة وضعة . أفلا يكون هذا تفسيرا لقوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - . أليس منكم يا أبناء العرب ويا أبناء الاسلام رجال ينطبق عليهم قوله تعالى في آخر السورة - وليذكروا الأيام الألياب - فهذه هي ذكرى أيام الله ومن اطلع على هذا التفسير وفهمه فهو حقا من أولى الألياب . إن من أعجب العجب أن تشتمل هذه السورة على قصص ابراهيم الخليل وعلى ذكر آبنائه العرب وعلى الرسول العربي ﷺ وعلى مادعابه ربه من قوله - ربنا إني أسكنت من ذريتي الحج - ومن قوله - واجنبي وبني أن نعبد الأصنام -

﴿ انتهى عن عبادة الأصنام ﴾

دعا الخليل عليه السلام أن يحب الله آبنائه عبادة الأصنام . إن عبادة الأصنام تحصر الفكر في للعبود والله عز وجل خلق الكواكب والنبات وكل ما على الأرض فالاعتصار على مخلوق واحد والتعرب به الى الله دلالة على قصور العقول فعبادة الأصنام منمومة لأن الله له هذا العالم كله فليقرأ للمسلمون العلوم كلها كل بقدره منهم والاعتصار على القصور من العلوم وترك بقيتها تشبه من بعض الوجوه عبادة الأصنام من حيث حصر الفكر . إننا معاشر المسلمين الآن مؤمنون بالله ولكننا حصروا عقولنا في علوم ضئيلة فلذلك ففرقنا شذر منر وحكمتنا الأمم التي كما تحكمتها وطاحت منا العلوم وذهبت الى أوروبا وأمريكا واليابان والله يقبل الليل

والنهار وسيرجع مجد العرب والمسلمين اوفى وأعظم وأشرف من مجد السابقين والله عاقبة الامور اهـ

﴿ لطيفة في قوله تعالى - وما لنا ألا نتوكل على الله الخ - ﴾

اعلم أن التوكل له ﴿ فائدتان ﴾ كما قلنا علماءنا ﴿ الاولى ﴾ أنه يورث راحة القلب في الحال ﴿ الثانية ﴾ أن الله يتولى تدبير الأمر للتوكل فيه بشرط أن يفعل العبد كل ما يقدر عليه فيه علما وعملا . ويعين على التوكل ما رأيت في كلام علماء عصرنا تحت هذا العنوان

﴿ القلق واضطراب البال وأثرهما في الصحة والعمل ﴾

كان الدكتور (لاين بينشر) يقول ﴿ لا يموت المرء من الجذب في العمل ولكنه يموت من الهم والقلق كما أن الآلة لا تؤذيها الحركة ولكن ييلها الاحتكاك ويلحق بها ضررا عظيما ﴾ وبما لا ريب فيه أن النانات والشدائد الجسيمة لا تقوى على تمكين صفاء الحياة بقدر الأكدار والخاوف والوسوس الطبقية التي تمل بالمرء من يوم إلى يوم فتتفص عيشه وتهم دعائم توازنه العقلي . وقد كتب الدكتور (جورج جاكوبي) وهو من جهابذة المتضلعين من علم الأعصاب عن فعل القلق فقال ﴿ إن نهمايا الهم في القرن الأخير أربت على آلاف القتلى في ساحات الوغى . وإن أدهش ما توصل إليه علم الأعصاب في الآونة الأخيرة إثباته أن القلق قتال مود بالحياة . ومباحث الأطباء لم تقف عند هذا الحد فحسب بل إنها اخترقت الحجب التي كانت تكتنف هذا العارض وأماطت اللثام عن غوامضه ودقائقه فأظهرت أن كثيرا من الوفيات المنسوبة إلى أسباب شتى ناشئة في الحقيقة عن القلق واضطراب الأفكار . فالقلق يفعل فعله الفريع في خلايا الدماغ الحيوية مشبها قط الماء المتساقطة على بقعة واحدة لاتعتادها فانها مع صغرها وضيقها إذا وقعت على الصخر الأصم لاليت أن تنثقه وتقر به . فلا يجب إذا كان التفكير للؤلؤ للشمس المنحصر في موضوع واحد متلفا خلايا الدماغ مقوضا لبنياه اللبن الهش "البش" . وفعل القلق ميكانيكيا هو كذلك أشبه بفعل مطرقة صغيرة لازال دائما أبدا تهوى على الدماغ ضربة حتى تمزق أغشيته ويختل نظامه . فتتم العاصقوهم للضطرب وحزن الحزين مالم يبذل هؤلاء الجهد العظيم في مكافئتها تصبح كالمطرقة للشار إليها فلا تهم أن تدك أو كان الدماغ وتذهب بالرشد وتفضي إلى اختلاط العقل واختلاله . وقد أظهر البحث أن القلق والهم والفكر الراسخ للزمام تنساب للمصاب بها حتى لا يجيد نفسه منها إلى التخلص سبيلا ثم انها لابد بتتابع وقوعها ومعاودتها من أن تهمل جزأ ولو يسيرا من خليات الدماغ إذ ليس شيء أشق من مقاومة الأفكار للزعجة التي لاتنفك تخالجه وتساوره . ولما كانت أجزاء الدماغ متصلة بعضها ببعض بواسطة الالياف اتصالا محكما كان من المهم أن يتطرق الفساد من الجزء للمصاب إلى سائر جوانب الدماغ . والقلق يحد ذاته شيبه بالوسوس وليس من حالة عقلية أخرى أؤخم عاقبة وأفدح ضررا بالإنسان من حيث تمزقه وسعادته ونشاطه من القلق وشريكه الانكسار . وطباب هذه العللة هو توطيد العزيمة على طرح الفكر المقلق جانبا وتناهي وترويح البال وتسلية . وعلى المرء متى شعر بتعب فكري أن يبادر إلى ابدال عمله بعمل آخر يطلق به نفسه من عقال الضجر والسامة لأن القلى هو أعدى أعداء القلق وأجمع دواء يعالج به . ولا مرأى أنا اذا استسلمنا للهموم والأكدال قد دفنا بأنفسنا قرنا كاملا إلى الوراء وتراجعا إلى عصر الآلة البخارية في أول عهدها حينما لم يكن مستعملها ينتفع منها بسوى عشر ما ينتفع عليها من الوقود فكانت القوة المستفادة توازى عشرة في المائة والقوة التاهبة سدى تسعين في المائة . وكثيرون هم الأولي يشبهون تلك الآلات المتبونة إذ يهدرون قسا وأفرا من نشاطهم بالاضطراب والازعاج والتنعيم والتشكى . بينما ترى أناسا آخرين يستثمرون جل قواهم إن لم يكن كلها فيما يعود عليهم بالغير العميم والنفع الجزيل . فطوبى لمن تعلم أن يحيا الحياة الحقيقية للثنى واستفاد من كل ما أوتيته من نشاط وقوة ولم يبتد شيئا من مواهبه في مالا يجيده فها

قال شيخ وقد أدركته الوفاة لأولاده ﴿اعلموا يا بني أنه قد خاضت في أثناء حياتي مخاوف جمة لم يتحقق إلا التزليسير منها﴾ • وحسب تاجر وجهه من أبيه قال ﴿كان أبي مدة عشرين سنة يوجس خيفة من حدوث شر لم يقع أبدا﴾ فكثيرا ما توقع حوادث الحياة وتفسرها ابتسارا بدلا من أرحمتها لأوامها واجترأنا بشؤون اليرم التي نحن فيه • فهمم اليوم قلما يتأتى عنها عظم ضئي ولكن ليست كذلك للبالاة بأمور المستقبل التي تصنع العقل وتورهن الجسد فانما هي مشاغل الغد والاسبوع القادم والعالم المقبل التي تشيب الرؤس وتجمد الوجوه وتحنى الأجسام وتنهك القوى

وجديرا بالانسان العاقل أن يقيم حوالي حاضره سورا • يعا حائلا بينه وبين ماضيه وآتية فيعيش في حظيرة خليا معدة من النفس ناعم البال • وقد كان (ناكري) الكاتب الانكليزي يقول ﴿إن كل امرئ يخلق لنفسه البيت التي يشتهيها لأن الدنيا شبيهة بمرآة تعكس له شكله وصورته فاذا أقبل عليها مقبلا قطعت واذا بـشـ لها وايقم بشت وايقمت﴾

ويحكى أن (دوايت مودي) للواعظ الأميركي فقم يوما الى تلامذته بأن يتباروا في استنباط المعاني فن جاء منهم أحسن ففكر أجزاءه بخصامة ريال فكان المجلي في هذا المظهر من قال (يتذمر الناس من أن البارئ جل وعلا أنبت مع الورد شوكا أنما كان أحرق بهم أن يحملوه إذ أنبت مع الشوك وردا) • ولا شك في أن مما يساعد الفتي على الفوز في معترك الحياة قبوله للعالم بما فيه من الأشوك والأسواء فقد قال (فونزيل) ﴿إن الاسراف في الأمل والرجاء هو حجر عثرة في سبيل السعادة والهناء﴾ وقال السرجون لبوك ﴿لو أن للوكل اليهم أمر تربية الناشئة علموهم للسرة بمهامهم بقدر لغتهم بمسرتهم لآل ذلك الى ترقى العالم وسعادته﴾ وكان (أوليفر ونيل هولز) وقد بانته الكبر لانفك أبدا يذكر جميل مريته التي علمته صغيرا الأغضاء على مساوي الحياة فكانت اذا جوت أصبه تصرف نظره عن أله بدمية تهديها اليه أو حكاية تقصها عليه وكان يعزوا اليها اغضاظه للعالم المستور • الاحتياط الذي يسهل اكتسابه على السلام ويعسر على البالغ أشده وأما في الشيخوخة فهيئات لا يناله أحد أبدا

وقال أحد المشاهير ﴿ما كنت أرضـ أصبي في أيام طفولتي كان القاتمون بأمرى يعزوني ويعطشون بالي بتوجيه طري الى ابن الجيران الذي برت زراعه بأجها • وحينما كان القذى يشررب الى عيني كانوا يذكرونني بابن عمي الذي فقد عينه ولا رجاء له بإتردادها فكنت أرى نفسى إزاء هذا وذلك سعيدا محفوظا فينبني إذن أن يعود الأطفال الانبساط والارتياح الى كل ما يعرض لهم في الحياة ناظرين الى الأشياء من وجهها المشرق المنير لا لاظم القاتم حتى اذا عبوا على هذه الخلة شابوا عليها ورافقتهم من المهد الى المهد • انتهى تفسير القسم الأول من سورة ابراهيم عليه السلام

(القسم الثاني)

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَمْهَاجُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَصِيفٍ لَا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ إِنَّ إِيَّاهُ يُدْعِيكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا
فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا هَلْ أَنْتُمْ مُّثْنُونَ هَٰذَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَٰذَا اللَّهُ هَدَيْتَنَا كُفَّ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرًا هَٰذَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ نَّجِيصٍ •

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كُنْ لِي عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَكُونُوا مِنِّي وَتُؤْمِنُوا أَنفُسَكُمْ
 مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ • وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَصَلَّوْا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا يَأْذِنُ رَبُّهُمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ • أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ
 طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ • تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خبيثة كَشَجَرَةٍ خبيثة أُجْتُتْ مِنْ قَوْفٍ
 الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ • يَسْتَأْذِنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
 وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ • أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا
 قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ • جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَلْسَنُ الْقَرَارُ • وَجَعَلُوا لَهُ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ
 قُلْ تَتَّبِعُوا فَإِنِ مُصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ • قُلْ لِيُؤَدِّيَ الَّذِينَ آمَنُوا يَحْيُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا بِمَا
 رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ • اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ
 الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ • وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ • وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ
 لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ •

هذا القسم قد أبان الله فيه أحوال الأمم وكيف يبيد بالجهالة ونحيا بالعلم وجعل ذلك في أربعة أمثال
 (الخط الأول) أنه شبه أعمال أولئك الذين كفروا وقد نظروا السموات والأرض الذين ذكروها الأنبياء
 جميعا وجاء بها النبي ﷺ قومه كما في أول السورة ثم أعرضوا ولم يعقلوا إلا اقتراح خوارق العادات فشبّه
 أعمالهم بتراب عصف به الريح فلعبت به في كل ناحية فلا يثابون ثوابا وذلك هو الضلال البعيد عن طريق
 الحق والصواب

(إيضاح لقوله تعالى في أول السورة - الذين يستجيبون الحياة الدنيا - الى قوله - أولئك في ضلال بعيد -)
 (الخط الثاني) أنه خاطب كل واحد من الناس فقال • أأنت ترى أيها الإنسان أنا خلقنا السموات
 والأرض بالحكمة وعلى وجه يليق أن يتخلقا عليه وكيف ترون هذا وأنت عن غافلون • لعبري لأن لم تهم
 الأم بما عليها من حسن النظام وجمال الاتقان وتعميم العلم وتقوم بالأمر وتحافظ على كيانها وتتخلق بأخلاق
 في سمواتي وأرضي وأعمالها فيها لأتزعزع لك منها أنزلنا وأجعلن أمرهم ضياعا ولأصينهم بدهاء عباد

ولأجل أن جهم كالباء . وكيف أبقى في ملكي من لا يثقون . أو يعمروا أرضي من لا يثقون . وهل خلقت السموات والأرض بإطلا ذلك ظن الجاهلين فويل ثم ويل للجاهلين من تفرق جوعهم وتشفيت شملهم ونهاب ملكهم ذلك يوم شؤمهم ثم يرجعون إلى جميعا فيجدال للروسون الرؤساء وبحار الروساء الرؤسين ويلق الأوثان التابعة على الآخرين ويخضع ويخضع للأمر الآخرون ويسلمون بالمقادير ويقولون - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص - ثم يقف الشيطان بين الخزيين خطيبا وأتى خطيب فيقول أيها الخزيان ويا بني الإنسان ما قضى كان وليس في الامكان أبدا عما كان - قضى الأمر الذي فيه تستفتيان - لقد وعدتكم فأخلفتكم والله وعدمكم فلم يخلفكم وقد اتبعتموني إذ دعوتكم بلابرهان مع انكم اقررتم على أنبيائكم أن يأتوكم بما ليس في الامكان فاللوم واقع عليكم فهو منكم واليك فلا أنا مغيثكم ولا أتم مغيث - لقد كفرتم بكم . وملخص هذه المحاورات أن خراب الأمم وضياع الدول ونهاب عزاها ومجدها من الرؤساء واستبدادهم بالرعايا وظلمهم في القضاء فيقلدهم للروسون وهذا التقليد هو الخرب للأمم المضيق للهم لأن التقليد يتكلمون على التقليد بالفتح والأساس اذا كان واهيا انهار بما فوقه فرجع الأمر الى أن الله لا يفرز للأمم خطأها في التقليد ويوجب عليها النظر والعلم الرشيد والراي السديد والتجديد في الراي والابداع في العمل وهذا قوله تعالى - ألم تر أن الله خلق السموات - الى قوله - نعيمهم فيها سلام -

(تفسير بعض الألفاظ)

قال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم) أي فيما يتلى عليكم من مقام التي هي مثل في الغواية ثم استأف ليان هذا المثل فقال (أعمالهم كرماد اشتكت به الريح) جلته الريح وأسرعته النهاب به (في يوم عاصف) وصف اليوم بما يوصف به الريح فان الصف اشتداد الريح كقولك نهاره صائم وليله قائم . فاذن صلة الرحم واغاثة الملهوف وما أشبهها لاواب فيها مع كفرهم كالتراب المذكور (لا يقدرون) يوم القيامة (عما كسبوا) أي من أعمالهم (على شيء) أي للقصود أنهم لا يجحدون ثواب أعمالهم (ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق) أي لم يخلقهما بإطلا ولا صبا بل خلقهما قصد صحيح وأمر عظيم (إن يشأ يذهبكم) أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أعلم بالسموات والأرض الذين خلقناهم بالحق فيكونون مؤمنين وموقنين (وملائك على الله بعزيز) أي بممتنع وكيف يمتنع على الله وقد أهلك الأمم الغافلة في الاسلام نفه فأزال ملك الدولة العباسية بالتار لما كانوا غافلين حتى جهلوا علم الجرافيا فلم يعرفوا قوة التار كما سيأتى في سورة الكهف وأزال ملك أهل الأندلس لما انكبوا على الفول والتخنت وولوا الوظائف أهل الخيال والشعر ولم يولوها أرباب العقل والصكر وتركوا عاداتهم وأخلاقهم وأتبعوا القرينة وأهلك أهل أمريكا الأصليين وأهل استراليا القدماء فكل أمة تلت أعينها عن استكناه هذا العالم فان الله يزيلها على أي دين كانت وأي نملة فان الله خلق السموات والأرض بالحق ولا يبقى إلا الأصلح في الوجود (وبرزوا لله جميعا) أي يبرزون من قبورهم يوم القيامة واذن يتجادلون مجادلة الصوص اذا أحصرها بين يدي القضاء فان كلا منهم يقول نفسى نفسى لأن - الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا للذين - وقوله (فقال الضعفاء) جمع ضعيف أي ضعاف الراي (الذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استغفروهم (إنا كنا لكم تبعا) في تكذيب الرسل (فهل أتم مقنون عا) دافعون عنا (من عذاب الله من شيء) أي فهل تقفرون على أن تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل - با فخر الأولى للبيان والثانية للتبويض (قلوا لو هدانا الله لتهديناكم) أي لو أرشدنا الله لأرشدناكم (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يعني مستويان علينا الجزع والصبر (ما لنا من محيص) منجى ومهرب من العذاب والخصيص العلول لأجل التار وهو مصدر كلفيت أو مكان كلفيت . ثم قال (وقال الشيطان لما قضى الأمر) أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (إن الله وعدمكم وعد الحق) وعدا أنجزه وهو

الوعد بالبعث (ووعدتكم) وعد الباطل (فأخفتمكم) قلت لكم لبعث ولا حساب وإن صبح فلا صنم
شفاء (وما كان لي عليكم من سلطان) تسلط فأخفتمكم به إلى الكفر والمعاصي (إلا أن دعوتكم فستجيب
لي) أي إلا دعائي إياكم بتسويلي وتزيني فأسرعتم بلجاني بلإيهان (فلا تلواموني ولوموا أنفسكم) فلا لوم علي
في وسوستي وإنما اللوم عليكم اذ أطعتموني (ما أنا بمصرحكم) يخفيكم من العذاب (وما أتم بمصرحة)
بغيتي (إني كفرت بما أشركنتمون من قبل) أي كفرت اليوم بأشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي
في الدنيا أي تبرأ منه واستنكرته • ثم قال الله تعالى (إن الظالمين لهم عذاب أليم) • وأدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم (بإذن الله تعالى والذين يدخلونهم هم
الملائكة) يحيتهم فيها سلام) أي يحبسهم للملائكة فيها السلام (الخط الثالث) اعلم أن النطین السابقین
بغالفان النطین اللاحقين • ذلك أن الأولین جاآ لتبيان ما يستور الأمم الجاهلة من تفرق الخلال وضیاع الأمر
وذهاب مجدهم ودور عزهم ومحق جمعهم لما كانوا جاهلین • ألم تر كيف صور أعمالهم أن الريح تذر فها
وكيف نسوا حظهم من السموات والأرض حکم عليهم بالتهاب من الوجود ثم یوقی بدلم بمن هم أشرف
نفوسا وأقوى قلوبا وأعقل للعلم وأولی بالفهم • وكيف كانوا متواكلین یسوقهم الرؤساء كما تساق الأنعام
وینذرون سوء النکال فالرؤساء والشهوات التي یستخدمها الشیطان فی اغواءهم لهم ولها السلطان عليهم •
ذلك ملخص النطین فاسمع ما یتلى عليك من النطین اللاحقين • ويجب للأزمین الجهل والعلم واذکر ذلك
لمن ینیک (الخط الثالث) فأما الخط الثالث فهو واسعة القدویة التصید ولأقیم لك مقدمة لأجله فأقول
اجلس ساکنا فريدا لا أصوات بجانبك وفرغ قلبك عما یلیه وانظر إلى العالم العلوی وإلى العالم السفلی
وتصور أنك عقلهما ودم علی ذلك طویلا وكرره فی نفسك مرارا علی شریعة أن تلم بالعلوم المعروفة للملأما
من الرياضیات والطبیعیات حیثخذ یتجلی لك اشراق فی النفس وبهجة فی القلب وضیاء فی العقل وأنوار
بهجات کاشفات ویصور لك خیالك العجیب صورة علمك بهیمة أنوار مختلطة الألوان بحیث تبتهیج النفس بها
وتمر العین • تلك الأنوار تشرق من الأرض وتنبعث من سطحها وأصلها من قلبك وتخترق طباق الجوق
وتصل إلى العلا حتی تصل أطباق السموات فتخلق هناك وتحاول الاحاطة بالبحر والجموم والاحتفاف من الرجوم
ولا الرجوم • فهل خضرت فی خیالك هذا اللال • ثم خضرت لأنی آقیت فی خیالك وكأنك كنت هناك •
فلذا تصور هذا كماه الآن وما أسهل صور الخیال فانه یمثل جلال العلم الحاضر فی النفوس الكاشف للعوالم
التي درستها والمعلومات التي قرأتها من المعادن والنبات والحیوان والانسان والجوق والسحاب والسموات
هذا هو الخیال الذي یحاکی هذه المراسمة العاتقة • اذا عرفت هذا فانظر تمثیل القرآن لهذا العرفان
قد أراد الله أن یرينا بهیمة العلم بهیمة تدل علی الثبات والدوام فعمد إلى أنواع النبات قسمها قسمین
قسم لاثبات له ولادوم بل هو خضراء البمن التي تنبت أول النهار فی السموات حتی اذا علت الشمس فی
السما تنفت وذوت وزرتها الريح وبقيت أرضها جرداء حتی اذا ما أرخى الليل سدوله وظهر الصبح نبت
مرة أخرى ثم یبیس نخی وهكذا دوالیک • هذا قسم من أنواع النبات • القسم الثاني هی النباتات القویة المتينة
کالنخل والأشجار الباسقات التي تمیش عشرات السنین ولها فروع فی الجوق وجذور نازلات فی الطین وأوراق
وأزهار وأثمار ولها فاكهة ینالها الناس کل حین • فانظر كيف جعل هذا القسم الأول مثلا للعارف الضئيلة
والآراء الزائلة السقیمة بحیث لاتنفع جارا ولا توری نارا ولا تدفع غارا وجعل القسم الثاني منها مثلا للعارف
الشریفة والآراء المتینة وثبات الامور ونظام الجمهور

وبالتأمل فی المتلین نری عجا مجابا • ذلك أن الناس علی اختلاف نحلهم وألوانهم ومدنهم مختلفون فی
آرائهم کاختلاف النساء فلعمر الله أين خضراء البمن التي ذکرناها لك وأنت تشاهدها غیر مکثرت بها کل يوم

تخرج في الأرض الندية لاصقة بالأرض وهي نباتات حقيقة تزهر وتقر ونحن لانشرها وتم نظامها في بعض يوم ويكون لها بنور تلك البذور تنبت في اليوم الثاني . فأين هذه وأين النخل والسرور والأثل وكمن نبات بين هذين . إن النباتات لم يحصرها العلماء إلا على مقدار طاقتهم قد أوصلها بعضهم الى ثمانين ألف نوع وبعضهم زاد كثيرا وهم جميعا يقولون إن في العلم ما غاب عنا فهذه الأنواع كلها مختلفات غير متعقات . هكذا عقول الناس فيها عقول لاصقات بالأرض تكضر السمن . ومعنى السمن الأرض التي تكون حول البيوت وفيها ما يربو الناس مما يزدري ومنها عقول مرتقيات قليلا قليلا حتى تتصل الى أعلاها كالأنبياء هذا هو المثل الذي ضربه الله لعقول بني آدم وعالمهم . قرن عقول الناس وعالمهم بأنواع النبات بل إنه أراد فوق ذلك سبحانه أن يقول للناس لدرسوا هذه الأنواع وعلى مقدار الدراسة لها ولغيرها يكون ارتقاء العقول . ولكن ليس هذا مضرب المثل بل هو يؤخذ من طريق التحلل . انما المقام مقام اختلاف العقول في العلم . ولذا كان الفطنان الأولان دلا على القهات والقتشيت وعدم الثبات فهنا ضرب المثل لأنواع العلم فنه ماهو من القسمين السابقين لاثبات له ومنه ثابت له قرار وعبر عن الثابت بالكلمة الطيبة وعن غير الثابت بالكلمة الخبيثة . وهاك تفسير ألفاظه قال تعالى (ألم تركيب ضرب الله مثلا) أي ألم تر أيها الانسان بين قلبك قطع علم اليقين بإعلامي إليك كيف بين الله شيئا والمثل قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابة ليقين أحدهما من الآخر ويتصور وقوله (كلمة طيبة) بدل من مثلا و (كشجرة طيبة) صفتها أي بين الله شيئا كلمة طيبة موصوفة بأنها كشجرة طيبة (أصلها ثابت) في الأرض ضارب بصروقه فيها (وفرعها) وأعلاها (في السماء) فتمتد فروعها في الجوق (تؤتي أكلها) تعطى ثمرها (كل حين) كل وقت والحين يطلق على القليل والكثير (باذن ربها) بولادة خالقها وتكوينه (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) لأن في ضرب الأمثال زيادة الافهام (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) أي كمثل شجرة خبيثة (اجثث) استوصلت وأخذت بجذعها بالكلية (من فوق الأرض) لأن عروقها قريبة منه تكضر السمن أو لاعروق لها في الأرض كنبات الكشوثى الذي يعيش على غيره كما يعيش البرغوث على جسم الانسان (ما لها من قرار) استقرار . وقد علمت الكلمة الخبيثة والكلمة الطيبة فيما بيننا فالقلدون في العلم وأرباب الشهوات وأصحاب النفوس الضعيفة كلهم أصحاب الكلمة الخبيثة لأنها لاثبات لها كنبات الكشوثى وكضر السمن وأصحاب النفوس العالية والحكماء وكبار المفكرين في السموات والأرض هم أصحاب الكلمة الطيبة فعلمهم ومعرفتهم تعطى أنهم نعماء ووزقا ونظاما في هذه الحياة الدنيا والعلم مستقر في قلوبهم وباستقراره فيها امتدت فروعها الى العوالم العلوية والسفلية وأثمرت إثمارا كل حين على أبناء أمتهم وعليهم وعلى غيرهم وصار نوراً يهتدى به المهتدون ويمثل لذلك بالنخلة التي أصلها مستقر وفروعها عالية وثمرها دائم لأن الناس يأكلون منها صيفا وشتاء الجرار والطلع والبلح وهو ضار بالصحة . والخلال والبسر والنصف والربط ثم الثمر اليابس الى العلم المقبيل . ثم قال تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذي ثبت بالحق عندهم وتمكن في قلوبهم (في الحياة الدنيا) فيكونون راسخين في عقائدهم صابرين على ما أصابهم كركابا ويحيى عليهم السلام (وفي الآخرة) فلا يتلثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم أهوال يوم القيامة (ويصل الله الفالين) الذين ظلموا أنفسهم بأن لم يفكروا وصاروا كالشئ الثاني الذين هم أصحاب الكلمة الخبيثة أو قللوا فهم لا يهتدون ولا يثبتون (ويفعل الله ما يشاء) من تثبيت بعض وإسلاخ آخرين . هذا هو المثل وهذا تفسير ألفاظه ولقد عرفت مرهات وفهمت مغزاه فليس يراد من أمته الاسلام أن ينطقوا بالشهادتين فحسب والا فانطق بهما متمسرين بآيها فهذا الطائفة النطق بهما نطق ولا أن يتصور للسلم للمنى فحسب . كلا . إن الأمر عظيم فليفكر المسلمون بعقولهم ولينظروا كم ينحط

مشرة وحشائش ذاهبة ما لها من قرار . والنظر لما كان الأمر عظيماً ضرب الله له المثل ولا يضرب المثل إلا للعظيم
فلا اعتقاد بنبوة النبي ﷺ وبوحداية الله سهل عند المجاوز والجهلاء . ولكن الأمر ليس مجرد الاعتقاد
بل إن الله أنزل هذا القرآن لأمر متعرف هذا الوجود وتدرس هذه الدنيا (تنبيه) أذكرك بما تقدم في
سورة التوبة لما وقف أبو بكر رضي الله عنه محتجاً على الأنصار قاتلهم (أيها الأنصار قال الله تعالى - أولئك
هم الصادقون - ألم تكن فينا نحن المهاجرين فقالوا بلى فقال ألم تقرأوا - يا أيها الذين آمنوا اقوا الله
وكونوا مع الصادقين - فما عن أولاء الصادقون فلنكونوا معنا) فانظر كيف استدلت على أن الخلافة في
المهاجرين بهذا . أفلا يحق لنا أن نقول للمسلمين الذين ضربهم أوروبا ومزقت شملهم وضحكت على
أذقان عظمائهم . أيها المسلمون لم كرر الله ذكر السموات والأرض ولم ضرب المثل بشجرة تمتد من الأرض
إلى السماء ولم ذكر السموات والأرض في كل مناسبة في أول السورة على لسان نبينا وفيها على لسان موسى
وعلى ألسنة جميع الأنبياء من أمهم وهاهو يعيدنها في ضرب الأمثال وهاهو ذا يكررها كل حين . إن ذلك
لما أقمته وكرره في هذا التفسير

{ نتائج في هذا المثل }

(١) فإذا سمعت بعض العلماء يفسر الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد أو دعوة الاسلام أو القرآن والكلمة
الخيثة بالاشراك بالله أو بالسوء للكفر أو تكذيب الحق فقد دخل كل ذلك وأمثله فيها قرره
(٢) وإذا سمعت أن الشجرة الطيبة هي النخلة أو شجرة في الجنة أو شجرة تنخلها لم تنبت من الأرض
إلى السماء فعلا . وأن الخبيثة شجرة الحنظل أو الكشوثي أو الثوم أو الكافر فكل ذلك داخل فيها قرره
وعرفت المقصود

(٣) وإذا سمعت حديث البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله ﷺ
فقال أخبروني عن شجرة شبه الرجل المسلم لا يتحاب ورقها تؤتى أكلها كل حين ثم وقع في نفس ابن عمر
أنها النخلة ولما عرف أن أبا بكر وعمر لا يتكلمان كره أن يتكلم هو فقال رسول الله ﷺ هي النخلة ثم
انصرفوا فقال ابن عمر لأبيه ما قام بنفسه فقال ما منعك أن تتكلم فقال لم أركم تتكلمون فكرهت أن
أتكلم فقال عمر لأن تكون قتلها أحب إلينا من كذا وكذا

(٤) وإذا سمعت رواية الترمذي مرعوعاً وموقوفاً أن الكلمة الطيبة هي النخلة وأن الكلمة الخبيثة هي
الحنظلة . إذا سمعت ذلك كما قد سهل الأمر عليك وعرفت الحقيقة وكل ذلك تبين لها . فبالتشعري
كيف يكون هذا شأن القرآن وشأن الحديث . يجلس الرسول ﷺ ويحدث أصحابه في علم النبات ويعصمهم
في الشجرة التي تؤتى أكلها كل حين بلذن ربها وأمة الاسلام نائمة . أفلا يقرؤون علوم النبات كما أشار لذلك
الحديث وكما مثل به القرآن

(٥) وإذا سمعت حديث البخاري ومسلم أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وأنه يسمع قرع
نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل (يعني عمداً ﷺ) فأما
للؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له أنظر إلى مقطعك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة
قال النبي ﷺ فبها جيعا . وأما المنافق أو الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له
لأدريت الحديث ثم يضرب ببطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعون من يليه إلا الثقلين
لفظ البخاري . وهناك روايات أخرى تزيد على هذا المسلم وأبي داود والترمذي فإذا سمعها فاعلم أن ذلك
العذاب على الجبل للطلق لأنه إذا لم يستحق أصل الدين فكيف يدرس عوالم الأرض والسماء التي أمر بها
الدين وتأمل في الحديث كيف عبر بأن الضربة بين أذنيه كأنه يقول له هلاسمعت سماع تفهم وهلاعتقت أما

الساجد بالآذنين وأما الفهم فبالعقل الذى هو بين الأذنين • وإعلم أن هذه الضربة اتى تصيب الجاهل في قبره بحسب بعضها في حياته فإن الأم الجاهلة للفرقة الكلمة يصيبها العذاب في الدنيا باغتصاب بلادهم وذهاب مجدهم وضياع شرفهم

ولكم عجد الجاهل في نفسه وكذا الشرير في ضميره من أنواع التوبيخ والتقريع والحزن على ما فاته من العلم ومن صنع المعروف • وهذه الهواجس علة في الناس جميعا فما من امرئ إلا ويشعر بنقص علمي حين ينظر ماحوله من الكائنات وزجر نفسه حين يعلم أنه مقصر في لغاته من حوله وإعانتهم فيما يطلبون هذا مبدأ العذاب ويزداد هذا العذاب بتفرق الكلمة بين الأمة ثم اذلالها وقهرها فإذا ماتوا وجدوا العذاب الأكبر على التقصير بتبكيك الضمير وعذاب السعير والمقامع من حديد ولله عاقبة الامور جاء في كتاب (مذكرات أدبيات اللغة العربية) في صفحة ١٠٤ تحت عنوان (للوازنة السادسة • التشبيه بالشجر والنبات وغيرها)

وقال عنزة العيسى يشبه راحة عيلة برائحة روضة أف

أَوْ رَوْضَةً أَشْجَا تَضَعْنَ بُنْيَمًا	فَيْتُ قَلِيلُ الْقَمَنِ لَيْسَ يُعْلَمُ
جَلَسَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بَكْرِ حُرَّةٍ	فَتَرَكْنِ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالَّذَرَهُمُ
سَعَا وَتَسْكَابَا فَكُلَّ عَشِيَةٍ	يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمْ
وَحَلَا الدُّلْبُ بِمَا قَلْبَسَ يَبَارِحُ	فَرِدَ كَفِيلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنَّمْ
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعُهُ بِذِرَاعِهِ	فَدَحَ الْمَكْبَ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْنَمْ

هذا نموذج من ذكر الشجر والنبات والبساتين في كلام العرب تأمله وانظر كيف ذكره طريقة لمكان محبوبة وبنت طرف لرائه أغنيا وامرؤ القيس طورا يذكر الصلاة الحجرية وأخرى يذكر المم في صدر فوسه وأونة غزارة شعر محبوبة وعنزة ماوصف الحديقة والورق والسحاب والنبات والأجنم للمكب على الزناد إلا لتشم أغناس محبوبة عاقلة الرمح طيبة النشر

إذا حققت هذا فتأمل حال ذكر الشجر في القرآن ونجب من تنويع المعاني وإجادة التشبيه والارتقاء به الى مستوى تسمع فيه صرير أقدام الحكمة وذلك فيما يأتى

يقول الله عز وجل مستدلا على الايمان لحنا على النظر في العالم المشاهد وبهجة ونظامه - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير - إذا نزل ماء فأنبثت النبات فأصبحت الأرض مخضرة • ولاجزم أن ذلك دلالة على لطفه وتديره وعلمه وأنه خير بجميع الشؤون • ونجب كيف مثل كلمات الحكمة والايمان الثابت بالعمل بالشجر وكلمات الكفر والجهل بما لا يثبت منه كالخنظل إذ قال - ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة - الى قوله - ما لها من قرار - • شبه كلمة الحكمة والايمان بشجرة ثبتت عروقها في الأرض وعلت أغصانها الى السماء ذات ثمر في كل حين • ولاجزم أن الهداية اذا حلت قلبا فاضت منه على غيره وملأت قلوبا كثيرة فكأنها شجرة أثمرت كل حين لأن ثمراتها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة وكل قلب يتلقى حما يشا سكه ويتقدم يلائمه أسرع من إيقاد النار في الحطب والكهرباء في المعادن والضوء في الأنير • وشبه الكلمة الخبيثة كلمة الكفر وماشا كلها بشجرة خبيثة كالخنظل لا أصل لها من الجنوع ثابت بل عروقها لا تتجاوز سطح الأرض فلا هي ترتفع في الجوق ولا هي تمتد بجذورها في باطن الأرض • هكذا

لائبات للباطل ولا دوام فهو زائل ذاهب وما أقوى الحق وأثبت وأكثر نفسه فالحق قوى الأركان ثابت الدعام
مرتفع إلى أعلى مشر كل حين كالنخل والباطل لائبات له وليس له استظلة وعلو ونمره مرتكبه كالخنظل
في أحواله الثلاث له

ثم إن ما تقدم في هذا المقال من ذكر طريقة بين العبد وامرئ القيس فهو مأسأ ذكره هنا فقد جاء في
صفحة ١٠٣ من الكتاب هذا البيت * قال طرقة

وفي الحلي أخرى: نفخ للردشادن * مظاهر يسطي لؤلؤ وزبرجد

وقد معنا معنى البيت أن في الحلي حبس أسير الشفة يشبه غزالا طويل الرقبة يتناول أغصان الأراك
وينفضها . وأما الثاني فهو ملجأ بعد ذلك وهذا نصه

وقالت اعراية أيا شجر الحابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وفي هذا مجاز عقلي أو كناية * وقال طرقة

نيسم عن الحيا كن منورا * تخلل بحر الرمل دمع له ند

وقد قلنا أن الاقوان شبه به الثغر في الصفاء والبهجة والحسن والنور . وأما الثالث فهو ملجأ بعد ذلك
وهذا نصه . ويقول امرئ القيس

كان على المتنين منه إذا اتحي * مدلك هروس أو صلاية حنظل

والمراد بالصلاية الخمر الذي يشق به الحنظل والحنظل معروف * ثم قال

كأن دماء الهاديات بنحره * عصارة حناء شبيب مرجل

يقول كأن دماء الهاديات وهي أوائل الصيد من الوحوش على نحر هذا القرس عصارة حناء خضب به
مرجل أي مسرح يشبه دم الصيد الذي اقتصه وهو راكب على نحر فرسه بصارة الحناء في شعر الأشيب *
وقال يشبه شعر محبوبته وهو أسود فاحم بقنو النخلة المتشكل أي الذي خرج عن رأس نخلة فظهر خارجا
عن أغصانها وأغافها إذ قال

وفرع يزين للتلل أسود فاحم * أثبت كقنو النخلة المتشكل

(اللفظ الرابع) وفيه تبيان أعلى مقام في العلم والعرفان والأخلاق الجلية أي تبيان الكلمة الطيبة وأصلها
والكلمة الخلية وأربابها إيصا لما قبله وتبيان لما تقدمه فذكر سبحانه أن ذوى الكلمة الخلية هم الذين
- بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار - وأن ذوى الكلمة الطيبة
هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويتصدقون سرا وعلانية وينظرون في خلق السموات والأرض
وازال الماء من السماء وكيف أخرجت به الثمرات وكيف سخرت الفلك لتجري في البحر بالتجارة . وكيف
كانت الأنهار تخرج من البحار بالبخر الذي يتعقد مطرا فينزل على اليابسة وكما سخر الفلك في البحر سخر
النفس والقمر وهما مستمران دائران لا يتران . وكيف سخر الليل والنهار . وكيف آتانا من كل ما
سألناه . وكيف كانت الحم المطاعة لنا لا يمحسها أحد ولا يقطع لها مدد فهو لاء للسلوان المنفقون هم أصحاب
الكلمة الطيبة أي يكرنون علماء بما في الأرض والسماء دارسين النبات والبحار والأنهار . وكيف سخرت
السنن وعالين بما سخر الله من شمس وقر وكواكب . هذه هي الكلمة الطيبة وهو لاء هم أربابها . وهالك
تفسير الكلمات قال تعالى (إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) كاهل مكة لهم حرم آمن وورثي واسع
وشرف بمحمد ﷺ فكفروا وقطوا سبع سنين وقتلوا وأسروا يوم بدر وذلوا لأنهم بدلوا شكر النعمة كفرا
بها (وأحلوا قومهم) الذين شايعهم في الكفر (دار البوار) الهلاك بمحلمهم على الكفر (جهنم) عطف
بيان على دار البوار (صلونها) حال منها (وبئس القرار) أي وبئس القر جهنم (وجعلوا لله أندادا

ليضاوا عن سبيله) الذى هو التوحيد (قل تتصوا) بشهوانكم ومنها عبادة الأوثان والأمر للتهديد (فإن مصيركم الى النار) أى مرجحكم اليها * قال ذواتون التمتع أن يقضى العيد ماشاء من شرواته (قل لمبادى الذين آمنوا) أتبعوا الصلاة وأتقوا (يقيموا الصلاة ويؤتوا زكواتهم) فقول القول يحذوف كما فهمت (سرا ولا علانية) اذناق سرا وعلانية ويستحب الأول فى التطوع والثانى فى الواجب (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) فبتاع المفسر ما يتدارك به قصيره أو يمدى به نفسه (ولا خلل) ولا غلة فيشفع لك خليفك * قال مقاتل إنما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا غلة ولا قرابة إنما هى الأعمال إما أن يثاب أو يعاقب عليها * قال الشاعر

لأنسب اليوم ولا خلة * اتسع الخرق على الرافق

فليست القرابة بخفية قليلا هناك فإن الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين فإن التقوى هى الرابطة بين الناس هناك لا النسب فيقوم الحق والعلو مقام النسب * وفى الحديث القدسي (اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى) ولقد نشاهد هذا فى الدنيا * ألا ترى أن من قرأ تاريخ أمته وتغلغل فى معرفتها وهو خلو من علوم أمته وآدابها يكره أن يعيش بين قومه ثم يعيش مع أولئك * ولقد لقيت من ذوى الفضل والعلو والأخلاق الكريمة والجداد فى أمتنا المصرية من نشأ فى فرنسا من صغره ثم جاء مصر وهو متحمس لدينها ومجدها ولما لم يجد للقول متسعا هنا بمصر غادرها ذاهبا الى فرنسا عائنا بين أهلها وهو لا يزال يجاهد فى عمله وإن لم يكن مفيدا * وهكذا ترى الذين تعلموا فى بلاد الانجليز بمصر اليوم يحب بعضهم بعضا ويحسد أهل فرنسا قد علموا أهل الشام لغتهم على طول السنين وعلومهم حتى إذا جاءت الحرب الكبرى قابلوهم بالترحاب فلما دخلوا بلادهم قبلوا لهم ظهر الجبن وبدأ لأهل الشام من فرنسا ما لم يكونوا يحبسون فكان التعليم أشبه بلحبة (يفتح الحاء) يضعه القاص لاقتصاص الطير * والقص من هذا المقام أن العلم والأخلاق أمكن رابطة * وهى ذى أمة الترك لما رأت أهل بلادها على أحوال شتى وكل يتعلم على نمط غير الآخر حوت هذا ووحدت التعليم فإن لم يكن توحيد أختات الأمة ودخل العدو * وهكذا بلادنا المصرية كانت أيام دخول الانجليز فيها ذات مشارب متخالفة فالتامة متدينون والمتعلمون يحرقون الدين فانفكت الحرى وسادت العاقبة فدخل الانجليز البلاد

وإذا رأينا العلم هذا شأنه فى الحياة الدنيا فما بالك بالآخرة يوم تنحل القوى كلها وتتجرد النفس من كل ما خرج عن دائرة العلم والأخلاق فلا بيع ولا شراء ولا نسب ولا أخلاء وتتجلى النفس بطبيعتها يشير لك الحديث الشريف (أنت مع من أحببت) فالحب والمجانسة العقلية هى الحاكم فى ذلك اليوم * ثم قال تعالى (الله) مبتأ (الذى خلق السموات والأرض) خبره (وأرسل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) أى أخرج به رزقا هو الثمرات فمن الثمرات بيان للرزق (وسخر لكم الفلك) أى السفن (لتجروا فى البحر بأمره) بإذنه وأرادته لتنتقل تلك الثمرات من بلد الى بلد (وسخر) ذلل (لكم الأنهار) تجرونها حيث شئتم (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أى حال كونهما دائبين أى يدأبان فى سيرهما وأثارتها ودرتتهما الظلمات وأصلاهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات والحيوان والشمس تعرف الفصول وبالشمس تعرف الشهور (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان بزيادة وتقصان (وأتاكم من كل ما سألتموه) أى وأتاكم شيا من كل الذى سألتموه أى من كل الذى هو حقيق أن تسألوه سواء أسألتموه أم لم تسألوه لأن هذه الدنيا قد وضح لله فيها منافع يجهلها الناس وهى معدة لهم ولم يسأل الله أحد فى الأمم الماضية أن يعطيهم الطائرات والمناطيس والكهرباء بل خلقها وأعطاها للناس بالتدريج ولم يزل هناك فى العالم عجائب ستظهر لمن بعدنا (وإن تعلموا نعمة الله لا تحصوها) لا تطيقوا عد أنوعها فضلا عن أفرادها فالأفراد لانهاية لها (لئن الإنسان لظالم) يظلم الذمة بالغفال شكرها ويظلم نفسه بجرمانها وإهمالها (كفار) شديد

الكفران لنعمة ربه • ومن ذلك أنه يجمع وينع إذا أظلى النعمة واللواجب أنه يحسن ويتصدق • انتهى
التفسير اللفظي لهذا النقط

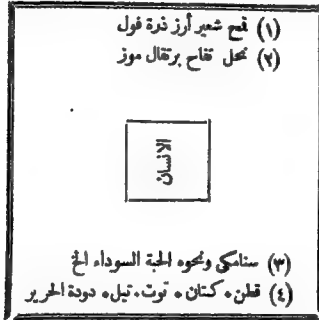
(جوهره في ذكر نعمة بهية وهو الحرير الصناعي)

اعلم أن الانجليز والأمريكان قد اخترعوا حريرا صناعيا لا يكون من الودود ويسمونه في أمريكا (الريون)
وقد كثرت صناعته في فرنسا وانجلترا وأمريكا • وما هو هذا الحرير • هو مأخوذ من خشب التوت وحطب
القطن وشعر القطن بحيث يجعل ذلك كله عجينة وتلك العجينة تصير خيطا • إن هذا من عجائب هذه الدنيا
إن هذه الدنيا كلها عجب • فبالت شعري أي مناسبة بين خشب التوت وحطب القطن وشعره •
نعم نعم خشب التوت هو الذي يخرج منه الورق الذي تأكله دودة الحرير فكان فيه الاصول الحريرية وخشب
حطب القطن فيه الاصول القطنية والقطن أمره معروف • نخلت الثلاثة مع مواد أخرى لانصهرها يكتسبها
أصحاب الصناعة عن الناس • بلل الله وجل العلم • الأرض هي التي يستمد منها غذاء تلك الأشجار •
أشجار القطن وأشجار التوت ومن التوت يأكل دود القز • عجب هذه الدنيا وأي عجب • توت خاق
ثم دود يأكل منه مناسب له • اللهم إن الناس يعيشون ويموتون وأكثرهم لا يعلمون • يتخذون الحرير
من الودود ويلبسونه • أما المفكرون فانهيهم يا الله يسعدون في فكرهم بحياة أرقى من حياة الجاهلين •
ينعمون بالحرير ويقفون عند هذا الحد وما أشبهه من حد ولكن العقل الانساني أبعد مدى • العقل
الانساني له الحق أن يقول نحن أولاد لبنا الحرير وهذا الحرير من الودود فاختص هذا الودود بأكل
ورق التوت ولماذا لما أكله ألم أن يجعل له كرة تلف عليه ولم جعلها مكعبة وكيف ألهم الناس أن يربوه
ثم كيف ألهموا أن ينسجوه • ثم لماذا كان ذلك الحرير نادرا جدا • ولماذا لم يخرج
تلك الخيوط الحريرية في نفس شجر التوت كما خرج القطن من نفس الشجر • ولم كان القطن أقل قيمة
من الحرير وجالا ثم أيضا كيف كان خشب القطن والتوت مع القطن يصنع منها الحرير • ثم يقال أيضا ان
الأرض فيها هذه المواد التي تكون قطننا وحريرا فإذا لم تكن هناك عناية بهذا الوجود فهل هذه الطبيعة
أنتجت ذينك الصنفين رمية من غير رمل وأوجلت الحرير في التوت والبودة المحتاجة اليه بدون عقل • هل
المصادفات العمياء التي كثرت ذلك كله ووضعت محكما بلا عقل • اللهم ان هذه المباحث جنات للمفكرين في
هذه الحياة وسعادات لأولي الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ويقولون - وان تصفوا
نعمة الله لأحصوها -

أنعم الله علينا بالقطن والتوت ولم يكتف بذلك بل جعل في خشبهما حريرا يغني عن عمل الودود •
تلك الودود التي أرسلها الله لنا فرسمت خطة الحرير فنهجنا منهجها واتخذنا من خشب الشجرتين حريرا
وقطنا ياويلنا أعجزنا أن نكون مثل هذه الودود فنليس من عملنا بدل أن نكون عالة عليها • إن هذا
الانسان جاء إلى الأرض ليتعلم الصبر ومزاولة الأعمال بالكسب والاستقلال بعد أن يقتبس من الحيوان الذي
جعله الله له مثلا ينسج على منواله • الناس أصناف • صنف يفرح بأنه لبس الحرير • وصنف يفرح بأنه
اخترع حريرا آخر • وصنف فوق الفريقين يشكر في هذا الانسان ولماذا خلقت له الأرض على هذه الحال
ولماذا جعلت له هذه الدنيا مراتب ودرجات بعضها فوق بعض ولماذا عجب في أول أمره عن السر في الخلق
ثم يتجمل لها جلها شيئا فشيئا ثم كيف كانت هذه الأرض وما عليها جنة للمفكرين ونعيم الحكماء وسعادة
الأولياء الذين يعرفون بفكرهم جمال هذه التنوعات ويجتزئ صفار العقول من بني آدم باختلاف للناس
لباسا ومسكنا ومشر بلوعقولهم في غفلة وقوسهم في محبس وهم هوا

سبحان من قسم الخطو * ط فلا عتاب ولا ملامه

وهاك صورة من جال هذه الدنيا يستين بها اتحاد العمل واختلاف المقاصد من بني آدم بالحكمة المضافتوها هي ذه



هذه الجداول تريك صورة مما يتعاطاه الانسان من النبات فنه للمسا كل في جدول (١) ومنه الفاكة جدول (٢) ومنه الدواء جدول (٣) ومنه لللباس جدول (٤) والانسان في وسطها يتعاطاهما جميعها لأحواله المختلفة . ياغبيا لهذه الدنيا . وياغبيا لهذا الانسان يعنى حتى لا يعقل ويبصر حتى يدرك الوجود على ماهو عليه . هأنت ذا ترى الانسان وسط الجداول وهو محتاج لها كلها وهو في ذلك على (ثلاث درجات) أعلى وأوسط وأدنى

(شرح هذه الدرجات)

اعلم أن نظام هذه الدنيا نظام مزدوج يحكم مبناء الاقتصاد التام والحكمة الصادقة . وأضرب لك مثلا اللسان به ينوق الطعام ونلفظ الكلام وتحرك ما تمنحه وقت تعامله الأكل . إذن اللسان له وظيفة داخلية وهو أن يميز أنواع الطعام لصحة الأجسام ووظيفة خارجية وهو أن يفهم الناس الكلام . وهاتان معنيتان ووظيفة عملية عضلية وهى تحريك الطعام فاللسان لم يمنع النظام للداخل حتى حرس ما يدخل في الجوف من الفس . والضرر وأوصل للعاني من نفس لأخرى وأفاد فائدة عضلية . هذه هى الحكمة والنظام ولولا الاتقان في هذا الوجود لكان للانسان عضو للنوق وأخر لإدارة الطعام وثالث لإظهار الكلام . فمن جال هذه الأجسام التى نساكنها وإن كان أكثر الناس يجهلون ذلك أن تتعدد منافع العضو الواحد والا لاحتاج الانسان الى أجسام كجسمه هذا حتى تؤدي وظائف الحياة . اذا عرفت هذا فانظر في هذه الدائرة النباتية والانسان في داخلها . إن لهذه الدائرة ثلاثة أعمال (أولا) انماء الانسان بقوته وفاكته ودوائه وما به (ثانيا) حله على العمل الشاق لتحريك عضلاته وغفله ليقوى جسمه ويعيش أمدا مقبرا (ثالثا) تغذية عقله بالحكمة والعلم . هذه ثلاث درجات تظهر درجات اللسان . فكما حرك اللسان الطعام هكذا ترى الانسان يعمل في الأرض للفناء وللفاكة وللدواء ولللباس فانتفع هو بهذه الحركة . وكما ترى اللسان ينوق الطعام وهو عمل جسمى داخل هكذا ترى الانسان يتعاطى تلك المنافع ليعيش الى أمد معلوم . وكما ترى اللسان يكون سببا في معرفة الناس ما سكنه صدورنا . هكذا ترى هذه المخلوقات كأنها السنة تنطق بالحكمة والعلم وتغذى عقولنا كما انها تغذى أجسامنا . هذه حكم متراكمة مثبتة . فترى الفلاح وهو في حقله لا يفتأ يجتد بالحرث والعمل وهو يريد بذلك قوام الأجسام بالغذاء والدواء وبالفاكة وباللباس وهو في الوقت نفسه قد قوى جسمه بالحركات ففائدة الفلاح في عمله مزدوجة ولكنه هو لا يقصد تقوية الجسم وما قصد إلا الغذاء

وترى الحكيم والفيلسوف ينظر الى النبات فيدهشه دهشا شديدا ما يرى من حكمة ونظام متى فكر في أى ناحية من نواحي هذا الوجود فيقول مثلا . لماذا كان هذا النظام . أرى أن دودة الحرير لم تخلق إلا لشجر مخصوص فتراها تأكل ورق التوت ولم ترها عرجت على النخل واللموز ولا التين ولا البرقال ولا غيرها لماذا هذا النظام . ههنا يسحر عقل المفكر ويقول جاءت هذه الدودة فنسجت خيوطا ولعل الانسان كان أولا لا يعرف استعمال للاباس فربما كان أول ما لبس الجلود إذ رأى الحيوان يعيش بها قبيح الحر والبرد . ولعله كان يجمل استعمال القطن والصوف ونحوهما . ولعله لما رأى خيوط تلك الدودة الحريرية تعلم غزل القطن والصوف والكتان ولذلك نرى كزة الخيوط على اللغزال الآن تشبه كزة الدودة ثم لما برع في الصناعات والعلوم استخرج الحرير من خشب التوت ومن حطب القطن كما قسم أى انه استخرج تلك الملابس من قس الشجر ولم يقتصر على الشجر ولا على عمل الحيوان . إن هذا من الانسان انتقل من حال الى حال إن الانسان كان في أول أمره عالة على الحيوان يلبس جلده . ولما ارتقى تعلم منه الغزل والنسج كما يرى في العنكبوت فلما ارتقى اليوم أخذ يعتلى عليه وهذه هي وظيفة الانسان فأول أعماله احتياجه الى قس الجلد ثم ارتقى وعقل ففهم وتعلم من الحيوان ثم ارتقى ففاهه اليوم . إن للانسان حالا أخرى سبيلها فيستغنى عن الحيوان ويستخرج الأشياء من أصولها . إن القطن والكتان والحرير كلها من مواد في الطبيعة فإذا زاد عقل الانسان استخرج ذلك كله بعقله وحكمته . إن هذا الوجود فيه السعادة مخبوءة والانسان ملزم أن يبحث ويبحث عنها ويستخرجها وما هو فيه الآن ضف ظاهر يتقدم القوة المقبلة

ينظر الحكيم ذلك في هذه الدنيا فينهله ويسحر عقله هذا الوجود ويقول . لماذا خست دودة الحرير بالتوت واستخرجت الحرير منه وهناك من الأشجار آلاف وآلاف ثم ينظر نظرة أخرى فيقول عجب الانسان بالجوع وبالمرى فليجوع ألم والبرد والحر يؤلمان والمرض أشد إبلا ما فلماذا رأينا تلك الأنواع في الجسد المتقتم مقسمة على أنواع المطلوب للانسان فتدنى ولبس وتدلوى . يذهل الفيلسوف من هذا النظام هو وحده الذى يفهم ويرى الناس حوله نائمين يقول يا عجبيا هذا الفلاح والتاجر والصانع والأمير لا يعرفون من هذا الوجود إلا ما ينفع آلامهم . سلط عليهم ألم الجوع وألم الحر والبرد ثم زلت آلام أخرى بأسباب عارضة فالفلاح لا يعرف إلا ما يحفظ جسمه وكذا التاجر والصانع . هكذا رجال الحكومة لا يعملون إلا لحفظ الرعية كما يحفظ الفلاح زرعهم وكلاهما غالبا لا يعقل الحكمة . أما الحكيم وما أدراك ما الحكيم فإنه هو الذى يرى الله في الأرض ليلحق بالملأ الأعلى بعد . فهنا هو الذى يدهشه هذا النظام ولا يقتصر على ما اقتصر عليه من قبله من تقوية عضلاته وغذاء جسمه ولباسه وفاكهته ودوائه بل تصبح هذه كلها عنده دروسا وأى دروس . دروسا عجيبة . يسحر عقله أن يرى جميع الناس وهو منهم أطفا لا ضعافا ويفهم قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - ومن ضعفه أنه لا يعقل منافعه ولذلك لما كلمه الله هو والحيوان كلمهما بلفظ تتاسبهما وهي لغة الألم من جوع وضرب الخ فأقبل ذئب الألبين عليه أو ذئب الجنديين الضارين له صلبا ومساء وما يقولان له بلا خوف ولا صوت أيها الانسان قم فكل وقم فالبس والا آلتك جميع بنى آدم وجميع البهائم يساقون سواك تساق الأنعام لأن عالمنا الذى نعيش فيه عالم فيه قصور ولكن صانعه أظهر لنا أنه حكم السنته جدا . كيف لا وهو قد جعل هذه النباتات معلة للعقول وحافلة للأجسام وموجبة للحركات لبقاء القوة في الأبدان . ولولا هذه الحكمة لاحتاج الناس الى عوالم يتعلمون فيها وعوالم أخرى يأكلونها ويلبسونها الخ وعوالم تالته قطعها الحركة كالجنند فالحكمة التى أرسلها صانع هذا العالم الحكيم أرثنا أن الدرس واحد فيه الحركة وبه الفناء والمواعظ وبه العلم فالعالم واحد وحكمته متحدة لنا كما أن اللسان واحد وحكمته متحدة . هذه روضات الجنات في هذه الدنيا . إن الله خلق هذه الروضات لنا وستخرج من درسها قليل من بنى آدم وهم هم الذين ينظمون

هذه الدنيا وسيثون في شبانها الهمة والحركة العلمية فاذا فارقوا هذا العالم استحقوا أن يكونوا في عالم أجل من عالمنا هذا الذي جمع ما بين خسة الحيوانية وشرف الملكية والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات اه

(تكلمة في الكلام على قوله تعالى - ألم تركب لعلك تشجرة طيبة أصلها ثابت وجنتها من فوق -)

اعلم أن هذا للثل من أعجب ما في القرآن فالاسلام كشجرة والشجرة لها أصل وفروع والفروع قسبان أصول وأطراف فالتى سينها أصولها الفروع التى تنمو فى قلب الشجرة صاعدة والأطراف هى التى حولها فأعجب لهذا للثل وانظر لخال المسلمين اليوم وذكرهم بأيم الله وقل لهم أيها المسلمون حياكم الله . أليس النبى ﷺ وأصحابه كأصول الشجرة . أليس المسلمون قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل هم فروع وفروع الفروع تمتد وتكثر على طول الزمان فالإيمان أيم النبوة لم يكن له كتب لافى حقائق هذا الوجود من الطبيعة والفلك والسموات والأرض ولانى فروع الفقه والجند والخلاف فى علم الكلام . ولما كثر الاسلام كشجرة حدثت الفروع طبعا ففترعت علوم الفقه وعلوم الجند التى هى أطراف الدين لقلبه . وهكذا الاصول التى امتدت وطالت من القرون الأولى الى القرن الخامس عشر كما تقدم هنا ثم عمدت الى تلك الاصول فقطعتوها بنم العلماء واحتقارهم كابن رشد والغزالي وأضرابهما . أما الفروع فأقيمتوها فاذا ظنتم أن فروع الفقه كافية فأنتم غضوبون مغرورون . واذا ظنتم أن عدم دراسة العلوم الكونية زمن النبوة حجة على تركها اليوم فذلك مبرود بأنكم جريتم على سنن الله فى التعبير بالشجرة وفروعها إذ ألغى آلاف الكتب فى الفقه وفى علم الكلام وإن لم يؤلف ذلك النبى ﷺ وأصحابه ولم ينكر ذلك منكرو لأنكم فروع لتلك الشجرة . وفى الفروع من الأوراق والطول والكثرة ما ليس فى ساق الشجرة فأنتم تجرون على السنان ولكن فرطتم فيها هواهم وهو أصول تلك الفروع التى فى وسط الشجرة وهى التى عليها المعول فلذا اكتمى ﷺ وأصحابه بما يعرفون فى نفوسهم فذلك لأنهم ساق الشجرة فأين الفروع إذن ولم يرتع فى بعض الفروع التى هى أدنى وجهتها فى بعضها الذى هو أتم وأكمل وهى العلوم الكونية . ألا ساء مثلا الجاهلون . فتبا لقوم لا يعلمون . وبسدا لقوم لا يفهمون . وسبأى تمام الكلام على ذلك فى سورة الفتح إن شاء الله عند قوله تعالى - ومثلهم فى الانجيل كزبرج أخرج شطأ فآزره إلح - . هنا واعلم أن هذا التمثيل سيحققه الله عز وجل بعد ظهور هذا التفسير وسيكون فى أم الاسلام رجال لم يعلم بهم النهر وهم موقنون وللعن الانسانى نافعون اه

(ذكرى ليلة ٤ نوفمبر سنة ١٩٠٩ من كتابي سوانح الجوهري)

﴿ القوف والنخل ﴾

القوف نبات يعمل نغرا مستطيلا متى فضع صار آلة لفصل الأجسام لينظفها ويزيل عنها البرن أشبه بالليف ولكنه أبيض ناصع . هذا النبات ينمو سريرا فى الفصول الحارة والمعتدلة ويمتد سريرا على النخلة الباسقة (الطويلة) رأيتته التف على نخلة لجلل سائر جلعها وجميع أفنانها وأوراقها وتعلق على أخرى فاخذ بخناقها وسار معها علوا حتى شارف أغصانها العليا وهى باسقة جدا . ذلك فى هذا الفصل انها ستذبل قريبا ولكن النخلة لا تذبل ربما كل عمر النخلة . ٤ سنة وعمر اللوة لا يكاد يجاوز ستة أشهر . سارت اللوة خبيثا وأبطأت النخلة . ما أسرع ما أثمرت اللوة وما أبطأ ثمر النخل . هذا مثل ضربه الله للناس والأمم . ضربه لهم لعلهم يتذكرون . أراهم عيانا كيف أعطى ما عظم فقه وجل قدره وحلا ثمره وبقي أثره . عناية أشد واحكاما أوسع وأبهى وأبهر . أطبا سبرها وأخر ثمرها ولكن أطال عمرها هكذا ترى أهل الرياء والنفق الكاذبين أسرع الناس سيادة وأكفرهم مالا وأقربهم من الأمراء مجلسا يغشون على عقول الناس فيسودون . وهكذا أولئك القرائون المتفهبون يتبعجون بالعلم ويعفطون مسائل يحاجون بها خصياعهم وإن هم إلا محادلون فذلك بهائم الناس وخافونهم . وهكذا أولئك السابون

الذين يحاجون اقراءهم بحجج ماثلة بالشم وملطخة بالشم الغضب فأولئك لم حظ قليل حتى اذا حصص الحق وزهق الباطل ووقف الناس على مراميهم واطلعوا على خباياهم وأغراضهم وموهم من حائق وزجوا بهم في سجين الازدلال كأنهم زبد احتله الماء فيذهب بقاء لا يمتنع به . وأما من ينفع الناس ولا يرأى فذلك سبيل في إبان عمله عوائق حجة ويعاديه المحبون فإذا سار في اخلاصه ووجد في أعماله فله عقي الدار وهو السيد الذي أشبه النخلة الباسقة طال أمدها وكثر ثمرها إلا أن الثمرات على مقدار الأعمال وقدك نرى رجال الحروب من القواد العظام والمؤك الكبار تسربذ كرههم الركبان سرعها وتخبو وتنظف سرعها أما الحكماء والعلامة فما أبدا ذكرهم وما أودم فضلهم فهم كالنخلات الباسقات وكللاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . ليس في الحرث ويروى النسل ذلك مثل اللوثة والنخلة ضرباه مثلا للناس لعلهم يتذكرون له إلى أذكرك أيها التكي بالمقام القبي نحن فيه وأرجحك إلى الموضوع نفسه . إن الكلام في النقط الرابع وهونيان حال ذوى الكلمة الخفية وذوى الكلمة الطيبة فتغير الكلمات لا يشكك عن أصل المقام وقد بينا فيما سبق أن النقط الأول مبين لضيع الأمل بالجهالات والنقط الثاني تثبيت له وأن غفلتهم عن عجايب السموات والأرض أورثتهم النكال والثالث تبيان الحقيقة الناصية تبيان الكلمة الخفية والكلمة الطيبة وأن الناس ﴿ قسان ﴾ ثابت وغير ثابت كالزروع والشجر وهذا النقط الرابع أظهر الأمر وأوضحه . فأما ذوى الكلمة الخفية فقد ذكرهم في قوله - ألم تر إلى الذين يتلوا - إلى قوله - قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار - وأما ذوى الكلمة الطيبة فشار إليهم بقوله - قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة - وأنت تعلم أن الأمم إنما تعش بعلم وعمل فهذا هو العمل والعمل بالنفس وبالمال فأشرف لها بإقامة الصلاة والالتفاف . وأما العلم فأشرف له سبحانه بقوله تعالى - الله الذي خلق السموات والأرض - إلى قوله - إن الإنسان لظالم كفار - فهذا النقط كله كأنه إيضاح لذوى الكلمة الخفية وذوى الكلمة الطيبة . ولما أبان تقصير الأمم التي يذهبها ويأتي بخلق جديد في معرفة السموات والأرض في النقط الثاني إذ قال - ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق - أن يشأ بذهبكم ويأت بخلق جديد - إذ جعل استبدالهم بعد ذكر السموات والأرض لجهالتهم بما خلق فيهما فلا يتعلمون ما ينفعهم في حياتهم الدنيا وفي الأخرى . أقول لما أبان ذلك هناك في أصحاب الكلمة الخفية أفاد هنا أن ذوى الكلمة الطيبة هم الذين ينظرون في خلق السموات والأرض وما بعده فأخذ يفصل بعد الاجال حتى انتهى إلى ما لا يحصى من العجايب . واعلم أن مما أقعدهم الأمة الاسلامية أن أمثال هذه الآيات ترك وشأنها فلا تحرك بها اللهم ولا تستأثر للنافع بها . ولعمري الله كم من عالم ديني مخلص لله طامع ذك القواد قوى المزيعة قد جس في سجن من الألفاظ أو الأحكام وأحكم عليه فلا يستطيع فككا

أيها العلماء . أيها المصلحون في الاسلام . أيها التكي القاري لهذا التفسير تراقم الأمر على أمة الاسلام قولوا لهم هذا كلام ربكم هو الذي أنزله وهو الذي حفظ على فهم ماني السموات والأرض والسحاب والمطر والثرات ومنافعها والسفن في البحر والأنهار والليل والنهار والبحث في كل دقيق وجليل . هذا وإلى أحد الله عز وجل إذ كتبت خطابا لأمتنا الاسلامية وقد نشر من مستندين في كتاب سميت ﴿ القرآن والعلوم المصرية ﴾ وهناك ملأه فيه في هذه الآية

عبر الله بكاف الخطاب ست مرات لجعل الماء لنا والثرات لنا وتسخير الفلك لنا وتسخير الأنهار لنا وتسخير الشمس والقمر لنا وتسخير الليل والنهار لنا وقد آتانا من كل ما سألناه في ضايرنا وما تمنه قوسنا أي إن النفس كانت تمنى أن تطير وأن تجلس في مكان وهو يجري بها من غير أن يعلم الناس أن ذلك ممكن فكانت الطائرات في الجو والقطرات على الأرض وكان الانسان يخفى أن يكلم أخاه وهما متباعدا وبشوق لتلك قبرز هذا . واعلم أن الله كما يط الفسوس على حب ذلك جبل في الطبيعة استعداده له ثم أبرزه في الوجود

ثم قلت هناك فهل هذا الخطاب استثنى منه المسلمون فهل جعل الله الثمرات في الأرض خاصة بغير المسلمين أم الخطاب علم وهل الفلك التي تجرى في البحر ما بين آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا هل هذه السفن خاصة بالافرنج وكيف نام للمسلمون عن علوم التجارة فأصبحت بأيدي غيرهم من الفرنجة وأهل أمريكا وهم صفر اليدنين فالسفن التي تمخر عباب الأنهار والبحار في سائر أنحاء الكرة الأرضية بيد الفرنجة وهم هم الذين يعمسون المعادن والكهرباء والبخار والتلغراف البرق الذي لا سلك له والذي له سلك . أليس من العار عليكم أيها المسلمون أن تكونوا (٣٥٠) مليوناً ولا سفن لكم في البحار كما لغيركم وقد خاطبكم الله قائلاً - وسخر لكم الفلك لتجروا في البحر بأمره - على قواعد علمية بعد معرفة صناعة الحديد لبنائها واختشب لتكميلها والبخار لتسيرها والكهرباء والمغناطيس لمعرفة الأخبار فيها وقراءة علم الفلك والكواكب السيارة والثابتة للاهتمام بها في طرق البحار ودرس علوم البحار وطرقها ومناطقها وما فيها من مسالك حتى لا تضل السفن سواء السبيل فتغرق ويهلك ما فيها ويعد دراسة علوم السحب والرياح والعواصف حتى يلبس الریان لكل حال لبوسها وينجح التبع الذي ينجى السفينة . ثم قال - وسخر لكم الأنهار - ولا جرم أن الأنهار تسقي الزرع ولما في جريها قوة تستخرج منها الكهرباء فتغني عن القمح والبقول والمسلمون في بقاع الأرض غافلون عن أنهارهم ونسكاد تصبح بيد غيرهم وقوله (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم النايل والنهار) الليل والنهار والشمس والقمر لما حساب دقيق لا يهتدى إليه إلا بعلم الحساب والمهندسة والجبر ثم الفلك فلا تطلع الشمس ولا تقرب ولا يشرق النجم ولا يغرب ولا يطلع سيار ولا يأفل إلا بمواعيد موقوفة لا تخمس ثانية بل كل ذلك بمقدار . فهذه سفن البحار وقطرات اليابسة كلها تسير بحساب الشمس والكواكب . ولو أغفل الناس ذلك بض يوم لاختلت مواعدهم وتصادمت قطراتهم ومات كثير منهم . يعرف ذلك كل من اطلع على طرف من علم الفلك في هذه الأيام . انتهى

هذا هو الذي قلته من ذلك الكتاب وأحد الله إذ رأته قد نشر بين المسلمين في أقطار الأرض . أفلمست ترى معي أيها النبي أن المسلمين إذا قصروا في هذه النعم فاتهم يعذبون في الدنيا والآخرة كما هو الحال الآن وكيف يقول الله وسخر لكم بكاف الخطاب ثم هم يعرضون عن نعمه وهذا حينه كفر النعمة لأنه إذا أعطاك رجل عظيم عطية وقال لك خذها ثم أنك تنافلت عنها أو نبذتها له غضب عليك بل انه يسره أن تأخذها ويسره أن تمتنع بها ويسره أنك تكون غنيا بما أعطاك . هذا كله في المتداول المعروف فأما للمسلمون اليوم فان هذه النعم بعد ما قال الله مخاطباً لهم اني سخرتها لكم ينامون ويقولون فانتزكها للفرنجة . إن هذا أوان العلم والعمل وهذا هو الوقت الذي فيه ابتداء استيقاظ المسلمين ولكن لا بد من تشر مثل هذه الآراء . إن الله أراد وقهم واسعادهم وارتقاؤهم - وتعلمن نبأه بعد حين - وليقومن في هذه الأمة من فضائل العلماء واكابر الحكماء من يرثون الأرض من بعد موت أهلها العافلين ويرثون هذه الدنيا وتبدل الأحوال ويصبح الناس اخواناً على قدر الامكان اهـ

(ست تنبيهات . التنبيه الأول)

يقول الله في الأنعام السابعة - ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء - . وكيف يفعل الله ما يشاء وقد أسئل للظالمين وأبين الحكمة في اضلال الظالمين اذا ظهرت الحكمة في هداية المتقين فانها لم تظهر في اضلال الظالمين وانما قد أمرنا أن نعرف الحقائق وأن ربنا أعفد النعم علينا وآتانا من كل ما سألناه وتمينه آماني ثم يأتي لأعز شيء وأعظمه وهو الهدى فيمنه ويقول أنا أضل الظالمين وأضل ما أشاء . هذا هو السؤال الذي خطر لي وهو خاف يخطر لكل انسان على هذه الأرض . فأين الجواب . لقد علمت أن هذا من سر القضاء والقدر وهذا السر أقبل بابه على جميع الأمم وهناك أكابر الحكماء نالوا من العلم حظاً فتلجعت صدورهم وسعدوا بالفهم

وكنتموا عن الناس . ولكن ألا أريك أيها الذي يجب في هذه الآيات . ألم تر أن جواب السؤال قد ظهر في قص الآية إذ شبه قوما بشجرة طيبت قوما بشجرة خبيثة ثم ختم بأنه يمثل الظالمين وهو فضل ما يشاء إن الجواب قد نجلي ولكنه محبوس مكتوم لا يسه إلا المظهرون الذين طهرت قلوبهم من الغل والحقد والحسد والكبر يابفهمؤلاء هم الذين تمتد أيديهم إلى تلك الخزان فيفتحونها وينالون منها ظمهم . ألم أذكرك هناك أن الزرع أصناف شتى يتندى بخضراء اللمن التي لا تلبث إلا نحوة النهار ثم تذهب في العنية . لذلك تذكر ذلك . وأن النبات يرتقي درجة فدرجة حتى يصل إلى مستوى النخل وأشجار أخرى تعيش سنين وسنين بدل دقائق وساعات . ألم أقل لك ذلك . فهل ترى أحدا من نوع الإنسان وجد في قسه حرجا من خلق الأنواع الكثيرة . ألم تر أن الناس فرحون باختلاف هذه النباتات وانهم اتغنوا باختلافها . فإذا زرعوا القمح وحصدوه في بعض فصول السنة وكذا القرة والشعير والبرسيم وما أشبه ذلك وكذلك اللوخية والبامية والقطن والكتان من كل نبات يتم في أقل من سنة فانهم قد تمنعوا تنمعا تاما بها وعاشوا وأن هذه لو كانت كالنخل لاجمر إلا بعد سنين لشق ذلك على من لم يجد عنده القمح مثلا فانه يجده بعد أشهر من زرع

الأرى أن هذه النباتات كان اختلافها لاختلاف حاجاتها . وإذا كنا نرى الحاجة لبناء المنازل والحصون لبست كل يوم بل انها مسألة سنين لاشهور أى ان الانسان لا يبنى منزله بعد بنائه الأول إلا بعد عشرات السنين فلذلك كان أعظم الحشب لسقمه يشكون في عشرات السنين وأقل الحشب في سنين معدودة . كل ذلك يقتضى حاجتنا واتقاعنا . وإذا وجدنا هناك حنظلا ونمرا فما راعنا لأن القرا فاكهة وغذاء وحاولي والحنظل دواء فنحن معاشري آدم لم نجد في ذلك حرجا في قوسنا في ععدناه فعمه وأى نعمة . ففرى عندنا زيت الخروع لبواتنا كما نرى زيت الزيتون لفدائنا والسنا للسكى لطبنا وهكذا فنحن لم نر من الاختلاف إلا مساعدة هذا هو الذى نقرؤه في الكتاب الذى كتبه الله يده وهو كتاب الطبيعة وما أجله من كتاب وما أشوق النفس إلى الوصول إلى مؤلفه لئلى أرانا جماله وعجيب حكمته وبديع صنعه . هذا كله كامن في قوله تعالى ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة

فهاتان الكلمتان المذكورتان فيهما هذه اللعاق وفيهما ما يحتاج إلى مصنف كبير حتى يقف الانسان على تمام اختلافاتهما . اذا فهمت هذا فقس للشبه على الشبه به فكأنه يقول ها أتم أولاء رأيتم أن الاختلاف في الأشجار نافع لكم . أفلا يكون هكذا الاختلاف في العقول فيه ثمرات ومنافع لكم أولفيعركم من العوالم وأتم لانشعرون . إنى خلقت حنظلا فقلتم حسن نافع وخلقت كافرا وعاقبه . إن هذه العقول مزارع زرعتها في الأرض وجعلت مقروها أجساد بنى آدم وهذه العقول مختلفات كاختلاف النبات فإذا رأيتم أن اختلافها باغ ععدا عظيما فهكذا العقول اختلافها عظيم وإذا رأيتم منافع في الاختلاف وانكم لا تمشون إلا بهذا الاختلاف أى أن حياتكم لا مساعدة فيها إلا أن يكون لديكم الحنظل والخروع والسنا للسكى كما يكون عندكم الخمر والعنب والمان فهكذا أنا زرعت العقول مختلفات مريدا ذلك كما زرعت أتم الأشجار مختلفات مريدين ذلك . فأما منافع اختلاف عقولكم لكم فهذا لا تقفون على حقائقه إلا بدرس طويل أو بعد خروجكم من هذه الأرض أو نخرجون من عداد العامة وتدركون سر النباتات ولماذا خلق العالم ولماذا خلقت النفوس . ولعلك أيها الذي قد أدركت شيا من ذلك في غضون هذا التفسير ولكن الناس جميعا إلا نادرا لا يدركون سر اختلاف العقول كما أدركوا اختلاف النبات وحكمته إلا بعد خروجهم من هذا العالم ولعمري ما وضعت النفوس في الأرض إلا لترقيتها كما لم توضع النباتات إلا لاعمال أثمارها وما أمراض الناس وعذابهم إلا كما تنضج الشمس الثمار اه

(التنبيه الثانى . عبادة الأصنام)

يقول الله تعالى في هذا القطب - وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار - ثم قال - قل لعبادي الذين آمنوا الخ - فهاهو ذا ذكر الأصنام وحظرها • فبالت شعري لم حرمتم الأصنام وما المقصد من تحريمها • الصنم حجر أو أي مادة أخرى وليس في المذابة حرمة لأن جميع مافي الأرض مخلوق لما لمقتض به وإنما المحرم هو عبادتها ولم تحرم العبادة لأن الله سبحانه يحتاج الى عبادتنا • ولقد نرى في نوع الانسان من يحقر أن يعظمه العامة لأنه ليس يرى ذلك لئله • ولقد كان الفيلسوف (سنيكا) الروماني وهو في الوزارة قبل أيام للسبح كما حكى عن نفسه يسمع إعجاب العامة به وهو في الاحتفال فلا تنرك نفسه لهذا الاعظام ولا لهذا الاجلال ويرى أن في جلال الشمس والقمر وجلال البحر وزلزل للطر ولهان البرق ودوى الرعد والبرد والثلج والتأمل في عجائب الطبيعة • يرى في ذلك وفي غيره ملك السعادة وهذا كلامه عن نفسه • وهكذا في أمتنا الاسلامية كثير في هذا الزمان وفي كل زمان فهل الله تعالى اذا أمرنا بترك عبادة الأصنام يريد أن تنسرح اليه وهو يحببه ذلك لنفسه • كلا فليس بمقول البتة ولا هو بحق لأله منزّه وغنى عن العالمين • وإنما عبادة الأصنام تحصر العقل في المحسوسات فيمهر العقل البشري وعبادة الله تجعل النفس مشرقة الى أعلى أى ان الانسان تفك قيوده من الوقوف موقفا حاسبا له فالعبادة والعلم على هذا يكونان متقين على أن يطلب العبد من الله التلى لم يره ويعبده واذا لم ير الله ولم تطلع عليه حواسه فاذا أصبح حرا في هذا الوجود يسخره لنفسه • أما قديس بعض المخلوقات فانه يقفل عليه أبواب العلم وأبواب العمل إذ يرى الحجاب العقل أسدل عليه فغنه أن ينادى في للباحث العلمية والعملية فاذا يجد في هذه الكائنات باحثا متقيا حتى يصل الى ما لا يتصوره عباد الأصنام

{ التنبيه الثالث • كيف يدخل الضلال على أرباب الشيايات }

قد علمت أن عبادة الأصنام إنما أفضت لأنها سبيل الى حصر الفكر والوقوف بالعقل الانساني وأن الآيات التي وردت بعدها كما حثت على الأعمال حثت على النظر في السموات والأرض والفلك في البحر والشمس والقمر والليل والنهار وأن عابد الصنم العاكف عليه لا يتجه نظره لشمس ولا قمر ولا لفضاء ولا لنور أفلا ترى أن للتدين الذي أوقفه معلمه في موقف شائن بأن أعطاه من الدين بعض الأعمال وقال له قف هنا فهذا هو الدين وصرف فكره عن السموات والأرض الخ قد أصبح في موقف كعباد الأصنام • نعم هذا موحده الله ولكنه في العلم أصبح كالجهال عباد الأصنام فكفره قد أصبح محبوسا وأقيدة هذه الطاقة هواء وهم مهطعون مقتنعون رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم • أليس هذا هو السجن الذي سجنتم فيه عقول عباد الأصنام وهو لم يخلف في الدنيا إلا للدراسة ف أين هي وهو وعابد الحجر سواء ولتلك أعقب هذا النمط بدعاء ابراهيم عليه السلام وفيه أنه يطلب من الله أن يعجب الأصنام هو وأبناؤه • فبالت شعري هل يتوهم أن نبيا من الأنبياء يخاف من عبادة الأصنام • إن ذلك غير معقول وأما أنت أيها اللئكي القارئ لهذا التفسير لا تخاف من عبادة الأصنام ولم يخطر ببال يوما أن أقول يا الله أغشى من عبادة الأصنام وأنت لم تطلب هذا في حياتك يوما لأنه ليس بمقول أن تطلب رفع شيء هو مرفوع عنك فهل نحن أعلم من ابراهيم الخليل الذي أمر الله نبينا ﷺ أن يهتدى بهداه إذ قال - فبهدهم اقتده - واذا كنت أنا وأنت والعامة والخاصة في الاسلام نرى أننا نحن لانساوي نبينا ﷺ في العقيدة الدينية ونحن هذه حالا لا يخطر ببالنا عبادة الأصنام فهو أولى منا بالعقيدة لأنه هو الذي كسرها في الحكمة ونحن لا قدرة لنا على تغيير هذا للسكر اذا رأيناه خوفا من عباده وكذلك ابراهيم الخليل كسر الأصنام التي كان يعبد ملك جبار هو غرود فكيف يقول - اجنبي وبنى أن نعبد الأصنام - وهو الذي سماه للمسلمين من قبل وفي هذا وسيدنا محمد ﷺ جاء بشرية مطابقة لشريعته إذ قال - مله أيكم ابراهيم هوسا كم المسلمين من قبل وفي هذا -

إن الجواب على ذلك ما أشرت إليه أن عبادة الأصنام غالبا يتبعها حصر الفكر وتضييق القلوب والأبصار عن عجائب الدنيا فيغفل العقل الانساني عن كل شئ فرجع الأمر الى أن العقول تقصر وهو المراد عاريتة فكل دين وكل علم إنما يريد به رقى تفكير الانساني فلذا طلب التحليل ذلك قائما يريد أن لا يشغل القلب بما يعمه من ازدياد الحكمة قلل شاغل والولد شاغل والعلم اللغوي شاغل والخوف من تغيير الناس شاغل والوقوف على بعض مسائل الدين وترك الباقي شاغل وعكوف العالم الديني على علم الفقه وحده وترك النظر في هذا العالم وجهه شاغل ولشغاله للروح بمنح الناس له شاغل . كل ذلك أدى الوظيفة التي أداها الصمم فأنتجت المطلوب وهو الجهالة العمياء

(جوهره في قوله تعالى - وجعلوا لله أندادا الخ -)

اعلم أن الأمم القديمة كلها في الهند ومصر وغيرها قد أظهر الكشف الحديث أن لهم (تلميذين) تلميذا علما وتلميذا خاصا . فالعلم العام هي الأعمال الصيانية والثنية والطقوس والصور الزمنية وتلميذا خاصا يتناقضونه كابرا عن كابر ولا يباح إلا أن هدبوه في المعابد ووقوا به وإذا ذلك يقتضون له السر فهو في نفسه بعيد إلها واحدا يراه في قلبه ويحبه حبا جما وهو مع الناس يشاركونهم في طقوسهم فيعبد (برهما) في الهند (واثريس) في مصر (وجويفتر) في ألبانيا معتبرا هذه الآلهة القبطية رموزا ضمنية جلت إلى القوة العلوية للمدبرة لهذه العوالم فلافرو في اظهار الحقائق بين خريستا وبودا وزروستر وهرمس وغيرهم . فشكل هؤلاء قالوا الله له واحد ولكن أتباعهم رأوا من مصلحة كبريائهم أن يغشوا الشعب ويضاهو معتقدين أنه ليس كغوا لهذه الحقيقة . وقد كان كهنة المصريين لا يطلعون أحدا على سر الوحدانية إلا بعد العناء الطويل والتجارب العنية ويحلفونه القسم بحفظ السر والقتل . وكانوا يرون أن أبأهل المركب من رأس امرأة على جسد ثور بأظفار أسد وجناحي نسر رمز إلى هذا الانسان الذي فاق كل حيوان ولم آله غريبة هاروس وحوش وطيور وأفاع يرمزون بها إلى الحياة في تعدد مظاهرها وهم فيما بينهم يعتقدون إلها واحدا لا يتكلمون عنه إلا بالخوف وصوت منخفض . كل هذا جاء به الكشف الحديث . وما عرف عنهم رؤيا هرمس وقد تقدم ذكرها في هذا التفسير في سورة آل عمران . وملخصها أن هرمس وقت الاختلاف رأى الكون والعالم وانتشار الحياة في كل مقع فصاح به صوت الثور الدال على الكون بأسره وكاشفه بالسر الإلهي قائلا (إن النور الذي رأيته مثل نور الله المحيط بكل شئ وهو الذي يحيط بكل الكائنات . وأما الظلمة فهي العالم المادي الذي يعيش فيه الناس على الأرض . وأما الضياء المتدفق من الأفق فهو كلمات الله . فأما روح الانسان فلما عبوسة بذنوبها ولما راجعة إلى مقامها في عالم النور في السموات وما سفرها في هذه الأجساد إلا لتجربتها في الأوجاع وهموم الحياة . ومتى استنارت خرجت من سجنها إلى عالمها الجليل في العلا فثبت قلبك إذن يا هرمس وسكن روعك عند تفكيرك إلى أقصى الصاعدة في معارج الأفلاك العلوية توصلنا إلى العالم الإلهي الذي منه بدأ كل شئ وإلى تجميعهم ثم سبحت الأفلاك السبعة هاتفة معا بالحكمة . الحب . العدل . الهداء العظيمة . الخلود)

ثم يقول الخبر بعد ذلك (تأمل يا بني هذه الرؤيا تجد فيها سر كل شئ وكلما توسعت في ادراكها اتسعت لديك حدودها لأن ناموسا نظاميا واحدا يدير العوالم كلها . إن الحقائق العظيمة مستورة تحت حجاب السر ولا يكشف بالمرعة التفتة إلا من جازى التجارب التي جزا فيها . إن من الواجب أن تقاس الحقيقة على قدر مبلغ العقول فلا يجوز افشاؤها لضعفاء فلا يتهوسوا بها ولا لأشرار فلا يسلبوها لشر لا يحفظها إذن في صدرك وانشرها بلسان أعمالك وليكن العلم قوتك والتلموس سيفك والصمت تركك) انتهى هذا ما كشف في عصرنا الحاضر من علوم قدماء المصريين عرفه الأوروبيون وجهله كثير من علماء

الخطوط المصرية القديمة في مصر وغيرها

فانظر كيف كان الله واحدا في الهند والصين والمصريين عند خرواصهم ومتعددا كثيرا عند عائلتهم وكان هؤلاء الرؤساء يعتقدون أن افشاء السرّ ضار بالشعب فلماذا كتموه وبالكتمان عظموا عند الرعية ومن عجب أن التثليث الذي تظاهر به كهنة الهند ومصر تخطى الى الامم النصرانية وهذا الظاهر أخفى تحته الحقيقة المكشوفة - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - فانظر ما قاله أحد آباء النصرانية في القرن الرابع وهو الأسقف (سبينسيوس) اليوناني الذي تولى في آخر حياته أسقفية عكا ومات سنة ٤١٠ ميلادية قال ان الروح السري الذي نراه ساريا في الأديان القديمة المنجلاء من كون الشعب يحقر دائما ما سهل عليه ادراكه فلماذا يفضل أن يكون مضوشا مغالطا . هكذا فعل كهنة مصر الأقدمون أما أنا فساكون دائما فيلسوفا مع نفسي وكلنا مع الشعب وقد قتمت هذا) انتهى
يقول مؤلف هذا الكتاب اني أحد الله عز وجل إذ علمنا ما لم نعلم ووقتنا على أسرار الأوائل التي لم تظهر إلا في هذا الزمان والله هو الولي الجيد

(التثليث عند الأمم القديمة)

قد شاع التثليث عند الأمم القديمة ببقية الكهنة بلقظهم وهم في قلوبهم موحدون ولقد أخذوه من تثليث هذا الوجود فهو كاله جوهر مادي وجوهر عقلي وجوهر نفسي أي المادّة والعقل والنفس فالكون كله إما مادّة فيها الأثر وإما نفس بها الحياة وإما عقل به التدبير . وقد جعلوا العقول عشرة وهكذا النفوس وجعلوا العقول والنفوس الانسانية كأنها أطر للنفوس العالوية . هذا كله في كتب الفلسفة فليست هذه الثلاثة آلهة بل هي مخلوقات والفلاسفة في كتبهم يقولون إن الله هو خالقها فترى الكهنة يقولون الخالق لهم ويقولون انه ثلاثة يريدون المادّة والعقل والنفس . ثم منهم من عبد للملائكة وهي العبارة عنها بالعقول فيما تقدمت هنا كالصابئين كما قتمت في أول سورة البقرة وفي سورة الأنعام - ومنهم من عبد الكواكب بالبابية عن الملائكة ثم عبدوا الأصنام النابتة عن الكواكب . كل هذا قتمت في أول سورة البقرة . فكان الإلهية تقاوها عن الله الى أول مخلوق وهو العقول المنجبر بها عن الملائكة فالكواكب فالأصنام الأرضية وكل هذا لاضلال الشعوب والحمد لله رب العالمين والتوحيد لهم خاصة . انتهى القسم الثاني من السورة

(القسم الثالث)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّانِ كَثِيرٌ أَمِنْ النَّاسِ فَنَنْتَبِهُنَّ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِلَّاكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْحَرَامِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَنَلُّمُ مَا نَحْنِي وَمَا تُلْنِي وَمَا يَنْجِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

الحِسَابُ • وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ فَاعِلًا مِمَّا يَفْعَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ
الْأَبْصَارُ • مُطِيعِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ • وَأَنْذِرِ
النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبَ دَعْوَتَكَ
وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ • وَتَسْكُنُكُمْ فِي مَسَاكِينِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ • وَقَدْ
مَكَرُوا مَكَرُهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَتَرَدَّلُوا مِنَ الْجِبَالِ • فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ
خَلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ • يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ • وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ • سَرَابِلُهُمْ مِّنْ
قَطْرَانٍ وَتَنْشَى وَجُوهُهُمُ النَّارَ • لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
• هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ الْوَيْلُ وَالْكَرْبُ الْأُولَى •

﴿ التفسير اللفظي ﴾

واذكر (إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد مكة (آمنا) أي ذا أمن أي أخرجه من صفه الخوف
إلى صفه الامن (واجتنبني وبنيتي) بدني وإياهم (أن تعبد الأصنام) من أن تعبد الأصنام (رب إني أظن
كثيرا من الناس) اسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى - وغرهم الحياة الدنيا - (فن تبعني)
على ديني (فانه مني) أي لا ينفك عني في أمر الدين فهو بعضي لفرط اشتغاله بي (ومن عصاني) فيما دون
للشرك (فانك غفور رحيم) وإن أريد عصيان الشرك كان الغفران والرجة ان تاب وآمن (ربنا إني أسكنت
من ذرتي) بعض أولادى وهم اسماعيل ومن ولد منه (براد) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه
شئ من الزرع (عند بيتك المحرم) هويت لله محترم عظيم الحرمه لاجل اتها كها ومحرم التهاون به (ربنا
ليقيموا الصلاة) اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادى البلق إلا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم
(فاجعل أقدسة من الناس تهوى إليهم) أي أقدسة من أقدسة الناس تسرع اليهم هوقا وودادا (وارزقهم من
الغرات) وهم يكونون واديا لانبت فيه (لعلهم يشكرون) تلك النعمة وقد آجاب الله دعوته فجعله حرمآ آمنا
يجي اليه ثمرات كل شئ (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم سرنا كما تعلم علنا (وما نخفي على الله من شئ
في الأرض ولا في السماء) فالعلم كله بالنسبة اليه سواء ومن للاستغراق (الجد لله الذى وهب لى على الكبير)
أى وهب لى وأنا كبير آيس من الولد (اسماعيل واسحق) • يقال إنه وله له اسماعيل تسع وتسعين سنة
واسحق لمائة واثنى عشرة سنة (إن ربي لسميع الدعاء) أى لجيبه وقد سأل إبراهيم الولد بقوله - رب
هب لى من الصالحين - فلما استجاب الله دعاءه قال - الجد لله الذى ألخ - (وبه أبعثني مقيم الصلاة) أى
منا أركانها وسننها وحاضرا بقلى عندها ومواليا عليها (ومن ذرتي) أى واجل بعض ذرتي من مقيم
الصلاة (ربنا وقبل دعاء) أى وقبل عبادتى (ربنا انصر لى ولوالئى) لأبويّ وقد جاء في السور المتقدمة
عنوه في دعائه لهما - وما كان استغفار إبراهيم ألخ - (والؤمنين يوم يقوم الحساب) أى يوم يبدو ويظهر •

أروم يقوم الناس للحساب وإلى هنا انتهى دعاء التحليل عليه السلام . ثم قال الله تعالى مخاطباً كل إنسان (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) العفة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور وهذا القول تسلية للظالم وتهديد للظالم (إنما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الأبصار) أى تشخص فيه أبصارهم فلا تفرق أى أماكنها من هول ما تشاهده هناك (مطعنين) مسرعين إلى السعى أو متقبلين بأبصارهم لا يظفرون خوفاً ورهبة وأصل أظنح أقبل على الشيء (مقننى رؤسهم) رافضها من صفة أهل الموقف أنهم رافعو رؤسهم إلى السماء فلا ينظر أحد إلى أحد (لا يرتد إليهم طرفهم) أى لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة الخوف فهم شاحسة (وأقننتهم هواً) خالية فارغة لا تبنى شيئاً ولا تفعل من شدة الخوف واللين (وأندراناس) أى خوف الناس يا محمد (يوم يأتيهم العذاب) وهو يوم الموت وهو مفعول ثان لأنظر أى ما يقع فى اليوم فالانذار باليوم انذار بما يحصل فيه (فيقول الذين ظلموا) أى الكفار (ربنا آسفنا إلى أجل قريب نحب دعوتك وتقع الرسل) أى ردنا إلى الدنيا وإمهلنا إلى آمد قريب من الزمان تتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أى أنكم حلفتم فى الدنيا أنكم إذا تم لا تخرجون لبعث ولا حساب وقوله - ما لكم من زوال - جواب القسم وقد جاء به بلفظ الخطاب ولكن لوجاه بلفظهم هم قال ما لئمن زوال (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أقسمهم) بالكفر أى أنتم فيها لطمتم طيبة نفوسكم وأنتم سائرتم سيرة من قبلكم فى الظلم والفساد لا تفكرون فيها - معتم من أخبار الذين سكنوها قبلكم فلا تلتبوا بآيём الله فيهم وإنه أهلكتهم بظلمهم وأنكم إن سرتهم سيرتهم لحكم ملحقهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى غرايتها كالأمثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرمهم) أى مكروهم العظيم الذى استغروا فيه جهدهم لتأييد الكفر وإبطال الاسلام (وعند الله مكرمهم) أى ومكتوب عند الله مكرمهم فهو مجازيهم عليه وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وإن كان مكرمهم لتزول منه الجبال أى أمر الذين الذى أنزله الله على محمد ﷺ فهو ثابت ثبوت الجبال فليس مكرمهم من لا تلك الثواب التى لا تزول من الأرض فهو كقوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - فاللام هذه تسمى لام الجلود أى ما كان الله مرعباً قديهم وما كان مكرمهم معداً لازلة الجبال • وقرأ السكاسى - لتزول - ففتح اللام الأولى ورفع الثانية أى والله أى الحلال والشأن كان مكرمهم الخ وتكون لللام فى - لتزول - هى التى يسميها النحويون الفارقة لأنها تفرق بين ان للؤكددة وإن الثانية وهى هنا مخففة من التثنية وتاريخها غالباً هذه اللام أى وإن مكرمهم تزول منه الجبال لطمته وكثرة احتياطهم فيكون معنى الآية عظم مكرمهم وعلى الأول ليس مكرمهم من لا الاسلام (ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله) إذ قال - إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلى - وإذا كان الله لا يخلف الميعاد فكيف يخلف للبعاد مع الرسل (إن الله عزيز ذو انتقام) غالب ينتقم من أوليائه لأعدائه ثم أبطل من - يوم يأتيهم العذاب - فقال (يوم تبئلك الأرض غير الأرض والسموات) بأن تتطاول هذه الأرض كلها وتصر كاللسان المنتشر ثم ترجع أرضاً أخرى بعد ذلك كما سيأتى ياته من الحديث الشريف ومن العلم الحديث (وبرزوا لله الواحد القهار) أى وخروجوا من قبورهم لحكم الله والوقوف بين يدى الواحد القهار الغالب بتشدد اللام الثانية أى فلا تستقأت لأحد إلى غيره ولا مستجار ثم قال تعالى (وترى الجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض لا شراكتهم فى العقائد والأعمال كقوله تعالى - وإذا النفوس زوجت - وقوله - فكذبكوا فيها هم والفاوون - وقوله عليه السلام (أنت مع من أحببت) ثم قال تعالى (فى الأصفاة) متعلق بمقرنين • والأصفاة القيود • قال أبو زيد قرن أيدهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاة وهى القيود (سرايلهم) قصصهم وأحداها سربال • وقيل السربال كل مالبس (من قحطان) القحطان دهن يتحلب من شجر الأهل والعرعر والتوت كلزفت

تدخن به الابل اذا جربت ويقال للماء فتقول هنأت البعير أهنته بالماء وهو القطران ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون متان الريح • وقوى • من قطر آن - وهما كلمتان منوتتان • فالقطر التعاس للذباب • والآتي الذي انتهى حره فتكون قصم إذن من نحاس مذاب شديد الحرارة (وتفشى وجوههم النار) تناولوا بشتامها (ليجزى الله كل نفس) مجزئة جزاء (ما كسبت إن الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أسرع من لمح البصر ولا يشغل حساب عن حساب كما لا يشغل رزق زيد عن رزق عمر (هذا) القرآن (بلاغ للناس) كفاية لهم في الموصلة ليعتصروا (ولينفروا به) أي بهذا البلاغ (وليعلموا أنما هو إله واحد) بالنظر والتأمل يعرفون وحدانية الله تعالى (وليدكر أولوا الألباب) فريدوا عما لا يليق • فهذا البلاغ (ثلاثة أمور)

(١) أن الرسل يحسن بتخويف الناس لتكليمهم

(٢) وأن الناس ترقى وتكمل قوتهم النظرية

(٣) وتكمل قوتهم العملية بالتذكر • انتهى التفسير اللفظي

(مقاصد هذا القسم)

اعلم أن هذا القسم الذي فيه ابراهيم الخليل وماتلاه من مخاطبة الله الذي ﷻ وسائر الناس تقيم الكلام وجمع ملخص من أول السورة تصريحا تارة وتلويا أخرى • ولقد قمت أن الخليل عليه السلام لا يعطى بالبال أنه يعبد الأصنام وأن ذم عبادة الأصنام إنما كان لما فيه من حصر الفكر ومنى عبد الناس بهم خلعت عقولهم من التقيد بالأصنام • ناهيك ما تعلم من أن الخليل لما كسر الأصنام نظر نظرة في النجوم ونظر الكوكب والقمرة والنس وارتقى إلى الأفلاك وفوق السبع الطباق وقال - إني وجهت وجهي إلى - وهكذا العرب لما كسرت أصنامهم فكنت عقولهم وانطلقوا في الأرض فأدبروا أهلها ثم هم اليوم حالم كحال العرب الجاهلية الأولى فهم في انقسام واشتقاق وتنازع ورؤسائهم أصحاب شهوات ونزوات ظلموا وأفسد كثير منهم وهم ظالمون • وقد قلت إن جود الفكر وحججه هو الذي نجح محاربه وإذا وجدنا أهل دين من الأديان وقفت عقولهم وجب علينا افهامهم • وهذه أمثلة الاسلام لاسيا العرب منهم حالم اليوم أسوأ من حال آبائنا أيام الجاهلية نحن مقلدون متناقلون • ولعمري لقد جاء في القرآن في آيات سبقت في هذا التفسيران للقرآن انذار للمسلمين كما هو انذار للكفار وهو واضح في سورة الأعراف وغيرها

ولذا كانت عبادة الأصنام بحسب نتائجها داعية للتفرق والانشغال من جهة ومن جهة ثانية داعية للجهالة وقيد الفكر فليكن دعاء الخليل لتصد فك القيد عن أبنائه العرب وأن يسهل الله له الدعوة التي قام بها فلا يقوم عائق في سبيلها فتقف وتحصر كما تحصر العقول بعبادة الأصنام ولعل في قوله - ربنا إني أعلم ما تخفي وما نعلن - ما يشير إلى ذلك فكانه يطلب من الله أن تلك القيود عن أبنائه وللرب منهم وقد أرسل لهم ﷻ • وبعد مدة قيسوا أهليدا شديدا كما قيدت عبادة الأصنام عبادها وكان هذا للمعنى مما قصده ولن لم يستجب في العرب الجاهلية الأولى لأنهم عبدوا الأصنام وذلك في منع استجابته في بلق ذنوبه وإنما يتل علينا الآن لتدبر كيف كان أبونا الخليل يدعو الله أن يجنبنا عبادة الأصنام ونحن لانصدها ولكننا مقيدون في اصفاد التقيد لا ننتظر إلى السماء كما نطرح ولا نتفكر في الطبيعة كما فكر هو يوم قال - ولكن ليؤمن قلبي - فنفكر في الخروج من هذا للمأزق ونفك القيود التي قيدنا بها • وفي هذا المقام لطائف

(الطيفة الأولى) ايضاح كيف كانت قصة الخليل عليه السلام جامعة مافي الكلمة الخفية والكلمة الطيبة

وانها ملخص ملجأ فيها

(الطيفة الثانية) بيان أن ما بعد القصة من قوله تعالى - ولا تحبين الله غافلا الخ - قد اشتمل على ما هو

كالنتيجة للتذكير بأيام الله الذي جاء في أول السورة فهذا القسم جيعه أشبه بالتطبيق على السورة كلها فأولها على أواخرها وآخرها على أولها

(الطبعة الثانية) في قوله تعالى - ربنا إني أسكنت الخ -

(الطبعة الرابعة) - يوم تبدل الأرض غير الأرض الخ -

(الطبعة الأولى)

إن الخليل عليه السلام طلب من الله أن يتجنب هو وبنوه الأصنام لأنها أضلت كثيرا من الناس الخ وهذا هو الكلمة الخفية التي اجتمعت من فوق الأرض فهو كالتطبيق عليها وطلب من الله أن يجعله مقام الصلاة وبعض ذريته وجاء في كلامه - وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء - وهذان هما القسمان العلمي والعمل للذكوران في الكلمة الطيبة للمينة في قوله - قل لبادي الذين آمنوا الخ - ففيها العمل بالقائمة الصلاة الخ والعلم بقول الله الذي خلق السموات والأرض الخ

(الطبعة الثانية)

إن قوله تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون - إلى قوله - أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وستكن في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال الخ - فهذا هو نتيجة ما جاء في أول السورة فإنه هناك ذكر موسى قومه بأيام الله بعد ما أمره الله إذ قال له - وذكرهم بأيام الله - وقال - ألم بأنكم نبأ الذين من قبلكم الخ - وهنا جاء ذكر ذلك في يوم الحساب على مقتضى أول السورة من التذكير بتلك الأيام في القرون الخالية

(الطبعة الثالثة في قوله تعالى - ربنا إني أسكنت من ذريتي بولد غير ذى نزع الخ -)

روى أن أم إسماعيل جاء بها إبراهيم وابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوة فوق زمزم في أعلى للمسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهاماء فوضعها هناك ووضع عندها جواجا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت له يا إبراهيم إلى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أُنيس ولا شيء ثم أقامها أنه بأمر الله فسلط الأمر لله وعلمت أن الله لا يضيعهما ثم رجعت ودعا إبراهيم بهذه السموات فقال - رب إني أسكنت من ذريتي - حتى بلغ - يشكرون - ورجعت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من الماء الذي عندها فلما فرغ عطش وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو يلبط فتوجهت إلى الصفا وهو أقرب جبل إليها ثم استقبلت الوادي هل ترى أحدا فحبطت منه حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة وفعلت ما فعلت فوق الصفا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات فلذلك سعى الناس بينهما ثم سمعت صوتا وهي مشرقة على المروة فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبست بقبه أو بجناحه حتى ظهر للماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تفرغ من الماء في سقايتها وهو يفرور بعد ما تنرفق فتسربت وأرضعت ولدها وكان البيت كالراية تأتبه السيول ثم مررت بهم رفقة من جهم ففزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عاتقا فعرفوا أنه على ماء فاستأذنوا أن ينزلوا عندها فأذنت على شرط أن لا حق لهم في الماء فزّلوا وأرسلوا إلى أهلهم فزّلوا معهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه بأمره منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل وكان ما كان من سؤاله لزوجته ابنه وردّها عليه بما لا يحسن فقال لها قولي له غير عتبة الباب الخ وانتهى الأمر بعد ذلك أن اجتمع معه وتعاثا وبنا البيت كما في سورة البقرة عند قوله - ولما رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل - وفي التفسير هناك تلخيص ما يناسب ذلك من حديث البخاري وجئت هنا باختصار الحديث الذي يوضح ما في هذه السورة ومجموعهما مقصود ما في حديث البخاري بطوله

(الطليقة الرابعة في قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات)

اعلم أن هذه الآية من المعجزات للقرآن فانك ترى العلم الحديث منطبقا عليها تمام الانطاق . ألا ترى أنهم يقولون ان الأرض والشمس والسيارات كانت في قديم الزمان عبارة عن كرة نارية حلقة طائرة في الفضاء ودارت على نفسها ملايين من السنين ثم تكوّنت الشمس وبعد ملايين فصلت منها السيارات ومنها الأرض وبعد مئات الآلاف من السنين انفصلت عنها الأقمار ثم ان هذه العملية نفسها استعدادا لآخرة أي ان الأرض والكواكب والشمس بعد ملايين السنين ستختل . هذه الأجسام كرة أخرى وتدخل معمل الطبيعة مرة أخرى وتعاد من جديد فتجدد أرض غير الأرض بعد ما ينوب ذلك كله ويتطير في الفضاء ملايين السنين ولا يبقى لها أثر وياد العمل من جديد وتصيح شمس غير الشمس وأرض غير الأرض وبالطبع السماوات غير السماوات . ولذا سألت علماء الفلك ما برهانكم على هذه المسألة أجابوك كما في كتاب (الدنيا الواسعة) في علم الجغرافيا صفحة (٨) باللغة الانجليزية وهاك ما رجته (كيف يعرف الفلكيون أن تاريخ بدء الأرض على هذا النوال كان حقا وما برهانهم على ذلك فكان الجواب أن هؤلاء الفلكيين رصدوا بمنظيرهم الكبيرة المسمى كل واحد منها (بالتلسكوب) وشاهدوا أجراما كبيرة بخارية على هذا النوال التي قتروه للأرض وقد كشفوا أكثر من ستين ألف كوكب مختلفة فيها ما لا يزال كرة نارية ومنها ما ابتدأ يتكوّن ومنها ما اقترب من الكمال في التكوين وبقيتا بين هذين الحدين مختلفات البعد والقرب منهما اهـ)

فهذا قتروا أحوال أرضنا وشمسنا فكأنهم بهذا عرفوا سير كوننا وتاريخ تطورها في التكوين اهـ
أليس هذا بينه هو قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - فانظر كيف أصبح العلم يشاهد تبدل الأرضين بالأرضين والشموس بالشموس لشمسنا وأرضنا فقط . وانظر قول آبي بن كعب قال في معنى التبدل (إن الأرض تصير نيرانا) وقال بعض المفسرين (تخلق بدل الأرض والسماوات أرض وسماوات أخرى)

وروي عن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - فابن يكون الناس يومئذ يارسل الله فقال على الصراط . أخرجه مسلم
فانظر كيف صارت الأرض نارا وجعل الناس في عالم غير عالم الأرض . وروي ثوبان أن حبرا من أحبار اليهود سأل رسول الله ﷺ أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر . فانظر كيف اتفق العلم الحديث مع الآيات والأحاديث وأن الأرض تصير نارا وأن الناس لا يكونون عليها . ثم اسمع ما هو أعجب وهو ما روي عن ابن مسعود وأبى رضى الله عنهما (يحضر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خليفة) وإذا كان كذلك فهي أرض جديدة من تلك الأرض التي تميز الآن في هذه العوالم ولم يسكنها أحد بل خلقت حديثا . ولست أذكر هذه الأحاديث إلا للوازنة بين ما جاء في الدين وما جاء في العلم الحديث مع العلم أن هناك أحاديث تخالفها ولكن ظاهر الآية يوافق هذه الأحاديث ويوافق العلم الحديث وهذا من عجائب هذا الزمان

وهنا أربع جواهر (الجوهرة الأولى) في قوله تعالى - وإن تعلموا نعمة الله لا تحصوها - وفيها قبلها من الآيات للمذكرات بالنعم (الثانية والثالثة) في قوله تعالى - واجنبي وبني أن نعبد الأصنام - (الرابعة) في قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض -

(الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وإن تعلموا نعمة الله لا تحصوها -)

(وفي تذكرة المسلمين بما قصروا في نعم الله المذكورة في هذه الآية وحرموا من (٧٣٨) ألف

ألف ألف جنة من (البحرين) فلسطين)

أيها المسلمون جاء في أول السورة أن موسى عليه السلام ذكر قومه بإياد الله وإن نبينا ﷺ كذلك ذكر آتته وكاتب هذا التفسير ذكر الأمة بعد ما ذكر العلماء السابقون . أنا حينما كنت أكتب ذلك التذكير لم يكن ليحسب لي أن حدثا يبرج الأرض رجا ويس الجبال بسا ويكون حدوثه أثناء طبع هذا التفسير لم يكن ليخطر لي ذلك ولم أكن لأعتقد أن المسلمين قد وصلوا إلى درجة محزنة مخزية فظيمة مفزعة مرعبة من الجهالة والغفلة عن هذه الآيات

أيها المسلمون . إن الله ملككم فلسطين منذ أيام الخلفاء الراشدين وأراد الصليبيون أن يفتحوا تلك البلاد ويفتحوا مصر فلم ينالوا حظهم . أتدرون لماذا حلوا ذلك . أرسلهم الله سابقا يقولوا للمسلمين بلسان الحال نحن قد بث الله همتنا لنقاتلكم . ولماذا هذا . لأجل أن تذكركم بقوله تعالى - الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء - إلى قوله - وإن تتموا نعمة الله لا تحسوها إن الإنسان لظالم كفار - أتم ملككم الهند والشام والفرس والعراق ومصر والسودان ولأناضول وشمال أفريقيا وبلاد الأندلس . وفي هذه البلاد ما جاء في هذه الآية من الأنهار الجارية والملك للسخرات والثمار البانعات والبحار الواسعة فيها السفن للمخارج

وكان الله يقول لكم فإن شكرتم بحفظها واستعمالها أبقيناكم وإن أنتم تركتم الأمور على غارها وأهلكتم أهلكم بلا استعمال وبحاركم فاني أغضب عليكم . وكيف لا أغضب عليكم وأنا الذي لا تعذب نعمتي ولا تحصى . ومن أعطى النعم العظيمة فأعرض عنها فقد كفر بها والكفر بالنعم مضيع لها - إن الإنسان لظالم كفار -

هذا هو الذي أفهمه في عبارة الترجمة للمسلمين أيام الحروب الصليبية فهو إنذار للمسلمين وقد طردهم صلاح الدين الأيوبي فرجعوا وهم يحملون علما جا . أما للمسلمون فناموا بعدها نومة أغضبت ربنا فأرسل الترجمة هذه للمرة فإذا فعل . أدخل الانجليز فلسطين . فإذا ضلوا . فعلا ما جاء في جوازنا المصرية يوم (١١) سبتمبر سنة ١٩٢٧ قيل طبع هذه السورة وهذا نصه

(امتياز البحر الليت)

(٢٣٨) بليون جنيه

تؤكد صحف لندن وأمريكا وفلسطين خبر منح امتياز باستغلال البحر الليت في فلسطين لشركة الانجليزية وتزوي تلك الصحف عن الموائد التي يشتمل عليها ذلك البحر ويمكن استخراجها منه روايات مذهشة حتى إن بعض الصحف الكبرى كجريدة التيس ترى أنه سيكون مصدرا من أعظم مصادر الدخل للحكومة الانجليزية فكأنما هو بمثابة منجم ذهبي عظيم كان مهملًا حتى الآن فقد كانت الحكومة التركية في زمن حكمها في تلك البلاد ترفض كل طلب أجنبي يرمي إلى استغلال ذلك البحر واستخراج محتوياته

وقد ذكرت (الأمريكان هبرو) أن علماء جيولوجيا انجليزيا قصد ذلك البحر للاستطلاع والبحث بعد ما دخل للماريتال التي فلسطين وبعد الاختبار قدر ثروة ذلك البحر على الوجه التالي الذي يتفق مع تقدير خبراء آخرين لها وهو كما يلي

١٣٠٠ مليون طن من البوتاس قتر بمبلغ (١٤) بليون جنيه انجليزي

٨٥٣ مليون طن من البروم قتر بمبلغ (٤٢) بليون جنيه

١١٩٠٠ مليون طن من الملح قتر بمبلغ ١١٥٠٠ مليون جنيه

(٨١) مليون طن من الجبس قتر بمبلغ (٢٤) مليون جنيه

(٢٢) مليون طن من كلورو الفوسفوم قتر بمبلغ (١٦٥) بليون جنيه

ويفتقر امضاء عقد الامتياز قريبا من جانب الشركة الكيمائية الامبراطورية التي يرأسها للسرد
(بروزوا • موند)

ويشترط في هذا العقد منح الامتياز لمدة محدودة من الزمن يعود بعد انتهائها الى حكومة فلسطين وتتعهد
هذه الشركة بانشاء مدرسة تهيت طلبة من أبناء فلسطين لهذا الغرض في اليوم الذي تنتهي فيه مدة الامتياز
وتتعهد كذلك بأن تقدم الى أهل فلسطين الحاصلات اللازمة لهم من محتويات هذا البحر بسعر لا يتجاوز
تكلفة استخراجها

ويرى بعضهم أن هذا المشروع سيكون أعظم منافسة من جانب الانجليز للفرنساويين والألمان في كلورات
البوتاس وللوراء الأخرى التي يمد القرنسويون والألمان أصحاب المقام الأول في سوقها له
هذا هو نص ملء في جرائدنا • والى آتلى وأوقع في قلبي أشد الحزن أنى لم أر من أهل العلم ضجة
أو أسفا على الجهل العلم في أم الاسلام وإنما هذا لغير لما انتشر من كسبه • وأنا أقول إن الأمر العظيم
هذا البحر سمناه ميتا وإنما سمناه ميتا لأننا ميتون ولو كنا أحياء لأخذنا من مواد الغزيرة لنا حياة
ولكان لنا أجل ذخيرة

أيها المسلمون • هل تظنون أن ربنا الذى يقول في هذه الآيات - وسخر لكم الفلك لتجربى في
البحر بأمره وسخر لكم الأنهار - يحاطبنا بقوله لكم ثم هو اذا رفطنا نعمته يترك تلك النعمة في أيدينا •
هل الله يعطى النعم باليهام والطير والبيع أم يعطى للانسان • إن الله لم يلم الأساد البحث عن الذهب
والفضة وهذان المعدنان ليسا نعمة على الأساد • فليس يقول الله للأساد أنعمت عليكم بالذهب ولكنه قال
لنا أنا سخرت لكم الأنهار وسخرت لكم الفلك في البحر ونظرنا حتى لا نحتاج بأنه لم يذكر البحر الميت في
فلسطين فقال - وإن تصفوا نعمة الله لا تحسوها - فإن لم يسئل البحر الميت فيما تقدم من المياه قد دخل
هنا • لم يبق عنر لئس بعد هذا البيان اذا فهم أن البحر الميت ليس نعمة وهذه النعمة مسخرة لنا
وقد تقدم في أول هذه السورة - لنن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد - وهكر
النعمة استعمالها فيما خلقت له والبحر الميت بعد أن أنذرنا الله بالحروب الصليبية لم نفعهم ولم نقيم سواء بل
تركنا الأرض للباركة وغير الأرض للباركة فلم نستخرج للنافع منها لجهلنا وأن كاتب هذا التفسير لم يعلم أن
في البحر الميت هذه القوائد إلا من هذا الخبر فنحن قوم جاهلون حتى علينا القول • فإذا حصل لما
كفرنا النعمة • أرسل قوما آخرين مستعدين لها فهم أولاء يستخرجونها • ومماثل للمسلمين مع ربهم
إلا اكمل الديك قمت له جواهر وقطع من الماس ليأكلها فنبذها ظهريا وقال أين حبة القرة والتمسح
فها نحن أولاء لما نبذنا النعمة بجهلنا تسلمها غيرنا وهذا عذاب الحزى في الحياة الدنيا • وقد تقدم في سورة
الأعراف أن عذاب الدنيا يشمل المؤمنين وغير المؤمنين فارجع اليه إن شئت

وانظر الى قول الكاتب (فكأنما هو بنبأة منجم ذهب عظيم كان مهملا) وقوله (إن عالما جيولوجيا
انجليزيا قصد ذلك البحر بعد فتح فلسطين الخ) وهذا مثل الذى حصل أيام دخول الفرنسيين مصر منذ نحو
١٥٠ سنة فإن القوم مكتوا فيها نحو ثلاث سنين ومباحثهم التي قاموا بها فوق متاول للمسلمين كلهم
وقد ملؤا مجلدات كثيرة في منافع أرض مصر وجبالها وحيواناتها والسلمون لم ينتفعوا بشئ من ذلك ولم
يؤروا في وجه الجهل • اللهم إلى أذكر للمسلمين بهذا التفسير وأذكرهم بما قاله (جنكيزخان) كما سيأتى
في آخر سورة الكهف عند قصة يأجوج ومأجوج من أنه لما أرسل تجارا من بلاده الى بلاد الاسلام فقتلهم
(قلب أرسلان) ثم آخرين بخل بهم وأخذ منهم لجهل المسلمين إذ ذاك بجغرافية جيرانهم • اختلى ثلاثة أيام
وهو لا يذوق فيها طعاما قال اللهم إني أردت عمارة أرضك وأردت للمسلمون خرابها فانصرني اللهم عليهم ثم

اقتضت على بلاد الاسلام فلم تهم لها قائمة بعدها كما قلته من كتاب ﴿فاكهة الاخلاق ومفاكهة الظرفاء﴾
فسواء صحت هذا أو لم يصح فهذه نفسا سنة الله وهامونا صحت عندنا أن البحر الميت جهله المسلمون
وعرفه النصارى . إذن نحن الآن جهال بنعمة الله وهذا الجهل هو مبدأ الكفر بالنعمة . ومن المتجمل أن
يقول الكاتب (ان هذا المشروع سيكون أعظم منافسة من جانب الانجليز الفرنسيين والألمان) ولم يذكر
دولة اسلامية تنافس الانجليز في هذا . فهل رأيت نوما عميقا كهذا . وهل عند المسلمين جميعا عربا
وتركا وفرسا وغيرهم ثروة تقترب يبلغ (٣٣٨) ألف مليون جنيه . ومعنى هذا أن المسلمين جميعهم لا يملكون
ما يعادل ثمن محصول البحر الميت . فهل رأيت موتا أشنع من هذا

فاذا قال (جنتكيزخان) للمسلمون خربوا بلادك . فهاهوذا لسان العدل ولسان الحق ولسان الدول
جمعاء تالقات بأن للمسلمين أكثرهم لم يعمرُوا أرض الله تعميها تالما ولم يقوموا بحفظ الأمانة التي استودعوها
أيها المسلمون . ان هناك بقية أمل فهل أتم متبهون . انتهى
﴿حكمة إلهية ونور على نور﴾

استيقظت صليحا في يوم من الأيام فرأيت في النفس ميلا قويا وخطارا هاجبا في اليقظة والنام لا كمال
هذا للوضوح فلم أجد بدا من التوسع فيه حتى أتم ما قرى في النفس من بدائع القرآن . وبينما أنا كذلك
إذ حضر صدقي العالم الأتي اعتاد أن يجاذبني أطراف الحديث في مثل هذا القال فقال
(س) ماذا تريد بعد ما قمته في مسألة البحر الميت وأنى أسرار للقرآن في ذلك
(ج) قلت سأذكر محاجبات العناصر في البحر الميت وسر الحروف في أوائل السور في القرآن
(س) فقال وما المناسبة بينهما

(ج) إن البحر الميت قد حلل الله فيه العناصر مثل المغنسيوم والكور والبروم وجعل فيه مركبات
مثل الملح والجبس ففيه المركبات وفيه العناصر . هكذا الحروف في أوائل السور والجل في القرآن ففي القرآن
آيات تحت على العالم وفي القرآن حروف في أوائل السور تشير الى قراءة جميع العالم كما قلنا ذلك في سورة
هود وفي أول سورة آل عمران . إن العالم كلها لا يعرفها الناس مالم يحللوا مركباتها الى مفرداتها كالحساب
وكالهندسة وهكذا العالم الطبيعية كلها كتل جميع اللغات فلانعرف اللغة إلا بالتحليل وارجاع المركبات الى
الكلمات والكلمات الى الحروف والله هو الذي أنزل القرآن وهو الذي خلق البحر الميت

فهو الذي حلل في البحر الميت البروم والكور والمغنيس . وهو الذي ركب الجبس والملح فيه وفعل
مثل ذلك في القرآن فجعل فيه حروفا كما جعل هنا عناصر . ولما غفل المسلمون عن آتى القرآن ماتت القلوب
عن بحث هذه العوالم واستخراج منافعها المركبات من عناصرها فهم كما جهل أكثرهم القرآن فلم يعرفوا
إلا ألفاظه . هكذا جهلوا منافع أرضهم وبحارها ومنها البحر الميت فاذا سموا البحر في فلسطين ميتا ولوت
اتما هو في أكثر قلوب الجاهلين فيهم فتنبوا ملحت بنفوسهم من الجهل ولوت الى البحر . فهكذا القرآن
لما هجره ماتت النفوس عن معانيه وعن العالم التي خلقنا فيه - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا
القرآن مهجورا -

(س) لازال المناسبة بين العناصر في البحر الميت وبين الحروف في أوائل السور تحتاج الى إيضاح فان
تسى غير معلنة الى هذا البيان فان كون الحروف في أوائل السور كالعناصر في البحر الميت وغيره أمر عام
لا يخص هذه السورة

(ج) إن أنزل السور من يونس الى الحجر وجميعها سبع سور كلها مبدوءة بحروف (الد) وتزيد الرد
بأن بين (ال والراء) ميا فوجود (ال) أولا و (الراء) آخر أعلم في الجميع وهذه الخاصة محققة في قوله

تعالى - ألم تر الى الذين بخلوا نعمة الله كفرا الخ - فانه ذكر سبع كلمات في معرض الذين بخلوا نعمة الله كفرا كلها فيها هذه الخاصة أى ان (ال) في أولها (والراء) في آخرها وهى (البوار) القراءه النار البهر الأنهار القمر النهار) • ومعلوم أن السورة مذكورة بنعم الله كما ذكر موسى عليه السلام وبنينا عليه السلام قومهما بذلك والنعم كثيرة فبين أهمها هنا في معرض توبيخ وذنم الذين بخلوا النعمة فلهم البوار والنار وهى لهم قرار وعليهم البحث في البحار والأنهار والقمر والنهار وكل موجود • فهذه ذكرت هنا كالتفويض للنعم التي يجب شكرها تحسيرا لقوله تعالى في أول السورة - لئن شكرتم لأزيدنكم - ولا جرم أن البحر الميت من البحار • وقد جاءت في هذه الكلمات السبع مشاكلة للسور السبع التي في أوائلها (الر) فأول البحر (ال) وآخره الراء فدخل في التي طلب تحليله من النعم التي قد يبدلها كفرا بعض الناس وأن من حكمة الله أن يكون طبع تفسير هذه السورة أيلم انتشار خبر البحر الميت حتى يدخل في أسرار (الر) وتحليل عناصره للدلول عليها بحروف أول السورة • فلئن جهل للسلمون القرآن واتخذت مدركهم ليس معناه أنه لا يرقى الانسانية كما أن البحر لى سموه ميتا ليس بميت وإنما هو حى يعطى الحياة قوم يعلمون • فما مثلهم إلا كمثل قوم جلاوا رجلا ظنوه ميتا على التعش فلما أنزلوه ليدفن عرف الطيب حياته فأتى له بالأدوية للنعشات فعاش الى حين

(س) فقال هناك (أمران) أرجو إضاحهما (الأول) ما صفات العناصر التي في البحر الميت في علم الكيمياء (الأمر الثاني) وهل في التاريخ أن رجلا مات ثم كشف الطيب أنه حى • اذا صح هذا في التاريخ كان خير مثال لحال المسلمين مع مملوكوا من بحار ورجال وأنهار الخ ومع ما حفظوا من دين وقرآن (ج) فقلت إن هذا البحر جمع من العناصر النافعة للنوع الانساني أمثال

(١) البوتاسا من مركبات (البوتاسيوم) القى هو فزلونه أبيض فضى لماع لين كشمع الصل ولون بخاره أخضر جيل وهو أخف من الماء وإذا ألقيت قطعة منه في الماء فإن كرات منه تحمر بسبب شدة ارتفاع الحرارة ويحصل التهاب وتدور كرات (البوتاسيوم) بعضها على بعض سابحة على بعد من سطح الماء ثم يصير البوتاسيوم مع ما اتحد به (بوتاسا) • والبوتاسا جسم كاو شديد اذا لامس الأنسجة أحدث فيها استرخاء وأثقلها

(٢) الصوديوم هو معدن فضى اللون لين اذا أتى في الماء الحار أو أحمى قليلا يشتعل بنور لامع أصفر فاتح وكل أملاح (الصوديوم) نورها عند الاشتعال يكون أصفر وهو كثير في الوجود لسخوله في ملح الطعام (٣) الكلور أكثر وجوده في ملح الطعام مركبا مع الصوديوم فهو مركب من الكلور والصوديوم وهو غاز مفسس لونه مصفر مخضر له رائحة مفسدة خافتة يحدث سعالا شديدا وهو سام • وقد تقدم في آخر سورة آل عمران

(٤) للفسسيوم هو معدن فضى لين قابل أن يسحب خيطوطا ولم يخلق وحده في الوجود بل مركبا مع غيره ويكون في ماء البحر مركبا مع الكلور المتقزم والبروم واليود
هأنذا بحمد الله قد وصفت لك أكثر المعادن التي خلقت في البحر الميت • فانظر الى جسمين فضيين لون بخارهما متقارب وهما الصفرة والخضرة وكل منهما يشتعل في النار اذا أتى فيها وجسم ثالث لونه أشبه بالونهما وهو ميت وجسم رابع وهو فضى كالنصرين الأولين • هذه العناصر بعض ما في بلاد الاسلام مما جهازه وهذه هي التي تتركب منها الأجسام ويكون منها خير كثير ولاخير منها إلا بالعلم والعناصر في هذه الدنيا تبلغ فوق ثمانين فما في البحر الميت مثال يقاس عليه ما في سائر بلدان الاسلام كما أن حروف الهجاء في أول السور مثال لغوى تقاس عليه جميع العلوم

(ص) فقال فهمت مسألة العناصر ومركباتها وعرفت خواص أكثر ما ذكر في البحار لميت منها فما هواهد التاريخ التي طلبتها منك

(ج) قلت ان في التاريخ (ثلاث حوادث) وكلها من كتاب الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦

(الحادثة الأولى) ذكر أن طيبيا رأى ميتا محمولا على النمش ولبح قدم رجله بيته خاصة لاتكون من الأموات بل هي من خواص الأحياء فأعلم أهله فأنزله وداواه فرجع الى الحياة فكان ذلك للطبيب عزا ونظرا وشهرة الى آخر أيامه

(الحادثة الثانية) جاء في ترجمة صالح بن بهلة الهندى أليم الرشيد أن جبرائيل بن يحيى شوع أخبر الرشيد أن ابن عمه ابراهيم بن صالح فى آسور مق وانه يقضى عمره وقت صلاة العتمة ترك الرشيد تناول الطعام وبكى فأخبره جعفر بأن صالح بن بهلة يعلم فى الطب علم الهند وعلم الروم معا فأحضره ودخل على ابراهيم بن صالح ورجع الى الرشيد فقال له لن يموت وانى أخرج من ملكى ونساقه طوائف ثلاثا ان مات فأكل الرشيد وهو مسرور فلما كان وقت العتمة ورد له الخبر بموت ابراهيم بن صالح فلحن صالح بن بهلة وطبه وطب الهند وتقيا الطعام الذى أسكبه ووقف متكئا على سيفه فجاءه صالح بن بهلة وقاله أنطلق زوجتى وتضيق مالى وتدفن ابن عمك حيا وكرر ذلك فأذن له بالدخول فدخل ورأى علامة الحياة فدخل الرشيد فأدخل صالح بن بهلة ابنة كانت معه بين ظفر ايهام يده اليسرى ولحج لجذب ابراهيم يده وردها الى يده فقال صالح يا أمير المؤمنين هل يحسن الميت ثم خلع عنه ملابس الكفن وألبسه ثيابه ونقح فى أفقه (الكندس) فكث مقدار سمس ساعة ثم اضطرب بدنه وعطس وجلس فكلم الرشيد وقبل يده وعاش زمانا وتزوج العباسة أخت هرون الرشيد وولى مصر وفلسطين وتوفى بمصر وقبره بها

(الحادثة الثالثة) روى أن ثابت بن قره اجتاز يوما الى دار الخليفة فسمع صياحا وعويلا فقبيل له إن القصاب الذى كان فى هذا المكان قد مات فجأة فقال كلا فتوجه به الناس الى دار القصاب فأمر النساء أن يمسكن عن الطعام والصياح وأمر غلامه أن يضرب القصاب (الجزار) على كعبه بالصفا وجعل دواء فى ماء ووضع فى قم القصاب فشره فوقعت الصيحة فى الدار والشوارع بأن الطيب أحيا الميت وسرعان ماوصل الخبر الى دار الخليفة فاستدعاه فذهب والدنيا قد انقلبت وراه بسبب أنه أحيا الميت فلما دخل عليه قال له ياتأب ما هذه المسيحية (يريد أن المسيح أحيا الموتى) فأخبره أن هذا القصاب كان يشرح الكبد ويطرح عليها للملع ويأكلها كل يوم وأنا أمر عليه فعرفت أن سكتة سلتحه فلما أخبرت خبره دلويته اه

(ص) فقال ماوجه الشبه بين البحر للميت وهذه الثلاثة

(ج) الشبه من ثلاثة وجوه (الأول) أن كلا من الحوادث الثلاثة فيها حى ظنه الناس ميتا وحمل فى الأولى على النمش . هكذا هذا البحر ملكه للمسلمون فكأنهم جلاوه وهم يظنون موته (الثانى) أن الأطباء الثلاثة كتبوا وصالح بن بهلة عرفوا أن هؤلاء الثلاثة أحياء وهكذا علماء (الجياويجا) من أوروبا قالوا إن البحر فيه حياة (الثالث) أن الخليفة قال ياتأب ما هذه المسيحية فأخبره بأن هذا أمر على لا دخل للدين فيه . هكذا علماء (الجياويجا) من أوروبا عرفوا أن هذا البحر فيه حياة وهذه المعرفة علمية (ص) فقال وماذا تريد بعد ذلك

(ج) قلت أريد أن لا يكون للمسلمون بعدنا مثل المسلمين اليوم فلا يكونون مالكين لأرض الله والبحار والأنهار الخ وهم يجهلون منفعتها كأنهم يحملون أمواتا بحسب أعمالهم وهم أحياء فى الحقيقة . أو كمثل الذين جلاوا التورة ثم لم يحملوها فقصوا فى جملها وهم لا ينتفعون بها فشبهاوا بالجار يحمل أسفارا بئس مثل

القوم الناعمين الغافلين . فمن انحسر ان يكونوا كالعامة الذين لم يفرقوا بين اللبث والحي بل يجب أن يكونوا في علوم الحياة ككتاب بن قرة في الطب وكالطبيب الذي أنزل اللبث من نفسه فماش حيناً فقد عد على النعش بالجهل من الأموات ولما أنزل عنه بالعلم عد من الأحياء فليكن المسلمون بعد اليوم كهؤلاء الأطباء (س) فقال وما ظنك بهم بعد اليوم

(ج) قلت قد سبق القول في هذا غير مرة في هذا الكتاب وانهم بعد اقتشار هذا التفسير وأمثاله في زماننا ستسرى فيهم الفكرة سريان الكهرباء في المعادن ويكونون كما قال الله تعالى - اعلموا أن الله يمي الأرض بعلومها قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون - وكما كان الناس يظنون البحر مينا إذ الحياة كانت فيه . هكذا الأم الإسلامية الحياة كامنة فيها وتظهر اليوم . وأكثرهم اليوم مثلهم كمثل ذلك المحمول على النعش يظنه الناس ميتاً وما هو عييت فإذا قرؤا أمثال هذا التفسير كسروا القيود وروموا بالنعش واستبدلوا بلباس الأموات ملابس الشباب والقوة وساروا في الأرض وعمروها بعد ما ظن الناس أنهم مفارقوها ودخلوا سواد الحداد ولبسوا ثياب القوة والشباب والنخوة والعز والكمال . انتهى

(الجمهرة الثانية في قوله تعالى - واجتنبوا وبني أن نعبد الأصنام الخ -)

اعلم أن هذه الكرة الأرضية التي نعيش عليها من عالم متأخر فإن هذه الكواكب التي نراها ليعظمة الأجسام والأقدار . ويظن العلماء في عصرنا ويوقن علماء الأرواح أن ملحوها من السيارات التي تصد بمئات الألوف فيها سكان أرق منا أخلاقاً وعقلاً . ويقال ان رقى العقول والأخلاق والأعمال على حسب أهمية الكوكب عظمة وضعفا . هذا كله لم يخرج عن حيز الظنون فأرضنا هذه ليست من تلك العوالم العظيمة لتلك نجد أهلها أقرب إلى الجهل منهم إلى العلم . ألا ترى أن العقول للمغروسة في بني آدم تضعف وتنام بأدنى حادث . فترى التنويم المغناطيسي يضلعه والوهم ويليه وعلماء الديانات يتصرفون في العقول كما يتصرفون والناس في ذلك غافلون نائمون . ترى الناس يصنعون الأصنام ويعبدونها وإذا نزل دين بالتوحيد وأشرك العلماء أتباعهم العامة كما في الدين المسيحي . هكذا المسلمون أيضاً تراهم متفرقين وكل فرقة لا تدرس إلا مآلقتها من الأشيخ كما نرى في رجال الصوفية فإن أكثرهم يعتقدون في شيوخم العصمة وكأنهم متوهمون وهؤلاء الأتباع متوهمون (بالفتح) ومن الفرق المشهورة الطائفة للسنة بالباطنية فهؤلاء من فرق المسلمين ظاهراً وقد قرأنا عنهم في كتب كثيرة ولكن لم يكن يضرب بالبال أن هؤلاء الذين بنوا الجامع الأزهر والقاهرة وحكموا في مصر فوق مائتي سنة ينحط أتباعهم في زماننا إلى دين وثني فظنهم يعبدون الرئيس الذي عندهم وما كنا لنصدق ذلك . وذلك الرئيس ينتسب لآل البيت الكرام . ومن عجب أن سيدنا علياً كرم الله وجهه نبذ هؤلاء الذين كانوا يعتقدون فيه الألوهية فخار بهم واتصرو عليهم فكيف يرضى من ينتسب إليه أن يرجع أتباعه إلى حال مزعجة إذا صح ما ستره الآن من شكوى أتباعه منه في الجرائد وكيف يجعل ذلك الرئيس نفسه نداً لله ويكون من المذكورين في الآية أو يصبح كفرعون وأمثاله . اللهم إن العالم الانساني في الأرض سريع النزوع للجهل غارق في بحار العماية والضلال . فهناك ما جاد في إحدى الجرائد المصرية للشهيرة بتاريخ الجمعة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٧ م و٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ إلى سمو أغا خان ﴾

(خطاب شكوى وضمان)

تلقينا في البريد الولد علينا من الهند صورة خطاب مفتوح موجه إلى سمو أغا خان الزعيم الهندي المعروف من بعض أتباعه يلتفتون نظره فيه إلى حال الطائفة التي يهيم عليها سموه والتي بلغت من التأخر والانحطاط حداً كبيراً . تلك الطائفة هي طائفة الاسماعيلية وأغا خان معروف للصريين فهو التي قيل عنه أن الحكومة

البريطانية أرادت أن تقيم سلطانا على مصر في بداية الحرب في حالة رفض الغفور له السلطان حسين كامل عرش مصر . وأنا خان يقضى أغلب وقته في أوروبا حيث تراه في كل بلد من بلاد الصايف والمشتاى وحيث له عشرات من الجياد تجري في السباق في لندن وباريس وكل مركز من مراكز الترف والظهور ولما كان الخطاب طويلا أتينا أن نلخص القراء وهو يحوى فضائح عنته مؤلة بين طائفة من المسلمين وهو بوجه خاص قد موجه الى زعيمهم أنا خان وقد استله كاتبوه بما يأتي

يا صاحب السمو . نحن للمؤمنين على هذا أعضاء طائفة (خوجا) نرفع الى سموكم الخطاب التالي واثنين أن ينال لديكم ما يستحق من العناية والاهتمام . اسمع لنا يا صاحب السمو في مستهل خطابنا هذا أن نقول ان السبب الوحيد الذى جعلنا على أن نسلك هذا الطريق الخطر هو الحالة التصة التى عليها اخواتنا البؤساء ونقول ان الطريق الذى سلكها الآن خطرة لأنه حدث غير مرة أن الدين يجرؤن على الاحتجاج ضد المظالم السائلة التى جرت هذه الحالة التى يرى لها كان نصيبهم للموت من جراء عملهم هذا . ومع أن النطة التى نسلكها هي في نظر العقلاء النطة المثلى والطريقة الدستورية المشروعة للاعراب عن مظالم يراد اصلاحها فانه مع ذلك لا بد ههنا اذا كانت نتيجة عملنا هذا الذى تقوم به بحسن نية أن يكمن لنا القسديون من أتباع سموكم ويقضوا على حياتنا . على أنه اذا حدث شئ من ذلك فانه يحتمل أن يثور الرأى العلم ويقوم ولاية الامور بتعديرات في الأمر نرجو أن تنتهى عاجلا أو أجلا باتخاذ تدابير ترضع حدا لحالة ككاد يتعذر تصديقها في هذا العصر عصر المدنية والعرفان . نعم نترك حق الادراك ما لسموكم من المكانة الرفيعة وللقلم السامى في العالم . غير أننا نجد ما يشجعنا على توجيه هذا الخطاب الى سموكم علمين أننا نعب عن شعور عدد كبير من أنصاركم لا يجد معظمهم من أنفسهم الشجاعة على الاعراب عنه للسبب الذى ذكرناه آنفا

وقبل أن نشرع في تنفيذ نيتنا وهى وصف الحالة التصة للتأخرة التى عليها نحن أنصار سموكم نود أن نشير في البداية الى العلاقة التى تربط أسرة سموكم بطائفة (خوجا) وهذه العلاقة ما يقال من أن أسرة سموكم من سلالة الامام على ومن سلالة الخشاشين في جبل الموت ورئيسهم حسن بن الصباح المعروف باسم شيخ الجبل وأنصار سموكم هم اسما طائفة من الطوائف الاسلامية ولكن المبادئ التى تسربت اليهم اليوم انتهكت حرمه المذاهب الاسلامية الجوهرية وقد جاء هذا من الاختلاط القديم بالطوائف التى أشرنا اليها لأن المعروف أن شيوخ الجبل يعترفون جهارا بأنهم من أدق المحافظين على المبادئ الاسلامية ولكنهم في الواقع ألد أعدائها في الباطن . ومن البينى أن الدين الاسلامى يقضى على معتقيه أن يعتقدوا باله واحد ويؤدون مافرض عليهم من صوم وصلاة وحج . فكيف يستطيع أنصار سموكم أن يعملوا بالصورة الأولى الهامة في حين أن مسليكم الذين يتقاضون أجرهم من خزائنكم والذين يعملون بارشاداتكم ينادون في كل جمعة (دار العبادة) في الناس بأن سموكم الله القدير الذى يجب أن تحتم اليه وحده كل عبادة وصلاة

والواقع أن ما ننادى به وعاطفكم يعمل به أنصاركم فقطمون صلاتهم الى شخص سموكم يصفنكم الاله الأعلى . أما فيما يتعلق بالقرآن الكريم فان سموكم لا يستطيع أن ينكر بأن الشهود الذين تقتموا في قضية (هيجى ييب) وهم من أنصاركم جاهرنا بأن لاشأن لهم بالقرآن وفوق ذلك قد فصحت سموكم أنصاركم باتباع تعاليم (يرسندوين) وهى تعاليم تشبه بصرى العبارة لأنصاركم أن القرآن لم يوضع لهم . وهناك أيضا فرمان الذى وجهتموه الى أنصاركم منذ بضع سنين وغفوله أن القرآن الحالى ليس صحيحا

وزكاة الاسلام التى هي هبة اختيارية قدرها ٢ ونصف في المئة من الدخل تعطى حسب أوامر القرآن صدقة للقراء والمحرزين وأبناء السبيل وغيرهم ولكن اخواننا القراء يرغبون على أن يعطوا نصف دخلهم لله في شخص سموكم وهذه الجبايات تدفع قدا وعينا ويدفع أهل كراتشى وحدهم (٢٠٠٠٠) روية

ناهيك بالبلدان الأخرى التي تدفع مثل هذا المبلغ . وهذا معناه أن الجزء الأكبر من الأموال التي حصل عليها أنصاركم بقرى جيئهم تدفع بانتظام لسد نفقات سموكم الشخصية . ويضاف إلى هذه الاعانات للنظمة ما تستولون عليه سموكم في كل زيارة من الأموال والحلى وغيرها من الهبات الثمينة وقد تكررتم في سنة ١٩٢٠ فزرت أنصاركم في كراتشي وحلت معكم خمسة عشر (لكا) من الرويات بعد اقامته في تسرق (٢٦) يوما ولما عدتم سموكم إلى كراتشي بعذلك بامدين لمقابلة ولي عهد إنجلترا دفع اخواننا لكم ما لا يقل عن ١٥٤٠٠٠ رويية مع أن سموكم لم تمكنوا معهم أكثر من ساعتين . ولا تخال سموكم تجهلون أن العالم اليوم يعتمد على المال فإذا كانت الأموال تبرز من طاعتكم بهذه الحالة فكيف تفتظرون منها أن تثبت في وجه منافسات الطوائف الأخرى أو كيف تستطيع السير مع ما يقتضيه الزمن من الرقي والتقدم

أما فيما يتعلق بفرقتي الصوم والحج فلسنا في حاجة إلى القول بأن أنصاركم لا يقومون بهاتين القريبتين وانازله الأبنزات المستمر ونضوب الموارد الاقتصادية للطائفة نود أن نسأل سموكم عن التدابير التي اتخذوها لاعلاء شأن الطائفة وريقها وهل لكم أن تجربونا عن المبالغ التي تنفقونها في سبيل التعليم واعانة الفقراء وهي المبالغ التي ابرزت من أفراد الطائفة وهل لكم أن تملونا على قرية واحدة أو مكان شديد فيه جامعة أو مدرسة عالية أو مستشفى أو ملجأ لاعلاء شأن طاعتكم ورقية شؤونها الفكرية والجسدية والروحية وهل يجد أبناء أنصاركم الذين يرغبون في رقية مدركهم من سموكم ما يساعدكم على الالتحاق بأي معهد علمي في العالم . أما للدارس الوحيدة التي توجد هنا فلا تخرج عن مدارس ابتدائية تقوم الطائفة نفسها بسد نفقاتها وفي هذه المدارس لا يلتقي الأطفال المتساء من العالم إلا ذلك المذهب للروح التي يعلمهم أن سموكم هو الآلهة القدير الذي يجب أن تقم إليه كل عبادة وقربان . انكم تطلقون على أنصاركم وتدعونهم باسم أولادكم ولكن هل خطر ببالكم أن تقوموا بواجبك الأبوي بما يكفل لهم حاجاتهم في الحياة . ألم يؤنبكم ضميركم وأتم ترفلون في حل السعادة والهناء في أوروبا فسانتم أنصكم عما إذا كان أطفالكم الذين خلفتموهم وراءكم في بلادكم ليسهم مائة الرمي . وهل تحوّل أفكاركم وأتم تعيشون علما بعد علم في قصور شائعة بالبلدان الأجنبية فذكرتم أولادكم وفتنهم اليهم ما هم في حاجة إليه من مأوى . ألم يخطر ببالكم وأتم تيمنون بالملايين من الجنيات في ميادين السباق بالبلدان الأجنبية وتنفقون عن سعة لصيانة الحياض وتكاليفها . إن الأموال التي تبغثونها ذات الفين وذات الثلاث هي من دماء أولادكم وانها السبب في ما هم فيه من الفقر المدقع والشقاء لقد ساعدكم الحظ وحصلتم من العلوم والعارف على قسط يساعدكم على معايشة أرق الهياث ولكن أليس من نكبات الدهر أنكم تستخمون هذه للميزات نفسها بمهارة وحقق لحرمان أولادكم من العلم لكي تجعلوهم دائما يتخطون في دياجير الجهل . انا تناسد سموكم أن تبرروا دعواكم بأنكم الرئيس الروسي لآلوف من أتباعكم بعمل ما ينصف عنهم عبء الجهل ويرفعهم إلى مستوى أعلى . ولما كنتم الرئيس الروسي لطاقتنا . ولما كنتم تدعون أنكم من سلالة النبي نفسه فهل لنا أن نسألكم عما تستعملونه لاعلاء شأن الاسلام في أوروبا حيث تقضون معظم حياتكم هناك . وهل لنا أن نعرف هل تقفون محاضرات عما في الاسلام من مبادئ سامية . وهل تبررون مركزكم الذي تشغلونه بما تقدمونه من المثل الاعلى في حياتكم وإذا كنتم لاتعملون شيئا من ذلك فهل لنا أن نسألكم عن الغاية من اقامتكم الثلاثة في أوروبا بعيدا عن أنصاركم . وهل السبب الوحيد في ذلك ولوعكم بميادين السباق وماني أوروبا من ملاهي ومسررات

ومع أن سموكم لم تؤسسوا معهدا علميا أو طيا لتتقن عقول الطائفة إلا أنكم قطعتم خطوة واحدة لتتخذوها دليلا على اهتمامكم الشخصي بشؤونها فألستم مجلسا غايته الظاهرة ادلة شؤون طاعتكم ولكن الواقفين على بواطن الامور لا يسعهم إلا القول بأن الغاية الحقيقية من هذه المجالس إنما هو القبض بيد من

حديد على زمام الطاقة . ولا أدل على ذلك من أنه لا يجوز لهذه المجالس أن تدخل تعديلا إلا بموافقة سموكم كما إن لكم السلطة الوحيدة في تعيين وإقالة أعضاء هذه المجالس الذين لا يسعهم في هذه الحالة إلا أن يكونوا معبرين عن رأى سيدهم طائعين له طاعة عمياء . وبعد أن أشار للوقوف على الخطاب إلى الأوامر القاسية والقوانين المجحقة التي يخضعون لها ومنها حرمانهم من أن تكون لهم علاقة بالمشيقيين على الطاقة سواء في أفراهم وأخراتهم قالوا إن الغرض من هذه المجالس والا وإن هو جعل الطاقة على الاعتقاد بألوهية سموكم وبذلك كل مجهود للقبض على زمام الطاقة روحيا وجسديا والحفاظة على الأموال الطائفة التي تحصلون سموكم عليها بهذه الطريقة

وفي الختام نلتبس من سموكم بالخارج أن تأمروا بإدخال التغييرات التالية إذا لم تكن لديكم رغبة أو سلطة للقيام بعمل صريح يعود بالنفع على طاقتكم

(١) أن تنتزلوا وتتصلوا من جميع الألقاب المقدسة التي تطلق عليكم . وهي في الواقع من حق الله القدير وحده

(٢) أن تقبوا (الجمعية ثنائيات) إلى للمساجد التي تصح فيها وحدها إقامة الصلاة

(٣) أن تفعلوا الوسائل اللازمة لكي يتلقى جميع أنصار سموكم التعاليم الإسلامية

(٤) أن تمنعوا منعا باتا وترفضوا جميع الهبات سواء كانت تقدا أو عينا

(٥) أن تتكرموا بإلغاء المجالس والقوانين الماء تاما . ونلفت نظر سموكم بكل احترام إلى أن هذه الأمور من حق الطاقة التي لها وحدها حق حكمها بنفسها وإدارة شؤونها . فإذا تعاضت سموكم لقبائهم طلباتنا هذه فإنا نكون مفتبين أشد اغتباط . وقبل بإصاحب السمو فائق احترامات خدامكم المخلصين اه

(جوهرية في أديان القدماء)

ولما كتبت هذا المقال حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يعتنني في مواضع هذا الكتاب . قال أنا أحب لأهم الاسلام كيف يظهر فيها أمثال هذا وكيف يزعم قوم منهم أن الانسان إله . فقلت إن هذا فرع لمتد من ديانات القدماء ودخل في دين الاسلام وقد حل بالاسلام ودخل فيه ماسل بالديانات السابقة ولكن الاسلام لمئاته وقوته قد فعل تلك الضلالت ما فعله البحر بما يرمي فيه من جيف الحيوانات . فقال هذا اجبال ونحن يعوزنا التفصيل بالليل من التاريخ . فقلت قد بحث العلماء في عصرنا عن أصل كل دين من أديان القدماء كالبراهمة في الهند وأتباع الفيلية الهرمسية في مصر والوثنية في اليونان وهكذا الصرائية عند نشأتها . فهذه الديانات كلها بعد البحث عنها والتنقيب في آثارها وجد أن لكل منها (وجهين) وجه ظاهر وهو الرموز والطقوس . ووجه باطن وهو للمعبود الحق . خذ مثلا كتاب (الفيدا) وهو المركب من أربعة أسفار المكتوب باللغة الفيدية وهو السفر المقدس عند الهندو وهو أقدم من كتب البراهمة فهو يقول إن الله واحد ويسبوه زيوس (الجوهرة التي غير المكشوف) وهذا في دينا يعني (القدوس الباطن) ويسفونه بأنه التقيوم بذاته الموجود في جميع الكائنات وكل كائن يستمد منه . ولقد ذكرت في غير هذا المكان شرح الفيلسوف المسمى (ماثو) الهندى لهذه الآية فقال (الكائن بنفسه القى لا يمكن أن تصيبه الحواس للماذية بل الروح فقط وهو المنزه عن الأجزاء المنظورة أزل سمدى روح الكائنات الذي لا يمكن العقل أن يدركه على ماهو عليه) ولا زال هذا الدين على سلطته وسهولته كالاسلام في الصور الأولى حتى نشأ البراهمة والكهنة وتألفت مراتبهم ونحوا أنفسهم بالإطلاع على الحقائق العلمية ودراسة العلوم الطبيعية والرياضيات ومرتضى النفوس بحيث يضلون الجباب والفرائب أمام شعوبهم فوجدوا أنهم بذلك أعلى وأسمى من تابعهم فاتخذوا القرص ليعلموا الأبصار بطمس الحقائق حتى يتسهم الشعب فأخذوا يأمر ونههم بذهب الحيوان

وانقلت منهم هذه النادة الى المصريين والعبرانيين . وكان النساك قبل ظهور أولئك البراهمة والكهنا يقطعون الى النساك والعبادة و يفسرون لتلاميذهم غوامض أسفار (البيدا) وما فيها من التعليم السرى ويدرسون لهم قوى الطبيعة لدائمة لئلي تظهر اليوم بعض أسرارها على أيدي بعض نساك من الهند ومن على شاكلتهم ممن سأنكم عنهم في سورة الاسراء عند سؤاله الروح . إن هذه العلوم التي كشفها القوم كانت في أقدم المصور ما من ابواب السعادة ورفق النوع الانساني ودلم الأمر على ذلك قرونا وقرونا ولكن الخلف لم يكونوا كالسلف فان البراهمة الذين جاؤا أخيرا بعد الأولين جعلوا هذه القوى التي كسبوها ذريعة لاستعباد العامة واستخدامهم في شهواتهم فانحط الشعب الهندى . إن هؤلاء جعلوا ما كان سلا للرق الانساني سببا لعلوهم هم وانحطاط شعوبهم وذلم واستعبادهم وقد ابتدع هؤلاء البراهمة (التثليث) ولقد ثبت كما قلنا أن دينهم القديم لبث أحقابا وأحقابا وهو دين توحيد لا شرك فيه . ولما طال عليهم الأمد قالوا إن هذا العالم الذى نعيش فيه مركب من (ثلاثة جواهر) جوهر نراه وهو المادة وجوهران لاراهما وهما العقل والفس . وهذه الثلاثة حاصلة في الانسان فله جسم وعقل ونفس فالعقل به التدير والنفس بها الحياة وهذه الثلاثة واحد . فهنا تثلث وتوحيد . ويعمل بعضهم بدل النفس الجسم الأثيرى اللطيف لأن النفس تدبره فهذا الجسم الظاهرى له نظير لطيف يبق بعد الموت وما الكون كله إلا روح دائمة الراق وما الحياة إلا عبارة عن ترق ذلك الروح والمادة إلا رمز تلك الروح وصورتها للتقلبة وما الانسان إلا عالم صغير أشبه العالم الكبير فهو يترقى ويرجع الى الله الذى هو للوجود لهذه الكائنات

ولما أخذوا يبحثون في الله قالوا ان دياننا البرهمية مؤسسة على التثليث أى تثلث (برهم) أى الجوهر الأزلئ المنزه عن المادة الذى منه صدرت الأقاليم الثلاثة وهى (براهما) و (فيشنو) و (سيفا) فهذه صفات برهم الثلاثة فبراهما (الخلاق) وفيشنو (الحفيظ) وسيفا (التحوّل والتغير) هذه هى الصفات الثلاث لبرهم فهو خالق وهو حافظ لخلق وهو محوّل هذه الخلائق من حال الى حال وهو على ذلك دائما يخلق ويحفظ ما خلق الى أجل ثم يحوّل تلك المخلوقات على سنن دائم فهو ذو أقاليم (صفات ثلاث) وهو واحد فهو ثلاثة من وجه واحد من وجه كما أن هذا العالم ثلاثة من وجه واحد من وجه . وهكذا الانسان الذى روحه شعاع من الله عندهم ثلاثة من وجه واحد من وجه وهذا الانسان يسير في العوالم الخمسة والعوالم الفينية أجيالا وأجيالا ثم يرجع الى ربه ثم توسعوا في ذلك فجعلوا الشعب الهندى ثلاث طبقات ووجدوا الله سرا وأظهروا التثليث للامة وأتوا بملقوس ماذية وأحاديث وهمة وسكايات خوافية وسلبوا الشعب قواه العقلية فانحطت ايمانها انحطاط هنالك ظهر (خريستا) أو (خريستوس) ٤٨٠٠ ق م ومعناها المسيح وقد تقيمت تعاليمه في سورة آل عمران ومن قوله (إذا نحل الجسم ملوث فان كانت الحكمة متغلبة على النفس تطير الى تلك الأقطار العلوية التي يمان فيها الأتقياء الله ويدركونه وان كان الهوى متملكا بعدلها يدخلها الله في عوالم تناسبها وتلاقى جزاءها في أسفل سافلين)

والسر الأعظم عنده أن من رام بلوغ الكمال فعليه أن يكسب علم الوحدة التي هى أجل من الحكمة فتعالى الى الموجود الأسى الذى هو فوق النفس والفهم هو مع كل شيء . إن في باطنك نورا لهما ولكن قل من يكشف هذا النور في قلبه فطوى لمن يضحى شهوانه للوجود الأزلئ التى نشأت منه مصادر الأشياء كلها وبه كان العالم فهذا للمضحى يجد في ذاته سعادته وفرحه . إن النفس التي وجدت الله تعق من الموت والشيخوخة والألم وتتررب من ماء الخلود اه

وقال في الأخلاق (ليعلن الصديق أن ما يحبه تفصيله على كل شيء احترام النفس وحب القرب فلاغية ولاخداع ولا تميمة . ولكن يمينه أبدا مبسوطة للموزين ولا يضخرن قط بحسناته وليحذرن حياته كلها

من ايذاء أحد بوجه من الوجوه فان من حاية القريب واسعافه تنشأ المضائل التي هي أكثر قبولاً عند الرب جلّ وعلا اهـ

هذه هي معالم (خريستا) المجدد لديهم . ولما تقدم العهد دلى هذا الدين أخفوا به أيضاً أحداث مضحكة خرافية ورتبوا طقوساً مسيحية لأجل أن يبقى الشعب على الجهالة وملأوا البلاد بالأصنام وأحاطوها بالغرافات ليقى للكهنة السلطة على القلوب

ثم بعد ذلك بنحو أربع آلاف سنة ظهر (زدا ساكياموني سودودانا) ابن ملك كايلا فاستو فرأى ما أحدثه البراهمة والكهنة من التغيير في المبادئ كما حصل قبل ظهور (خريستو) إذ اتفق الكهنة مع الأشراف على التسلط وهضم حقوق الضعفاء فكرهت نفسه العظيمة الدنيوية وشمت ملاذ الحياة فغادر بلاط أبيه وتوغل في الغابات الكثيفة وبعد سنين كثيرة رجع وله من العمر ٣٥ سنة وأخذ يظن كما وعظ كريستا فأيد كتاب (الفيدا) وأخذ يزعم دين البراهمة ويرفع الحواجز القائمة بين طبقات الأمة . وقد امتدت هذه الديانة في الصين واليابان فضلاً عن الهند ويدين لها الآن ثلث النوع الانساني . ثم إن هذه البوذية خلفها مالحق انقيداً أولاً ودين خريستا ثانياً من محوم الأوهام والأحداث الخرافية فتولدت تعاليم بودا وقامت مقامها القرابين والأعمال الصيبانية حتى إن بعض كهنة البوذيين اخترعوا آلة تنثر من نفسها في أوقات معينة تسبيحات الصلاة على حسب طلب المؤمن بشرط أن يدفع قدرًا من المال . ولقد بعثت البوذية اليوم عن مؤسس بودا كما بعثت المسيحية عن مؤسسها الناصري . وأخذت عبادة الأصنام تنتشر في طول البلاد وعرضها حتى إنك لنرى الهند والصين واليابان كلها ملأى بالأصنام . وفي هذه الأدوار الثلاثة كان رؤساء الدين في كل العصور يعرفون وحدة الله ويكتمونها . قال (كولوكا) الهندي وهو من أشهر فسرى أسفار (الفيدا) وهو ذو مقام عظيم سام جداً عند الشعب الهندي مانصه

(إن المؤمنين القدماء مع أنهم جعلوا قوى الطبيعة آلهة متعددة لم يكونوا يعتقدون إلا إلهاً واحداً منبع الكائنات أولياً غير هوى حاضر في كل مكان منزهاً عن كل كدر وهم وهو الحق بالذات ومنبع كل عدل وحكمة للدبر لكل شئ والرب نظام العالم لاشكل له ولا صورة ولاحد ولا نسبة) اهـ

(دين النصرانية)

وأما دين النصرانية فانه قد تقسم في ثانياً هذا التفسير مثل . مرة في سورة البقرة وآل عمران وأولون للمائدة وغيرهما وقد أخذوا أقانيم الهند الثلاثة وشوهمها وقالوا ثلاثة وواحد حادو القادة بالقادة

(دين الاسلام)

هناك حدث في الانسانية أمر جديد . اتلم أيها النبي أن الله يعلم ضعف الانسانية وأنه كلما نزل دين حرقه الناس في الأرض على مقتضى جبلاتهم . ومثل الديانات إلا كياء المطر يزل من السماء فيختلط بنبات الأرض ويصبح في الحنظل حنظلاً وفي النخل نخل وفي البربراهة لمة . ذاك أن أرضنا التي سكناها ليست من أعلى العوالم بل يظهر أنها من عوالم متأخرة . أنظر إلى ما تقدّم في سورة الرعد وما ورد في الحديث (أن الله خلق شجرة يسير في ظلها الراكب مائة علم) وهذه يراد بها فتح باب البحث في العوالم المحيطة بنا فقد أظهر الكشف الحديث أن أرضنا وشمسنا بالنسبة للكواكب التي نراها لاشئ . اقرأ ما تقدّم في سورة آل عمران وغيره من أن القوم كشفوا عوالم يصح أن تختفي فيها أمثال هذه الشجرة وما هو عظم منها ولما كان نور الله يشمل العوالم كلها نزل منه شعاع إلى لأرض وهو العلم والدين فأخذ الناس يزلون الخفايا على مقتضى قسصهم في الأرض . هنالك جاء الاسلام خلّ قيود الوثنية وهو الذي عدل للعالم للمسيحية وبسبه انحلت الروابط والمواثي التي حبست عقول الآدريين كما تقدّم في سورة لاوبة فانك تجد

هناك مافعله البابوات ورؤساء الدين من قتل النفوس وحق الأبرياء وظلم لبلادك والسوقة فظهر أولئك الكتاب مثل (روسو) و (فولتير) وقبلهما (لوتر) فزعزعوا صروح الأكلذيب في السياسة وفي الدين وتناقضوا بالتصريح ببيع العفران والسياسة على الحقول . كل هذا بدين الاسلام كما هو منقول هناك عن نفس الصاري الدين أسلموا

﴿ أم الاسلام للتأخرة ﴾

اسلم أن الام الاسلامية للتأخرة اعترافا ما اعترى الأمم قبلها حتى القلعة بالقلعة ولكن بأشكال أخرى فهذا الدين الذي دفع المسلمين الى الانتشار في الأرض شرقا وغربا في قرنين اثنين وحوز علوم الأمم في قرنين أيضا أخذت البع والخرافات تنتشر بين أهله حتى انحطوا كما انحطت النصرانية قبلهم والبوذية من قبل الطاقتين . ولقد دخل الاعتقاد بألوهية أفراد من النوع الانساني كما حصل من سيدنا على كرم الله وجهه إذ أعلن جماعة أنهم بعينونه إله قدام هو خراجهم وأخذت هذه الفكرة بعد اقرارهم تظهر حين بعد حين ومن قرأ كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني يجب كيف يكون في أمته من الخرافات والنسائل الخفية السافلة التي ترمي الى التسلط على عقول المسلمين ما يضارع مافعله النصرى والبوذيون قبلهم وكذلك كتاب ﴿ الفرق بين الفرق ﴾ وإذا تركنا أصحاب تلك القرون جابا وأخذنا في دراسة أهل السنة والشيعه للتعديلين رأينا أمورا محزنة . اننا وإن لم نعبد الأصنام التي تقيد العقل وتوقف النهن قد وقت عقولنا على بعض القشور الدينية وتركنا احشائنا وجوهر العلوم والدين فرجنا القهقري وأخذت الأمم حولنا تحقرنا فلعننا بأمة الهند القديمة . إذن نحن المسلمين جئنا الى الأرض وبسبب تعالينا أصمت أوروبا واليابان وأمريكا لأنهم تخلصوا من تعاليم رؤساء دينهم وأصبحوا أحرارا يسعون في الدنيا بنم ربهم . أما نحن الذين انتشر على يدنا عتق الأمم من الذل فانتا وضعنا أغلالهم القديمة في أعناقنا . فهم بملنا أعثقوا ونحن ببجهلهم تمسكنا ذلنا وأصبحتنا في سجن وفي عذاب المأون . فلما سمع ذلك صاحي قال هذا حسن ولكن هل هذه الآراء يعرفها علماء أوروبا مثنا . قلت ألم أقل لك ان هذا منقول عنهم وإن شئت فارجع الى ما قسم في سورة التوبة . فقال قد قسم أنك قلت ان الروح شعاع من الله وهل أنت توافق على هذا . فقلت أما أنا فاني لا أوافق على هذه الكلمة الموهمة وأن الذي أعنته اعتقادا حقا أن الروح أمر الى الآن لم يعرفه أحد . ومن عجب أن علماء الأرواح قالوا هذا القول بعينه . فلم الأرواح المنتشر الآن يقول كما جاء في نص القرآن ان أمر الروح مجهول أما كونها شعاعا من الله فهو فيه معنى الوثنية لأن الله لا يرى ولا شعاع له ينظر لنا لانه لا يرى البتة إلا اذا أصبحنا في عوالم أخرى كما قسم في سورة الأنفال في أوائلها . قال أنت تقاات عنهم أن العالم عندهم مركب من ﴿ ثلاث ﴾ مادة ونفس وروح . فما معنى هذا . قلت لا أحب الاطالة في ذلك ولكن القوم رأوا أن الانسان أشبه بالعالم الكبير . فكما أن الانسان مركب من جسم ونفس وعقل . هكذا هذا العالم وهذا جاء عندهم بقياس التخييل . ولذا كان هذا ليس راجعا إلا للعالم فهو أمر على يحتاج للبحث فاما الأقاليم الثلاثة التي ترجع لحاقي العالم التي قالها الهندو وتبهم المسيحيون فان الاسلام أول من هدما وهكذا علم الأرواح قد سخر منها وانظر هذا للقال في سورة التوبة في مشاهدات (عمانويل) إذ قال ان للمسيحيين حين يموتون يسبحون عن الآلهة الثلاثة فلا يجنون غير واحد . فانظر كيف ذكر هناك أن المسيحيين مخطئون معذبون وهو من خواصهم . فقال لقد جاء في هذه الآيات من آخر سورة ابراهيم ست مسائل (١) اضلال الأصنام (٢) واقامة الصلاة (٣) وقوله . مهطعين مقني رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم - (٤) - وأقتسمهم هواد - (٥) - وكون الجرمين مقرنين في الأصفاذ (٦) - وكون - سرايلهم من قطران ونمشي وجوهم النار - فأرجو اوضح هذا المقام . فقلت أما اضلال الأصنام فقد شرحت الآن في هذا

المقام . فقال نعم حسي . فقلت وأما إقامة الصلاة فلم أن لصلاة قدام لذكر الله . ولا جرم أن الله عز وجل هو المولود للعالم الذي ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وكل شيء يسبح بحمده فعبادة الأصنام تحبس النفس على شيء خاص . أما الصلاة فليخصها أن الانسان يحمد رب العالم كلها ويطلب منه الهداية ومن قرا هذا التفسير أدرك أن الصلاة كتاب يقرأ كل وقت ليذكر الناس بالعبادة العامة وذكر الله عند كل حجر وشجر وهذا قوله تعالى - فأبناؤا لولا قمت وجه الله - فالسالمون بعدنا سيعلمون أن القبة (قبلتنا) قبله الصلاة لعوم المسلمين لتحفظ وحدتهم وتذكرهم بربهم وهي الكعبة . والقبة الثانية هي هذا الوجود كله فيفكر المسلم قلبه في جلال أزهر والنجوم والشجر والبحر والجبل . وسيعلم السالمون أنهم اذا صلوا وانتشروا في الأرض انما يبتغون من فضل الله معاشهم وعلومهم في هذه العوالم المشاهدة . فهؤلاء هم الذين على صلاتهم دائمون . إن من قرأ هذا التفسير يرى ويعلم حق العلم أن المؤمن كل المؤمن من يأخذ به هذا الوجود ويعرف الحكم اللجبية فهذا لآلهية تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وكيف يلميه ذلك وهو أبنا توجهه فانه يرى بهجة وجمالا في البر والبحر والشجر والحجر والمدر تذكره بربه وهذا هو القرب . وأى سعادة أرفع من هذه . يكون للمسلم في حقله ويوجد في الشجر جلال ربه ومستحيل أن يكون هذا إلا بالعالم كما بيناه آفا . إن المسلم في الأعصر التي بعدنا اذا قرأ قصة سيدنا موسى واه سار بأهله في جهة طور سيناء وقد فارق ععبيا وأخذ زوجته معه وأنس نارا - فقال لأهله امكنوا إلى آتت نارا الخ -

سيجد المسلم بعدنا أن هذه القصة أنزلت لتعليمنا . يقول الله لنا ان موسى كان عند شعيب واكنه لما سافر أخذ يتبعه بقلبه الى مطلوبه ولم يمنعه الاهتمام بزوجه إذ جاء لها الخاض من أن يكون قلبه متعلقا بالوجهة الالهية فرأى النار تشتعل في شجرة العليق ونودي ياموسى إلى أنا ربك فهو يريد قبسا من النار ليسقى زوجته المسكينة الفريدة وقلبه يريد نورا إلهيا فرأى النور الالهى . وهكذا يكون المسلم بعدنا يدرس الوجود كله من علم الطبيعة والفلك . فهذا كله للامور الدنوية وهو نفسه لمرة الله تعالى بل للانس بل بل للسعادة والبهجة والحبور . أضاء النور في شجرة العليق أمام موسى عليه السلام . وهكذا نور العلم والمعرفة يشرق في كل شجر وكوكب وحجر وبحر وير هذا هو الذي سيفهمه السالمون بعدنا فتكون العلوم كلها للدنيا والآخرة فانه تجل فيها والحياة الدنيا بها . إذن يعطاد السالمون طيرين بحجر واحد وهذا قوله تعالى - وآبناؤه أجرو في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين - فهذا هو العمل المزدوج الذي جمع الدنيا والدين معا وقد تكفل به القرآن وتظهر في أشل هذا التفسير . وأما كونهم - مهطعين مقتنى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأقنعتهم هوا - فهذا نظير ما كانوا عليه في الدنيا فان أكثر الناس في الدنيا تأسروهم المادة ويستحوذ عليهم الغم والهم والحزن على ما فاتهم أو الفخر بما آتاهم . فأما أجسامهم ففي نصب وتعب . وأما عقولهم فهي خاوية من العلم والحياة الجلية . وهذا شأن كثير من نوع الانسان . إن مسه الشر خزع . وإن مسه الخير منع فاطاقتان في ذل وهوان من خزع وحرم . وأما كون المجرمين مرتنين في الأصفاة فهذا أيضا ما كان حاصلهم في الدنيا فان أكثر الناس مصفدون الآن في شهواتهم وعدواتهم وجشعهم وحرمهم وطمعهم قد ملك عليهم سمعهم وأبصارهم تراه قد غابت منك جميع قواه العقلية لشهوة غلبت أولطع أولخذ أو نحوها . فهذه أصفاة أشد ألف مرة من الأصفاة المحسوسة . إن الناس مصفدون وهم لا يعلمون ولا يشعرون . ومن أكثر مصائب هذا الانسان أنه مسجون ولا يعلم أنه مسجون . محقور ولا يعلم أنه محقور . ذلك بسبب الجهل العام لجأت البيانات فقتت فيها الخرافات والأوهام أيضا . وأما كون - سرايلهم من قطران وتفتى وجوهم النار - فهذا اشتق عما هو حاصل في الدنيا كسابقه لأن اشتد نار العداوات وقطران القوم لأجل الحسد والحقد وما شاكلهما والاطماع التي لاسبب لها إلا الجهل هو نفسه التي تقب نارا تغطي في القلوب

إذا عرفت هذا فهمت قوله تعالى بعد ذلك كله - ليجزى الله كل نفس ما كسبت - هذا هو المعنى بحسب عقولنا نحن في الأرض فلم تكن السرايل من القطران ولا النار المشتية للوجوه ولا الأصفاذ ولا الأغلال إلا نفس ما كانوا عاياه في الدنيا قد اقلب بهذه الصورة فهم مصفون لأن محرقون بنيران ليل ونهارا وهم لا يشعرون . ولقد ورد في بعض الآثار أن المكبرين مخلقون يوم القيامة كقشر تطوهم الأقدام . فالكبر واحتقار الناس والافتقار عنهم بالقلب هو الذي اقلب في الآخرة إلى صورة الحشرة التي لا يألفها الناس ولا تألفهم بل يدوسونها بأقدامهم بل جاء في كتاب (الحسبة في الاسلام) ما صه

وفي الحديث (يخسر الجبارون والمكبرون على صور القشر يطوهم الناس بأرجلهم) في صفحة ٢٧٠

طبع عيسى بن ربيع من أهالي نجد

فقال صاحبي ماذا تقول في قوله تعالى - يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها - . قلت له إن الناس في الدنيا يطلبون الخير ولكن الخير قسه بحسبهم كمثل دودة الحرير تقزله ثم تموت فيه تريد أن تخرج فلا تقدر . قال أوضح هذا القلم . قلت إن هذا يوضح جسم الانسان الذي هو كتاب مفتوح . قال وكيف ذلك . قلت له (ثلاث طبقات) وهي الرأس والصندوق والبطن . وفيها (١) العقل (٢) القلب (٣) البطن والفرج . ولكل من هذه الثلاثة فضائل وذائل قد تقدمت في سورة آل عمران عند قوله تعالى - هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء - فلقوة العاقلة وذائل كالخفي والسفه وقوة الغضب المسطرة على دم القلب بالغليان يحصل الغضب، والتمم والحقد وهكذا، والقوة للسلطة على البطن والفرج وذائل مثل الحرص والادخار وهكذا . إن الانسان يملك للمال فيملكه للمال إذ يطعم في غيره ويعرض عليه فما مثله إلا كمثل السمك يود لو يدخل في الحوض الذي بجانب البحر المملح ليدخل حتى إذا دخله لم يقدر على التخلص منه فالانسان يتعاطى الطعام لبقائه وشهوة الفرج ليبقى له نسل بعد موته يحمل صورته التي هي ظل لوجوده وقوة الغضب المهيجة للدم التي يدبره القلب يدافع العدو الداخلي في أمته والخارجي عنها بحفاضة على شخصه بالأولى وعلى أمته بالثانية وقوة العاقلة تدبر الامور كلها الشهوية والغضبية . فقال صاحبي إذا جعلت هذه الشهوات كلها أغلالا وأصفاذا فأين أصفاذ العقل وما التي وقع فيه المسلمون منها . قلت إن أصفاذ العقل أصعب مراسا وأقوى وأشد . قال أوضح ما تقول وأرجو أن توبخه . فقلت إن المسلمين أقرب إلى الفضائل وأبعد عن الرذائل وما أوقعهم في ذلك إلا أصفاذ العقل وأغلاله . ألا ترى أنهم عكفوا على قشور العلوم وتركوا مواهبهم . فترى الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية والإمامية والزيدية والشيعة وجميع فرق المسلمين أصبحوا أسرى التقليد لأقوال الأئمة رضوان الله عليهم ولكنهم لا يخرجون عنها قيد أنملة . فقال أريد أن يترك الناس للمذاهب . إن هذا يناقض كل هذا التفسير . قلت كلا ثم كلا بل أقول إن الأئمة رحمهم الله وكتب السلف والخلف بمثابة لبن الأم فإذا ترعرع الطفل وبلغ سن الفطام حتم عليه أن يأكل من نبات الأرض وحيوانها . فما مثل المسلمين مع أئمتهم ومشايخ طرقهم إلا كمثل الأبناء مع أمهم فانهم يرضعون لبن أمهم . فإذا بلغ الطفل منهم سن الرضاع فعلى مربيته أن تمنعه الرضاعة . فإذا قرأ المسلمون للمذاهب الشافعية في الاسلام أوقروا تقليد الصوفي أوراد شيخه اكتفى كل من هؤلاء بذلك هؤلاء أطفال رضع وهل الأئمة حصرهم في هذه العلوم وهل أحد منهم قال إن هذا هو كل دين الاسلام . كلا ثم كلا وإنما هي أحكام لأمور تقع بين الناس وبعض الواجبات . أما بقية الدين فهو باق بحاله كالاتبار يتاريج الأمم والتذكير بأيام الله وجميع العلوم الملكية والطبيعية والأخلاقية فهذه هي الدين وهي متروكة . ألا ترى ما ذكرته لك من أن موسى نزل عليه الوحي بعد ما فارق شعبا . فقال نعم أنا كنت أريد أن أسألك عن هذا . فقلت إن هذه

درس لنا كأن الله يقول لنا أيها المسلمون هذا نبي أيدته بالوحي ولم أنزل الوحي عليه إلا لما انقضى في طور سيناء فليس تحت نظر شعيب . هكذا لا يجوز لشيوخ الطرق ولا لعلماء الدين أن يفهموا الطالب أنه دائماً يحتاج إليهم بل لابد أن يطلقوا لهم الحرية فيرتقوا وعلى ذلك يجب أن تؤلف كتب جديدة في كل جيل وقيل وأن يجعل الكتب القديمة مجرد المراجعة وعلى المسلمين في أقطار الاسلام أن يكون لهم مجلس عام يتبادلون فيه الآراء وهذا المجلس يكون أهله مطلعين على سائر العالم كرجال أوروبا ويا هم شهادات عالية فهو لاهم الذين ينظرون في نفس المذاهب وفي طرق الصوفية وغيرها . هذا هو الذي به تكسر الأغلال من أعناق المسلمين وتفتك الأصناف عنهم ويخرجون من نار الدال وعذاب الجهل . هذا ما فتح الله به والحمد لله رب العالمين . انتهى

(الجوهرية الثالثة في قوله تعالى أيضا - واجتنبوا ما نهي أن نعبد الأصنام * ربنا انهم أضلوا كثيرا من الناس الخ -)

يدعو إبراهيم الخليل ربه أن يجنبه عبادة الأصنام لأنها أضلت كثيرا من الناس . فعبادة الأصنام مبغضة لماذا . لأنها تضل كثيرا من الناس . إذن الضلال هو الذي يجتنب وكل ما سبب الضلال فهو مبغض . إذن دين الله يجب أن يجتنب فيه كل ما يورث الضلال . إن الأصنام قد تقدم الكلام عليها في قوله تعالى - فاليوم نتجيبك بيدك لتكون لمن خلفك آية - فقد جاء هناك ذكر الأهرام الثلاثة بمصر لأنها بنت مقابر وعرة المسالك ضيقة الطرق تتبع الجثث وتكون آية للناس . فمن آيات الله في الأهرام أننا نلاحظ أنهم كانوا يرسمونها على الأجر ومعها نجم الشعرى للفتن عندهم للتبرك بها ويضعون دذا وهذا مع الليث إن عبادة الأصنام فيها الضلال من وجهين وجه على وجه اجتماعي . أما الوجه العلمي فإن عابد الصنم يترك مجال الوجود ولا يرى كلاً إلا في معبوده وهذا حصر الفكر الذي خلق قابلاً لكل كمال . فأما الوجه الاجتماعي فإن السدنة والقائمين بأمر الصنم ومأخوذه يكون القديس راجعاً إليهم محصوراً فيهم كأنهم خلفاؤه وهذا يقدر بهم الشعب عن المعالي كما اتفق قدماء المصريين الذين كان العلم غالباً محصوراً في كهنتهم والشعب كان خاضعاً وزمام الحكم بأيدي هؤلاء القادة فلوجه الأول حصر العلم والوجه الثاني حصر القيادة في طائفة خاصة . أما الاسلام فقد جاء لنشوع العلم ويكون الفتوة حسب الاستعداد . ولما كان ديناً علم كان أول ما نزل قوله تعالى - اقرأ باسم ربك الخ - فذلك شرع ﷺ يأمر بتعليم القراءة والكتابة بعد أيام الهجرة أيها المسلمون لم تفضلوا ماضل نبينا ﷺ هو أراد تعميم التعليم ولكن أنتم لم تفضلوا وهو أرسل رجة للعالمين ولذلك انتقلت المكرة إلى أوروبا فأعموا ما ابتدأه المسلمون وعموا التعليم اجبارياً . أفليس من الضلال ترك الشعوب الاسلامية بلا تعميم تعليم . أليس أيها المسلمون ترك تعميم التعليم ضللاً كالضلال الساج من عبادة الأصنام . رحاك اللهم ما عرف المسلمون قدر الاسلام ولا قدر القرآن

أيها المسلمون . أيها الامامية . أيها الزيدية . أيها الشيعة . أيها السنيون . إني أقرأ عليكم قوله تعالى - ولئن كن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين فترقوا وافتلخوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم - إلى قوله - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الخ - يأمرنا أن تكون منا أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم يقول لا تكونوا كالآدم التي فترقت ثم بعدنا بقوله - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر - أمرنا الله بأن نتصف بهذا الكمال وأمرنا بالاحتراس من التفرق وبشرنا أننا ستكون متصفين بهذه الصفات التي هي صفات خير الأمم

وهاذا أيها المسلمون أنظر في أمرنا . ها أناذا في البلاد المصرية وجدت في القرن الرابع عشر وآخر ماقبله فوجدت الأمة متفرقة وإن قارب تديارها متباعدة وإن اقرب دينها متشاكسة غير متجانسة وإن اتحد دينها . ياليت شعري أما قرأتهم هذه الآيات . أين الجماعة الأمرين بالعرف للناهون عن التكفير فيكم . أيها المسلمون أوليس من المؤلم لي ولكل عاقل أن هذه الأمة اختصت في أيامنا هذه أن علماءها يجهل بعضهم بعضا وكتب الشيعة بمجولة عند أهل السنة والعكس بالعكس أمة متقاطعة . كان السابقين عن في التقاطع لأمور خاصة في زمانهم فأرى عندنا الآن

أيها المسلمون . إن الزمان قد استدار واستيقظ أهل الصين واليابان شرقا واستيقظ أهل أوروبا غربا أم ودول وعمالك وأنتم بينهم قولته لئن لم يقم فيكم حكماء وعلماء يجمعون شمل التعليم والتربية بينكم ليصعدنكم لله من أرضه حصدا وليدققنكم العذاب الخون بما كنتم تجهلون
(حكاية مع العلامة (دولارد براون) الانجليزي)

حدثني العلامة (دولارد براون) الانجليزي المستشرق الشهير في أوائل القرن العشرين المسيحي قال وكنت لي الحكومة الانجليزية أمر البحث في أمة الاسلام أتمكن اتفاهم أم هم يحكمهم عليهم بالفرق والاخلال . قال فتوجهت الى بلاد الترك والفرس أيلم السلطان عبد الحميد وعاشرت طلبة الفرس وعلماءهم فرأيتهم يكرهون أهل السنة كراهة شديدة وسمعت تلميذا متصوفا يقول لقد حاربت بسبي مع الروس ضد الترك ونى أفضل الروسي على الترك الكافر لأنه من أهل السنة . قال محنتي وأنا كنت موقنا أنه ملازم دساجة مدة حياته لأنه جبان وإنما ألقى أخذه من كلامهم جميعا أن الاتحاديين الأتمين مستحيل وكتبته تقريرا للحكومة الانجليزية بهذا . أما هؤلاء فإن الغباوة قد ملكتهم وكيف يتذكرون حوادث مضى لها (١٣) قرنا قتل الحسين وكأمر الخلافة ويتكلمون الروس يتفلسفون في بلادهم هذا ما هله لي ذلك العلامة . وها أناذا أنصحكم جميعا فأذكر (أمرين) طرق التعليم في بلاد الاسلام وبيان الأمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

(١) ليكن التعليم في ديار الاسلام عاما بين الرجال والنساء والفقير . لأن سبب انتشار التعليم في العالم كله ديننا كما قسم من الغباوة والجبن أن ينم به غيرنا ونعري منه نحن
(ب) ليكن مبدأ التعليم مما نال لسي القرآن ومعنى هذا أن الرسول ﷺ ابتداء الدعوة بالسور للمكية (١٣) سنة وكلها حث على النظر في الشمس والقمر والشجر والنهر وأنسحاب والطير والجبيل والحجر والحيوان وهكذا . كان الصحابة رضوان الله عليهم حين يسمعون هذا النوع من العلم ينظرون هذه المخالقات بأفئدهم لأنهم أقرب الى الخلافة والجلال في أسفارهم وحضرهم فترسم أحسن الصور الجبلية من نبات وحيوان وكوكب في الكتب لتكون مشوقة لهم فلا تكون قراءة بعض آي القرآن حفظا بلا عقل ولا فهم ولا هدى ولا ر . وبالجملة ليكن تعليم الناشئة شاملا لجمال الطبيعة كلها اجالا ولا أخلاق بطريق القلوب الحسنة وقراءة الآيات وفي القرآن من النوع الأول (٧٥٠) ومن الثاني مثله

(ج) في ظني أن (٧٣) سنة كافية لتعليم السلم كل ما يحتاج اليه . إن النبي ﷺ دعا (٧٣) سنة وكما كان يدعو أولا للعلوم والأخلاق وآخرا بعد الهجرة للنظام والاجتماع وحفظ الدولة . هكذا يكون تعليم الشبان فيكون في الصغر تشويقي لهذا الجبال المحيط بنا في الأرض وفي السماء وفي آخر التعليم الاختصاص بفن من الفنون لمنفعة الأمة كهندسة أو زراعة أو تجارة أو سياسة أو فقه وهكذا . فلذا أضيف اليها (٧) سنين التي هي مدة الطفولة كان تمام التعليم في سن (٣٠) سنة

بهذا تكون مماثلين للأمم حولنا . انهم يقرؤون كل العلوم التي أمر بالتعليم فيها القرآن . إن تلك

العلوم أساس لدينا خلافا لما كان يقوله القلاء انها ضد الدين . هذا خطأ اليوم لأن الذي هو ضد الدين العلوم المشحونة بالكفریات . أما علم الطبيعة والرياضة والفلك وما وراء الطبيعة فهي علوم القرآن فليعلم المسلمون كما تعلم الأمم التي خلت العلوم عنها فتحن أولى أن تقودهم لأنهم بقودتنا

(د) ليدرس القرآن بطريق مشوق بحيث يعرف الطالب خلاصة السور وخلاصة القرآن كله مع السهولة ثم سيرة النبي ﷺ وبجانبه وصور أحكامه وأعماله وأعمال أصحابه ثم ينظر الطالب علم الفقه نظرا عاما مع ملاحظة خلاف الأئمة كيف اختلفوا في أهم المسائل ومن أى طرق اختلفوا ليكون ذلك تبراसा به يهتدون في درس الحياة الدنيا التي نحن فيها

(هـ) هنالك يخرج في بلاد الاسلام من الشيعة والسنية رجال متبحرون في العلوم وفي الدنيا وهؤلاء يكونون مجتهدين

(و) ثم لينتخب كل قطر من أقطار الاسلام جماعة وهؤلاء جميعهم يجتمعون بمكة لينظروا في شؤون الأمة كلها فهؤلاء هم الأمة التي قال الله فيها - ولتكن منكم أئمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر - وهم هم الذين ينعون للفرق بملهم وهم هم الذين تكون بهم الأمة - خير أئمة أخرج للناس - أما اليوم فانتا لسنا الأمة التي هي - خير أئمة أخرج للناس - والقرآن حق فلا بد من تحقيق مقصوده والعمل بأوامره ونواهيه

(ز) بهذا أيها المسلمون تكونون - خير أئمة أخرج للناس - أما الآن فانكم متفرقون منشاكسون مختلفون متباعدون أتم اليوم طبعين الرضى يكفكم من الشرق الصين واليابان ومن الغرب دول أوروبا ان لم تقوموا بما ذكرته لكم فأتتم أول مضغة يعضها الاوربي والاسيوى

(ح) إن المتعلم على الشريعة التي يثبتها لا يكون متعصبا لمنزبه بل يكون متعصبا لنفس الاسلام . الاسلام اليوم أكثر أهله جامدون والوجود تفرقوا وانحصرهم كل طائفة فيما قرأته من المذاهب فأتتم إذن متفرقون والله يقول - ولا تفرقوا -

أيها المسلمون . أتم متفرقون إذن . أتم مختلفون لكتاب الله . أتم متقاطعون . إن أوروبا المسيحية متآلفون مع اختلافهم . متعاقدون مع تباعدهم . أما أتم فالأمر بالعكس . فالطائفة التي أشرت لها هي التي تجتمع بعد التفرق . نعم فام فينا الوهاية الذين يملكون الحجاز ويجعدا الآن وهي وان أزالنا الخرافات قد وجب عليها أن تنظر في مثل ما نظروا ألا وهي مناظر هذه الدنيا وعجائبها

إن الوهاية برعوا في القسم السلبى من الاسلام ولكنهم لم يراعوا القسم الإيجابى منه أى انهم حصروا مهمهم فيما ذكره العلامة ابن تيمية وفاتهم أن العلم أوسع وأوسع . إن في القرآن (٧٥٠) آية تحت على النظر في علوم الأرض والسما وهذا العلوم لا يكتفى النظر بالعين لها كما لا يكتفى أحد من أمة الاسلام في أركان الاسلام الخمس بمجرد التلاوة بل ألفوا جميعا كتابا فيها . فلماذا يؤلف المسلمون في الفقهيات ولا يؤلفون في عجائب الكائنات . هذا النقص لم يترك أمة من أمة الاسلام قديما وحديثا والوهاية وان أصلحوا القسم السلبى فهم تائمون عن القسم الإيجابى نجحوا في ترك الخرافات ولم يذكروا مطلقا في معرفة جلال الله

(ط) اللهم إني نصحت لأمتي وبذلك جهدى في النصيحة ولم أكن في ذلك متكفا وإنما أكتب باعانتك وتسبيك السبيل لى . وعلى القارى لهذا الكتاب التبعة اذا قصر في النشر والتعليم والترتية . إن هذا للبدا هو الذى به ترقى أمة الاسلام . هذه الأمة التي جعلها الله - خير أئمة أخرج للناس - تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . هذه الأمة التي جاءت فكسرت الأصنام وأعطت العالم (درسين) درس تعميم التعليم ودرس عدم الاستبداد بحيث يكون النوع الانسانى كله حرا وتكون الرئاسة تبع البسطة في العلم

والجسم لا باللبس ولا بالحسب كما كان يفعل قسما للصريين وغيرهم ولله هو الولي الحيد
(ي) فن ذا الذي يقوم بهذا الأمر في الاسلام . إن أول أمة قوم بهذا في الاسلام وأول ملك أوريس
جمهورية يقوم بهذا العمل هو المجدد للاسلام وهو القائم مقام النبي ﷺ وهو الفاتح الأعظم . يامعاشر المسلمين
إذا قامت فيكم أمة بهذا وسبقت غيرها وجب عليها أن تنصح أخوانها بهذا والا حاربها على ذلك حتى تخضع
إن الزمان قد استدار . وإذا كان من قبلنا لا يهتدون بهذا فتحن نهم به . إن المسلمين لم يكن
هناك قديما أم تتلوهم . أما الآن فالأم شرقا وغربا تحيط بهم - والله من ورائهم محيط * بل هو قرآن
مجيد * في لوح محفوظ - وقال تعالى - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون * وسردون الى
عالم العيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - اه

(ك) يا الله إني قرأت آيتين في القرآن كتابك (إسراء) العموم وهي - يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - (ثانيتهما) المسلمين وهي قوله تعالى - انما المؤمنون
إخوة - ومثلها - ولاتنازعوا في قضاها - ومثلها - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا -
وها أنا ذا ألقت كتاب (أين الانسان) لأجل أولاهما ونشرقي الشرق والغرب . هذا الكتاب لاصلاح
نوع الانسان كله وتعاونه كما نصحت في كتابك وإني أجدك أن أهل أوروبا قابلهوا بالقبول وكتب علماء أوروبا
في إيطاليا وفرنسا وغيرها وسترأها القارئ في سورة الحجرات ملخصا بأقلام علماء أوروبا مترجما
أما الأمم الاسلامية فهذا هو تفسير القرآن فهل من يمثل وهل من عجيب لي . يا أمة الاسلام أوروبا
المسيحية قرأت دعوتي للاتحاد ولا بدري هذا يصنع الله بها فإذا أتم صافون في دعوتي هذه اليكم لتعلم
العلم والنظام التام ولست أقول إلا ما قاله الله تعالى - فان تولوا قتل حسبى الله لئلا هو عليه توكلت وهو
رب العرش العظيم - اه

(ج) الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسوات -)

(آراء قسما الهند في أدولر هذا العالم)

إن هذه الآيات تفتح بابا لجال الفكر والنظر وتذكرنا بما قوله الأمم حولنا . ان هذه الأرض التي نعيش
عليها مرت بها أم وأجيال وعلماء ولم آراء في هذا الوجود . فترى الانسان متى فكر في هذه الدنيا يقول
في نفسه متى خلقت ومن أين خلقت وماذا يكون بعد هذا الوجود . هذا سؤال يسأله الناس ولا يجيب .
أرض وسماء وأحياء وأموات . الى متى هذه الحال . وكيف خلق العالم وبعد ذلك ماذا يكون . وهل
للأرض آخر . وهل لكواكب نهاية وما بعدها . أما سؤال الأرض وهل لها آخر فقد أصبح مطروحا
ولكنها أيضا لا تزال لغزا فترى الناس يسارعون الى القطبين ليدرسوها وإلى البحار والجبال ليكشفوها
إن الانسان خلق مغرما بالعلم والحكمة لا يفتأ يبحث ولا يقف في السؤال عند حد . ويظهر أن عقله قد صيغ
من النور وخلق من الجبال فاننا لا نرى النور آخر . هكذا لا يرى لعقولنا نهاية ولا لبشرها غاية . فطرة الله
التي فطر الناس عليها فهي فطرة نورية . الله لانهاية له وعقولنا تريد أن تسير الى ما لانهاية له . إذن هي
من نور أشرف من ذلك الجبال الأكمل والجناب الأقدس فهي تستوفى الى كل جديد وتفرح بكل رأى سديد
وعمل شريف وحكم منيف حتى انك ترى رجال السياسة يكذبون ليكموا الناس بما أحبت فطرهم فيقولون
نحن نحب ترقية الشعوب والانسانية وهم يعلمون أنهم كاذبون ولكن يريدون أن يسمعوا الناس النعمة التي
نحيا فطرهم فهو باطل أشبه الحق . وملخص هذا أن عقولنا لانهاية لمقاصدها فهي تريد أن تعلم كل شيء
ولا يقف عند حد . ولما كان لله هو الذي خلقنا وهو يعلم عقولنا وانها تسأل عن الماضي والمستقبل أجاب
نفسنا ضائرا فقال مرة - كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا - وقال هنا - يوم تبدل الأرض غير الأرض

والسموات - فاذن هو يصنع في السموات والأرض ما يصنع بالنبات والحيوان والانسان يموت الأبوان ويبقى
الأبناء كما تبدل سماء بسماء وأرض بأرض

هذا هو الذي جاء في القرآن وأيده الكشف الحديث كما عرفت هنا فأصبح الناس يفسرون النجوم من
أنوارها وتبديل تلك الأنوار زلها نزل على عناصر كائني في أرضنا . إذن هي مركبة والركب من شيء
ينحل اليه . وهكذا رأوا شمسوا ابتدأت تتكون وأخرى قربت أن يتم تكوينها . هذا هو الكشف
الحديث وهو دل على ما كانت عليه أرضنا وكواكبنا قبل هذا الوجود . إذن أصبح خلق العوالم في المهور
أشبه بخلق الليل والنهار كل منهما يتبع صاحبه فالأول هذه الفرزة فينا مبحث أحد عن هذه الهجائب وسواء
أكل هذا الاستنتاج من الانسان صادقا أم مشكوكا فيه قد فعل ما يوافق طبعه على مقلد طاقته ولا يكلف
غير ذلك في فطرته هذا هو القرآن وهذا هو العلم اليوم

(علماء الهند)

ولما حامت هذه الآراء في عقول الأجيال القديمة بحثوها وعرفوا منها ما لم تنق الألبام إلا قليلا منها .
فانظر فيما سأقصه عليك . ذلك أنهم سمو المبود (برهما) وهو يدبر العالم مع آخر يسمى (فشنو) وآخر
يسمى (سيفا) فبرهما الخالق وفشنو الحافظ وسيفا الذي يقضي ويبيد . ويظهر أن هذه الصفات كلها لواحد
تعددت صفاته فهو خالق وحافظ ومعيد بعد الفناء . ثم إنهم وصفوا الخالق بوصف جعلوه أشبه بالروايات التي
يقروها الناس لحكمها وهي هذه

(برهما وجد قبل الخلق ورفع الأرض من الماء وعمره مائة سنة وكل سنة من سنه تكون أيامها
وليلاتها من أزمان طويلة بحيث يكون كل نهار وكل ليلة (٣٦٠) ألف سنة من سنينا هذه وفي آخر
كل نهار ينهي عالم من عوالمنا ويستريح الرب ليلة ثم ينشئ عالما آخر وهكذا) ولست أقول لك ان هذا
يناسب صفات الرب . كلا لأن ذكر الاستراحة وذكر عمره . كل ذلك تعليم للجهال والافالته لا ينسب حتى
يستريح ولا أول له حتى يكون سنه مائة سنة . ولكن المهم أن القوم في أثناء خيالهم الذي هو في الحقيقة
مبعر عن الفرزة الانسانية المفرمة بالوقوف على الحقائق على مقدار طاقته أدركوا اجالا ما في العلم الحديث
وما أشار له القرآن . ان علماء العصر الحاضر جعلوا لنفس الأرض عمرا قدره مئتا ألف ألف سنة فهو
يناسب تغيير قدماء الهند . هكذا جعلوا أن العالم يتكون ويبقى آلاف آلاف الآلاف . وهذا يناسب ما يقوله
علماء العصر الحاضر ثم تراهم يعبرون بمدة الراحة وهي التي سموها ليلا عن مدة بقاء العوالم في عالم الأثير بعد
الخراب حتى تتكون ثانيا وتستحق أن تدور وتجري فهي أزمان متطاولة كأزمان دوراتها فانظر اذا كان في
خيالهم أن سبها مضت له مائة سنة والسنه الواحدة مركبة من ٣٦٥ يوما واليوم الواحد مئتا ألف آلاف
من سنينا يعيش فيه عالم ثم ينطفي في زمان يساوي الزمان الذي سموه نهرا فيا ليت شعري كم من عوالم انطوت
وعوالم ستأتي بعد علاننا . ان العقل ليقف مكتوفا أمام خيال الهند وأمام ظنون علماء العصر الحاضر الموافق له .
كل ذلك فتح باب قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - إن هذا يهذهنا في هذا الوجود
إذ لا معنى لحب ما لا بقاء له . كواكب لا تهم وأرض لا تهم وشمس وأقمار لا تهم بل هي تطوى كطي للسجل
للكتب ولا يبقى إلا صانعها ومحركها ومنظفها ومبدعها . قال الشاعر
وعلى قفان واصفيه بحسنه * يعني الزمان وفيه ما لم يوصف

(ثم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السابع من كتاب (الجواهر) في تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء الثامن وأوله تفسير سورة الحجر)

(الخطأ والصواب)

غلينا التصحيح ففاننا سقط وأشباه أخرى يتركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	صواب	خطأ
الذين	الذان	نمرة ١ (شكل ١٠)	نمرة ١
هو لون نور	هو لونا نور	نمرة ٢ (شكل ١٠)	نمرة ٢
الشمس	بالشمس	لا	إلا
فهل	القطب	(٧) آلاف	١٧ ألف
تجدة (بضم)	وقهل	منهن	فيهن
التاء	تجدة (بفتح)	الرؤيان	الرؤيتان
واملاك	التاء	أو أكثر	والأكثر
تحتها	اهلاك	يعمن	يسمعن
خلق	تحتهم	الثالثة	الثانية
أضراسنا	خلقوا	الرابعة	الثالثة
بجاية	أضراسا	معرضا	معرضا
الكروية	بجاية	الخامسة	الرابعة
توله	الكردية	أوساه	أوساه
وأرباع	ستره	الأرض فطرة	الأرض
وجدير	أوأرباع	واقيا	وضاحا
بمعلم بوزن مريم	وجديرا	أقول لما كان	وقد يكون تاما
غردا	بعلم	لمعرفة الله	فلما كان
المرد بوزن النصر	غرد	البحار	ومعرفة الله
وتبسم عن الى	المرد	البالور	البحاو
سر	تبسم عن الحيا	تحديها	البالور
له	سرا	السابع عشر	تحديها
فيتخرج	له	خفيف	السابع
تنهيات	فتخرج	١١٣	ضيف
سنيكا	ست تنهيات	عنه	١٠٥
والتعلم الخاص	سنيكا	في التساوي ونحوه	عن الثاني
نسلكتها	وتعلمها خلاصا	من (٨)	عما قبله
نؤسها	نسلكتها	نوبه	في التساوي
الفرق	نؤسها		من (٧)
	الفرق		نوبه

فهرست الجزء السابع من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ٢ ذكر مقدمة لتفسير سورة يوسف أن المؤلف يحمد الله إذ عاش إلى الآن حتى كتب ماسطره منذ ١٤ سنة لتحريم صيد بعض الطيور بالبلاد المصرية وهو ملخص سورة يوسف وذلك بمجلة الملايحي العباسية
- ٣ كيف تخلى مصر إذا فهمت هذه السورة . سورة يوسف فيها نصف الحكمة وهي الحكمة العملية تهذيب النفس وتدير المنزل وتدير المدينة
- ٤ في هذه السورة (خمس عبر) رؤيا يوسف . أدنى أخوته له . قصته في بيت العزيز . قضيته في السجن . تنظيمه للخزائن المصرية
- ٥ أهم لطالب الاجتماعية (أربعة أمور) الامارة والزراعة والتجارة والصناعة . الفلاح يعاونه الأنعام على الزرع والطيور الليلية والنهارية على حفظه بأكل الحشرات والأمة المصرية عرفت فضل الحمامين في الحماكم وجهلت فضل أمثالهم في الزرايع وهي الطيور المذكورة وهذا عار عليها
- ٦ مدح المؤلف لقدماء المصريين إذ حفظوا الزرع بالمحافظة على أبي قردان حتى تقسوه لأنه يأكل الحشرات الضارة بالزرع وذم المعاصرين له لجهلهم الفطحي قتلوه وبيان أن أهم القائلين له هم الأوروبيون وأيد ذلك الشيخ محمد عسكر وذكر أن القراعة ربوا القلق لما كثرت الحيات في البلاد المصرية فطلب المؤلف أن يربي أبو قردان كذلك لأنه قد فنى . (الفصل الثاني) أبناء أخوة يوسف
- ٩ (الفصل الثالث) قضية التي الصديق في بيت العزيز . عبرة في ترك الحياة
- (الفصل الرابع) سجن التي الصديق وتفصيل التهذيب النفسي والأدب المنزلي والنظام السياسي العام في الأمم من قصة يوسف عليه السلام
- ١٠ (الفصل الخامس) في ذكر أنه نبأ أورشليم مصر ودبر لملك وأكرم أبويه وأخوته وذكر أن الحكومة المصرية لبث نداء للمؤلف وصدر ذلك في المجلة المذكورة بمشور عنوانه (حماية الطير المسمى بأبقردان) صديق الفلاح وتكليف عمدة البلاد بالمحافظة عليه
- ١١ ذكر أن رجال الحكومة بحثوا عن الطيور القاتلة للحشرات ورسومها في كتاب مثل عصفور سبكيولا ورسوم ذلك الطائر ورسوم العصفور المنقش الأخضر وأبي فصاه وأبي زور أحر وأكل النباب والقنبرة الأفريقية والوروار الأفريقي والمدهد الأفريقي وأبي قردان والكروان والزقراق البلدي فهذه (١١) صورة مرسومة في هذه الصفحات . وهناك طوائف أخرى من الطيور لم ترسم مثل الوروار للمصري والقنبرة أم الشوشة وهكذا
- ٢٠ (القسم الأول من السورة) من أولها إلى قوله - آيات السائلين - مشكلة . التفسير اللفظي
- ٢٢ ذكر (ثلاث لطائف) اللطيفة الأولى ذكر كتاب أميل القرن التاسع عشر الذي أوجب أن يدرس للأطفال الحكايات الخرافية مثل الفتاة التي طلب أبوها أن يتزوجها واقترحت عليه ثوبا كالشمس وآخر كالقمر الخ وهذه الخيالات الكاذبة موسحات للخيال والعالم الطبيعية تهذبها بعد ذلك ذكر كتاب (كلية ودمعة) وكتاب (ألف ليلة وليلة) وكل منهما فيه الخرافات
- ٢٣ قصة السندباد البحري وحديثه مع السندباد البري . نبأ بيضة الخ التي هي كقبة وأنه هو بالنسبة للرخ كالبرغوث بالنسبة للإنسان وكيف يتال الإنسان لباس بواسطة هذا الطير ومسألة السفينة التي من شجر الصندل . وذكر أن الاختصار على هذه الخرافات يجعل الإنسان مصدقا بالخرافات

كيف كانت قصة يوسف أحسن القصص ذلك لأن فيها ما يوسع الخيال مع ان واقعها صحيحة فقد حلزت الشرفين مع الحكم والعلوم

٢٤ كيف تربى أوروبا أبناء الشرق . منوهم العلوم فأضعفوا عقولهم
 (الطيفة الثانية) إن الناس مفطورون على استطلاع الغيب ولله أعطاهم ومنعهم فيأتي الغيب صادقا وكاذبا ليفكروا في حياتهم ومع ذلك لا يكون عندهم بأس من الحياة بعدلوت . هل تصدق الأرواح في اخبرها عند استحضارها . العرافون في التوراة . ذكر الكاهن (ميتخا بن يله) الذي أخبر بالجزية مع ان جيع العرافين أخبروا بالنصر في الحرب وقد صدق هو وكذبوا هم جميعا

بيان ترتيب يوسف وهود ويونس وما الحكمة في هذا الترتيب . الرؤيا الكاذبة تكون من غلبة الصفراء والهم والبلغم والسوداء ومن عحاكة الخيلة لئلا الصور الواردة عليها تنهار أو ما غلب عليها من شهوة أو غضب وبيان الرؤى المناسبة لكل من هذه الأمزجة وأسباب حدوث كل مزاج كالاكثر من الأغذية الباردة الرطبة لاحداث البلغم وكالاكثر من العنس والسخن ولحم البقر والباذنجان لاحداث السوداء التي تسبب الجرب والحكة والصرع وأن يرى في المنام الأهوال والظلمة الخ


٢٧ ذكر أن الرؤيا الصادقة أن تكون لنفس هادئة لم يثلب عليها مزاج من تلك الأمزجة ولم تزدحم المعدة بالطعام وهي نادرة الوجود . الأحلام في العلم الحديث . هل من علاقة بين الأحلام والحوادث

ذكر أن علماء القرن العشرين هم الذين عرفوا أن الأحلام مرتبطة بالحوادث مثل العلامة الدكتور (دى بسمين) إذ رأى والده في الحلم محترقا بالنار فصدقت الرؤيا بحدوث التهاب الرئة الحادة ومات بعد أيام . وحلم سيدة عجوز من أهل (فيلادلفيا) بأمریکا أن ابنها سقط بين الهجلات وقتل . ورؤيا خادمة (شوبهاور) و (ادوين ريد) العالم الطيبى رأى في منامه يوم موته فتم ذلك ومن الناس من استفاد من الأحلام . جوائز اليانصيب . (الطيفة الثالثة) في الحسد وأسبابه

(القسم الثانى من السورة) من قوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه - الى - من الراحدين - الآيات مشككة . التفسير القفلى لها . (والقسم الثالث) من قوله - وقال الذى اشتراه من مصر - الى قوله - من الصاغرين - وتفسيره القفلى

٣٦ ذكر لطيفتين (الطيفة الأولى) في قوله تعالى - وقطعن أيديهن الخ -

ذكر ما رآه للؤف ذات يوم بحلوان عند صديق له من حيوانات ونباتات غريبة في بركة ماء وملأه إلا أقل من قطرة وضعت تحت المنظار المظلم

٣٧ رأى أفلاطون في العلم . (الطيفة الثانية) جال يوسف في علم الحديث وفي علم الموسيقى والجمال ووصف نينا  له بكونه كالقصر وأن ذلك دافع بدعو للسلم الى أن يفكر في المشبه به وأمثله لأنه أكمل جالا فينظر في جمال هذا العالم البديع وما حسن يوسف إلا بفضه . ومن الجهل أن تحق عند البعض وتترك الجميع وهو جمال الجسم الانسانى ونظامه البديع ومثله الجمال في الموسيقى وفي الشعر وكيف اتحد علم الشعر وعلم الموسيقى في أنهما يرجعان للتحركات والسواكن . وبيان أن النسب الفلكية كالنسب الشعرية وللموسيقى كل منها لحصل ضرب الوسيط فيهما يساوى حاصل ضرب الطرفين وهذا هو ميزان الجمال في علنا . رمز النبوة بحسن يوسف لجمال العالم وإيمانها الى ما قرره ناه

٣٩ (القسم الرابع والخامس) قضية السجن من قوله - قال رب السجن أحب الى - الى قوله تعالى - إن شاء الله آمين - وتفسيره القفلى

- ٥١ لطيفة في قوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم -
- ٥٢ عجائب الصناعات في أمريكا . طرق المواصلات . تسهيل الأعمال في المطاعم . التلغراف التي لاسلك له . الحركة الفكرية والتجارب العلمية . رقي المرأة عندهم . الحركة العلمية في أمريكا لها أغراض سبعة . التعليم المشترك بين الجنسين
- ٥٣ لطيفة في اعتراض لأحد العلماء وجوابه
- ٥٤ ابتكار أهل أمريكا أيضا في علم الزراعة وقوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم - موازنة بين الهواء والسنان والسخور وبين الذهب والملوك والقبين من النباتات وهذا كله من قوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم -
- ٥٥ (القسم السادس) - ورفع أبويه على العرش - إلى آخر السورة وتفسير اللفظي
- ٦٠ ذكر (خمس جواهر) (الجوهرة الأولى) رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك . فهاتان الرؤيان مطلعان من مطالع العلم مشرقان قد فتحنا بابين من العلم
- ٦١ بيان السبب في ذكر تلك الطيور في هذا التفسير وكيف جاز تصويرها فيما تقدم . وهما لطيفتان في أمر رجة الحيوان وفي جواز التصوير الشمسي
- بيان كيف كانت هاتان الرؤيان قد فتحتا عوالم اليقظة وعوالم الأحلام في المنام
- ٦٢ أدنى الحيوان كالغود في لب الخمار وأعلامها الانسان حكماؤ وأنبياؤه النور من أهم أسباب الحياة الأرض ورؤيا يوسف أحد عشر كوكبا انطلق من حبس اللادة
- ٦٣ النوم نوع من حال للوت فيوسف والملك توفيا ويقتضهما بهت وما رأياه في حال موتهما ظهر لهما في حال بشما وهما مارأيا إلا ما يناسب أطوارهما قبل النوم . إذن هناك حياة وموت وبهت وحال الحياة ظهرت أكثرها في الحالين بعدها . ما يصنع الناس لا يتم إلا بفكر يتقدم العمل
- لطيفة في ذكر حال في مبدأ حياتي إذ كنت أظن كأني أبعث عن مجد قد ضاع وملك ذهب ولكن لا أثر لتلك في قريتنا وكنت أقول لم لا يكون الناس أسرة واحدة . وقد ظهر أثر إحدى الفكرتين في كتاب (أين الانسان) التي طلبت فيه أن يكون العالم كله أسرة واحدة وثانيتها في كتاب (التاج للرصم) والكتب الأخرى وهذا التفسير وملخص ذلك ارتقاء المسلمين
- (الجوهرة الثانية) في البلاغة والاعتبار بالقصص عند العرب وموازمته بقوله تعالى - قال هل أنتمكم عليه الخ - وبيان قصة الحية التي قتلت الاعرابي وجعلت دينه لأخيه دينارا كل يوم ثم غدر بها فشنجها ثم طلبها فلم تعد له (الجوهرة الثالثة) في قوله تعالى - رب قد آتيتني من الملك - إلى - وأخفى بالخالين - . مقاصد النساء والثناء في دين الاسلام
- ٦٦ العبادة جسم روحها العلوم . ينشئ المسلم على ربه ويحمده لأنه هو الذي رقى العالمين ويقول في السجود سجد وجهي للذي خلقه وصوره الخ ويحمده في الرفع والاعتدال مل السوات والأرض وما بينهما الخ ولا معنى لهذا كله إلا أن يزداد علما في ذلك كله وهذا العلم هو الذي ملأ أوروبا والشرق فليسلمون بترك هذه العلوم غافلون عما تضمنته الصلاة وتلك يقول الله - فويل للمسلمين * الذين هم عن صلاتهم ساهون - والمسلمون بترك العلوم ساهون عما تضمنته الصلاة فصاروا كثرهم خاضعين لأوروبا
- (الجوهرة الرابعة) في قوله تعالى - رب قد آتيتني من الملك - . الله والشمس الشمس لا يحظى بنورها إلا ما يقابلها من كرات السيارات ولا يحظى بنور الله والشمس إلا المستعد له وكل يأخذ بقدر استعداده

فأنه ضرب الشمس مثلاً لنوره

٦٨ ﴿خطاب للمسلمين﴾ • هل يعجبكم أيها المسلمون أن يكون توجيهكم بقولكم - وجهت وجهي الخ -

توجهها مشوباً بالأعراض وهذا يوجب غضب الله • إذن نحن كالكلاب الذين أوكالساخرين والمستهزئين

بآيات الله • إذن الاتجاه لفظي فقط ولو كان معنوياً لقرأ المسلمون نظام هذه الدنيا

٦٩ تذكرة بهية في الحليل وقوله - إلى وجهت وجهي الخ - وهذا المقام كالنبي قبله

﴿الجوهرة الخامسة﴾ في قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء -

٧٠ الكلام على التؤلؤ وأنه طبيعي وموله وصناعه كما تطف الله تغلق من الكربون والجبر جوهرة جيلة

هكذا تطف فاشتق من بلوى يوسف وحسد أخوته وما بعد ذلك ملكاً عظيماً ونبوة وسعادة في الآخرة

ومن اللطف الإنساني تأليف الروايات الخيالية الخ

٧١ تطف الله مع الإنسان لجعل عقله يسع المخاوفات تصوراً وتعكراً وهو مشتق من الطين كاشتقاق الجوهرة

من غم وجبر وعلى قدر علم الإنسان بجمال ربه في الدنيا تكون وثيقته لربه يوم القيامة والمحروم من

المعرفة اليوم محروم هناك من الرؤية • ﴿جوهرة السورة كلها﴾ ليس في هذه السورة من العناية

بالمحائب مثل ما في السور التي قبلها ولكن فيها سياسة الشخص والمثل والمدينة وفيها قوله تعالى

- وكأين من آية في السموات والأرض الخ - وهذه قصد منها النظر في جميع العلوم

الكلام على الذرة وما فيها من الأشعة الكثيرة وهي تفتي لنا ظهر منها شاع مئات من السنين

بيان قصير للمسلمين في هذه السورة وأن هذه الآية بيت التصيد من سورة يوسف

٧٤ ﴿سورة الرعد﴾ فبيان (القسم الأول) من أول السورة مشكلاً إلى قوله - يضرب الله الأمثال -

تفسير الكلمات

٧٨ بيان أن مجاء في هذه السورة من محائب السموات والأرض تفصيل لما أجمل في قوله تعالى - وكأين

من آية الخ - في آخر سورة يوسف وبيان جيل لهذه الآيات

٨٠ ذكر إحدى عشرة لطيفة (اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها -

وفيها جوهرتان ﴿الأولى﴾ موازنة بين وصف العرب ووصف القرآن من كتابي ﴿مذكرات أدبيات

اللغة العربية﴾ وذلك من كلام الحارث بن حنظلة في معلقته

﴿الجوهرة الثانية﴾ أشراق النفس • بهجة السماء وجمالها من كتابي ﴿سوانح الجوهري﴾

(اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - ثم استوى على العرش -

(اللطيفة الثالثة) - وفي الأرض قطع متجاورات -

٨٢ لما يقين المسلمون الوجه طويلاً وعرضاً لأنهم أمروا بفعله ولم يبحثوا في محائب الأرض التي فيها قطع

متجاورات وهم أمروا بالنظر فيها • الجبال إما صخرية أو نباتية أو تارية أو هوائية • الأنهار منها

ما يجري من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال وبالعكس في الحالين

الكلام على تولد القيلة والزرافة والسمور والفقور والقطا والحمام والباط والصقور والنخل واللوز والجوز

والخليفة والنصب والذهب والفضة والكبريت والجص والزجاج والزبدخ والدمر والمرجان وبيان أماكنها

ومواضع تولد مثل أن العليل يتولد في جزائر بحر خاصة والزرافة في الحبشة والسمور في البراري والتفافر

والباط على شط النهر والدمر في البحر والذهب في الرمل والجبال الصخرية وهكذا

محائب هذه الدنيا • الفؤاد من الأشجار • التبلت للضحك

٨٤ الزيت يستخرج من الجراد ويصلح لصعود الطيارات
جوهرة في قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - وفي قوله - ويثقي السحاب الثقال - وفي
قوله - جعل فيها زوجين اثنين -

الأجسام امامضبة وامامظلمة وشفاة وشيعة بالشفاة وظليته وهذه كلها في الأرض والنور امامستطير وامامتعكس
٨٥ الفصح الحجري والباور الصخري والزجاج وهنا صورة أوراق بعض الأنواع التي تكوّن عنها الفصح الحجري
٨٦ ومن القطع المتجاورات المسمى عند العامة بالزلا والحصى وهو (الكورس) والرمل ويصنع منه الزجاج
ومنه الصوّان وشظف البنادق والباور الصخري الذي رسمت صورته هنا وهكذا الكركهان والياقوت
بوهيم والياقوت الأصفر الهندي . الكلام على الزجاج

٨٧ تاريخ الزجاج وكيف يصنع الزجاج وتحضير الزجاج . الباور . في النبات زوجان وفي الكهرباء موجب
وسالب وهكذا هنا في العدسات البالورية للرسم هنا وهي ست منها (٣) تجمع النور (٣) تفرقه فبن
زوجان أيضا والعدسات إلا من الرمل والجير والصودا أو نحو ذلك فهي من نتائج القطع المتجاورات
قصر النظر وطوله

٨٩ جال هذا العالم وفيه ذكر ملخص ماضى . وجوب درس هذه العلوم وذكر مقاله الامام الفزالي أن
علماء زمانه شرّ من الشياطين لأنهم أظهروا للناس علم الاكترات بنظام الله في السموات والأرض .
الألوان السبعة لنعوء الشمس وهذه الألوان نعرفها بأحدى حالتين إما بإدخال ضوء في قبة الخ وإما بأن
تنظر قوس قزح وفي هذا المقام رسم صورتين

٩١ نور الشمس . البخار . السحاب . ابتعاده ابتعادا وسطا . حكمة ذلك ثم هي التي ظهر ضوءها بجملة
قوس قزح . الآلات البصرية (ثلاث) للكرسكوب . التلسكوب . وآلات شتى مكبرة أو مصغرة
لم خلق الله الصحراء والأرض القفر . رأى المؤلف قبل أن يؤلف هذا التفسير ورأيه الآن
٩٢ الصحراء كأنه تنور الأرض العامرة تحبف الهواء كما تنضج النار الخبز ولولاها لم يشأ أهل البلاد التي
بجانبها . نهر النيل ونهر الكنج للأول صحراء فكتع مصر وليس للثاني صحراء فكثير الطاعون هناك
لعلم الجفاف

٩٣ لطيفة في قوله تعالى - يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الأكل - لم يقل يتغذى لعله أن
من النبات ما لا يتغذى إلا من الحيوان فالغذاء ليس واحدا كغذاء . النبات إما أن يتغذى بالمواد الأرضية
واما أن يتغذى بنبات آخر ولما أن يتغذى من جسم الحيوان

٩٤ وصف النبات المسمى بندى الشمس ذى الورق الملتف له قرون تلتف على اللبابة بالتدريج ثم تتغذى بها
ثم ترجع إلى حلقها الأولى . هذا اذا وقعت ذباية أما اذا وضعت قطعة من لحم مثلا فان الانهماك يكون
أقل . واذا وضعا شعرا مثلا يحصل انطلاف ضعيف جدا وافرار كذلك فاذا لمسناه بآلة مثلا فانه لا يكون
هناك أثر البتة . مسألة الكيمياء في هذا المقام . عند قريب مادة صالحة كذباية فبرز النبات مادة
حضية اذا غمست فيها الورقة الكيائية اجرت فاذا لم تكن مادة صالحة للأكل لم يلون السائل تلك
الورقة إذن الغرض فيه كالحض في المعدة . تفصيل ما تقدمت به مرتبا منظما بإيضاح

٩٦ عدد النباتات المفترسة تبلغ مائة ونيفا . (شكل ٧٥٦) وفي أحدها صورة النبات وقد افترس الحشرة
وهي منه . به في قص الصورة

٩٧ الشكل . ست نباتات وأولها النبات الجزار الذي يبلغ (٣٦) نوعا

٩٨ إيضاح الكلام على هذه الأنواع الست للرسمه وكيف كان بعض النبات المقترن قد أعطى سلا ليغرى الباب على أسكه وهكذا أعطى لونا جيلا فيدخله الباب بهذا الاغراء فيجده داخله ناعما أملس فتزلق أرجله فلا يقدر على الرجوع ثم تصه للذة الصلبة التي طمع فيها فتسد مسامته فيصير طماننا هنيئا وهكذا
٩٩ جوهرة فيها ذكر لتجب من أن هذا النبات يحسن ويتحرك وأن فيه (خسة أسرار) سر قوله تعالى - يستق بماء واحد - وسر لطف الله في ذلك وسر تنوع الأرزاق وسر - مامن دابة لإلهو آخذ بناصيتها - وسر أن تحريم اللحم لإبرهان عليه

١٠٠ منظر جبل في قصر منيف وذلك خيال تبدى للؤلؤ إذ تخيل قصرا جيلا بهجا أوصافه أشبه بقصور الجنة الموصوفة في القرآن والأحاديث وأن شخصا طلبه قاتلا هذا القصر لك والأمثالك وفسره بأن كل حائل من حوائله مثال لمعرفة عالم من العوالم المحيطة بكم في الأرض والأركان بين المحيطان عبارة عن الصلات المعروفة بين النبات والحيوان الخ وهكذا . وذكر ما كان يعرفه القدماء من ذلك وزيادة المتأخرين عليهم فيه . وبيان أن هذا القصر مثال العلوم كلها . وبيان أن هذا القصر مذكوري سورة الواقعة حيطانه الأربعة إذ جاء فيها ذكر الانسان والحيوان والماء والنار وهذه هي أركان المعرفة كلها ثم زيادة إيضاح لهذه الصور المرسومة وبيان أن هذه العلوم مبادئ للجنات الحقة

١٠٥ أسمعت النغمات في الأشجار كما تسمعا من الأوتار . وذكر أوتار العود (البم والثلاث والثني والزير) وهي ٦٤ طاقه ٤٨ و ٣٦ و ٢٧ على الترتيب باعتبار أن كل واحد مقدار ما هو أقل منه ومقدار تلك وهذه نسبة فاضلة وهذه النسب الفاضلة بها طرب الناس بسماع العيذان وهكذا يفرحون بالوجوه الجميلة لما فيها من نسب فاضلة وهكذا نظام جسم الانسان كله . النغمات يفهمها الطباء والعامة والحكمة خاصة بالعلماء ونغماتها أشد طربا فهم يهربون لما يرون من ماء ألقف من الأرض نحو (٥) مرات وهواء ألقف من الماء (٨٠٠) مرة وبحار يصلوا الهواء وهو ألقف من الماء (١٧٢٨) مرة فهو ترتيب كترتيب أوتار العود اجبالا لتفصيلا ويرون حجر الملح وحجر الجير والحجر الرملي والخام والجرانيت والصوان والزناد مرتبات كل أصلب مما قبله وأقل صلابة مما بعده ولها منافع في حياتنا كمنافع أوتار العود في آذاننا بل هذه أجل فائدة وأكثر طربا للحكماء لأنهم أعلم بهذا الوجود من علم الجهال بالنغمات الموزونات . شجرة تأكل الناس . (اللطيفة الخامسة) - ولكل قوم هاد -

١١١ (اللطيفة السادسة) في قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار الخ - . المقدار في الجسم الانساني . المحل الهندسي فيه . النظام في الأشجار الساقطة من أعلى . معرفة عمق الآبار . سقوط الأشجار . مقدار ما يقطع النور في الثانية . جنة العرفان في تفسير القرآن . نظام النور والصوت والجاذبية واتفاها جميعا على قلتها بمقدار ما يزيد مربع البعد والكلام على الأجواس الأربعة التي يساويها في الصوت جرس واحد الخ . رقاصا الساعة إذا قصر أحدها وطال الآخر الخ نظام الكواكب وتباعدا السيارات عن الشمس على هيئة التوالي الهندسية . وهكذا نرى النسب الهندسية في حساب الستين البسيطة والكنيسة ونظام الشعر العربي ونسبته الهندسية ونظام الماء الهندسي في نسبة الأكسسوجين الى الايدروجين وزنا ونظام النبات في تركيب عناصره . أشكال الثلج المستدة . رسم ١٢ شكلا من أشكال الثلج المستدة المرتبة ترتيبا كترتيب السلسلة الحيوانية الأدنى يليه الأعلى وهكذا وبيان نظام هذه المستدات والثلاث الساخلة فيها وكيف كانت كل غلوية (٦٠) درجة وكيف رسمها الله في الحق وكيف يستنتج منها ماركه علماء العصر العشرين في أمر مذهب الفنش والارتقاء والكلام على عدد ٦

وأنة يسمى عددا تاما وهو قليل جدًا في الأعداد ولذلك أختبر في الثلج وفي عدد الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض إشارة إلى الكمال . وعدد (٦) قد ظهر في أبعاد الكواكب عن الشمس وأن المؤلف يشكر ربه إذ وقف على هذه الحقائق التقرينية . ذكر (ثلاث زهرات) تتضمن مباحث علمية ترجع إلى الجبال مناسبة الأشكال الثلجية المستمدة توضح ما تقدم

١٢٤ الكلام على الجبال الخاص ومعنى التسبيح والتحميد يرجع لفهم العالم في هذه الدنيا

١٢٥ فوائد وفكاهات كمرض الأرض وطولها وعمر الأرض وارتفاع الطيارات وعند سكان الدنيا

(اللطيفة السابعة) في قوله - له معقبات من بين يديه ومن خلفه - وذكر الكرات الجراء والكرات البيضاء القاتلة للحيوانات الترية التي هي من أمر الله والأحاديث الواردة في ذلك (يتعاقبون فيكم ملائكة الخ) وكلام (السراويلي فروج) أن هناك عوالم تحيط بنا كما جاء في الحديث قاله الحديث مثل الحديث النبوي الشريف

١٢٨ (اللطيفة الثامنة والتاسعة) في البرق والسحاب والرعد وقوله - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا بأنفسهم - . (التفاؤل والتشاؤم) للكاتب الأمريكي (أميسون) وأن الانسان هو الذي يسلط الشؤم على نفسه وهو قادر أن يدخل المسرة على نفسه ويفهم الحقائق وهذا للمقال بواقعي معنى التوكل وهكذا مقالة عنوانها (مخاوفنا وأوهامنا . أسبابها وعلاجها) وهاتان المقالتان كافيتان لمن قرأها وعمل بهما وهما يعينان على فهم التوكل على الله في الآية وفيهما أبهج آراء النوع الانساني اليوم في الأمم وترك الخوف والحزن وادخال السرور والفرح على النفس

١٣٣ الكلام على الرعد والبرق ونحوهما وشرح الكهرباء الموجبة والسالبة والموصل الجيد كالمعادن والموصل لردىء كالخواء وكالبخار الخ . كهربائية الجلد والحواء والقبوم

(اللطيفة العاشرة) في الصاعقة . (جوهرة) في قوله تعالى - ويرسل الصواعق الخ -

تخرج الحرارة إلى ضوء الحرارة وما بعدها إلى البنفسجية . الصوت والحرارة والنور تكون الحرارة بالاحتكاك أو الطرق أو الضغط أو بالتفاعل الكهربائي أو بالطبيعة . الحب نظام هذا العالم قترى الاكسوجين بهجم على الاودروجين وذكر الحيوان على الائنات . بهجة الحكمة في قوله تعالى - ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته - ولم سميت السورة بالرعد . تسبيح الرعد وتحميده . بم يكون العلم ماذا يقول الرعد . ستة عشر مليون صاعقة . للرعد والبرق في العالم وانها مهلكة ونافصة وأن نفعها أكثر من ضررها وهذا باب من أبواب التسبيح . عن الاضرار بل الضرر جاء غير مقصود لثاته

(اللطيفة الحادية عشرة) - ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها الخ -

(حكاية مصرية في الظلال) وذكر (أرتوستنس) الفلكي الذي قاس الظل في الاسكندرية في وقت الانقلاب الصيفي لعمود مقام فيها وفي نفس الوقت كان العمود المقام في اسوان لا ظل له فاستنتج كروية الأرض بشرح يطول في هذا الكتاب وذكر مباحث الظلال من كتاب المؤلف (نظام العالم والأمم) أمجوبة الظلال وملح الهندسة وكيف كان الظل متنسقة أضلاعه الثلاثة وبينها نسب صادقة لأي شجرة وأي شاخص في جميع الكرة الأرضية

١٤٤ (اللطيفة الثانية عشرة) في قوله تعالى - أنزل من السماء ماء فسال أودية بقدرها -

نظرة في الآية من جهة العلم الحديث ومسألة النشؤ والارتقاء . حكاية صينية

١٤٥ باب التشبيهات في كلام العرب والقرآن

١٤٦ (القسم الثاني) من سورة الرعد - للذين استجابوا لربهم الحسنى - الى آخر السورة • التفسير اللفظي

١٥١ وصف الجنة

١٥٣ - بحول الله ماشاء ويثبت - ورجوع المعاني للنقولة الى معنى عام واحد

الكلام على الباب اوالرعد والسحاب والصاعقة فوق ماهتم

١٥١ انذار الرعد للمؤمنين • قوى الانسان الثلاثة التي تمثلت في الرعد والبرق والسحاب • - لكل أجل

كتاب - آجال الحيوان كالأرنب والكلب الخ

١٥٧ أدول الناس اعمارا كالأطباء والجزارين وهكذا وأن أطولهم عمرا رجال الدين وأقصرهم عمرا الشحاذون

١٥٨ سورة ابراهيم عليه السلام وانها قسيان (القسم الأول) من أول السورة الى قوله تعالى - عذاب غليظ -

التفسير اللفظي

١٦٣ جوهره في قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - • منزلة هذه الجلة من السورة كلها • كيف نذكر

الناس بأيام الله • هذا تذكري للمسلمين بأيام الله • ذل الأمم العربية بالافتراق قبل النبوة اجتماعهم

بالاسلام وفتحهم البلاد انتشار اللغة الترجمة انحطاط العلم اضطهاد العلماء • انتقال العلم الى أوروبا •

تفوق الأوروبيين على المسلمين • ذكر الله للمسلمين في واقعة بدر بنحو (١٤) نعمة

١٦٥ أيضا الخط المتضمنة كلها مثل هلاك الأمم العربية والأمم الاسلامية بجهلهم أيام قطب أرسلان إذ هجم

التار على البلاد فاجتاحوها والناس سكارى

١٦٧ المترجون مثل حتى بن يونس وسنان بن ثابت وهكذا ونبوغ المسلمين في العالم ونشركتب علماء اليونان

مثل اقليدس وأرسيميدس الخ واغداق المهدي والرشد النعم على النصارى المترجين الخ

اثبات (سديو) الفرنسى أن أكثر ما ادعى الترجمة كشفه مأخوذ من كتب عربية وذلك بنسبة أدلة

مثل ان تصحيح أزياج بطليموس كان على أيدي العرب الخ

١٦٨ ذكر بعض ما نبغ فيه العرب من كلام (سديو) الفرنسى وهو ١٤ فنا مثل الهندسة والحساب والجبر

وعلم الضوء والنظير الخ ومنها الآلة للفرغة للهواء والرافعة لياه الخ وهم الذين اخترعوا الأبجديات

(الصيدليات) ثم ذكر انحطاط التعليم في بلاد الاسلام واضطهاد العلماء

١٦٩ اضطهاد ابن رشد في الأندلس وذكر أن الخليفة الحكم بالأندلس جمع الكتب من الشرق فحصل عنده

٤٠٠ ألف كتاب ولها ٤٤ مجلدا فهارس ولكن حجب ابنه هشام بعد حين اضطهد العلماء وأحرق

الكتب تقريبا الى العاتة وهكذا دولة الموحدين فنصر العلم أولا عبد المؤمن ولكن يعقوب المنصور نفي

ابن رشد وأمر بحرق الكتب فهي كاتي قبلها فنصر العلم أولا واضطهاد آخر • وذكر صورة المنصور

التي نشره يعقوب لقم الفلسفة والفلاسفة لأجل ابن رشد وذكر الغوغ عن ابن رشد ثم موته ثم ذكر

انتقال العلم الى أوروبا بعد أن هجره المسلمون على يد اليهود تلاميذ ابن رشد وكتابة الفلسفة بالعبرية

بدل العربية • ويان أول ماترجم من مؤلفات ابن رشد لأوروبا وأن فردريك الثاني أمبراطور ألمانيا

ينصرتك الفلسفة وينصر آراء الاسلام ويضطهد الاكبروس وهذا الامبراطور أمر بترجمة فلسفة العرب

الى العبرية واللاتينية وذكر أن ابن رشد بصق العاتة على وجهه عند الدخول والخروج من الجامع

في مدينة (فاس) وقد نصوه هناك لذلك وذكرهم الشعراء له مثل قول بعضهم

* لم تزلزم الرشد يا ابن رشد الخ * وذكر ترجمة كتاب (نهاية التهافت) وأن فلسفة ابن رشد في

- القرن الرابع عشر بلغت أوجها
 ١٧٤ ترجمة كتب العرب الى اللغات الأوروبية مثل كتاب الخازن في علم الضوء ومثل أن كتاب القوانين لابن سينا قد ترجم وطبع مرارا في أوروبا وبقى هو ومؤلفات الرازي تدرس في أوروبا ست قرون قريبا ثم ذكر ملخص ما هتتم
- (الفصل التاسع) في تفوق أوروبا في العلوم جميعها بعد آياتنا العرب
 ١٧٢ علماء القرن السادس عشر والسابع عشر مثل وليم غبرت أنشأ علم الكهربية الحديثة ومثل (غليلي) بإيطاليا التي نسبوا له كشف رقص الساعة ومثل هرفي كاشف دورة الدم
- علماء القرن السابع عشر والثامن عشر مثل اسحق نيوتن أكبر علماء الفلك
 ١٧٣ علماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر مثل لافوازييه في الكيمياء ومثل كولون الكهربي ومثل فلطاً ومثل لامرك . مصباح يشرح على العلوم التي كشفها المسلمون والأوروبيون ومنها الكيمياء وتبيان ذلك بمثال حصد القمح ودرسه وخبزه وهضمه في اللعنة وقد عين في الجسم لكل عضواً يناسبه من العناصر الغذائية فلولا تحليل الغذاء الى عناصره في الجسم ما أمكن تركيبه ثانية لتفوق الجسم وبقائه . هكذا كل العلوم لاتم إلا بتحليل أصولها ثم السير في نظرياتها وتعيمها فهي كالكيمياء
- ١٧٥ ذكر جان شامبليون الذي كشف لغة المصريين القدماء وذكر أن مانيتون يقول ان عدد المؤلفات المنسوبة الى هرمس (٣٥٠٠٠٠) كتاباً ومكافأة الملك لويس الثامن عشر شامبليون لكشفه للغة المبروغليقية . لوم المؤلف المسلمين على جهلهم بهذه العلوم
- ١٧٦ جورج ستفنسن الذي أنشأ السكك الحديدية في العالم وهو عالم انكليزي وفراي انجليزي أيضاً كشف البتزين باستقطاره من الفحم الحجري . (أوريان لفرية) الفلكي الفرنسي وهو كشف السياربتون
- ١٧٧ (تشارلس داروين) ومذهبه مكمل لمذهب لامرك القرنى وهو أن عالم الأحياء سلسلة واحدة (بوسنخوت) الكيماوى الفرنسي كشف عناصر النباتات . (ماريه موشل) الفلكية الأمريكية كشفت نجما جديداً من ذوات الأذنان . (شليمن الأثرى الألماني) كشف خرائب ترواده الخ
- ١٧٨ بيان أن هذا كله صورة من قوله تعالى - وذكرهم بأليم الله- وقوله في آخر السورة - هذا بلاغ للناس - (الفصل العاشر) في نتائج جهل المسلمين وغفلتهم والاقتصار على ثلاث حوادث وهي سقوط الدولة العباسية وسقوط الأندلس واحتلال الفرنسيين أولاً والانجليز ثانياً لبلادنا المصرية . وذكر أن الدولة العباسية جهلت جغرافية بلاد التتروالمغول فانتقضوا عليهم كالجراد المنتشر وكانوا أولاً بهم مستهزئين وقد تحاذل ملوك الأندلس في أواخر أيامهم وصار كل منهم يلجأ الى من جاوهرهم من ملوك أسبانيا وانتهى ملك العرب سنة ١٤٩٢ ثم بعد ذلك أخذ أعيان النصارى ينصرون المسلمين ودفع للمسلمون ثمانمائة ألف دينار الى الملك فيليبس تخفف عنهم بعض العذاب وطردوا سنة ١٦٠٩ وأما مصر فإن الأمراء منهم لما سمعوا بمجيء الفرنسيين الى الاسكندرية سنة ١٧٩٣ هجيرة اعتمدوا على قوتهم وقالوا اذا جاءت جميع الافرنج فانهضهم ينوسونهم بخيلهم ثم ان الحرب لما دارت لم ترد على ثلاثة أرباع الساعة بجوار القاهرة ولما فشا الطاعون أراد الفرنسيون حصره بالبحر الصحي فهرب المسلمون من القاهرة لجهلهم بالأمور الصحية . عرابي باشا والشيخ أبوخطوة وقنال السويس والمستر (ابلانت) الأساطيل الاسلامية وصلت الى مصاب نهر السند وأخذ عبد الله بن عامر بلاد كرمان وسجستان وهندوا ملك الصين فصرهم بالطايا وانتشرت اللغة العربية حتى زالت البائدة البوذية . هذا في الشرق

وأما في الغرب فاتهم توغلا في فرنسا وأخذوا (ملوشه) تحت تلك البلاد ثم ارتدوا الى شواطئ نهر الرون والسين . ذكرا أن المأمون قاتل الملك (توفيل) ملك القسطنطينية لأنه أتى أن يرسل له العالم (ليون) فوازن بين المأمون وبين يعقوب للنصور الذي طرد ابن رشد . مدينة العرب لم تذهب بنهاب دولهم وذكر أن الأتراك والمغول لما ملكوا البلاد حفظوا مدينة العرب وعالومهم مثل أن السلطان محمود الغزنوي جعل العلامة البيروني في ديوانه وهكذا (هلاكو) أغدق النعم على نصير الدين الطوسي ثم بعد ذلك رجع العرب الى جزيرتهم ولزم عرب الشام ونجد عوائد الأجلاف كأنهم نسوا ما سخر آباؤهم ونشأ أهل حضرموت وعمان والبحرين في نشر الدين والمعاملات التجارية في شرق أفريقيا وجزائر بحر الهند الخ . انتهى عن عبادة الأصنام وأن كل ما حصر الفكر فهو أشبه بعبادة الأصنام من بعض الوجوه القلق واضطراب البال وأثرهما في الصحة والعمل وذكر أن أناسا بسبب القلق قعدوا في القرن الأخير فكانوا أكثر من القتل في ساحة الوغى . وأن لهم تلف خلايا الدماغ فكأنه مطرقة تنقر أغشيت الاسراف في الأمل والرجاء ضد السعادة . الدنيا شبيهة بمرآة تعكس للإنسان صورته فان قطب قطبت له وإن يش - يث له

١٨٥ ﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله تعالى - مثل الذين كفروا بربهم - الى قوله - لظالم كفار - مشكل التفسير اللفظي

١٨٩ تفسير الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة والشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة . وذكر تشبيه الرجل المسلم بالشجرة الطيبة التي هي النخلة الخ وذكر حديث البخاري ومسلم أن العبد اذا وضع في قبره الخ موازنة بين كلام العرب وكلام القرآن التشبيه بالشجر والنبات وغيرها وأن عنترة العسري يشبه رائحة علة برائحة روضة أتف في قوله ﴿ أروضة أفقا الخ ﴾ وهذا موازن بقوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير -

١٩١ آيات أخرى من كلام المعلقات وغيرها وموازته مع القرآن الخ بقية التفسير اللفظي - ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا -

١٩٣ جوهرة في ذكر نعمة هبة وهي الحرير الصناعي المأخوذ من خشب التوت وحطب القطن وشعر القطن وقد ارتقى الانسان من لبس جلود الأنعام الى الاقتداء بدودة الحرير المأخوذة له فالاعتداء بالعنكبوت في صناعة النسج ثم هو الآن يتخطى الحيوان كله فيستخرج الحرير من نفس الخشب ولا يتشكل على الحيوان جدلول بأنواع النبات من غذاء وفاكهة ودواء ولباس وأن هذه النباتات جعلت موافقة لسوق جنود الجوع وجنود البرد وجنود المرض تلك الجنود الملجبة الانسان أن يستعمل تلك النباتات ففيها ثلاث فوائد حفظ جسده من الجوع والبرد وتقوية عضلاته بالعمل وتحيية قواه العقلية كما في هذا التفسير فهذا اقتصاد من الله في نظامه كاقصاده في خلق اللسان فهو يذوق الطعام ويمرر به ويقوم بتفهيم الكلام للسامع والاقتصاد في نظام الموجودات للدكورة كالاقتصاد في عضو اللسان وما العرى ولا الجوع ولا المرض إلا لغات يفهم بها الانسان بلا حروف ولا صوت وقد اشترك فيها الانسان والحيوان جميعا وهي أبلغ من نطق اللسان

١٩٦ الكلام على أن الاسلام كشجرة والشجرة لها أصل وفروع والفروع ﴿ قيمان ﴾ أصل وأطراف ويبان أن النبي ﷺ وأصحابه هم أصل الشجرة ولم يؤلفوا في فقه ولا في علوم السموات والأرض وأما للتأخرين في علوم الفقه وهي كفروع الشجرة التي ليست أصولا أما الفروع التي هي أصول كعلم

السماوات والأرض والنبات فلم يؤلفوا فيها وليس لهم حجة في أن الصحابة لم يؤلفوا فيها لسقوطها بأنهم لم يؤلفوا في الفقه لأنهم أصل الشجرة وأصل جميع فروعها • اللوف والنخل وأن اللوف يطول سرها ويعاوي النخل ويذبل حالا والنخل طويل العمر يطير الثمر فأشرفهما أدومهما • هكذا العلماء النافسون يقولون بأنهم والمتظاهرون بالعلم بلا حقيقة لابقاء لذكرهم ولا لأنارهم

عبر الله بكاف الخطاب في هذه الآيات ست مرات فجعل الماء لنا والنفرات لنا الخ فهل كاف الخطاب استثنى منها للمسلمون وهل الله غلب الفرحة وحدهم فقال - وسخر لكم الفلك لتجروا في البحر بأمره الخ - حتى رأينا أكثر السفن لهم • (تنبيهات • الأول) في قوله تعالى - ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء - وكيف ينعم علينا وقد أضلّ الظالمين ما • الجواب عن ذلك في نفس الآية فالشجر يكون حنظلا مرأ وترا حلوا والقسبان محتاج اليهما فإذا كان الحنظل وجيع النباتات الدينية لم يجعل عالم النبات مخالفا للحكمة فهكذا هنا العقول مزارع زرعها الله في أجسامنا وهي مختلفة اختلاف النباتات فما حسن هناك حسن هنا وما من يفقهه في الحياة وما من لا يفقهه إلا بعد الموت

٢٠٠ (التنبيه الثاني) - وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله - ويان أن تحريم عبادة الأصنام بسبب حصرها الفكر والا فانه غنى عن المثلين

(التنبيه الثالث) كيف يدخل الضلال على أبواب البيانات وليس معقولا أن الخليل يخاف من عبادة الأصنام ولا المسلم كذلك وإنما الخوف هو حصر الفكر كما هو حاصل لأغلب المسلمين اليوم

٢٠١ (جوهرة في قوله تعالى - وجعلوا لله أندادا -) • إن علماء الهند ومصر وغيرهم قد أشركوا أمام العاقبة ووجدوا في نفوسهم ويشهد بذلك رؤيا هرمس إذ سمع قائلا يقول إن النور الذي رأيته مثل لنور الله الخ

٢٠٢ التثليث عند الأمم القديمة • إن العالم كله مادة وعقل ونفس الخ وأيضا يقول الأسقف اليوناني في عكا إن الروح السري عند الأمم القديمة هو المفاعلة للشعوب وأنا فيلسوف مع نفسي كاهن مع الشعب (القسم الثالث) - وإذ قال إبراهيم - إلى آخر السورة وهو مشكل • تفسيره اللفظي

٢٠٥ ملخص هذا القسم وفي هذا المقام لطائف (اللطيفة الأولى) أن عبادة الأصنام في كلام الخليل ترجع للكلمة الخفية وأقلمة الصلاة ترجع للكلمة الطيبة الخ (الاطيفة الثالثة) - ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الخ - حديث أم اسماعيل وهي ترضع ونزل جرحم عليها وتربية اسماعيل بينهم الخ

٢٠٧ (اللطيفة الرابعة) - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات الخ - وهذه الآية هي نفس العلم الحديث أن الأرض والشمس والسيارات كانت كلها كرة واحدة وانفصلت السيارات وبرهان ذلك

بالتلسكوب إذ رأوا ستين ألف كوكب ثارية تسكون الآن وهذا يوافق حديث عائشة الذي أخرجه مسلم • هنا أربع جواهر (الجوهرة الأولى) - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - ومن النعم التي

لم يشكرها المسلمون البحر الميت الذي أخذ امتيازه الاجبايز وفيه ثروة (٢٣٨) ألف ألف ألف جنيه وبيان ما فيه من البوتاسا والبوم وللح الخ وشروط العقد وبيان أن الله حرم المسلمين من هذا

لجهلهم لأن الله لا يعطي الذمعة إلا لمن يشكرها ولا يشكرها إلا من يستعملها ولا يستعملها إلا العالم بها والمسلمون ليسوا بمثلين بها

٢١٠ حكمة إلهية ونور على نور وذكر عجائب عناصر البحر الميت وسر الحروف في أوائل السور في القرآن أول هذه السورة (ال) وهذه الحروف بترتيبها جاءت في البحر والأنهار والقمر والنهار الخ وهذه